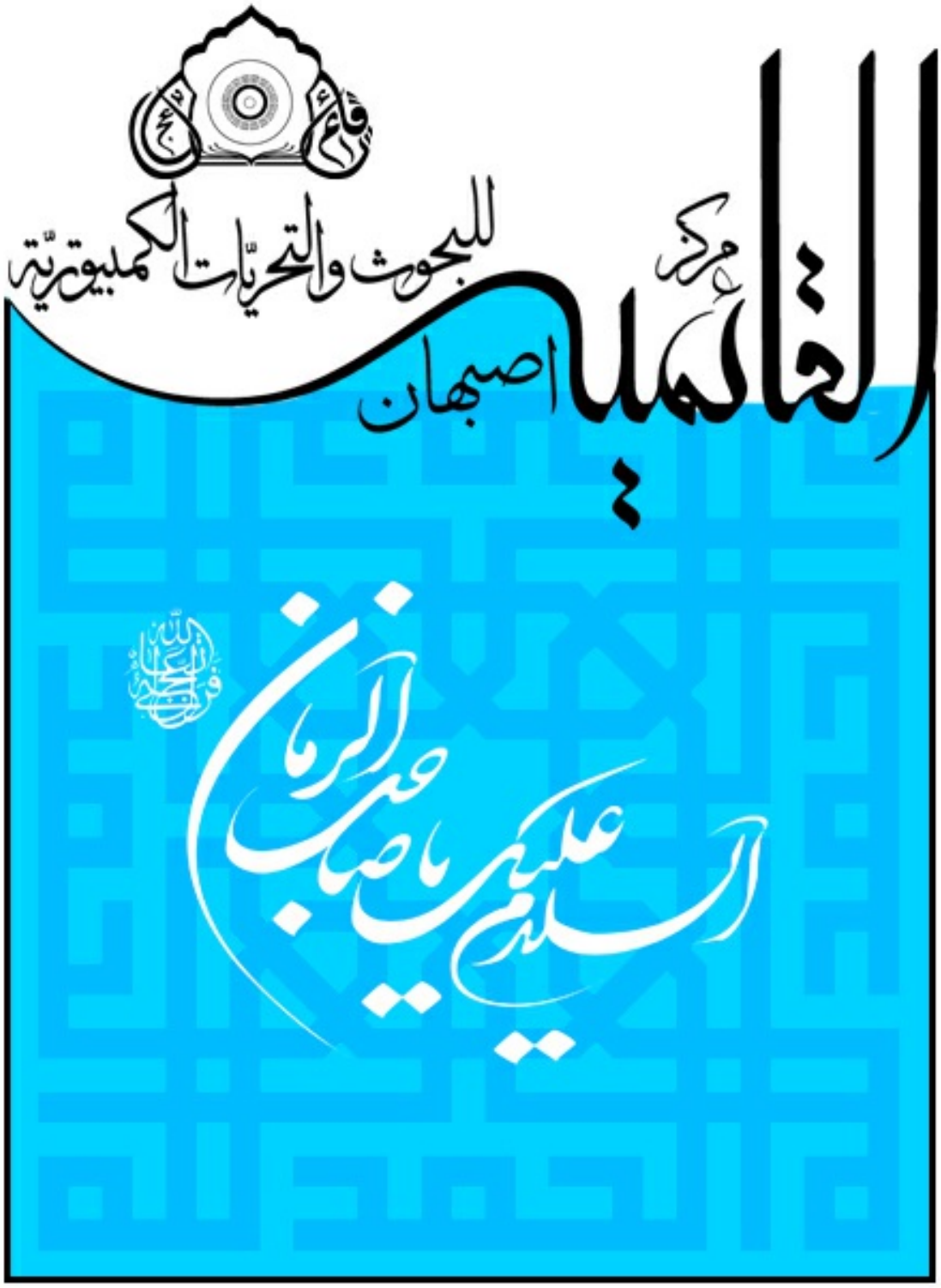

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإعجاز القرآني

في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث

دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة

الداعية الإسلامي
مروان وحيد شعبان القطشنازي

دار المعرفة

بسم الله الرحمن الرحیم

الاعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث

کاتب:

مروان وحید شعبان

نشرت فی الطباعة:

دار المعرفة

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

الإهداء ----- ۲۰

مقدمه ----- ۲۲

مقدمه بقلم:د.إبراهیم الشیخ محمد حسن ----- ۲۵

مقدمه ----- ۲۶

المقدمه ----- ۲۸

اشاره ----- ۲۸

خطّه البحث: ----- ۳۲

الفصل الأوّل: مفهوم المعجزه ----- ۳۶

اشاره ----- ۳۶

تمهید ----- ۳۸

المبحث الأول: تعریف المعجزه ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

المعجزه اصطلاحا: ----- ۴۱

المبحث الثانی: الفرق بین معجزه النبی و معجزات الأنبیاء السابقین علیهم التلام ----- ۴۴

أولا:معجزات الأنبیاء علیهم السّلام ----- ۴۴

ثانیا:معجزات نبینا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم. ----- ۴۹

اشاره ----- ۴۹

المعجزات الحسیه: ----- ۴۹

اشاره ----- ۴۹

۱-نبع الماء: ----- ۵۰

۲-تکثیر الطعام: ۵۱
۳-حنین الجذع: ۵۲
۴-انشقاق القمر: ۵۳
المبحث الثالث: مراحل التحدی بالقرآن الکریم ۵۷
اشاره ۵۷
المرحله الأولی: ۶۰
المرحله الثانیه: ۶۱
المرحله الثالثه: ۶۳
القدر المعجز من القرآن الکریم ۶۶
قدر المعجز عند الأشعریین ۶۶
القدر المعجز عند المعتزله: ۶۶
المبحث الرابع: عجز المشرکین و اعترافهم بعظمه القرآن ۶۸
اشاره ۶۸
۱-اعتراف بلغاء المشرکین بإعجاز القرآن ۷۰
أولا-عتبه بن ربیعه: ۷۰
ثانیا-الولید بن المغیره: ۷۲
ثالثا-النضر بن الحارث: ۷۳
اشاره ۷۳
أذی النضر للرسول صلی اللّه علیه و سلم: ۷۳
۲-اعتراف فصحاء العرب المؤمنین بإعجاز القرآن ۷۵
اشاره ۷۵
أولا-عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه: ۷۵
ثانیا-الطفیل بن عمرو الدوسی: ۷۷
ثالثا-لبید بن ربیعه: ۷۸
رابعا-أنیس أخو أبی ذر الغفاری: ۷۹
الفصل الثانی: نشأه مصطلح إعجاز القرآن ۸۴

اشاره ---- ۸۴
تمهید ---- ۸۶
المبحث الأول ---- ۸۸
اشاره ---- ۸۸
الصّرفه لغه: ---- ۸۸
الصرفه اصطلاحا: ---- ۸۹
القائلون بالصرفه: ---- ۹۰
۱-النّظّام : ---- ۹۰
اشاره ---- ۹۰
۲-الشریف المرتضی من الشیعه : ---- ۹۳
۳-ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری : ---- ۹۴
۴-ابن سنان الخفاجی : ---- ۹۵
المبحث الثانی ---- ۹۸
اشاره ---- ۹۸
أولا:الرد علی النظام و من حذی حذوه: ---- ۹۸
ثانیا:الرد علی المرتضی و من شایعه: ---- ۱۰۳
المبحث الثالث ---- ۱۰۷
اشاره ---- ۱۰۷
هل من جهه أسلوبه و دقه عبارته و کلامه؟ ---- ۱۰۷
أم أن الإعجاز جاء من جهه ألفاظه؟ ---- ۱۰۷
أم أن الإعجاز جاء من جهه المعانی التی تضمنها القرآن الکریم؟ ---- ۱۰۷
اشاره ---- ۱۰۷
أولا-وجوه إعجاز القرآن کما حددها الإمام الباقلانی : ---- ۱۰۹
ثانیا-القاضی عیاض و وجوه إعجاز القرآن : ---- ۱۱۴
الوجوه الالحاقی ---- ۱۱۵
الرأی المختار فی تحدید أوجه إعجاز القرآن ---- ۱۱۷

الفصل الثالث: الإعجاز العلمی بین المؤیدین و المعارضین ---- ۱۲۰
اشاره ---- ۱۲۰
تمهید ---- ۱۲۲
المبحث الأول: أبرز المؤیّدین من العلماء القدامی ---- ۱۲۴
اشاره ---- ۱۲۴
أولا-الإمام أبو حامد الغزالی : ---- ۱۲۴
ثانیا-فخر الدین الرازی : ---- ۱۲۷
ثالثا-الإمام الزرکشی : ---- ۱۲۹
رابعا-الإمام السیوطی : ---- ۱۳۱
المبحث الثانی: أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین ---- ۱۳۳
اشاره ---- ۱۳۳
القسم الاول:العلماء المثبتون لقضیه الإعجاز بمغالاه ---- ۱۳۳
أولا-الإمام محمد عبده : ---- ۱۳۳
ثانیا-عبد الرحمن الکواکبی : ---- ۱۳۵
القسم الثانی:المثبتون من العلماء المعاصرین باعتدال ---- ۱۳۸
أولا-وحید الدین خان : ---- ۱۳۸
ثانیا-الدکتور محمد جمال الدین الفندی : ---- ۱۴۰
ثالثا-الشیخ أحمد مصطفی المراغی: ---- ۱۴۲
المبحث الثالث: أبرز المعارضین من العلماء القدامی و المعاصرین ---- ۱۴۵
اشاره ---- ۱۴۵
أولا-المعارضون من العلماء القدامی: ---- ۱۴۵
الإمام أبو إسحاق إبراهیم بن موسی الغرناطی الشاطبی : ---- ۱۴۵
ثانیا-المعارضون من العلماء المعاصرین ---- ۱۴۷
۱-الشیخ محمود شلتوت : ---- ۱۴۷
۲-سید قطب : ---- ۱۴۹
۳-محمد عبد العظیم الزرقانی : ---- ۱۵۲

۴-محمد رشید رضا: ---- ۱۵۴
المبحث الرابع: أدله الفریقین ---- ۱۵۶
أولا-من أدله المؤیدین للتفسیر العلمی: ---- ۱۵۶
ثانیا-من أدله المعارضین للتفسیر العلمی ---- ۱۵۷
الترجیح: ---- ۱۵۸
الفصل الرابع: الإعجاز القرآنی فی علم الفلک ---- ۱۶۶
اشاره ---- ۱۶۶
تمهید ---- ۱۶۸
المبحث الأول ---- ۱۷۰
اشاره ---- ۱۷۰
أولا-الإسلام دین العلم ---- ۱۷۰
ثانیا-الإعجاز العلمی سبیل من سبل الدعوه ---- ۱۷۳
ثالثا-ضوابط التفسیر العلمی للقرآن ---- ۱۷۶
اشاره ---- ۱۷۶
۱-الاعتماد فی تفسیرنا العلمی علی الحقائق لا الفرضیات: ---- ۱۷۶
۲-عدم التعارض بین الحقیقه العلمیه و القرآن. ---- ۱۷۷
۳-التمکن من علوم اللغه العربیه و علوم الآله. ---- ۱۷۷
۴-عدم حصر دلاله الآیه علی الحقیقه الواحده. ---- ۱۷۸
۵-أهمیه التخصص العلمی: ---- ۱۷۸
۶-القرآن الکریم کتاب هدایه و نور. ---- ۱۷۹
المبحث الثانی ---- ۱۸۱
اشاره ---- ۱۸۱
مراحل الخلق ---- ۱۸۲
أولا-مرحله الرتق و الفتق ---- ۱۸۲
ثانیا-مرحله خلق السموات و الأرض ---- ۱۸۶
ثالثا-مرحله دحو الأرض ---- ۱۸۸

الحقائق العلميه: ۱۹۲
الإعجاز: ۱۹۶
المبحث الثالث ۱۹۹
اشاره ۱۹۹
الحقائق العلميه: ۲۰۱
الإعجاز: ۲۰۵
المبحث الرابع ۲۰۸
اشاره ۲۰۸
الإعجاز: ۲۱۶
الفصل الخامس: الإعجاز القرآنی فی الشمس ۲۲۲
اشاره ۲۲۲
تمهید ۲۲۴
المبحث الأول ۲۲۵
اشاره ۲۲۵
تحرکات الشمس و انتقالاتها ۲۲۶
الحقائق العلميه: ۲۲۹
حرکات الشمس ۲۲۹
الدوره المحوريه: ۲۲۹
الدوره الانتقاليه للشمس: ۲۳۰
الحرکه التباعديه أو الانتشاريه: ۲۳۰
الإعجاز: ۲۳۱
المبحث الثانی ۲۳۴
اشاره ۲۳۴
الحقائق العلميه: ۲۳۶
الإعجاز: ۲۴۰
المبحث الثالث ۲۴۱

اشاره ----- ۲۴۱
الحقائق العلمیّه: ----- ۲۴۳
أقمار نبتون الثمانیه ----- ۲۴۹
الإعجاز: ----- ۲۵۰
المبحث الرابع ----- ۲۵۲
اشاره ----- ۲۵۲
الحقائق العلمیه: ----- ۲۵۵
الإعجاز: ----- ۲۵۷
الفصل السادس: الإعجاز القرآنی فی الأرض ----- ۲۵۸
اشاره ----- ۲۵۸
تمهید ----- ۲۶۰
المبحث الأول ----- ۲۶۱
اشاره ----- ۲۶۱
الحقائق العلمیه: ----- ۲۶۸
الإعجاز: ----- ۲۶۹
المبحث الثانی ----- ۲۷۱
اشاره ----- ۲۷۱
الحقائق العلمیه: ----- ۲۷۶
الإعجاز: ----- ۲۷۸
المبحث الثالث ----- ۲۷۹
اشاره ----- ۲۷۹
الحقائق العلمیه: ----- ۲۸۳
الإعجاز: ----- ۲۸۵
المبحث الرابع ----- ۲۸۶
اشاره ----- ۲۸۶
الحقائق العلمیه: ----- ۲۸۹

الإعجاز: ---- ۲۹۳
الفصل السابع: الإعجاز القرآنی فی القمر ---- ۲۹۶
اشاره ---- ۲۹۶
تمهید ---- ۲۹۸
المبحث الأول ---- ۲۹۹
اشاره ---- ۲۹۹
الحقائق العلمیه: ---- ۳۰۳
الإعجاز: ---- ۳۰۴
المبحث الثانی ---- ۳۰۶
اشاره ---- ۳۰۶
الحقائق العلمیه: ---- ۳۰۸
الإعجاز: ---- ۳۱۱
المبحث الثالث ---- ۳۱۳
اشاره ---- ۳۱۳
الحقائق العلمیه: ---- ۳۱۴
الإعجاز: ---- ۳۱۸
المبحث الرابع ---- ۳۱۹
اشاره ---- ۳۱۹
الحقائق العلمیه: ---- ۳۲۰
الإعجاز: ---- ۳۲۱
الفصل الثامن: الإعجاز القرآنی فی الریاح ---- ۳۲۲
اشاره ---- ۳۲۲
تمهید ---- ۳۲۴
المبحث الأول ---- ۳۲۶
اشاره ---- ۳۲۶
الحقائق العلمیه: ---- ۳۳۰

الإعجاز: ---- ۳۳۴
المبحث الثانی ---- ۳۳۵
اشاره ---- ۳۳۵
الحقائق العلمیه: ---- ۳۳۷
أنواع السحب من حیث النشأه: ---- ۳۳۸
اشاره ---- ۳۳۸
السحب البساطیه. ---- ۳۳۹
ثانیا:السحب الرکامیه ---- ۳۳۹
الحقائق العلمیه: ---- ۳۴۳
أنواع الغیوم: ---- ۳۴۴
الإعجاز: ---- ۳۴۶
المبحث الثالث ---- ۳۴۸
اشاره ---- ۳۴۸
الحقائق العلمیه: ---- ۳۵۰
الإعجاز: ---- ۳۵۳
الفصل التاسع: الإعجاز القرآنی فی الجبال ---- ۳۵۴
اشاره ---- ۳۵۴
تمهید ---- ۳۵۶
المبحث الأول ---- ۳۵۸
اشاره ---- ۳۵۸
الحقائق العلمیه: ---- ۳۶۰
الإعجاز: ---- ۳۶۴
المبحث الثانی ---- ۳۶۵
اشاره ---- ۳۶۵
الحقائق العلمیه: ---- ۳۶۷
الإعجاز: ---- ۳۶۸

المبحث الثالث ---- ۳۷۱
اشاره ---- ۳۷۱
الحقائق العلميه: ---- ۳۷۳
الإعجاز: ---- ۳۷۵
المبحث الرابع ---- ۳۷۷
اشاره ---- ۳۷۷
الحقائق العلميه: ---- ۳۷۹
الإعجاز: ---- ۳۸۲
الفصل العاشر: الإعجاز القرآنی فی البحار ---- ۳۸۴
اشاره ---- ۳۸۴
تمهید ---- ۳۸۶
المبحث الأول ---- ۳۸۸
اشاره ---- ۳۸۸
الحقائق العلميه: ---- ۳۹۱
الإعجاز: ---- ۳۹۴
المبحث الثانی ---- ۳۹۵
اشاره ---- ۳۹۵
الحقائق العلميه: ---- ۳۹۸
الإعجاز: ---- ۴۰۱
المبحث الثالث ---- ۴۰۳
اشاره ---- ۴۰۳
الحقائق العلميه: ---- ۴۰۵
الإعجاز: ---- ۴۰۶
المبحث الرابع ---- ۴۰۷
اشاره ---- ۴۰۷
الحقائق العلميه: ---- ۴۱۰

الإعجاز: ---- ۴۱۲
الخاتمه ---- ۴۱۳
الفهارس ---- ۴۱۸
اشاره ---- ۴۱۸
فهرس الآيات ---- ۴۲۰
فهرس الأحاديث ---- ۴۳۶
قائمه المصادر و المراجع ---- ۴۳۷
الفهرس ---- ۴۶۱
تعريف مركز ---- ۴۷۶

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث

اشاره

نام کتاب: الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث

نویسنده: مروان وحید شعبان

موضوع: اعجاز علمی

تاریخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: دارالمعرفه

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۲۷ / ۲۰۰۶

نوبت چاپ: اوّل

ص: ۱

اشاره

الإهداء

إلى الروح الغاليه التى سهرت الليالى و السنوات و هى تكافح و تكابد الحياه لإنشاء أسره تكتب فى سجل الخادمين لشرع اللّه و دينه...أمى.

إلى الذى أحاطنى بعطفه الحارّ و حنانه الفوّار،صاحب الفضل الكبير،و القلب الرحيم..أبى.

إلى إخوتى و أخواتى،الذين عشت معهم مرحله التأسيس فى درب الهدى و الوفاء و الإيمان...

إلى كل من يطوف حول كعبه الحقيقه المقدسه من بنى البشر أهدى هذا العمل المتواضع...

ص: ۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

مقدمه

بقلم:الشيخ محمد على الصابونى

نحمده تعالى و نصلى و نسلم على رسوله الكريم محمد بن عبد اللّه،خاتم النبيين، و بعد...

فعصرنا الذى نعيش فيه،عصر العجائب و الغرائب،عصر الخوارق و المدهشات! لا تكاد العين ترى فيه إلا كلّ طريف و جديد! ما كان مستحيلا و غير معقول منذ قرون...أصبح واقعا فى هذه الأيام!!

و لا عجب فى ذلك،فهو عصر الازدهار العلمى،و التقدم الحضارى،عصر المكتشفات و المخترعات،عصر الذره،و عصر الأقمار الصناعيه و المراكب الفضائيه، عصر غزو الفضاء،و يمكننا أن نقول جازمين:

إنه عصر(ظهور معجزه القرآن)تحقيقا لقول اللّه العلى الكبير: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (۱).

اللّه أكبر إن دين محمد و كتابه أهدى و أقوم قيلا

لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا

لقد أيّد اللّه خاتم الأنبياء محمدا صلى اللّه عليه و سلم بالمعجزه القرآنيه الخالده،و جعل هذا القرآن أجلّ و أعظم برهان على صدق رسالته..فهو نبى أمىّ لا يعرف القراءه و لا الكتابه،و لا يعرف أن يفكّ حرفا عن حرف حتى آخر حياته صلوات اللّه عليه،و هذا ما أكده القرآن الكريم فى صفه هذا النبى العظيم حين قال سبحانه: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ(۴۸) بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظّالِمُونَ (۴۹) (۲).

۱- سوره فصلت،الآيه:۵۳.

۲- سوره العنكبوت،الآيتان:۴۹،۴۸.

و كـأنى بالقرآن يهتف و ينادى أصـحاب النهى و العقول فيقول لهم:فكّروا فى شأن هـذا النبى الأمى الـذى جاءكم بهـذا الكتاب المعجز،أ يعقـل أن يكون هـذا الكتاب من صـنعه و تأليفه؟و هو لم يتتلمـذ على يـد أحـد،و لم يقرأ كتابا،و لا خطّ بيـده حرفا،ثم جاءكم بكتاب حوى العجائب من علوم،و فنون،و قصـص،و أخبار،و أمور غيبيّه،و أخبركم عن مكتشـفات لم تعرفوا عنها شيئا إلاّ فى عصركم هذا،أ فلا يكون ذلك أعظم برهان على عظمته و صدقه!؟

تصوروا أن عشـره أطبـاء اجتمعوا على تشـخيص داء مريض،و كـلّ منهم نابغه فى تخصـصه،و عجزوا جميعا عن معرفه المرض،و وصف العلاج و الدواء له!و جاءهم رجل من الباديه،لا يعرف شيئا عن الطب،و لم يمارس هذه الصنعه مطلقا،و بمجرد إلقاء نظره على المريض،و وضع يـده على جسـده،عرف المرض و وصف له الـدواء، و شـفى المريض بتناول العلاج الـذى عجز عن معرفته كبار الأطباء،أ ليس هـذا الأمر يـدعو إلى الدهشه؟و الإجلال و الإكبار لهذا الذى وصل إليه نبوغ هذا الرجل،و الإقرار له بالحذاقه و قوه المعرفه!؟

هذا هو مثل خاتم الأنبياء مع كبار الأطباء!!أتاهم بعلوم و معارف قبل أربعه عشر قرنا من الزمان،لم يصلوا إلى معرفه بعضها إلا فى هذا العصر،عصر ظهور (المخترعات و المكتشفات).

و حين طلب المشـركون من سيد الخلق معجزه تـدلّ على صـدقه،جـاء القرآن يقرّعهم و يوبّخهم على تركهم التـدبر لآيات هـذا الكتـاب الحكيم الـذى جـاءهم به نبى أمّى من عنـد الرحمن،بأفصـح حجه و أوضـح بيان،فقال جلّ ثناؤه: أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۱).

نبى أمّى جـاءكم بكتـاب جمع شـتات العلوم،و كشف لهم عن حقـائق علميه مـا عرفهـا البشـر إلاّ منـذ زمن قريب،و قـال لهم:إن معجزتى إليكم هذا الكتاب المبين،فاتوا بمثل سوره واحده منه إن كنتم صادقين.

أ لا يكفى هذا أن يكون برهانا قاطعا ساطعا على صدق دعواه؟

لقد بهر القرآن العرب برونقه و جماله و عذوبته و حلاوته و بذلك الأسلوب الرائع الخلاب!۱.

۱- سوره العنكبوت،الآيه:۵۱.

و اسمعوا هذه القصه:

روی عن جبیر بن مطعم أنه قال:قدمت المدینه المنوره لأسأل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی أساری بدر،فوافیته یقرأ فی صلاه المغرب وَ الطُّورِ(۱) وَ کِتابٍ مَسْطُورٍ(۲) فِی رَقٍّ مَنْشُورٍ (۳) (۱).یقول فلما قرأ: إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ(۷) ما لَهُ مِنْ دافِعٍ (۸) (۲)شعرت کأنما صدع قلبی..فأسلمت خوفا من نزول العذاب،فلما انتهی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی هذه الآیه: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ(۳۵) أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لا یُوقِنُونَ (۳۶) (۳)أحسست أن قلبی کاد یطیر)!!

و بهر القرآن«علماء الکون»حین رأوا فیه بعض ما توصلوا إلیه بعد جهد جهید،من مکتشفات رائعه سبقهم إلیها القرآن الکریم،سواء أ کان ذلک فی علوم الطبیعه،أو الطب،أو الفلک،أو الأجنه،أو فی علوم(جیولوجیا الأرض)!!

و قد اطلعت علی بعض فصول،مما کتبه أخونا الفاضل الشیخ«مروان شعبان»حفظه اللّه حول:«الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث»فألفیته بحثا قیما،فیه جهد مشکور ینبغی أن یطبع،و أن یستفید منه من یرید أن یعرف عظمه هذا الدین، و روعه هذا القرآن،الذی جاء معجزه خالده،تنطق بصدق رساله النبی الأمی(محمد بن عبد اللّه)صلوات اللّه و سلامه علیه،سواء أ کان المطّلع علیه مسلما أو رجلا- لا یدین بالإسلام،فإن ما حواه الکتاب المنیر من علوم و معارف،و بدائع و روائع،حریّ بکل إنسان منصف أن یعرفه و أن یدرسه لیتبیّن له صدق معجزه خاتم النبیین،و صدق اللّه العظیم حیث یقول: قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَ کِتابٌ مُبِینٌ(۱۵) یَهْدِی بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ یَهْدِیهِمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱۶) (۴).

خادم الکتاب و السنه الشیخ محمد علی الصابونی ۱۴ صفر الخیر سنه ۱۴۲۱ ه الموافق /۵/۱۶سنه ۲۰۰۰ م۶.

۱- سوره الطور،الآیات:۱-۳.

۲- سوره الطور،الآیتان:۷،۸.

۳- سوره الطور،الآیتان:۳۵،۳۶.

۴- سوره المائده،الآیتان:۱۵،۱۶.

مقدمه بقلم:د.إبراهيم الشيخ محمد حسن

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه و كفى،و سلام على عباده الذين اصطفى،و بعد فقد طلب منى الأخ فى اللّه حقا و المحبّ صدقا الشيخ مروان شعبان إلقاء نظره سريعه فى كتابه القيم «الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث»و بعد تجوال النظر فى صفاته وجدت فيه الترتيب و التنسيق مع التعزيز بأسرار الإعجاز بثوب جديد فى أسلوبه أنيقا فى مظهره نادرا فى مخبره،ليستفيد الناظر فيه بمطالعته لأنه من أمثل ما جمع فى هذا الباب،و أن هذا الأسلوب الجديد يلائم حقا مستوى العصر و يراعى ما اتصف به الجيل الجديد من تطلع إلى فهم أسرار الكون و معرفه موقف الإسلام من المكتشفات-التى هى سرّ إبداع اللّه تبارك و تعالى الخالق العظيم من خلقه على أيدى المسلمين و غيرهم، و لا يخفى أن علماء الإسلام كانوا سباقين إلى مثل هذه العلوم و المعارف.و ما جهود الرازى و الحسن بن الهيثم و ابن سينا و القاسم و اليعقوبى و الإدريسى-صاحب الكشف الجغرافى و اقتحام المحيطات-ليس ببعيد،و هذا مما يدل على أن الإسلام هو مصدر الحضاره الحقيقه،و أن علماء الإسلام ساهموا بأروع ما فى هذه الحضاره للبشريه سائلين اللّه تعالى المزيد من التوفيق للباحث لما يحبه و يرضاه،و أن ينفع بجهوده العلميّه طلاب العلم الشريف،و رواد الحق و الحقيقه فى عصر الشتات و التمزق،إنه سميع مجيب.

د.إبراهيم الشيخ محمد حسن مفتى محافظه الحسكه

عضو مجلس الإفتاء الأعلى فى دمشق

مقدمه

بقلم:الشیخ محمد حکمت المعلم

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

الحمد للّه الذی علم بالقلم،و أوحی بالملک،و هدی بالفطره.الحمد للّه مستوجب الحمد و الثناء بإنزاله الکتاب علی عبده،الحمد للّه الذی أنزل الکتاب علی عبده و لم یجعل له عوجا قیما و الصلاه و السلام علی النبی الأمی الذی بلغ هذا الکتاب علی أکمل وجه و أدی الرساله و نصح الأمه فجزاه اللّه عنا خیر الجزاء.

و بعد...فقد اطلعت علی کتاب:«الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث»لمؤلفه مروان وحید شعبان التفتنازی فوجدته کتابا جامعا لمظاهر الإعجاز فی کتاب اللّه،جید فی أسلوبه،جمیل فی تبویبه قیّم فی حسن العرض و الأداء و التشویق.

و إذا کان العلماء قد وضعوا لتفسیر کتاب اللّه قواعد و مناهج و ضوابط فقالوا:تفسیر القرآن بالقرآن،ثم تفسیره بالسنه القولیه و الفعلیه المأثوره عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم،ثم بأقوال الصحابه رضوان اللّه علیهم فهذا لا یمنع من التدبیر فی کتاب اللّه و التفکیر بآیاته و رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم القائل حین نزلت خواتیم آل عمران:«ویل لمن یقرأها و لا یتدبرها و یتفکر فی معانیها»و القرآن هو المعجزه الأبدیه المتجدده فی کل آن إلی قیام الساعه لأنه دستور البشریه إلی أن یرث اللّه الأرض و من علیها،و وجوه الإعجاز فی کتاب اللّه متعدده فی التنظیم و الأسلوب و الترکیب و فی إخباره عن المغیبات و فی تشریعاته.

نزل القرآن علی قوم برعوا بالفصاحه و البلاغه و قرض الشعر فارتجزوه و علّقوه علی أستار الکعبه و سجدوا له،فلما سمعوا القرآن ذهلوا و أسقط فی أیدیهم و قال کبیرهم:

إن لهذا القرآن لحلاوه و إن علیه لطلاوه و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق و إنه لیعلو و لا یعلی علیه.و قد ألّف الکثیر من العلماء فی وجوه إعجاز القرآن المؤلفات الکثیره و جاء فی هذا العصر الفتنه بالعلم فألهوا الماده و أعمتهم الحضاره الحدیثه فوضعوها فی المقام الأول،و ربما قدموا النظریات العلمیه علی الحقائق الدینیه،فإذا عرضت لمسأله دینیه أو حکم شرعی قالوا لک:و لکن هذا لا یقره العلم و لا یوافق علیه و ما دروا أن

الحقائق الدينيه يقينيّه و أن النظريات العلميه مبنيه على الظن و الحدس وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (۱)،فلا يمكن للنظره العلميه أن تتصادم مع الحقائق الدينيّه،لأن مصدر الدين و العلم واحد قال تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ (۲)و قال:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً (۳) فى هذا الجو المحموم من الفتنه بالعلم كان لا بد من التصدى لوثنيه العلم و عولمه الإلحاد فجاء هذا الكتاب لعرض الحقائق العلميه المبثوثه فى كتاب اللّه ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ (۴)كل آيه من كتاب اللّه لها منطوق و مفهوم و المستفاد بالعباره و الإشاره و القرآن حمّال معانى إلى قيام الساعه له دلاله بالنص و العباره و له دلاله بالإشاره بالمنطوق و المفهوم قوله تعالى: وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (۵)نص بالنفقه على الوالد و قوله:المولود له مع مولود لهما إشاره إلى أن النسب للأب،و فى قوله تعالى: بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (۶)فى معرض التحدى و الرد على منكرى البعث،العين أعقد تركيبا من البنان و لكن المراد إن لكل إنسان بنانه الخاص و بصمته التى تميزه عن سواه،و من آياته أيضا اختلاف ألسنتكم و ألوانكم، و إعجاز القرآن يتجلى بأنه كتاب هدايه و علم أدنى العامه فهما يقرأه فيهتدى بمواعظه و أعلى الخاصه فهما يقرأه فيجد فيه الفلسفه العميقه و العلم الدقيق.

و ختاما جزى اللّه المؤلف خير الجزاء،و نفع به و بمؤلفه المؤمنين و المسلمين، و جعل هذا الكتاب دستور هدايه لكل طالب للحقيقه و بدايه لمزيد من الكشف و البحث، فهو الكتاب الذى لا تفنى عجائبه،و لا تنفد غرائبه،و لا يشبع منه العلماء،و لا يمله الحكماء،و لا يبلى على كثير و الرد...و السلام.

الشيخ محمد حكمت المعلم۴.

۱- سوره النساء،الآيه:۸۲.

۲- سوره البقره،الآيه:۳۱.

۳- سوره الشورى،الآيه:۱۳.

۴- سوره الأنعام،الآيه:۳۸.

۵- سوره البقره،الآيه:۲۳۳.

۶- سوره القيامه،الآيه:۴.

المقدمه

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه رب العالمين،و الصلاه و السلام على المبعوث رحمه للعالمين،سيّدنا محمّد و على آله و صحبه و من سار على نهجهم و اتبع هداهم إلى يوم الدين و بعد:

لقد تبوّأ القرآن الكريم سدّه الصداره فى حياه المسلمين،فتحلّق حوله المسلمون ينهلون من ينابيعه الصافيه و يتزوّدون من معينه الذى لا ينضب،فكان نورا لعقولهم، و مرشدا فى حياتهم،و قبسا وضّاء لأرواحهم و نفوسهم...و القرآن الكريم منذ نزل من السماء رسم معالم الطريق للبشريه،و ضبط سلوكهم بتشريعه و إرشاداته،فكان المحور الذى تدور حوله أهداف المفكرين و العباقره،و الدافع الحىّ لأساطين العلم و التأليف على الاستمرار و التواصل فى مسيره الاستنباط و الكتابه و التعليم...

و هو صمام الأمان من كل زلل،و العصمه الواقيه،و الحجه البالغه،و النور الساطع؛ يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (۱).

و لقد قام جهابذه العلم قديما و حديثا بدراسه القرآن الكريم،و تشرفوا بخدمته،فبرع المفسرون لآيات الذكر الحكيم،يعرضون أسباب النزول و يبينون الناسخ و المنسوخ، و يوضحون المحكم منه و المتشابه،فأثرت دراساتهم هذه المكتبه العربيه،بل و فاضت الكتب،تأليفا و تصنيفا و تبويبا و تحقيقا،حول القرآن و علومه...

و لقد فكرت مليا،و أنا الضعيف القاصر فى آيات كتاب اللّه،فرأيت أن تكون خدمتى لكتاب اللّه فى الوقوف عند الآيات الكونيه فيه (۲)،فهى جديره بالبحث و التحليل و الكشف عن بعض أسرارها،فأسرار القرآن الكريم ذاخره فى كل آيه من آياته،و عطاء هذا الكتاب متجدّد على ممر الأحقاب و ترادف الدهور...

۱- سوره النساء،الآيه:۱۷۴.

۲- تعنى الآيات القرآنيه التى تتحدّث عن المظاهر الكونيه،كالسماء و النجوم و الأفلاك و الأرض و غيرها.

و من أهم الأسباب التی دفعتنی لاختیار هذا الموضوع و للکتابه فیه،أننا نعیش فی عصر الثوره العلمیه،و ینبغی أن نسخّر طاقاتنا و کل ما نملک فی عصر السرعه هذا فی سبیل دعوه الناس إلی اللّه تعالی،و الدعوه إلی اللّه تعالی تتعدّد سبلها و تختلف وسائلها تبعا لاختلاف الزمان و المکان و الحال،و هذا هو السر فی تباین وسائل الدعوه و أدواتها لدی الأنبیاء و المرسلین علیهم السّلام،فکانت بیناتهم تنسجم و تتناسب مع المستوی العلمی و العقلی لأقوامهم،لکن تلک البینات کانت حیاتها مرهونه بحیاه أصحابها من الأنبیاء، فبرحیلهم عن هذا العالم،رحلت معهم بیناتهم،إلا ما خلدته الکتب السماویه و التاریخ.

و لئن کان علماؤنا اشترطوا مطابقه الدعوه للحال،فإن أبرز ظاهره تمیّز بها عصرنا أنه عصر الاکتشافات العلمیه،و الثوره التقنیه التکنولوجیه،فالإعجاز العلمی بناء علی ذلک هو أهم وسیله دعویه تتلاءم مع معطیات زماننا،ذلک لأن الإیمان باللّه تعالی ما هو إلا ثمره تحریک العقل و إعمال الفکر قبل أن یکون مسأله عاطفیه شعوریه.

و مما لا یخفی علی أحد،أن الداعیه ینبغی أن یتسلّح بسلاح المنطق السلیم و البرهان القویم،لیقیم الحجه و یثبت صدق دعوته،و إن السلاح العلمی المادی یعتبر من أقوی الأدله المقنّعه للمکلفین،ذلک لأنه مشاهد و مرئی و لا یستطیع أحد أن ینکره...و إبراز مظاهر الإعجاز العلمی فی هذا الصدد،و التی تتمثل فی عرض الآیات الکونیه العلمیه مقارنه مع المکتشفات العصریه،لهو أعظم أسلوب یتفق مع ما توصل إلیه الإنسان فی هذا العصر،و الذی یمعن النظر فی آی القرآن الکریم،و ما ورد مما صح عن النبی الکریم صلی اللّه علیه و سلم یلاحظ أن عددا لیس بالقلیل من الآیات و الأحادیث توجه عقولنا لدراسه الآیات الکونیه مع معطیات العلوم الإنسانیه،لیقف الإنسان بعد ذلک علی مشاهد الجلال فی کتاب اللّه تعالی حیث یتضح له السبق القرآنی فی میدان إثبات الحقائق العلمیه،و هذه الحقائق تتضح و تنجلی کلما تقدم العلم،و انکشفت أستار الکون و اتضحت غوامضه و بانت خفایاه،قال تعالی: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (۱).

و یشار إلی أن هناک عددا لیس بالقلیل من الکتب التی استفدت منها،سواء فی الدراسه التاریخیه أم فی التطبیقات المعاصره،و من هذه الکتب:«مباحث فی إعجاز۳.

۱- سوره فصلت،الآیه:۵۳.

القرآن» (۱)للدکتور«مصطفی مسلم»،و«الإعجاز فی دراسات السابقین» (۲)«لعبد الکریم الخطیب»،و«فکره إعجاز القرآن» (۳)«لنعیم الحمصی»،و«المعجزه الکبری» (۴)«لمحمد أبو زهره»،و«الشفا بتعریف حقوق المصطفی» (۵)«للقاضی عیاض»،و«إعجاز القرآن» (۶)«للباقلانی»،و فی التطبیقات المعاصره کتاب«الأرض مقدمه للجیولوجیا الطبیعیه» (۷)«لتاربوک لوتجنز»،و«الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون» (۸)«لستیفن ونبرغ»،و«علم المحیطات» (۹)«لریتشارد فیتر»،و«علم الفلک» (۱۰)«لبیرسی سیمور»، و«الکون» (۱۱)«لسان ساغان»،و غیرها کثیر.

إلا أن ما یلاحظ علی ما کتبه و توصل إلیه السابقون ما یلی:

-معظم الذین کتبوا فی هذا المجال،کانوا لا یرجعون إلی المصادر العلمیه/.

۱- مباحث فی إعجاز القرآن،مصطفی مسلم،جده،دار المناره،الطبعه الأولی،۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸.

۲- الإعجاز فی دراسات السابقین،عبد الکریم الخطیب،بیروت،دار المعرفه،الطبعه الثانیه، ۱۳۹۵ ه۱۹۷۵/.

۳- فکره إعجاز القرآن،للشیخ نعیم الحمصی،بیروت،مؤسسه الرساله،الطبعه الثانیه،۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰.

۴- المعجزه الکبری،محمد أبو زهره،القاهره،دار الفکر العربی،د.ت.

۵- الشفا بتعریف حقوق المصطفی،للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی،بیروت،دار الکتاب العربی،تحقیق:علی محمد البجاوی،د.ت.

۶- إعجاز القرآن،محمد بن الطیب الباقلانی،بیروت،دار إحیاء العلوم،تعلیق:محمد سکر، الطبعه الثالثه،۱۴۱۵ ه۱۹۹۴/.

۷- الأرض مقدمه للجیولوجیا الطبیعیه،تاربوک و لوتجنز،ترجمه:عمر سلیمان حموده و آخرون، طبع فی مالطا،۱۹۸۴.

۸- الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون،ستیفن وینبرغ،ترجمه:محمد وائل الأتاسی،دمشق، الدار المتحده،الطبعه الأولی،۱۹۸۶.

۹- علم المحیطات،ریتشارد فیتر،ترجمه:میشیل تکلا،القاهره،مطبوعات کتابی،د.ت.

۱۰- علم الفلک،بیرسی سیمور،ترجمه:أحمد حماده و محمد حسّان،بیروت،نشر دلمون، الطبعه الأولی،۱۹۸۹.

۱۱- عالم المعرفه،الکون،کارل ساغان،ترجمه:نافع أیوب لبس،الکویت،المجلس الوطنی للثقافه،۱۴۱۴ ه۱۹۹۳/.

الأصليه أعنى العلوم التطبيقيه،فكانوا يتناقلون المعلومات فيما بينهم،و هنا آثرت أن أرجع إلى الكتب العلميه التى كتبها الغربيون أنفسهم و غيرهم من أهل الاختصاص و أتناول الماده من مصادرها الأصليه.

-كثير من الكتب تخصّصت فى الحديث عن العلوم و الاكتشافات العصريه دون الإشاره إلى الناحيه التاريخيه،و قليل منها تحدث عن الناحيه التاريخيه دون الإشاره إلى القضايا التطبيقيه،لكنى حاولت أن أجمع بينهما.

-معظم الذين كتبوا فى هذا المجال لم يلتزموا بالضوابط و الموازين التى وضعها العلماء للتفسير العلمى،بل اعتمدوا فى بحوثهم على النظريات و الفرضيات،و أقحموا المعارف الكونيه إقحاما،أو أثنوا أعناق الآيات لتفسيراتهم،و كما هو معلوم أن النظريات تتغير و تتبدل،و لكننى اعتمدت فى بحثى على القضايا اليقينيه التى ارتقت إلى مستوى القطعيه و ما أكثرها..و هذا هو السبب فى أننى لم أخصص الرساله فى جانب معين،و الذين خصصوا أبحاثهم فى جانب معين تجاوزوا الحدود و الضوابط،فالذى كتب فى الطب القرآنى مثلا أكثر من ذكر القضايا الطبيه،و كأن الكتاب كتاب طب، و هكذا فى سائر العلوم،فمن أجل المحافظه على مقاصد الآيات،اكتفيت هنا بالحديث عن الإشارات القرآنيه،و لم أجعل من القرآن الكريم كتاب علم فقط.

و المنهج المعتمد فى هذه الدراسه،هو منهج الاستنباط و المقابله،فإننا نستنبط من الآيات القرآنيه ما نقف عليه من القضايا الكونيه الثابته عند المقابله الدقيقه،و لسوف يكون مجال الدراسه هو رياض القرآن الكريم و معطيات العلوم الكونيه.

و لا يخفى أن أى طالب أو باحث تعتريه خلال خطوات بحثه صعوبات و إشكالات تعرقل له مسيره بحثه،لكن بفضل اللّه تعالى،ثم بفضل توجيهات الأستاذ المشرف و غيره من أهل العلم و الاختصاص،تذلل هذه الصعوبات و يتسنّى للطالب القدره على تركيب مفردات القضيه المدروسه ثم بناؤها بالشكل الدقيق.

و من أبرز ما استوقفنى من المصاعب خلال مراحل البحث،محاوله هضم القضايا العلميه و الإحاطه بمصطلحاتها المتنوعه،فكنت أطيل القراءه فى الكتب العلميه لفهم مصطلح معين أو قضيه ما،و لا شك أن توفر كل وسائل البحث و الكتب المطلوبه أمر صعب للغايه،مما حتّم علىّ السفر و التنقل المستمر للحصول على المراجع المطلوبه، فضلا عمّا هو متوفر فى المكتبات العامه،و قد سافرت إلى العديد من البلدان، و استفدت بفضل اللّه تعالى من هذه التنقلات.

و فی المقابل فإن المستجدات العصریه التقنیه المتطوره سهلت علیّ کثیرا من المشاکل،و من أهمها شبکه(الإنترنت)التی استفدت من مواقعها بشکل کبیر،و خاصه فی الجوانب العلمیه البحته،کذلک فی الدخول علی مواقع العلماء فی التخصّصات المختلفه و الاستفاده منهم،أضف إلی ذلک القضایا العلمیه المدونه باللغه الإنکلیزیه و التی قمت بترجمتها و الاستفاده منها،متوخیا فی کل ذلک الدقه فی المعلومه و التوثیق لما أسجله من بیانات و اقتباسات من الکتب المعتمده،و یذکر أن الاستبیانات الشخصیه من العلماء و الالتقاء بهم،کان دافعا للبحث إلی الأمام.

خطّه البحث:

الخطه التی وفّقنی المولی عزّ و جلّ لأسیر علیها،تتضمن مقدمه،و عشره فصول، و خاتمه،و کانت الفصول الثلاثه الأولی عباره عن دراسه تاریخیه لقضیه إعجاز القرآن الکریم عبر التاریخ،و سبعه فصول عن التطبیقات المعاصره للإعجاز العلمی فی القرآن الکریم.

المقدمه:و تحدثت فیها عن أهمیه البحث و سبب اختیاری للموضوع،و أشرت إلی من سبق و أن کتب فی هذا الموضوع،و الجهد الذی توصلوا إلیه مبینا نتائج عملهم من مزایا و مآخذ،و ذکرت عددا من أبرز المراجع التی ارتکز البحث علیها،کما أننی أوضحت المنهج المتبع فی هذه الرساله،و أشرت إلی بعض الصعوبات التی اکتنفت البحث خلال مراحله،و فی المقابل بیّنت ما قدم للبحث من تسهیلات.

الفصل الأول:و تضمن الحدیث عن مفهوم المعجزه،و الفرق بین معجزه رسولنا محمد صلی اللّه علیه و سلم و معجزات الأنبیاء من قبله علیهم السّلام،و عن التسلسل التی مرت به مراحل التحدی بالقرآن الکریم و کیف أن المشرکین أعلنوا عجزهم و اعترافهم بعظمه کتاب اللّه تعالی.

الفصل الثانی:و جاء فیه الحدیث عن نشأه الإعجاز فی القرآن الکریم،و ما هی العوامل التی أدّت لظهور مصطلح الإعجاز،و أشرت إلی قضیه«الصرفه»و أبرز القائلین بها،ثم نقد مذهب الصرفه من الناحیه النقلیه و العقلیه،و بیّنت أوجه إعجاز القرآن و آراء العلماء فی ذلک.

الفصل الثالث:تعرض للحدیث عن الإعجاز العلمی فی القرآن بین المؤیدین له و المعارضین و ذکرت أبرز العلماء المؤیدین من القدامی و المعاصرین،و کذلک أبرز

العلماء المعارضين من القدامى و المعاصرين،و أوضحت وجهه نظر كل من الفريقين، ثم أوردت أدله كل منهما،و ذكرت الترجيح بعد مناقشه موضوعيه.

الفصل الرابع:صدّر هذا الفصل بمدخل ارتكز على ثلاثه محاور هى:الإسلام دين العلم و الإعجاز العلمى كسبيل من سبل الدعوه،و الضوابط العلميه لتفسير القرآن على أساس العلم و تضمن هذا الفصل الحديث عن علم الفلك فى القرآن الكريم،من حيث نشأه الكون،و تمدده،و نهايته،كل ذلك بين النصوص القرآنيه و الحقائق العلميه.

الفصل الخامس:تحدثت فيه عن نجم الشمس و طبيعه تكوينه،و عن حركات الشمس و تنقّلاتها و تطرقت للحديث عن هذا النجم المتوهج و الملتهب و سبب ذلك، و عن تعدد الشموس و الأقمار فى هذا الكون الرحيب،و النظام الإلهى الدقيق الذى يلف الكون بأسره.

الفصل السادس:و جاء فيه الحديث عن القمر و لما ذا هو منير و ليس ملتهبا،و عن حادثه انشقاق القمر ثم رتقه،و مآل القمر أنه سيجمع مع الشمس يوما ما.

الفصل السابع:و تضمن الحديث عن كوكبنا الأرض و ما فيه من آيات،و عن حركه الأرض و دورانها،و أشرت إلى قوه الجاذبيه الأرضيه و ما فيها من أسرار،كما تعرضت للغلاف الجوى للأرض من أكثر من زاويه،و عن نهايه الأرض و نقصانها و تآكلها بين القرآن و العلم.

الفصل الثامن:و تناولت فيه قضيه الرياح،كتلك التى تبشر بالخير و الرحمه مثل «اللواقح و المبشرات»و أشرت إلى تكوين السحب و أنواعها،و إلى اللفتات العلميه فى البرد و الرعد.

الفصل التاسع:تعرض للحديث عن علم الجبال،من حيث كيفيه نشأه و تكوين الجبال،و كيف أن الجبال كانت كالوتد تحافظ على توازن الكره الأرضيه و استقرارها، و عن السر فى الربط بين شهوق الجبال و غزاره المياه،و عن تعدد صخور الجبال و تعدد أنواعها و أشكالها.

الفصل العاشر:و جاء للحديث عن عالم البحار و الماء،و كيف أن الظلمات تتنوع و تتفاوت فى البحار،و أشرت إلى وجود أمواج سطحيه و أخرى جوفيه،و عن اختلاط ماء البحر مع ماء النهر دون امتزاج،و أوضحت أن البحار مسجّره فى قاعها،و لما ذا تهتز الأرض بنزول ماء السماء بين القرآن و العلم.

الخاتمه:و ضمنتها أهم نتائج البحث مع ذكر بعض التوصيات.

و إنى أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذه و العلماء و الإداريين فى كل من كليه الإمام الأوزاعى فى بيروت،و جامعه الشارقه،و جامعه أم درمان الإسلاميه فى الخرطوم، و إلى كل الأساتذه المتخصصين الذين تكرموا بمراجعه الرساله و ترميم ما فيها من هنات،كما أشكر الإخوه الكرام الدكتور حسين الأميرى و الأخويين الغاليين أحمد الحسن و رضوان شعبان لإسهامهم فى إخراج هذه الرساله،فجزى اللّه الجميع عنى كل خير.

و أخيرا،فإن ما قدمته من جهد متواضع أسأل اللّه العلى القدير أن ينفع به الناس، و أن يجعله اللّه فى ميزان حسناتى،و سببا لمغفره زلاتى إنه جواد كريم.

و أتوجه إلى العلى القدير،أن يجعلنى بجهدى المتواضع هذا من خدام كتابه المجيد،و سنه نبيه الكريم صلى اللّه عليه و سلم إنه ولى ذلك و القادر عليه و الحمد للّه رب العالمين.

ص: ١٩

الفصل الأوّل: مفهوم المعجزه

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:تعریف المعجزه لغه و اصطلاحا.

المبحث الثانی:الفرق بین معجزه النبی محمد صلی اللّه علیه و سلم و معجزات الأنبیاء السابقین.

المبحث الثالث:مراحل التحدی بالقرآن الکریم.

المبحث الرابع:عجز المشرکین و اعترافهم بعظمه القرآن الکریم.

تمهید

إن المدقق فی کتاب اللّه المجید،و المتتبع لآیات الذکر الحکیم،لن یقف علی لفظه المعجزه أبدا و کذلک الأمر ذاته فی السنه المطهره،و فی أقوال الصحابه الکرام، غیر أن القرآن الکریم استعمل ألفاظا أخری تدل علی مفهوم المعجزه،و ذلک فی سیاق إثبات نبوه الأنبیاء علیهم السّلام،فمن تلک الألفاظ التی استعملها القرآن الکریم لغرض إثبات صدق الرسل لفظه:البینه،الآیه،البرهان،و غیرها من الألفاظ الوارده فی ثنایا قصص الأنبیاء أو فی معرض إقامه الحجه و البرهان فی شتی المجالات.

یقول ابن تیمیه (۱):(و الآیات و البراهین الداله علی نبوه محمد کثیره متنوعه و هی أکثر و أعظم من آیات غیره من الأنبیاء،و یسمیها من یسمیها من النظار معجزات، و تسمی دلائل النبوه و أعلام النبوه،و هذه الألفاظ إذا سمیت بها آیات الأنبیاء کانت أدل علی المقصود من لفظ المعجزات و لهذا لم یکن لفظ المعجزات موجودا فی الکتاب و السنه و إنما فیه لفظ الآیه و البینه و البرهان) (۲).

(و إنما ظهر مصطلح المعجزه،فی وقت متأخر بعض الشیء،عند ما دونت العلوم، و منها علوم العقائد فی أواخر القرن الثانی الهجری و بدایه الثالث) (۳).

۱- ابن تیمیه:الشیخ الإمام الحافظ الناقد الفقیه المجتهد المفسر البارع،شیخ الإسلام،أحمد بن المفتی شهاب الدین عبد الحلیم ابن الإمام الحرانی،أحد الأعلام،ولد فی ربیع الأول سنه إحدی و ستین و ستمائه،عنی بالحدیث،و خرّج،و انتقی،و برع فی الرجال،و علل الحدیث، و فقهه،و فی علوم الإسلام،و علم الکلام و غیر ذلک،مات فی العشرین من ذی القعده،سنه ثمان و عشرین و سبعمائه.طبقات الحفاظ،عبد الرحمن بن أبی بکر السیوطی،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی،۱۴۰۳ ه،۵۲۰/۱.

۲- الجواب الصحیح لمن بدل دین المسیح،أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیه،الریاض،دار العاصمه،الطبعه الأولی،۱۴۱۴ ه،تحقیق علی حسن ناصر و آخرون،۴۱۲/۵،و انظر: النبوات،أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیه،القاهره،المطبعه السلفیه،د.ت،۳/۱.

۳- مباحث فی إعجاز القرآن،مصطفی مسلم،ص،۱۳.

و سوف یذکر فی هذا الفصل إن شاء اللّه تعریف المعجزه فی اللغه و الاصطلاح، و بیان الفرق بین معجزه نبینا محمد صلی اللّه علیه و سلم و غیره من الأنبیاء،ثم یعرج للحدیث عن إعجاز القرآن و تحدیه للعرب و الناس جمیعا و یوضح عجز العالم عن مجاراه هذا الکتاب العظیم،و شهادتهم فی ذلک.

ص: ۲۴

المبحث الأول: تعريف المعجزه

اشاره

المعجزه لغه:تحدث علماء اللغه عن الفعل:عجز،و مضارعه:يعجز،و المصدر منه:إعجاز،فعند ابن منظور(العجز:نقيض الحزم،عجز عن الأمر يعجز و عجز عجزا فيهما،و عجز فلان رأى فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم،كأنه نسبه إلى العجز،و العجز:الضعف) (۱).

و فى معجم مقاييس اللغه:(عجز عن الشىء يعجز عجزا،فهو عاجز،أى ضعيف، و قولهم:إن العجز نقيض الحزم فمن هذا،لأنه يضعف رأيه و يقولون:المرء يعجز لا محاله،و يقال:أعجزنى فلان إذا عجزت عن طلبه و إدراكه و لن يعجز اللّه تعالى شىء، أى لا يعجز اللّه تعالى عنه متى شاء،و فى القرآن:

وَ أَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللّهَ فِى الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (۲) (۳) ،و يشير الفيروزآبادى إلى أن معنى العجز هو التثبيط فيقول: (التعجيز:التثبيط،و النسبه إلى العجز،و معجزه النبى صلى اللّه عليه و سلم ما أعجز به الخصم عند التحدى) (۴).

و فى«تاج العروس»:(العجوز،بالضم كعقود:الضعف و عدم القدره،و فى المفردات للراغب و البصائر و غيرهما،العجز:أصله التأخر عن الشىء و حصوله عند عجز الأمر أى مؤخره كما ذكر الدبر،و صار فى العرف اسما للقصور عن فعل الشىء

۱- لسان العرب،محمد بن مكرم بن منظور،بيروت،دار صادر،الطبعه الأولى،د.ت،۳۶۹/۵.

۲- سوره الجن،الآيه:۱۲.

۳- معجم مقاييس اللغه،لأبى الحسين أحمد بن فارس،بيروت،دار الجيل،تحقيق،عبد السلام هارون،د.ت،۲۳۲/۴.

۴- القاموس المحيط،محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ،بيروت،دار الفكر،۱۹۹۵،ص،۴۶۴.

و هو ضد القدره،و فی حدیث عمر:لا تلثّوا بدار معجزه،أی لا تقیموا ببلده تعجزون فیها عن الاکتساب و التعیش) (۱).

المعجزه اصطلاحا:

رأینا أن مدلول کلمه:عجز،أعطانا عده معانی،و إن تباینت بعض الشیء تبعا لاشتقاقاتها إلا أنها تدل بمجملها علی الضعف،و هذا المصطلح مفتقر إلی قرینه تدل علی معناه عند ما یرد فی سیاق الکلام ذلک لأنه مبهم إذا ما جرد عن القرائن،و یتضح هذا الذی نقول عند ما نطلق کلمه العجز علی شخص،فنقول علی سبیل المثال:زید من الناس أصابه عجز،فما هو هذا العجز یا تری؟هل عجز فی جسده،و ما هو نوعه و صفته،أم أنه عجز مالی،أم أنه عجز فی الإدراک و التفکیر و کذلک الأمر إذا أطلق هذا اللفظ فی شتی جوانب الحیاه،غیر أن علماء الکلام إذا أطلقوا مصطلح«المعجزه» فإنهم یعنون به المعنی الاصطلاحی الذی نثبته هنا،یقول السیوطی:(المعجزه،أمر خارق للعاده،مقرون بالتحدی،سالم من المعارضه،یظهره اللّه علی ید رسله) (۲).

و هکذا عرّف المعجزه ابن خلدون فی مقدمته،حیث یقول:(إن المعجزات هی أفعال یعجز البشر عن مثلها فسمیت بذلک معجزه،و لیست من جنس مقدور العباد، و إنما تقع فی غیر محل قدرتهم) (۳).

و من خلال استعراض تعریف المعجزه،یمکن لنا أن نتبین شروطها،و سترد هذه الشروط کما ذکرها الإیجی (۴)فی المواقف بشکل موجز:

۱- تاج العروس من جواهر القاموس،محب الدین السید محمد مرتضی الحسینی الزبیدی، بیروت،دار الفکر،تحقیق:علی شیری ۱۴۱۴ ه،۸۹/۸-۹۰.

۲- الإتقان فی علوم القرآن،جلال الدین السیوطی،بیروت،عالم الکتاب،د.ت،۱۱۶/۲.

۳- المقدمه،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،بیروت-صیدا،المکتبه العصریه،تحقیق، درویش جویدی،۱۴۲۲ ه،ص،۹۰.

۴- ت ۷۵۶ ه،عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار قاضی قضاه الشرق و شیخ العلماء بتلک البلاد العلامه عضد الدین الإیجی الشیرازی شارح مختصر ابن الحاجب الشرح المشهور و غیر ذلک من المؤلفات المشهوره فی العلوم الکلامیه و العقلیه،کان إماما فی علوم متعدده محققا مدققا ذا تصانیف مشهوره منها شرح المختصر لابن الحاجب،و المواقف،و الجواهر،و غیرها فی علم الکلام،مولده بإیج بعد سنه ثمان و سبعمائه.انظر:طبقات الشافعیه،لأبی بکر أحمد بن محمد ابن عمر،بیروت،عالم الکتاب تحقیق،الحافظ عبد العلیم خان،الطبعه الأولی، ۱۴۰۷ ه،۲۷/۳،بتصرف.

الشرط الأول:أن يكون فعل اللّه أو ما يقوم مقامه من المتروك،و إنما اشترط ذلك لأن التصديق من اللّه تعالى لا يحصل بما ليس من قبله،و قولنا:أو ما يقوم مقامه ليتناول التعريف مثل ما إذا قال:معجزتى أن أضع يدى على رأسى و أنتم لا تقدرون عليه ففعل و عجزوا،فإنه معجز دال على صدقه،و معنى المتروك،أى عدم الفعل، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السّلام.

الثانى:أن يكون المعجز خارقا للعاده،إذ لا إعجاز دونه،فإن المعجز ينزل من اللّه منزله التصديق بالقول،و ما لا يكون خارقا للعاده بل معتادا،كطلوع الشمس فى كل يوم،و بدوّ الأزهار فى كل ربيع،فإنه لا يدل على الصدق لمساواه غيره إياه فى ذلك.

الثالث:أن يتعذر معارضته،فإن ذلك حقيقه الإعجاز.

الرابع:أن يكون ظاهرا على يد مدعى النبوه.

الخامس:أن يكون موافقا للدعوى،فلو قال:معجزتى أن أحى ميتا ففعل خارقا آخر كنتق الجبل مثلا لم يدل على صدقه.

السادس:أن لا يكون ما دعاه و أظهره من المعجزه مكذبا له فلو قال:معجزتى أن ينطق هذا الضب فقال:إنه كاذب،لم يعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه.

السابع:أن لا يكون المعجز متقدما على الدعوى بل مقارنا لها،لأن المعجز تصديق من اللّه و رسوله فلا يتصور أن يأتى التصديق قبل دعوى النبوه (۱).

و تجدر الإشاره إلى أهم صفات المعجزه فى القرآن الكريم،حيث إنها من لدن الحق عزّ و جلّ و الله سبحانه و تعالى يؤيد بها رسله لتكون آيه على صدق دعواهم،و برهانا ساطعا على أن ما أتوا به هو من عند اللّه،و دورهم هو التبليغ و البيان،فلا يملك رسول من الرسل قدره على إيجاد المعجزه من تلقاء نفسه،و لا يستطيع خرق ناموس من نواميس الحياه بقوه ذاتيه تصدر من كيانه إلا بأمر اللّه و مشيئته،و هذا المعنى نطق به كتاب اللّه تعالى فى غير ما موضع،من ذلك على سبيل المثال،قول اللّه تعالى على لسان عيسى بن مريم عليه السّلام: وَ رَسُولاً إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ.

۱- انظر:شرح المواقف،لعلى بن محمد الجرجانى،القاهره،منشورات الشريف الرضى،الطبعه الثانيه،۱۳۷۳ ه،۲۲۳/۸ و ما بعدها بتصرف.

وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱) .

و فی هذا الصدد یقول الحق عز و جل: وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ (۲).

و یؤکد الحق عز و جل علی نفی طاقه النبی و عجزه عن أن یأتی بمعجزه من عنده و إن کان أشرف الخلق و أکرمهم علی الحق،إلا أن ذلک الشرف لا یتعد طوق البشر لیصل إلی درجه الخلق أو الخرق،و إلی هذا یشیر بیان اللّه بقوله وَ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ (۳).

یعلق الشیخ رشید رضا (۴)علی هذه الآیه فیقول:(...و إن کان شأنک معهم أنه کبر علیک إعراضهم عن الإیمان و عن الآیات القرآنیه و العقلیه الداله علیه،و ظننت أن إتیانهم بآیه مما اقترحوا یدحض حجتهم،و یکشف شبهتهم،فیعتصمون بعروه الإیمان عن بینه ملزمه و برهان،فإن استطعت أن تبتغی لنفسک نفقا کائنا فی الأرض،أو معناه تطلبه فی الأرض فتذهب فی أعماقها،أو سلما فی جو السماء ترقی علیه إلی ما فوقها فتأتیهم بآیه مما اقترحوا علیک منهما،فأت بما یدخل فی طوع قدرتک من ذلک.أی و لیس ذلک فی قدره البشر و إن کان رسولا،لأن الرساله لا تخرج الرسول عن طور البشر فی صفاتهم البشریه کالقدره و الاستطاعه،فهم لا یستطیعون إیجاد شیء مما یعجز عنه البشر و لا یقدر علیه إلا الخالق تعالی) (۵).۷.

۱- سوره آل عمران،الآیه:۴۹.

۲- سوره الرعد،الآیه:۳۸.

۳- سوره الأنعام،الآیه:۳۵.

۴- ۱۳۵۴-۱۲۸۲ ه ۱۸۶۵-۱۹۳۵ م،محمد رشید بن علی رضا القلمونی،من العلماء بالحدیث و الأدب و التفسیر،صاحب مجله المنار و أحد رجال الإصلاح الإسلامی،ولد و نشأ فی القلمون«من أعمال طرابلس الشام»و أنشأ فی مصر مدرسه الدعوه و الإرشاد توفی فی مصر،من مؤلفاته:تفسیر المنار،و الوحی المحمدی،و الخلافه،و غیرها.انظر:الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربین و المستشرقین،خیر الدین الزرکلی،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه السادسه،۱۹۸۴،۱۲۶/۶،بتصرف.

۵- تفسیر المنار،محمد رشید رضا،بیروت،دار الفکر،الطبعه الثالثه،د.ت،۳۸۲/۷.

المبحث الثانی: الفرق بین معجزه النبی و معجزات الأنبیاء السابقین علیهم السّلام

أولا:معجزات الأنبیاء علیهم السّلام

من القضایا البدهیه فی تاریخ الأدیان و سیر الأنبیاء و المرسلین،أن الحق تبارک و تعالی جعل لکل نبی من الأنبیاء آیه أو معجزه تدل علی صدق دعواه،و تفتح هذه المعجزه باب التحدی للقوم المرسل إلیهم،لتبرز لهم وجوه الإعجاز التی لم یسبق لهم و أن تعاهدوها فی سالف حیاتهم أو حاضرهم.

و من کمال الحکمه أن تکون تلک المعجزه منسجمه و ملائمه لما نبغ فیه القوم و شاع فی أوساطهم،فی مختلف المجالات و شتّی مرافق الحیاه،و الباعث علی هذه الملائمه تعزیز إدراک کنه المعجزه و طبیعتها،و الکشف عن خواصها و حقیقتها،لیتسنّی للقوم المرسل إلیهم معرفه وجه الحق من الباطل،و لن یتمکنوا من اتخاذ موقف حیال هذه الدعوی التی عرضت علیهم إلا بعد معرفتها فإذا ما تجلت لهم و اتضحت،استطاعوا یوم ذاک أن یصدروا الحکم علیها سلبا أو إیجابا لأن الحکم علی الشیء فرع عن تصوره کما هو معلوم.

و لا غرابه أن یؤید النبی بأکثر من معجزه،بل إن فی ذلک ترسیخا لصدق مدعیها و تأکیدا علی وجوب الخضوع لسلطانها و الانقیاد لمستلزماتها.

(فموسی علیه السّلام قد حمل إلی بنی إسرائیل عصا کانت تتفجّر منها المعجزات...

یلقی بها من یده فتنقلب حیه تسعی،و یضرب بها البحر فینفلق عن طریق یبس بین جبال عالیه من الماء...و یضرب بها وجه الحجر فیتفجر منه الماء،و تسیل العیون...ثم کان معه إلی جانب تلک العصا و معجزاتها معجزه أخری هی یده،یدخلها فی جیبه فتخرج بیضاء من غیر سوء...ثم من معجزاته کذلک سوق آیات النقمه و البلاء علی

فرعون و قومه) (۱). فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۲).

و كذلك عيسى عليه السّلام كانت معجزاته متنوعه،كما قال الحق عز و جل: وَ رَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۳).

و قد تقرن المعجزه بتنزل الوحى من أول مره،من غير سابق علم أو معرفه أو سؤال و هذا ما جرى لكليم اللّه موسى عليه السّلام كما أخبر القرآن بذلك،قال تعالى: فَلَمّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ(۲۹) فَلَمّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ(۳۰) وَ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ(۳۱) اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ(۳۲) (۴).

و يؤيد الرسول بالمعجزه بعد دعوه قومه إلى الهدى و الإيمان،فيكذبونه و يعرضون عن دعوته و تعاليم السماء،ثم يطلبون منه المعجزه الداله على صدقه فيعطاها،و هذا ما جرى لمعظم الأنبياء و المرسلين عليهم السّلام.

قال تعالى: وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ(۶۵) قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَ إِنّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ(۶۶) قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ(۶۷) أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ۲.

۱- الإعجاز فى دراسات السابقين،عبد الكريم الخطيب،بيروت،دار المعرفه،الطبعه الثانيه، ۱۳۹۵ ه‍ ۱۹۷۵/،ص ۸۹،و انظر:دلائل الإعجاز فى علم المعانى،للإمام البلاغى عبد القاهر الجرجانى،بيروت-صيدا،المكتبه العصريه،تحقيق،ياسين الأيوبى،الطبعه الأولى، ۱۴۲۱ ه‍ ۲۰۰۰/،ص،۴۳۳.

۲- سوره الأعراف،الآيه:۱۳۳.

۳- سوره آل عمران،الآيه:۴۹.

۴- سوره القصص،الآيات ۲۹-۳۲.

أَمِينٌ(۶۸) أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(۶۹) قالُوا أَ جِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ(۷۰) (۱) .

و هكذا مع سائر الأنبياء...و كيفما كان الحال،فإن المعجزه عطيه من اللّه تعالى لرسوله يختارها له فى الكيفيه التى يشاؤها و لمن يريدها.

إذا علمنا هذا،فإننا من خلال عرض و استقراء معجزات الأنبياء السابقين يتضح أن معجزاتهم على نوعين:

النوع الأول:حسيه،و قد أيد جميع رسل اللّه بها.

النوع الثانى:كتب و صحف منزله،إلا أن هذه الصحف و تلك الكتب منها ما قد اندثر فى غياهب الزمان،و انحجب عنا فأصبح أثرا بعد عين،كصحف إبراهيم و الزبور و غيره،و منها ما قد تسرب إليه التبديل و التحريف و لم يسلم منه إلا القليل،كالتوراه و الإنجيل.

و هذه المعجزات كما علمنا كانت منسجمه مع البيئه و المحيط الذى ظهرت فيه، و متناسبه مع المستوى العقلى و العلمى و الاجتماعى لدى القوم الذين خوطبوا بها،إلا أن تلك المعجزات الماديه كانت حياتها مرتبطه بحياه أصحابها من الأنبياء،فلما رحل الأنبياء إلى دار القرار،ذهب وجه الإعجاز لتلك البينات من حيز الواقع المشاهد و المرئى،و لم يبق منها إلا النقول و الأخبار عبر وحى اللّه تعالى تقريرا و تحقيقا،و عبر التاريخ روايه.

و الشواهد كثيره فى كتاب اللّه تعالى على ما ذكرنا...(فالأنبياء الذين عاشوا فى البلاد العربيه كانت معجزاتهم مناسبه لبيئه العرب الصحراويه،فمعجزه صالح عليه السّلام كانت ناقه غريبه المنشأ و المولد بين نوق أهل الباديه) (۲).

قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ(۱۵۳) ما أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَهٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ(۱۵۴)۳.

۱- سوره الأعراف،الآيات ۶۵-۷۰.

۲- مباحث فى إعجاز القرآن،مصطفى مسلم ص ۲۲،و انظر:فكره إعجاز القرآن،نعيم الحمصى، بيروت،مؤسسه الرساله،الطبعه الثانيه،۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰/،ص:۱۳.

قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ(۱۵۵) وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۵۶) (۱) .

و من الملاحظ أن معجزه صالح كانت من جنس ما شاع فى أرجاء الجزيره العربيه من تربيه الأنعام و رعيها،فلو أن صالحا أتاهم بمعجزه غريبه عنهم كعصا موسى مثلا،أو كإحياء الموتى لاستهجنها القوم و استنكروها و لقالوا بلسان واحد:نحن أمه لا نعرف سحرا و لا طبا،و لو كان لدينا علم بأعمال السحره و أساليبهم لدحضنا ما جئت به و أبطلنا معجزتك.

و هذا موسى عليه السّلام فلقد اشتهر أهل مصر بالسحر و أفانين السحره،و من هنا كان لزاما أن يؤيد موسى بمعجزه من نوع ما تعارف عليه قومه ليقيم الحجه عليهم و يثبت صدق ما ادعاه،و من أبرز معجزاته:العصا و اليد،قال تعالى: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى(۱۷) قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى(۱۸) قالَ أَلْقِها يا مُوسى(۱۹) فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى(۲۰) قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى (۲۱) وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرى(۲۲) (۲).

(فلو أن موسى عليه السّلام ذهب إلى فرعون و قومه بمعجزه لغويه كمعجزه النبى صلى اللّه عليه و سلم فى القرآن و قرأها عليهم،لقالوا له:إن ما جئتنا به كلام عادى،ليس فيه إعجاز،و لا يدل على صدقك و لو كنا نعرف العربيه أو نتقنها كالعرب،لأتيناك بكلام أبلغ من الكلام الذى جئتنا به و لما أفلحت معهم معجزته البلاغيه،و ما ذاك إلا لأنهم لا يعرفون العربيه،و لو عرفوها لكانت معرفتهم لها معرفه بسيطه لا تمكنهم من الوقوف على وجه الإعجاز فى القرآن،و لذلك كان لا بد من معجزه تتناسب مع معارفهم و علومهم) (۳).

(و بعد موسى عليه السّلام انتشرت الفلسفه الأيونيه،و هى أساس الفلسفه اليونانيه فيما بعد و كانت تقوم على الأخذ بالأسباب و المسببات،و تولد العله من المعلول فى انتظام قائم لا يتخلف فجاءت معجزات أنبياء بنى إسرائيل فى هذا العصر خارقه للأسباب۳.

۱- سوره الشعراء،الآيات ۱۵۳-۱۵۶.

۲- سوره طه،الآيات ۱۷-۲۲.

۳- المعجزه القرآنيه،محمد حسن هيتو،بيروت،مؤسسه الرساله،الطبعه الأولى،۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۹،ص:۲۳.

و المسببات،لتثبت أن الكون كله بإراده مختار،لا يفعل إلا ما يريد و لا يصدر عنه بغير إرادته الثابته شيء) (۱).

و إننا نلحظ هذا المعنى من تعليم اللّه تعالى نبيه سليمان عليه السّلام منطق الطير و الحيوانات الأخرى كالنمل مثلا،قال تعالى: وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(۱۶) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(۱۷) حَتّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ(۱۸) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصّالِحِينَ (۱۹) (۲).

و تسخير الريح له،قال سبحانه: وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ (۳).

و في عصر عيسى عليه السّلام نبغ قومه و برعوا بالطب،فكانت المعجزات التي أجراها الحق تبارك و تعالى على يده من جنس ما اشتهر به القوم،و لقد كانت حياه عيسى عليه السّلام حافله بالمعجزات الربانيه بدءا من حمله و حتى رفعه إلى السماء.

فلقد جرت سنه اللّه في خلقه أن يكون الوالدان سببا في إنجاب المولود،فجاءت ولاده عيسى عليه السّلام معجزه خارقه لتلك السنن المعتاده،و في ذلك يقول مولانا تبارك و تعالى:

إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَهُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ(۴۵) وَ يُكَلِّمُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصّالِحِينَ(۴۶) قالَتْ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(۴۷) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِيلَ (۴۸) (۴).

و عند الولاده سطّر القرآن الكريم معجزه نطقه في المهد بالحكمه و فصيح البيان، و كانت كلماته عليه السّلام معجزه في نطقه،و إلجاما لأفواه الذين أرادوا أن ينالوا من أمه۸.

۱- المعجزه الكبرى،محمد أبو زهره،القاهره،دار الفكر العربي،د.ت،ص:۴۳۷.

۲- سوره النمل،الآيات:۱۶-۱۹.

۳- سوره سبأ،الآيه:۱۲.

۴- سوره آل عمران،الآيات:۴۵-۴۸.

العذراء عليها السّلام قال تعالى: فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا(۲۷) يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(۲۸) فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(۲۹) قالَ إِنِّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا(۳۰) وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاهِ وَ الزَّكاهِ ما دُمْتُ حَيًّا(۳۱) وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبّاراً شَقِيًّا (۳۲) (۱).

و من معجزاته التي أجراها اللّه على يديه كذلك،ما ذكر الحق بقوله: إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ (۲).

و هكذا نرى أن معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاه و السّلام كانت منسجمه مع ما نبغ فيه قومهم،لتثبت الحجه عليهم و يقوم البرهان على صدق دعوى الرسل،و لكن كما أشرنا سابقا أن هذه المعجزات كانت محصوره فى زمن محدد و مرتبطه بوجود أصحابها من الرسل،و بعد التحاقهم بالرفيق الأعلى،غدت معجزاتهم تاريخا يذكر للعظه و العبره.

ثانيا:معجزات نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم.

اشاره

أيّد اللّه سبحانه و تعالى نبيه محمدا صلى اللّه عليه و سلّم بمعجزات حسيه مدركه،و بالمعجزه الخالده القرآن الكريم،و ستذكر لمحه سريعه عن المعجزات الحسيه،ليركز بعدها على المعجزه الخالده.

المعجزات الحسيه:

اشاره

بين معجزه نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم و معجزات الأنبياء السابقين،قاسم مشترك من جهه المعجزات الحسيه فلقد أيّد الحق عز و جل رسوله الكريم صلى اللّه عليه و سلم بمعجزات حسيه ورد ذكرها فى القرآن الكريم و السنّه المطهره،من ذلك نبع الماء من بين أصابعه صلى اللّه عليه و سلم،و تكثير

۱- سوره مريم،الآيات ۲۷-۳۲.

۲- سوره المائده،الآيه:۱۱۰.

الطعام القليل،و حنين الجذع،و انشقاق القمر و غيرها،و لنوجز العرض فی الحديث عن هذه المعجزات.

۱-نبع الماء:

روی البخاری فی صحيحه من حديث أنس بن مالك رضی اللّه عنه أنه قال:(رأيت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم و حانت صلاه العصر،فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه،فأتی رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم بوضوء،فوضع رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم يده فی ذلك الإناء،و أمر الناس يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتی توضئوا من عند آخرهم) (۱).

و فی روايه،قال قتاده:(قلت لأنس:كم كنتم قال:ثلاثمائه أو زهاء ثلاثمائه) (۲).

و روی البخاری فی صحيحه كذلك من حديث جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال:(عطش الناس يوم الحديبيه،و النبی صلی اللّه عليه و سلم بين يديه ركوه فتوضأ،جهش الناس نحوه،فقال:«ما لكم»؟قالوا:ليس عندنا ماء نتوضأ و لا نشرب إلا ما بين يديك،فوضع يده فی الركوه فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون،فشربنا و توضأنا،قلت:كم كنتم؟قال:

لو كنا مائه ألف لكفانا،إنا كنا خمس عشره مائه) ۳.

۱- صحيح البخاری،محمد بن إسماعيل البخاری،بيروت،دار اليمامه،تحقيق،د.مصطفی البغا،الطبعه الثالثه،۱۹۸۷/۱۴۰۷،باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاه،رقم(۱۶۷) ، ۷۴/۱،و صحيح مسلم،مسلم بن الحجاج القشيری النيسابوری،بيروت،دار إحياء التراث العربی،تحقيق،محمد فؤاد عبد الباقی،د.ت،رواه فی الفضائل،باب معجزات النبی صلی اللّه عليه و سلم رقم(۲۲۷۹)، ۱۷۸۳/۴،و سنن الترمذی،محمد بن عيسی الترمذی السلمی،بيروت،دار إحياء التراث العربی،تحقيق،أحمد شاكر و آخرون،د.ت،رواه فی المناقب رقم:(۳۶۳۱) ، ۵۹۶/۵،و موطأ مالك،مالك بن أنس الأصبحی،القاهره،دار إحياء التراث العربی،تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقی،د.ت رقم(۶۲)،۳۲/۱،و مسند الشافعی،محمد بن إدريس الشافعی،بيروت،دار الكتب العلميه،د.ت،۵۱/۱،و سنن البيهقی الكبری أحمد بن الحسين بن علی بن موسی البيهقی،مكه المكرمه،دار الباز،تحقيق،محمد عبد القادر عطا، ۱۴۱۴ ۱۹۹۴ه/،رقم(۸۷۸)۱۹۳/۱.

۲- رواه البخاری،فی المناقب،باب علامات النبوه،رقم(۳۳۷۹)،۱۳۰۹/۳.

و نحن نلحظ أن هذه المعجزه العظيمه أقامت الدليل القاطع على صدق نبوه محمد ابن عبد اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذلك لأنها خرقت قوانين البشر،و ما اعتادوا عليه فى حياتهم،و أظهرت لهم وجه الإعجاز العظيم،فالماء تراه الأعين كيف ينبع و يفور من بين أصابعه صلى اللّه عليه و سلم و أيدى الصحابه الكرام تغترف منه و تتوضّأ و الناس شربوا منه حتى ارتووا و انطفأ لهيب ظمأهم.

يقول القاضى عياض:(و مثل هذا فى هذه المواطن الحافله و الجموع الكثيره،لا تتطرق التهمه إلى المحدث به،لأنهم كانوا أسرع شىء إلى تكذيبه لما جبلت النفوس عليه من ذلك،و لأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل،فهؤلاء قد رووا هذا،و أشاعوه و نسبوا حضور الجمّاء الغفير له،و لم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوا و شاهدوه،فصار كتصديق جميعهم له) (١).

٢-تكثير الطعام:

(عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى اللّه عنهما قال:كنا مع النبى صلى اللّه عليه و سلم ثلاثين و مائه،فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم:«هل مع أحد منكم طعام»؟فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه،فعجن،ثم جاء رجل مشرك،مشعان طويل،بغنم يسوقها،فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم:«بيعا أم عطيه»أو قال:«أم هبه»قال:لا بل بيع،فاشترى منه شاه،فصنعت،و أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بسواد البطن أن يشوى و أيم اللّه،ما فى الثلاثين و المائه إلا قد حز النبى صلى اللّه عليه و سلم له حزه من سواد بطنها، إن كان شاهدا أعطاها إياه،و إن كان غائبا خبأ له،فجعل منها قصعتين،فأكلوا أجمعون و شبعنا،ففضلت القصعتان فحملناه على البعير) (٢).

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى،للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى،بيروت،دار الكتاب العربى،تحقيق،على محمد البجاوى،د.ت،٤٠٥/١.

٢- رواه البخارى،فى الهبه،باب قبول الهديه من المشركين،رقم(٢٤٧٤)،٩٢٣/٢،و رواه مسلم،فى الأشربه،باب إكرام الضيف رقم(٢٠٥٦)،١٦٢٦/٣،و الآحاد و المثانى،أحمد ابن عمرو بن الضحاك الشيبانى،الرياض،دار الرايه،تحقيق،باسم فيصل الجوابره الطبعه الأولى،١٤١١ ه،رقم(٦٥٦)،٤٧٢/١.

(و عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبی طلحه:أنه سمع أنس بن مالک یقول:قال أبو طلحه لأم سلیم لقد سمعت صوت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ضعیفا،أعرف فیه الجوع،فهل عندک من شیء؟قالت:نعم فأخرجت أقراصا من شعیر،ثم أخرجت خمارا لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسته تحت یدی و لاثتنی ببعضه،ثم أرسلتنی إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم،قال:

فذهبت به،فوجدت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی المسجد و معه الناس فقمت علیهم،فقال لی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم:«أ أرسلک أبو طلحه»؟فقلت:نعم،قال:«بطعام»؟قلت:نعم،فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لمن معه:«قوموا»فانطلق و انطلقت بین أیدیهم،حتی جئت أبا طلحه فأخبرته،فقال أبو طلحه:یا أم سلیم،قد جاء رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بالناس،و لیس عندنا ما نطعمهم؟فقالت:اللّه و رسوله أعلم،فانطلق أبو طلحه حتی لقی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم،فأقبل رسول صلی اللّه علیه و سلم و أبو طلحه معه،فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم:«هلمی یا أم سلیم ما عندک»فأتت بذلک الخبز،فأمر به رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ففتّ،و عصرت أم سلیم عکّه فأدمته،ثم قال رسول اللّه فیه ما شاء أن یقول،ثم قال:«ائذن لعشره»،فأذن لهم فأکلوا حتی شبعوا ثم خرجوا،ثم قال:«ائذن لعشره»فأذن لهم،فأکلوا حتی شبعوا ثم خرجوا،ثم قال:

«ائذن لعشره»فأکل القوم کلهم و شبعوا،و القوم سبعون أو ثمانون رجلا) (۱).

و هناک غیر هاتین الروایتین فی السنن الصحیحه تدل بمجملها علی تکثیر الطعام القلیل بین یدیه صلی اللّه علیه و سلم،و هذه من دلائل نبوته صلی اللّه علیه و سلم،و إلا فهل یعقل عاده أن کساره خبز من شعیر،تکفی لسبعین رجل أشداء أقویاء،و یأکلون حتی یشبعوا و یزید؟.

۳-حنین الجذع:

حدیث حنین الجذع حدیث مشهور معروف،و قد أخرجه أهل الصحیح و رواه عدد من الصحابه الکرام...

من ذلک ما رواه البخاری من حدیث جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال:(کان المسجد

۱- رواه البخاری،فی الأطعمه،باب من أکل حتی شبع،رقم(۶۳۱۰)،۲۴۶۱/۶،و مسلم فی الأشربه،باب استحباب الاجتماع علی الطعام،رقم(۲۰۴۰)،۱۶۱۲/۳،مسند عبد بن الحمید،عبد بن حمید بن نصر الکسی،القاهره،مکتبه السنه،تحقیق،صبحی السامرائی و محمود الصعیدی،الطبعه الأولی،۱۴۰۸ ۱۹۸۸م،رقم(۱۲۳۸)،۳۷۱/۱،و المعجم الکبیر،للإمام سلیمان بن أحمد الطبرانی،الموصل،مکتبه العلوم و الحکم،تحقیق،حمدی السلفی،الطبعه الثانیه،د.ت،رقم(۲۷۶)،۱۰۷/۲۵.

مسقوفا على جذوع من نخل،فكان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها،فلما صنع له المنبر و كان عليه،فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار،حتى جاء النبى صلى اللّه عليه و سلم فوضع يده عليها فسكنت) (۱).

و روايه أخرى لجابر بن عبد اللّه(أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يقوم يوم الجمعه إلى شجره أو نخله فقالت امرأه من الأنصار،أو رجل:يا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أ لا نجعل لك منبرا؟قال:

«إن شئتم»فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعه دفع إلى المنبر،فصاحت النخله صياح الصبى،ثم نزل النبى صلى اللّه عليه و سلم فضمه إليه يئن أنين الصبى،الذى يسكن،قال:«كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها» (۲).

قال صاحب«فتح البارى»معقبا:(...و فى الحديث دلاله على أن الجمادات قد يخلق اللّه لها إدراكا كالحيوان بل كأشرف الحيوان،و فيه تأييد لقول من يحمل وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ على ظاهره،و قد نقل ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى،عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال:ما أعطى اللّه نبيا ما أعطى محمدا صلى اللّه عليه و سلم،فقلت:

أعطى عيسى إحياء الموتى،قال:أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته،فهل أكبر من ذلك) (۳).

۴-انشقاق القمر:

معجزه انشقاق القمر من أعظم معجزاته الحسيه صلى اللّه عليه و سلم التى خلّدها القرآن الكريم و ثبتت فى الصحاح،و هى مكرمه إلهيه لرسوله صلى اللّه عليه و سلم،و لم ينشقّ القمر لأحد من قبله من أنبياء اللّه و مرسليه،و قد رآها الناس رأى العين،و شاهدوا انفلاق القمر إلى فلقتين فى كبد السماء،و سألوا أهل البوادى و القوافل الرّحاله عن ذلك فما أنكر منهم أحد،إلا من ركب رأسه،و آثر الجحود السافر على دلائل الحق و براهين الهدى.

۱- رواه البخارى،فى المناقب،باب علامات النبوه،رقم(۳۳۹۱)،۱۳۱۴/۳،و رواه أحمد، رقم(۱۴۱۵۱)،۲۹۳/۳،و سنن الدارمى،عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمى،بيروت،دار الكتاب العربى،تحقيق،خالد العلى،الطبعه الأولى،۱۴۰۷ ه رقم(۱۵۶۲)۴۴۲/۱.

۲- رواه البخارى،فى المناقب،باب علامات النبوه،رقم(۳۳۹۲)،۱۳۱۴/۳،و البيهقى فى سننه،رقم(۵۴۸۷)،۱۹۵/۳.

۳- فتح البارى شرح صحيح البخارى،أحمد بن على بن حجر العسقلانى،القاهره،دار الريان، تعليق،محمد فؤاد عبد الباقى،الطبعه الثانيه،۱۹۸۸ م،۵۰۴/۸.

و یثبت القرآن هذه المعجزه فی سوره من کتابه العزیز،سماها سوره«القمر»و کان مطلع استهلالها قول الحق: اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (۱).

روی الطبری بسنده فی تفسیره،عن أبی عبد الرحمن السلمی قال:(نزلنا المدائن فکنا منها علی فرسخ،فجاءت الجمعه،فحضر أبیّ،و حضرت معه،فخطبنا حذیفه فقال ألا إن اللّه یقول: اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ألا و إن الساعه قد اقتربت،ألا و إن القمر قد انشق،ألا و إن الدنیا قد أذنت بفراق و إن الیوم مضمار و غدا السباق...) (۲).

یقول الحافظ ابن کثیر: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ قد کان هذا فی زمان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کما ورد ذلک فی الأحادیث المتواتره بالأسانید الصحیحه،و قد ثبت فی الصحیح عن ابن مسعود أنه قال خمس قد مضین،الروم و الدخان و اللزام و البطشه و القمر،و هذا أمر متفق علیه بین العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فی زمان النبی صلی اللّه علیه و سلم و أنه کان إحدی معجزاته الباهرات) (۳).

و کما ذکر الحافظ ابن کثیر بأن الأحادیث فی هذه المعجزه ثابته و کثیره،و منها ما ورد فی صحیح البخاری من حدیث ابن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال:(انشق القمر و نحن مع النبی صلی اللّه علیه و سلم،بمنی فقال:اشهدوا،و ذهبت فرقه نحو الجبل) (۴).

قال الخطابی کما ورد فی«فتح الباری»:(انشقاق القمر آیه عظیمه لا یکاد یعدلها شیء من آیات الأنبیاء،و ذلک أنه ظهر فی ملکوت السماء خارجا عن جمله طباع ما فی هذا العالم المرکب من الطبائع،فلیس مما یطمع فی الوصول إلیه بحیله،فلذلک صار البرهان به أظهر) (۵).

ثم إن حادثه انشقاق القمر علی الرغم من استفاضه الأخبار حولها،و تخلید القرآن لها و کفی بالقرآن شاهدا علی وقوعها،و ما نقل فی الصحیح عن النبی صلی اللّه علیه و سلم علی الرغم۹.

۱- سوره القمر،الآیه:۱.

۲- جامع البیان عن تأویل آی القرآن،محمد بن جریر بن یزید الطبری،بیروت،دار الفکر، ۱۴۰۵ ه،۵۱/۱۲.

۳- تفسیر القرآن العظیم،إسماعیل بن عمر بن کثیر،بیروت،دار الفکر،۱۴۰۱ ه،۴۲۷/۴.

۴- رواه البخاری،فی فضائل الصحابه،باب انشقاق القمر،رقم(۳۶۵۶)،۱۴۰۴/۳،و أحمد فی مسنده،رقم(۴۳۵۷)،۴۵۶/۱.

۵- فتح الباری،لابن حجر،۴۱/۹.

من هذا كله،فإن العلم يأتى اليوم ليثبت وقوعها،و ذلك عند ما وطأ رواد الفضاء القمر و درسوا خصائصه و ظروفه بكل أنواعها،و كان مما انكشف لهم معجزه انشقاق القمر و سيأتى الحديث عن هذه القضيه خلال عرضنا للصور التطبيقيه حول الإعجاز العلمى فى مبحث القمر إن شاء اللّه تعالى.

و بعد هذا العرض الموجز لطائفه من معجزات رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الحسيه،هناك معجزات أخرى كثيره وردت فى الصحاح يمكن الرجوع إليها و الاستزاده و الاستفاده من أخبارها،و من أبرزها معجزه الإسراء و المعراج و غيرها...و يلفت الانتباه هنا إلى قضيه لها بالغ الأهميه فى هذا الصدد ألا و هى أن المعجزات التى ذكرنا،منها ما قد جرت مجرى إثبات و إظهار صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى دعواه و دون معارضه أو تحد، و منها ما قد تحدى اللّه به القوم،و فى كلتا الحالتين دليل ساطع على أن اللّه تبارك و تعالى قد أجرى على يد رسوله الكريم صلى اللّه عليه و سلم معجزات كانت خارقه لنواميس الكون و ما اعتاده البشر فى حياتهم،و فى نفس الوقت هى دليل على أن ما جاء به محمد صلى اللّه عليه و سلم هو من عند اللّه تبارك و تعالى...و فى هذا يقول ابن حجر:(...و أما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه و تكثير الطعام و انشقاق القمر و نطق الجماد،فمنه ما وقع التحدى به، و منه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد،و مجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى اللّه عليه و سلم من خوارق العادات شيء كثير) (1).

ثم إن هذه المعجزات الحسيه التى وردت إن وقع بها التحدى للقوم الذين كذبوا النبى كانت معجزه،لأنه يشترط فى المعجزه و كما مرّ معنا التحدى،و إن لم يقع بها التحدى،كتكثير الطعام و نبع الماء من بين أصابعه الشريفه صلى اللّه عليه و سلم،فهذه تدخل فى نطاق دلائل و علامات النبوه،لأنه لا تحدى أى هى مما يعجز القوم عن الإتيان به،فمن من البشر ينبع الماء من بين أصابعه عند ما يشاء؟

و هذا ما أوضحه ابن حجر فى مستهل حديثه عن علامات النبوه فقال:(العلامات جمع علامه و عبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزه و الكرامه و الفرق بينهما أن المعجزه أخص و لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبى من يكذبه بأن٧.

۱- المصدر نفسه،۴۷۲/۷.

يقول:إن فعلت كذلک أتصدق بأنی صادق،أو يقول من يتحداه:لا أصدقک حتی تفعل کذا،و يشترط أن يکون المتحدی به مما يعجز عنه البشر فی العاده المستمره،و قد وقع النوعان للنبی صلی اللّه علیه و سلم فی عده مواطن،و سمیت المعجزه،لعجز من يقع عندهم ذلک عن معارضتها) (۱).۸.

ص: ۴۱

۱- فتح الباری،لابن حجر العسقلانی،۴۷۱/۸.

المبحث الثالث: مراحل التحدی بالقرآن الکریم

اشاره

سبقت الإشاره إلی أن من شروط المعجزه التحدی،و بما أن القرآن الکریم هو المعجزه الخالده و هو الآیه الساطعه الناطقه بنبوه محمد صلی اللّه علیه و سلم،فکان لزاما أن یمیط اللثام عن مزاعم القوم،و ضعفهم و عجزهم أمام عظمته و إعجازه،فلذلک دخل معهم ساحه التحدی،و میدان المبارزه...

و نلحظ ذلک فی غیر ما موضع من کتاب اللّه تعالی،حیث مهّد للتحدی بآیات عظیمه تعلن أن مصدر هذا القرآن هو من عند اللّه عز و جل،و من المحال أن یصدر من أدمغه البشر مهما ترقوا فی مدارج العبقره و التأمل...

و ها هو ذا یؤکد هذا المعنی من جهه،و یبدد سحب الظلام التی تغشّت سماء عقول القوم من جهه أخری حول مصدر القرآن الکریم،قال تعالی: وَ ما کانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَری مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ... (۱).

جاء فی«فتح القدیر»عند هذه الآیه:(أی و ما صح و ما استقام أن یکون هذا القرآن المشتمل علی الحجج البینه و البراهین الواضحه یفتری من الخلق من دون اللّه،و إنما هو من عند اللّه عز و جل و کیف یصح أن یکون مفتری،و قد عجز عن الإتیان بسوره منه،القوم الذین هم أفصح العرب لسانا و أدقهم أذهانا وَ لکِنْ کان هذا القرآن تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ من الکتب المنزله علی الأنبیاء،و نفس هذا التصدیق معجزه مستقله،لأن أقاصیصه موافقه لما فی الکتب المتقدمه،مع أن النبی صلی اللّه علیه و سلم لم یطلع علی ذلک و لا تعلمه و لا سأل عنه و لا اتصل بمن له علم بذلک) (۲).

ثم یقلب وجوه عموم هذا التحدی،و ذلک من خلال التنبیه علی أن هذا الکتاب

۱- سوره یونس،الآیه:۳۷.

۲- فتح القدیر،محمد بن علی الشوکانی،بیروت،دار إحیاء التراث العربی،د.ت،۶۴۴/۲.

الذی ضمّ بین دفتیه آیات و سورا کثیره،و ما انطوت علیه هذه السور من أحکام الحلال و الحرام،و قصص الأقوام الغابره،و سبل ترسیخ العقیده فی النفوس،و معالم الآداب و الأخلاق الرفیعه...

کل ذلک ذکر فی القرآن الکریم بدقه بالغه،و حکمه عالیه و وضوح لا یعتریه لبس، و إحکام لا یتسرب إلیه تناقض قال تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً (۱).

و فی موضع آخر یوضح الحق سفور جهلهم،و شده مغالطتهم لأنفسهم و إنکارهم لواقعهم و ماضیهم،و ذلک من خلال توصیدهم أبواب الزمن أمام أربعین سنه عاشها رسول اللّه بین ظهرانیهم و الجمیع موقن أنه أمی لا یقرأ و لا یکتب،فأنی له هذا القرآن؟ قُلْ لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۲).

یا سبحان اللّه،لقد کان بوسعه صلی اللّه علیه و سلم أن لا یتلوه علیهم و لا یقرأ شیئا منه إن کان من عنده،و لکنه وحی من عند اللّه تبارک و تعالی،ینبغی أن یبلغه،و یجب علیه أن یبین لهم أحکامه و توجیهاته کما أنزلت،و کما نصّ علیها الحکیم الخبیر سبحانه و تعالی.

(لقد شعروا بعجزهم فی قراره أنفسهم عند ما دعوا إلی معارضه القرآن و الإتیان بمثله، و لکنهم عاندوا و استکبروا و لم یستجیبوا لنداء العقل و أحاسیس الفطره التی یستشعرونها فی داخلهم،و قالوا عند سماع آیات القرآن تقرع مسامعهم و تتحداهم) (۳)؟ وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلاّ أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ (۴).

(و هذا کما تری غایه المکابره،و نهایه العناد،و کیف لا،و لو استطاعوا شیئا من ذلک فما الذی کان یمنعهم من المشیئه،و قد تحدوا عشر سنین و قرعوا علی العجز۱.

۱- سوره النساء،الآیه:۸۲.

۲- سوره یونس،الآیه:۱۶.

۳- مباحث فی إعجاز القرآن،مصطفی مسلم،ص ۳۲،و انظر:مباحث فی علوم القرآن،د. صبحی الصالح،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه العشرون،۱۹۹۷ م،ص:۳۱۳.

۴- سوره الأنفال،الآیه:۳۱.

و ذاقوا من ذلک الأمرّين،ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع أنفتهم و فرط استنکافهم أن يغلبوا لا سيما فی باب البيان) (۱).

ثم إنهم راحوا يتهمون رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم بأنه متقوّل مفتر علی الحق عزّ و جلّ،و ذلک من خلال التدرج فی أحکام القرآن،و النسخ الحکيم الذی لا تکاد تخلو منه شريعه سماويه أو منهج وصفی قال اللّه تعالی: وَ إِذا بَدَّلْنا آيَهً مَکانَ آيَهٍ وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ(۱۰۱) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِينَ (۱۰۲) (۲).

و للأستاذ المراغی (۳)تعليق جميل فی تفسيره لهذه الآيه،يقول:(و إذا نسخنا حکم آيه فأبدلنا مکانه حکم آيه أخری و اللّه أعلم بالذی هو أصلح لخلقه فيما يبدل من أحکامه قال المشرکون المکذبون لرسوله:إنما أنت متقول علی اللّه تأمر بشیء ثم تنهی عنه، و أکثرهم لا يعلمون ما فی التبديل من حکم بالغه،و قليل منهم يعلمون ذلک و ينکرون الفائده عنادا و استکبارا...ثم يبين لهؤلاء المعترضين علی حکمه النسخ،الزاعمين أن ذلک لم يکن من عند اللّه،و أن رسوله صلی اللّه عليه و سلم قد افتراه) (۴)فقال الحق سبحانه تعالی: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِينَ (۵).

(و عند ما ضاقت عليهم الحيله و سدّت فی وجوههم السبل طرقوا کل باب فی الادعاء و الافتراء و البهتان لشده حرصهم علی إبطال شأن القرآن و التشکيک فی ربانيه مصدره فقالوا: وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اکْتَتَبَها فَهِیَ تُمْلی عَلَيْهِ بُکْرَهً وَ أَصِيلًا (۶)،و لکی۵.

۱- إرشاد العقل السليم تفسير القرآن الکريم،محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود،بيروت،دار إحياء التراث العربی،د.ت،۱۹/۴.

۲- سوره النحل،الآيتان ۱۰۲،۱۰۱.

۳- (...-۱۳۷۱ ه...-۱۹۵۲،أحمد بن مصطفی المراغی،مفسر مصری،من العلماء، تخرج بدار العلوم سنه ۱۹۰۹،ثم کان مدرس الشريعه الإسلاميه بها،توفی بالقاهره سنه ۱۹۵۲،له کتب منها:الحسبه فی الإسلام،و الوجيز فی أصول الفقه،و تفسير المراغی و غيرها).انظر:الأعلام،للزرکلی،۲۵۸/۱،بتصرف.

۴- تفسير المراغی،أحمد مصطفی مراغی،بيروت،دار الکتب العلميه،الطبعه الأولی، ۱۴۱۸ ه،۱۴۳/۱۴،۱۹۹۸.

۵- سوره النحل،الآيه:۱۰۲.

۶- سوره الفرقان،الآيه:۵.

يلقوا ظلالاـ من الشكوك على افترائهم لعلها تكون مستساغه عند الجاهلين بواقع الأمور قالوا:إن الذى يعلمه ليس من قريش،و إنما هو رجل لديه علم لم تعلمه قريش،و لكن أنّى لأعجمى أن يأتى ببيان معجز للعرب الفصحاء) (۱)؟!؟

وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (۲) .

و لم يكتف القوم بهذا الهراء البليد،بل إنهم راحوا يروجون على الملأ،و بشتى وسائل إعلامهم فى ذلك الزمان،أن الذى يجرى على لسان محمد بن عبد اللّه ما هو إلا شعر نسج خيوطه و رتّب قوافيه فى هدأه من الليل المحندس،أو على أقل تقدير هو سحر استقاه من شعوذه الدجالين و الكهنه.

و تتنزل آيات القرآن الكريم،لتمزّق أستار هذا الوهم،و تبدد أوصال هذه السذاجه و تصرخ فى وجوه المبطلين قائله: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ(۴۱) وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ(۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ(۴۳) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ(۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ(۴۶) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ(۴۷) وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ(۴۸) وَ إِنّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ(۴۹) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ(۵۰) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ(۵۱) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (۵۲) (۳).

و لم يكتف الحق بذلك لكنه أعلن التحدى بالقرآن الكريم إعلان المظهر لعجزهم، المسفّه لعقولهم و هى المرحله الأولى فى التحدى.

المرحله الأولى:

كان التحدى فى هذه المرحله بكل ما تنزل من السماء من القرآن العظيم،قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۴).

(أى قل لهم متحديا:و اللّه لئن اجتمعت الإنس و الجن كلهم و اتفقوا على أن يأتوا

۱- مباحث فى إعجاز القرآن،مصطفى مسلم،ص ۳۲،و انظر:بحوث منهجيه فى علوم القرآن، موسى إبراهيم،عمّان،دار عمار الطبعه الثانيه،۱۴۱۶ ه ۱۹۹۶/،ص:۱۲۴.

۲- سوره النحل،الآيه:۱۰۳.

۳- سوره الحاقه،الآيات ۴۱-۵۲.

۴- سوره الإسراء،الآيه:۸۸.

بمثل ما أنزل على رسوله بلاغه،و حسن معنى و تصرفا و أحكاما و نحو ذلك،لا يأتون بمثله و فيهم العرب العظماء و أرباب البيان،و لو تعاونوا و تظاهروا،فإن هذا غير ميسور لهم،فكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذى لا نظير له و لا مثيل...) (۱).

(إلا أننا وجدنا العرب أرباب الفصاحه و البلاغه و البيان يعجزون جميعا عن الإتيان بمثل هذا القرآن،الذى تتلى آيه التحدى فيه صباح مساء،على رءوس الأشهاد،و كأنها تثير فيهم الحميه لمجابهه هذا التحدى،إلا أنهم رغم هذا و رغم كل ما يبذلونه من محاوله للقضاء على القرآن و دعوته لم يجدوا إلى تحدّى القرآن أى سبيل،و لو وجدوا لفعلوا...إلا أنه العجز البشرى،أمام القدره الإلهيه التى لا تتحدّى...) (۲).

(و فى تقاصر قوى هؤلاء جميعهم عن ذلك،مع طول الزمن دليل قاطع على أنه ليس مما اعتيد صدوره عن البشر،بل هو كلام عالم الغيب و الشهاده...) (۳).

المرحله الثانيه:

و تبدأ المرحله الثانيه،و هى مرحله التحدى بعشر سور من القرآن الكريم،فبما أن القوم تعثرت عبقريتهم فى طريقها لتحدى القرآن،و تقوّضت أركان الفكر و البيان لديهم و راح العجز يحيطهم من كل مكان عن الإتيان بمثل هذا القرآن،أرخى الحق لهم العنان و طالبهم بعشر سور من مثل هذا البيان،فقال تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴) .

و يصف الدكتور مصطفى مسلم هذه المرحله فيقول:(و لم يبق للمشركين أرض يقفون عليها و لا حجه يستندون إليها،فقالوا:إن هذه العلوم و الأمور الغيبيه و الهدايات الوارده فى القرآن لا عهد لنا بها،و هذا سبب عجزنا عن معارضه القرآن،قالوا ذلك و هم لا يدرون أن هذا حجه عليهم لأن محمدا صلى اللّه عليه و سلم ما هو إلا رجل منهم عاش بين أظهرهم و لم يزد فى العلوم الاكتسابيه عليهم بشىء،فأرخى القرآن الكريم لهم العنان

۱- تفسير المراغى،أحمد مصطفى المراغى،۹۲/۱۴.

۲- المعجزه القرآنيه،د.محمد حسن هيتو،ص:۳۳.

۳- محاسن التأويل،محمد القاسمى،بيروت،دار الفكر،الطبعه الأولى،۱۹۷۸،۲۹۶/۱۰.

۴- سوره هود،الآيه:۱۳.

و تنازل معهم فی المحاوره إلی مجال یتوهمون إحراز قصب السبق فیه و لم یطالبهم بشیء من حقائق الکون و التاریخ،و من قصص الأنبیاء الغابرین و شأن الألوهیه و کمالاتها و أمهات الأخلاق و مقومات الحضارات و رقیّ المجتمعات،و إنما علیهم أن یأتوا بمثل عشر سور من سور القرآن،و لیفتروا موضوعاتها کما یشاءون علی أن تکون فی فصاحه القرآن و بلاغته) (۱).

و نجد تعلیقا جمیلا علی هذه الآیه فی تفسیر«إرشاد العقل السلیم»(أی،بل یقولون افتراه و لیس من عند اللّه قُلْ إن کان الأمر کما تقولون فَأْتُوا أنتم أیضا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ فی البلاغه و حسن النظم... مُفْتَرَیاتٍ صفه أخری لسور أخرت عن وصفها بالمماثله لما یوحی لأنها الصفه المقصوده بالتکلیف إذ بها یظهر عجزهم و قعودهم عن المعارضه،و أما وصف الافتراء فلا یتعلق به غرض یدور علیه شیء فی مقام التحدی و إنما ذکر علی نهج المساهله و إرخاء العنان،و لأنه لو عکس الترتیب لربما توهم أن المراد هو المماثله فی الافتراء،و المعنی:فأتوا بعشر سور مماثله له فی البلاغه، مختلقات من عند أنفسکم إن صح أنی اخلقته من عندی،فإنکم أقدر علی ذلک منی لأنکم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادی ذلک من الخطب و الأشعار و حفظتم الوقائع و الأیام و زاولتم أسالیب النظم و النثر) (۲).

و لقد هشمت هذه الآیه کبریاء المشرکین،و فضحت عجزهم،و أردتهم فی مهاوی الذل و الخذلان فما استطاع أحد أن یتفوه ببنت شفه،و لقد استعجمت ألسنتهم عن النطق بمثل هذا الکلام البدیع و ذلکم النظم المتألق الفرید...

(أما زلتم تقیمون علی الزعم بأن محمدا افتری هذا القرآن علی اللّه...؟أم أنکم لم تبرحوا تتقوّلون أن القرآن أساطیر الأولین اکتتبها محمد فهی تملی علیه بکره و أصیلا،لئن دار بعض هذا فی خلدکم فخلوا عنکم أخباره الغیبیه و علومه اللدنیه،فلن یکون أسهل علیکم حسب زعمکم من اختلاق عشر سور تماثله بلاغه أسلوب و فصاحه بیان،فأنتم العرب ساده الفصاحه و البلاغه؟و قد دعیتم إلی مثله فی النظم فی أی معنی أردتم مطلقا غیر مقید،موسعا غیر مضیق،فلیس إلی معانی القرآن دعیتم،و لکن إلی بلاغه أسلوبه و فصاحه عباراته...أما و قد عجزتم،و باء جمعکم بالخزی و الخذلان۴.

۱- مباحث فی إعجاز القرآن الکریم،مصطفی مسلم،ص:۲۳.

۲- إرشاد العقل السلیم،محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود،۱۹۲/۴.

و لم يبق لديكم بعد شائبه شبهه فى صدق هذا الرسول،و حقيّه القرآن،و بطلان ما أنتم عليه من شرك،فهل تغادرون المكابره و العناد و تدخلون الإسلام دين اللّه أفواجا) (۱).

المرحله الثالثه:

و فى هذه المرحله وسّع لهم الحق عز و جلّ،فتحداهم بسوره واحده من القرآن الكريم حتى و لو كانت من أقصر سوره،فقال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۲).

و للشوكانى رحمه اللّه كلام نفيس حول هذه الآيه نثبته هنا،يقول:(...و التقدير، أ يقولون افتراه و الاستفهام للتقريع و التوبيخ،ثم أمره اللّه سبحانه و تعالى أن يتحداهم حتى يظهر عجزهم،و يتبين ضعفهم،فقال:قل: فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ أى إن كان الأمر كما تزعمون من أن محمدا افتراه فأتوا أنتم على جهه الافتراء بسوره مثله فى البلاغه، و جوده الصناعه،فأنتم مثله فى معرفه لغه العرب و فصاحه الألسن،و بلاغه الكلام وَ ادْعُوا بمظاهريكم و معاونيكم مَنِ اسْتَطَعْتُمْ دعاءه و الاستعانه به من قبائل العرب،و من آلهتكم التى تجعلونها شركاء للّه،ثم يقول:و سبحان اللّه العظيم ما أقوى هذه الحجه،و أوضحها و أظهرها للعقول،فإنهم لما نسبوا الافتراء إلى واحد منهم فى البشريه و العربيه،قال لهم:هذا الذى نسبتموه إلىّ و أنا واحد منكم ليس عليكم إلا أن تأتوا و أنتم الجمع الجمّ بسوره مماثله لسوره من سوره،و استعينوا بمن شئتم من أهل هذه اللسان العربيه على كثرتهم و تباين مساكنهم،أو من غيرهم من بنى آدم،أو من الجن أو من الأصنام،فإن فعلتم هذا بعد اللتيا و التى فأنتم صادقون فيما نسبتموه إلىّ و ألصقتموه بى...

فلم يأتوا عند سماع هذا الكلام المنصف،و التنزل البالغ بكلمه و لا نطقوا ببنت شفه،بل كاعوا عن الجواب،و تشبثوا بأذيال العناد البارد،و المكابره المجرده عن الحجه) (۳).

و لكى يبرهن الحق تبارك و تعالى على صدق نبوه محمد بن عبد اللّه صلوات اللّه

۱- المعجزه الخالده،حسن ضياء الدين عتر،بيروت،دار ابن حزم،الطبعه الثانيه،/۱۴۰۹ ۱۹۸۹،ص:۱۱۹.

۲- سوره يونس،الآيه:۳۸.

۳- فتح القدير،للشوكانى ۶۴۵/۲-۶۴۶.

و سلامه علیه و یثبت عظمه القرآن،و لقطع(دابر وساوس الشیطان و نزغات أهل الباطن المرجفین،و لکی لا یقال إن محمدا تحدی أهل مکه،و الأمیّه فاشیه فیهم،و لا علم لهم بعلوم الأدیان و بالأنبیاء و الکتب،و لو أنه تحدی غیرهم لأمکنهم أن یأتوا بمثل قرآنه،کرر فی المرحله المدنیه و بین ظهرانی أهل الکتاب،و سجل العجز المطلق لکل المخلوقین إلی یوم القیامه،و لا زالت أصداؤه فی أذن الزمن علی مرّ العصور لیبرهن علی خلود الرساله و صدق صاحبها) (۱)وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ(۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ أُعِدَّتْ لِلْکافِرِینَ (۲۴) (۲).

إنه تحدّ بعد تحد،و من جرّاء تکرار هذا التحدی طبع الحق عز و جلّ علیهم طابع العجز و القصور،لیحولهم إلی کتله من الذل و الصغار،هیا شمّروا عن ساعد الجد و العنفوان، بکل وسائلکم و حیلکم،و استعینوا بمن شئتم و کیفما شئتم،و أتوا بسوره تماثل هذا الکلام الإلهی الأخّاذ.

یقول رشید رضا فی هذا المقام:(یا أیها الناس علیکم بعد أن تنسلوا من مضایق الوساوس و تتسللوا من مآزق الهواجس،و تنزعوا ما طوقکم به التقلید من القلائد و تکسروا مقاطر ما ورثتم من العوائد،أن تهرعوا إلی الحق فتطلبوه ببرهانه،و أن تبادروا إلی ما دعیتم إلیه فتأخذوه بربانه،فإن خفی علیکم الحق بذاته،فهذه آیه من أظهر آیاته و هی عجزکم عن الإتیان بسوره من مثل سور القرآن من رجل أمی مثل الذی جاءکم به،و هو عبدنا و رسولنا محمد صلی اللّه علیه و سلم،و إن عجزتم عن الإتیان بسوره من مثله تساوی سوره فی هدایتها،و تضارعها فی أسلوبها و بلاغتها،و أنتم فرسان البلاغه و عصرکم أرقی عصور الفصاحه،و قد اشتهر کثیر منکم بالسبق فی هذا المیدان،و لم یکن محمد صلی اللّه علیه و سلم ممن یسابقکم من قبل هذا البرهان،لأنه لم یؤت هذا الاستعداد بنفسه و لم یتمرن علیه أو یتکلفه لمباراه أهله،فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعین سنه فأعجزکم بعد سبقکم،لم یکن إلا بوحی إلهی و إمداد سماوی لم یسم عقله إلی علمه،و لا بیانه إلی أسلوبه و نظمه) (۳).۱.

۱- مباحث فی إعجاز القرآن،مصطفی مسلم،ص:۳۴.

۲- سوره البقره،الآیتان ۲۴.۲۳.

۳- تفسیر المنار،رشید رضا،۱۹۱/۱.

و بعد هذا التحدى العظيم الذى قصم الظهور،و أذلّ الأعناق،ما استطاع أحد منهم أن يتجرأ أو يتلفّظ بسوره تشابه كلام اللّه تعالى،بل راحوا يتساقطون و ينهزمون،بعجز سافر و ضعف ذليل،لقد مدّ اليأس سلطانه على نفوسهم،و امتلأت أقطار نفوسهم بالإحباط و الفشل،و رأوا أنفسهم ذره أمام قلعه شماء شامخه،إنها قلعه البيان و صرح القرآن،إنه المعجزه الخالده على مرّ العصور و الأزمان،إنه كلام اللّه.

تلك هى مراحل التحدى،و لقد أشار الحافظ ابن كثير إلى ترتيبها،على النحو الذى ذكرنا عند تفسيره لقوله سبحانه و تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱)يقول:(فأتوا أنتم بسوره من مثله،أى من جنس هذا القرآن و استعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من إنس و جن،و هذا هو المقام الثالث فى التحدّى،فإنه تعالى تحدّاهم و دعاهم،إن كانوا صادقين فى دعواهم أنه من عند محمد،فليعارضوه،بنظير ما جاء به وحده و ليستعينوا بمن شاءوا،و أخيرا أنهم لا يقدرون على ذلك و لا سبيل لهم إليه فقال سبحانه تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۲)ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال فى أول سوره هود: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۳).

ثم تنازل إلى سوره فقال فى هذه السوره (۴): أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۵).

رأينا من خلال هذا العرض،عظمه القرآن و هو يتحدّى العرب،و كيف أنه يطاولهم فى المعارضه ثم إنه قد تنازل لهم فى تحديهم بجميع القرآن إلى التحدى بعشر سور مثله،و من ثم إلى التحدى و لو بسوره واحده،و هم مع ذلك يتقلبون فى أطوار كليله هزيله من عجز إلى عجز و من نكص إلى نكص،و القرآن يتألق فى كل مرحله و ينتقل من فوز إلى فوز،و من ألق إلى ألق.۸.

۱- سوره يونس،الآيه:۳۸.

۲- سوره الإسراء،الآيه:۸۸.

۳- سوره هود،الآيه:۱۳.

۴- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير ۳۰۴/۴،و انظر:لوامع الأنوار البهيه،محمد السفارينى الحنبلى،بيروت،المكتب الإسلامى،الطبعه الثالثه،۱۴۱۱ ه‍/۱۹۹۱ م،۱۷۰/۱.

۵- سوره يونس،الآيه:۳۸.

و لكن بعد هزيمه العرب و عجزهم عن تحدى القرآن الكريم،ما هو القدر المعجز من القرآن الكريم؟

القدر المعجز من القرآن الكريم

قدر المعجز عند الأشعريين

أورد القاضى الباقلانى فى كتابه«إعجاز القرآن»خلاف العلماء فى ذلك فقال:(قدر المعجز عند الأشعريين:

الـذى ذهب إليه عامه أصـحابنا،و هو قول أبى الحسن الأشـعرى فى كتبه،أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السوره،قصـيره كانت أم طويله،أو ما كان بقدرها،قال:فإذا كانت الآيه بقدر حروف السوره،و إن كانت سوره الكوثر،فذلك معجز.

قال:و لم يقم دليل على عجزهم عن المعارضه فى أقل من هذا القدر.

القدر المعجز عند المعتزله:

و ذهب المعتزله إلى أن كـل سوره برأسـها فهى معجزه...و قـد حكى عنهم نحو قولنا،إلا أن منهم من لم يشترط كون الآيه بقـدر السوره،بل شـرط الآيات الكثيره و قـد علمنا أنه تحـداهم تحديا إلى السور كلها و لم يخص،و لم يأتوا لشـىء منها بمثل،فعلم أن جميع ذلك معجز) (۱).

و يرى الشيخ الزرقانى (۲)أن(القـدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصـر سوره منه، و أن القائلين بأن المعجز هو كل القرآن لا بعضه،و هم المعتزله،و القائلين بأن المعجز كل ما يصـدق عليه أنه قرآن و لو كان أقل من سوره،كل أولئك بمنأى عن الصواب) (۳).

و يؤكد هذا الدكتور مصطفى مسلم فيقول:(و بما أن السوره جاءت بلفظ نكره بسوره،فهى تشمل كل سوره فى القرآن طويله أو قصيره،فيكون القدر المعجز من القرآن هو السوره من القرآن الكريم طويله أو قصيره،هذا هو رأى جمهور العلماء،إلا أن بعضهم زاد على ذلك:أن مقدار السوره القصيره،هى ثلاث آيات معجز أيضا) (۴).

۱- إعجاز القرآن،محمد بن الطيب الباقلانى،بيروت،دار إحياء العلوم،تعليق،محمد سكر، الطبعه الثالثه،۱۴۱۵ ه ۱۹۹۴/،ص:۳۲۴.

۲- (...-۱۳۶۷ ه...-۱۹۴۸،محمد عبد العظيم الزرقانى،من علماء الأزهر بمصـر،تخرج بكليه أصول الدين،و عمل بها مدرسا لعلوم القرآن و الحديث،و توفى بالقاهره،من كتبه: مناهل العرفان فى علوم القرآن).انظر:الأعلام،للزركلى،۲۱۵/۶،بتصرف.

۳- مناهـل العرفـان فى علـوم القرآن،محمـد عبـد العظيم الزرقـانى،بيروت،دار الفكر،تحقيق، مكتب البحوث و الـدراسات،الطبعه الأولى ۲/ ۲۳۰،۱۹۹۶.

۴- مباحث فى إعجاز القرآن،مصطفى مسلم،ص:۳۵.

استدراک:هناک استدراک بسیط یلفت الانتباه إلیه هنا،و هو أن الجمهور ذهبوا إلی أن القدر المعجز من القرآن هو السوره،سواء کانت طویله أم قصیره کسوره الکوثر، لکن الذی زاد علی هذا الذی ذهب إلیه الجمهور-کما سلف-فقال:أو مقدار السوره القصیره،و هی ثلاث آیات معجز أیضا،هذا الرأی یحتاج إلی تمحیص و تحقیق...فالحق سبحانه و تعالی قال: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ(۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ أُعِدَّتْ لِلْکافِرِینَ (۲۴) (۱)فاللّه تبارک و تعالی تحداهم بِسُورَهٍ و هی نکره فهی تشمل السوره القصیره و الطویله،لکنه لم یقل:أو مقدارها، فمقدار أقصر سوره و هی سوره الکوثر ثلاث آیات،هل هو معجز؟.

الجواب:نحن نعلم من خلال دراستنا لأسلوب القرآن الکریم فی عرض السوره، أن السوره لها بناء متکامل،و وحده موضوعیه دقیقه،و تناسق و تساوق فی إبراز معالم القضیه المعروضه من مقدمه و لب و خاتمه،و لربما تبسط القضیه فتأخذ شوطا واسعا أو تکون مقتضبه،و فی کل الأحوال فإنها تعبر عن شخصیه متکامله،و هذا هو المیزان الذی ینبغی أن نحتکم إلیه عند ما نقول:أو ما یماثل السوره من الآیات،فإن کانت هذه الآیات التی تماثل السوره خاضعه لهذا المیزان ففیها الإعجاز و إلا فالقول ما قاله ربنا بِسُورَهٍ ،و هذا لا یعنی أن فی مقدور أحد من البشر أن یأتی بمقدار أقصر سوره من الآیات،أی بثلاث آیات،لا و إنما نرکز و نقید قدر السوره بالوحده الموضوعیه،و البناء المت ناسق الذی هو شرط للقول بالإعجاز.۴.

۱- سوره البقره،الآیتان،۲۳-۲۴.

المبحث الرابع: عجز المشركين و اعترافهم بعظمه القرآن

اشاره

بعد ما استعرض الحق آيات التحدى فى كتابه العظيم،و طلب منهم أن يأتوا بسوره من مثله و فيهم فحول الشعراء و الخطباء الذين ذاع صيتهم و انتشر خبرهم بين الناس،و إذا بالقوم تستعجم ألسنتهم،و تهتز أركان البلاغه و البيان لديهم،فراحوا يتهربون و يتهافتون و منهم من قد تسربل بقناع الأنفه و الاستكبار،فقال هو و أمثاله كما وصفهم ربنا تبارك و تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً(۱) وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَهً وَ أَصِيلًا (۵) (۲).

و قولهم: وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (۳).

(و هكذا التمسوا لأنفسهم عذر القعود عن معارضته بأنه أساطير الأولين،أو قول شاعر مجنون أو هو كذب أعانه على اختلاقه أناس آخرون،و اعتبروا اتهامهم هذا عذرا يسوّغ صمتهم،و يبرر عجزهم الفاضح عن المعارضه...يا للمنطق السديد؟أ لا ترى أن هذا التهرب من مواجهه التحدى و من تقديم المعارضه ليس فى الواقع إلا إقرارا منهم بالعجز و أى إقرار) (۴)؟

يقول الإمام الباقلانى:(فلو كان هذا القرآن من ذلك القبيل:الشّعر أو من الجنس الذى ألفوه،لم تزل أطماعهم عنه،و لم يدهشوا عند وروده عليهم،فكيف و قد أمهلهم و فسح لهم فى الوقت،و كان يدعو إليه سنين كثيره،قال عز من قائل: أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (۴).

۱- سوره فاطر،الآيه:۳۷.

۲- سوره الفرقان،الآيتان ۴،۵.

۳- سوره الحجر،الآيه:۶.

۴- المعجزه الخالده،حسن ضياء الدين عتر،ص:۱۲۸-۱۲۹.

و بظهور العجز عنه بعد طول التقريع و التحدى بان أنه خارج عن عاداتهم،و أنهم لا يقدرون عليه،و قد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لأن ذلك طبعهم و لغتهم،فلم يحتاجوا إلى تجربه عند سماع القرآن،و هذا فى البلغاء منهم دون المتأخرين فى الصنعه) (۱).

و يؤكد هذا المعنى الجرجانى فيقول:(و إذا ثبت أنهم-أى العرب-الأصل و القدوه فإن علمهم العلم،فبنا أن ننظر فى دلائل أحوالهم و أقوالهم حين تلى عليهم القرآن و تحدوا إليه،و ملئت مسامعهم من المطالبه بأن يأتوا بمثله،و من التقريع بالعجز عنه،و بت الحكم بأنهم لا يستطيعونه و لا يقدرون عليه،و إذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكّوا فى عجزهم عن معارضته و الإتيان بمثله،و لم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا-على وجه من الوجوه،أما الأحوال فدلت من حيث كان المتعارف من عادات الناس التى لا- تختلف و طباعهم التى لا- تتبدل أن لا- يسلموا لخصومهم الفضيله، و هم يجدون سبيلا إلى دفعها،و لا ينتحلون العجز و هم يستطيعون قهرهم و الظهور عليهم،كيف و أن الشاعر أو الخطيب أو الكاتب يبلغه أن بأقصى الإقليم الذى هو فيه يبأى (۲)بنفسه،و يدل بشعر يقوله،أو خطبه يقوم بها،أو رساله يعملها،فيدخله من الأنفه و الحميه ما يدعوه إلى معارضته،و إلى أن يظهر ما عنده من الفضل،و يبذل ما لديه من المنه،حتى إنه ليتوصل إلى أن يكتب إليه و أن يعرض كلامه عليه ببعض العلل، و بنوع من التمحل (۳)،هذا و هو لم ير ذلك الإنسان قط و لم يكن منه إليه ما يهز و يحرك و يهيج على تلك المعارضه،و يدعو إلى ذلك التعرض،و إن كان المدعى ذلك بمرأى منه و مسمع،كان ذلك أدعى له إلى مباراته و إلى إظهار ما عنده) (۴).

(...فكيف يجوز أن يظهر فى صميم العرب،و فى مثل قريش ذوى الأنفس الأبيه و الهمم العليه و الأنفه و الحميه،من يدعى النبوه و يخبر أنه مبعوث من اللّه تعالى إلى۹.

۱- إعجاز القرآن،للباقلانى،ص:۲۸۹.

۲- (بأى:البأواء،هى العظمه،و يبأى:فخر،و بأيت عليهم أبأى،فخرت عليهم).لسان العرب، لابن منظور،۶۳/۱۴.

۳- (التمحل:المكر و الاحتيال).لسان العرب،لابن منظور،۱۸۸/۲.

۴- ثلاث رسائل فى الإعجاز،الرساله الشافيه،للجرجانى،تحقيق،محمد خلف الله و محمد سلام،القاهره،دار المعارف،الطبعه الثانيه ۱۳۸۷ ه‍/۱۹۶۸م،ص:۱۱۸-۱۱۹.

الخلق كافه،و أنه بشير بالجنه و نذير بالنار،و أنه قد نسخ به كل شريعه تقدمته،و دين دان به الناس شرقا و غربا،و أنه خاتم النبيين،و أنه لا نبى بعده،إلى آخر ما صدع به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثم يقول:و حجتى أن اللّه تعالى قد أنزل علىّ كتابا عربيا مبينا،تعرفون ألفاظه،و تفهمون معانيه،إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله و لا بعشر سور منه، و لا بسوره واحده و لو جهدتم جهدكم،و اجتمع معكم الجن و الإنس،ثم لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضوه،و يبينوا شرفه فى دعواه،مع إمكان ذلك،و مع أنهم لم يسمعوا إلا ما عندهم مثله أو قريب منه) (1)؟

يتضح لنا مما سبق أن القوم قد عجزوا عن مجاراه القرآن،و أن ما أوتوه من بلغه و حنكه و فطنه تذوب و تتضاءل أمام روعه القرآن و بيانه،فمنهم من واجهه بكل قبيح و وقفوا له بكل سبيل،و هم موقنون فى قراره أنفسهم بعجزهم عن الإتيان و لو بسوره من مثله،و منهم من قد اهتزت مشاعرهم لسماعه،و تفاعلت أحاسيسهم لآياته،و استثارت كلماته من أقاصى أفئدتهم صبابه و كلفا،و هؤلاء على قسمين،فمنهم الذين أخبتوا للّه و حكّموا عقولهم،و نبذوا العصبيه الحالكه فآمنوا بالله ربا و بمحمد نبيا و بالقرآن كتابا منزّلا،و منهم من استعبدهم الاستكبار و العناد و ركبوا رءوسهم فعرفوا الحق ثم حادوا عنه،و رأوا النور لكنهم آثروا الظلام،و كلا الفريقين قد أقرّ بعظمه القرآن و لكن شتان بين من قد أقرّ فآمن،و بين من قد أقرّ ثم نكص و كفر و فرّ،و لنستعرض بعض الأمثله للفريقين.

١-اعتراف بلغاء المشركين بإعجاز القرآن

أولا-عتبه بن ربيعه:

روى ابن إسحاق:(أن عتبه بن ربيعه و كان سيدا قال يوما و هو جالس فى نادى قريش و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جالس فى المسجد وحده:يا معشر قريش أ لا أقوم إلى محمد فأكلمه و أعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء و يكف عنا؟و ذلك حين أسلم حمزه و رأوا أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يزيدون و يكثرون،فقال:بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه،فقام إليه عتبه حتى جلس إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال:يا ابن أخى،إنك منا حيث قد علمت من السلطه فى العشيره،و المكان فى النسب،و إنك أتيت قومك بأمر عظيم

١- المصدر نفسه،ص:١٢٠.

فرقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم و عبت به آلهتهم و دينهم و كفرت به من مضى من آبائهم،فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها،قال:فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم:«قل يا أبا الوليد أسمع»،قال:يا ابن أخى،إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا،و إن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك،و إن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا،و إن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك،طلبنا لك الطب و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه،فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له،حتى إذا فرغ عتبه و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يستمع منه قال:«أ قد فرغت يا أبا الوليد»قال:

نعم:قال:«فاسمع منى»قال:أفعل،فقال:بسم اللّه الرحمن الرحيم حم(۱) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ(۲) كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(۳) بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ(۴) وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ (۱)ثم مضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبه أنصت لها و ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه،ثم انتهى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى السجده منها فسجد،ثم قال:«قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت و ذاك»،فقام عتبه إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض:

نحلف باللّه لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به،فلما جلس إليهم قالوا:ما وراءك يا أبا الوليد؟قال:ورائى أنى قد سمعت قولا و اللّه ما سمعت مثله قط،و اللّه ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا بالكهانه يا معشر قريش أطيعونى و اجعلوها لى و خلوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزلوه،فو اللّه ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم،و إن يظهر على العرب فملكه ملككم و عزه عزكم،و كنتم أسعد الناس به،قالوا:سحرك و اللّه يا أبا الوليد بلسانه،قال:هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم) (۲).

هذه القصه توضح لنا بكل جلاء اعتراف سيد من سادات قريش،أمام صناديد الكفر و صناديد البلاغه و البيان،بإعجاز القرآن و أثره فى النفوس،و وقعه فى القلوب و الأفئده.۲.

۱- سوره فصلت،الآيات ۱-۵.

۲- السيره النبويه،عبد الملك بن هشام الحميرى،بيروت،دار الجيل،تحقيق،طه سعد،الطبعه الأولى،۱۴۱۱ ه،۱/۱۳۰-۱۳۲ و أورده كذلك ابن كثير فى تفسيره،۴/۹۰-۹۲.

ثانیا-الولید بن المغیره:

و هو من أشد المشرکین عداوه لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم،و من أکثر الذین ناصبوا رساله الإسلام العداء فقد أشعل حربا سافره لاهبه منذ بزوغ فجر الدعوه الإسلامیه،لکنه یوم سمع القرآن الکریم افتتن ببلاغته،و سحر بإعجازه و بیانه،و لنسمع إعلانه الذی یدل علی تأثره أمام قریش،یروی ابن عباس رضی اللّه عنه(أن الولید بن المغیره اجتمع إلیه نفر من قریش و کان ذا سن فیهم و قد حضر الموسم فقال لهم:یا معشر قریش،إنه قد حضر هذا الموسم و إن وفود العرب ستقدم علیکم فیه،و قد سمعوا بأمر صاحبکم هذا،فاجمعوا فیه رأیا واحدا و لا تختلفوا فیکذب بعضکم بعضا،فقالوا:أنت فقل و أتم لنا به رأیا نقول به،قال:لا بل أنتم قولوا لأسمع،قالوا:نقول کاهن،قال:ما هو بکاهن،لقد رأینا الکهان فما هو بزمزمه الکهان و لا بسجعهم،قالوا:فنقول مجنون،قال:ما هو بمجنون،لقد رأینا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه...قالوا:فنقول شاعر،قال:ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر کله رجزه و هزجه و قریضه و مقبوضه و مبسوطه،فما هو بالشعر، قالوا:فنقول ساحر،قال:ما هو بساحر لقد رأینا السحار و سحرهم،فما هو بنفثه، و لا بعقده،قالوا:فما ذا نقول؟قال:و الله إن لقوله لحلاوه،و إن علیه لطلاوه،و إن أصله لعذق،و إن فرعه لجناه،فما أنتم بقائلین من هذا شیئا إلا عرف أنه باطل،و إن أقرب القول أن تقولوا:هو ساحر یفرق بین المرء و أبیه،و بین المرء و أخیه،و بین المرء و زوجته،و بین المرء و عشیرته فتفرقوا عنه بذلک) (۱).

یعلق الإمام الزرکشی رحمه اللّه علی هذه القصه فیقول:(...ثمّ صار المعاندون له ممن کفر به و أنکره یقولون مره:إنه شعر لما رأوه منظوما،و مره إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه غیر مقدور علیه و قد کانوا یجدون له وقعا فی القلب،و قرعا فی النفس یریبهم و یحیرهم،فلم یتمالکوا أن یعترفوا به نوعا من الاعتراف و لذلک قالوا:إن له لحلاوه و إن علیه لطلاوه،و کانوا مره لجهلهم و حیرتهم یقولون: وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ اکْتَتَبَها فَهِیَ تُمْلی عَلَیْهِ بُکْرَهً وَ أَصِیلًا (۲)مع علمهم أن صاحبهم أمی و لیس

۱- الدر المنثور،عبد الرحمن بن جلال الدین السیوطی،بیروت،دار الفکر،۱۹۹۳،۹۸/۵، و انظر:السیره الحلبیه،علی بن برهان الدین الحلبی،بیروت،دار المعرفه،۱۴۰۰ ه،۳/ ۳۴۴،و لباب النقول فی أسباب النزول،عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد السیوطی،بیروت، دار إحیاء العلوم،د.ت،۲۲۴/۱.

۲- سوره الفرقان،الآیه:۵.

بحضرته من يملى أو يكتب شيئا و نحو ذلك من الأمور التى أوجبها العناد و الجهل و العجز،و قد حكى اللّه عن بعض مردتهم و هو الوليد بن المغيره المخزومى،أنه لما طال فكره فى القرآن،و كثر ضجره منه،و ضرب له الأخماس من رأيه فى الأسداس، فلم يقدر على أكثر من قوله: إِنْ هذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ (۱)عنادا و جهلا به و ذهابا عن الحجه و انقطاعا دونها) (۲).

ثالثا-النضر بن الحارث:

اشاره

قال ابن هشام:(و يقال:النضر بن الحارث بن علقمه بن كلده بن عبد مناف،قال ابن اسحاق:فقال:يا معشر قريش إنه و اللّه قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيله بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم،و أصدقكم حديثا،و أعظمكم أمانه،حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب،و جاءكم بما جاءكم به،قلتم ساحر؟لا و اللّه ما هو بساحر، لقد رأينا السحره و نفثهم و عقدهم،و قلتم كاهن؟لا و اللّه ما هو بكاهن،لقد رأينا الكهنه و تخالجهم و سمعنا سجعهم،و قلتم شاعر؟لا و اللّه ما هو بشاعر لقد رأينا الشعر و سمعنا أصنافه كلها هزجه و رجزه،و قلتم مجنون؟لا-و اللّه ما هو بمجنون،لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه و لا وسوسته و لا تخليطه،يا معشر قريش:فانظروا فى شأنكم، فإنه و اللّه لقد نزل بكم أمر عظيم.

أذى النضر للرسول صلى اللّه عليه و سلم:

و كان النضر بن الحارث من شياطين قريش و ممن كان يؤذى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ينصب له العداوه،و كان قد قدم الحيره و تعلم بها أحاديث ملوك الفرس و أحاديث رستم...فكان إذا جلس رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مجلسا فذكّر فيه باللّه و حذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمه اللّه،خلفه فى مجلسه إذا قام،ثم قال:أنا و اللّه يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلم إلىّ،فأنا أحدثكم أحسن من حديثه،ثم يحدثهم عن ملوك فارس و رستم...ثم يقول:بما ذا محمد أحسن حديثا منى) (۳).

هذا هو إقرار و اعتراف كبار بلغاء قريش و فصحائها،و غير هؤلاء كثير ممن خفقت

۱- سوره المدثر،الآيه:۲۵.

۲- البرهان فى علوم القرآن،محمد بن عبد اللّه الزركشى،بيروت،دار المعرفه،تحقيق،محمد إبراهيم،۱۳۹۱ ه،۱۰۱/۲.

۳- السيره النبويه،لابن هشام،۱۳۸/۲.

قلوبهم،و ثارت عواطفهم،و تفاعلت أحاسيسهم بصدى القرآن و وقعه على مسامعهم فإنهم قد استيقنوا أن هذا الكلام هو كلام اللّه،و لا يمكن أن يكون من تأليف إنس أو جن،لأن الفرق بين كلام البشر و كلام اللّه كالفرق بيننا و بين اللّه،بل إن المشركين كانوا يتوقون فى كل لحظه لسماع كلام الحق و تضيق عليهم الأرض بما رحبت إن هم انقطعوا عن الاستماع للقرآن.

(و لذلك كان النفر من قريش يتعاهدون على عدم سماع القرآن حتى لا يتأثروا به، و يذهبون إلى بيوتهم،إلا أن الواحد منهم لا يلبث أن يرجع إلى الكعبه ليسمع القرآن، الذى ملك عليه عقله و قلبه فيجد أن صاحبه الذى كان قد عاهده،قد سبقه إلى العوده لسماع القرآن المعجز،نديا من صوت محمد صلى اللّه عليه و سلم فيجتمعان أمام الكعبه و كل منهم قد نقض ما عاهد عليه صاحبه!و حق لهم هذا...فمن ذا الذى يرى المعجزه و يملك نفسه أن لا يتأثر بها...؟إذ لو كان الناس يملكون هذا،لما كان للمعجزه ذلك الأثر) (1).

و هذا ما أورده أصحاب السير فى سيرهم،من أن المشركين كانوا يتلصصون فى هدأه الليل،أو هاجره النهار،ليستمتعوا و ينتشوا بسماع كلام الحىّ القيوم،فقد روى ابن هشام فى سيرته:(قال ابن إسحاق:و حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب و أبا جهل بن هشام و الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهره،خرجوا ليله ليستمعوا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو يصلى من الليل فى بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه و كل لا يعلم بمكان صاحبه،فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا و قال بعضهم لبعض:

لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا،ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليله الثانيه عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مره،ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليله الثالثه أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق،فقال بعضهم لبعض:لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا،فأراد الأخنس أن يستفهم عما سمعه فلما أصبح الأخنس بن شريق،أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال:أخبرنى يا أبا حنظله عن رأيك فيما۹.

۱- المعجزه القرآنيه،محمد حسن هيتو،ص:۳۹.

سمعت من محمد؟فقال:يا أبا ثعلبه،و الله لقد سمعت أشياء أعرفها و أعرف ما يراد بها،و سمعت أشياء ما عرفت معناها و لا ما يراد بها،قال الأخنس:و أنا و الذى حلفت به،قال:ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم:ما رأيك فيما سمعت من محمد؟فقال:ما ذا سمعت تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا،و حملوا فحملنا،و أعطوا فأعطينا،حتى إذا تحاذينا على الركب و كنا كفرسى رهان،قالوا:منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه و الله لا نؤمن به أبدا و لا نصدقه،قال:فقام عنه الأخنس و تركه) (۱).

هذه بعض الروايات التى تحكى حال أولئك القوم الذين بهروا بجمال القرآن، و سحروا ببيانه و أقروا بإعجازه،و ترجموا هذه المشاعر بمقولاتهم التى سجّلها التاريخ لهم،و أثبتناها هاهنا،و لكنه العناد السافر الذى أعمى أبصارهم،و غلف قلوبهم فأظلمت و صدئت و قست ثم ماتت،فكانوا أضل من الأنعام الشارده،و أغواهم الشيطان بمكائده و حباله،فجحدوا الحق و كفروا به بعد ما عرفوه،و سيكون عليهم يوم القيامه حسره و ندامه.

۲-اعتراف فصحاء العرب المؤمنين بإعجاز القرآن

اشاره

و سنصغى الآن إلى الذين لامس القرآن الكريم شغاف قلوبهم،و وقعت كلماته الربانيه فى نفوسهم،فملك عليهم عقولهم،و سيطر على كيانهم،فاستجابت له جوارحهم و انسجمت مع إرشاداته سلوكياتهم،و سجدت نباهتهم لبلاغته،و طأطئوا الرءوس إجلالا لإعجازه فهداهم اللّه إلى الحق و النور المبين.

أولا-عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه:

قال ابن إسحاق:(و كان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمه بنت الخطاب و كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل،و كانت قد أسلمت و أسلم بعلها سعيد بن زيد، و هما مستخفيان بإسلامهما من عمر،و كان نعيم بن عبد اللّه النحام من مكه رجل من قومه من بنى عدى بن كعب قد أسلم،و كان أيضا يستخفى بإسلامه فرقا من قومه،و كان خباب ابن الأرت يختلف إلى فاطمه بنت الخطاب،يقرئها القرآن،فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و رهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى

۱- السيره النبويه،لابن هشام،۱۵۶/۲-۱۵۷.

بیت عند الصفا،و هم قریب من أربعین ما بین رجال و نساء،و مع رسول صلی اللّه علیه و سلم عمه حمزه ابن عبد المطلب،و أبو بکر بن أبی قحافه الصدیق،و علی بن أبی طالب،فی رجال من المسلمین رضی اللّه عنهم ممن کان أقام مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بمکه،و لم یخرج فیمن خرج إلی أرض الحبشه،فلقیه نعیم بن عبد اللّه فقال له:أین ترید یا عمر؟فقال:أرید محمدا هذا الصابئ و الذی فرق أمر قریش،و سفّه أحلامها،و عاب دینها،و سب آلهتها،فأقتله، فقال له نعیم:و اللّه لقد غرتک نفسک من نفسک یا عمر،أ تری بنی عبد مناف تارکیک تمشی علی الأرض و قد قتلت محمدا!أ فلا ترجع إلی أهل بیتک فتقیم أمرهم،قال:

و أی أهل بیتی؟قال:ختنک و ابن عمک سعید بن زید بن عمرو و أختک فاطمه بنت الخطاب،فقد و اللّه أسلما و تابعا محمدا علی دینه،فعلیک بهما،قال:فرجع عمر عامدا إلی أخته و ختنه و عندهما خباب بن الأرت معه صحیفه فیها: طه یقرئهما إیاها،فلما سمعوا حسّ عمر،تغیب خباب فی مخدع لهم أو فی بعض البیت،و أخذت فاطمه بنت الخطاب الصحیفه فجعلتها تحت فخذها،و قد سمع عمر حین دنا إلی البیت قراءه خباب علیهما،فلما دخل قال:ما هذه الهینمه التی سمعت؟قالا له:ما سمعت شیئا قال:بلی و اللّه لقد أخبرت أنکما تابعتما محمدا علی دینه و بطش بختنه سعید بن زید،فقامت إلیه أخته فاطمه بنت الخطاب لتکفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلک قالت له أخته و ختنه:نعم لقد أسلمنا و آمنا باللّه و رسوله فاصنع ما بدا لک،فلما رأی عمر ما بأخته من الدم ندم علی ما صنع فارعوی و قال لأخته:أعطینی هذه الصحیفه التی سمعتکم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذی جاء به محمد،و کان عمر کاتبا، فلما قال ذلک،قالت له أخته:إنا نخشاک علیها،قال:لا تخافی،و حلف لها بآلهته لیردنها إذا قرأها إلیها،فلما قال ذلک طمعت فی إسلامه فقالت له:یا أخی إنک نجس علی شرککک و إنه لا یمسها إلا الطاهر،فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحیفه و فیها:

طه فقرأها،فلما قرأ منها صدرا قال:ما أحسن هذا الکلام و أکرمه،فلما سمع ذلک خباب خرج علیه فقال له:یا عمر و اللّه إنی لأرجو أن یکون اللّه قد خصک بدعوه نبیه فإنی سمعته أمس و هو یقول:«اللهم أیّد الإسلام بأبی الحکم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب»،فاللّه اللّه یا عمر،فقال له عند ذلک عمر:فدلنی یا خباب علی محمد حتی آتیه فأسلم،فقال له خباب:هو فی بیت عند الصفا معه فیه نفر من أصحابه،فأخذ عمر سیفه فتوشحه ثم عمد إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه،فضرب علیهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السیف

فرجع إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و هو فزع فقال:یا رسول اللّه هذا عمر بن الخطاب متوشحا السیف،فقال حمزه بن عبد المطلب:فأذن له فإن کان جاء یرید خیرا بذلناه له،و إن کان یرید شرا قتلناه بسیفه،فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم:«ائذن له»،فأذن له الرجل،و نهض إلیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حتی لقیه فی الحجره،فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذه شدیده و قال:«ما جاء بک یا بن الخطاب؟فو اللّه ما أری أن تنتهی حتی ینزل اللّه بک قارعه»،فقال عمر:یا رسول اللّه جئتک لأومن باللّه و برسوله و بما جاء من عند اللّه،قال فکبر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم تکبیره عرف أهل البیت من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أن عمر قد أسلم،فتفرق أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم من مکانهم،و قد عزوا فی أنفسهم حین أسلم عمر مع إسلام حمزه،و عرفوا أنهما سیمنعان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و ینتصفون بهما من عدوهم) (۱).

ثانیا–الطفیل بن عمرو الدوسی:

و ما حدث لعمر بن الخطاب حدث للطفیل بن عمرو الدوسی،و شعره لا یخفی علی العرب و قصائده التی کان یتجمهر الناس فی المحافل العامه و الأسواق لسماعها لیست بخافیه،و مع ذلک عند ما قرع القرآن مغالیق قلبه،خفت شعره و التهبت مشاعره بالإیمان فکان فی زمره الموحدین،و ها هو ذا یحدثنا عن تأثیر القرآن و وقعه فی قلبه یوم سمعه غضا طریا ندیا من النبی صلی اللّه علیه و سلم.

(...أن الطفیل بن عمرو قال:کنت رجلا شاعرا سیدا فی قومی،فقدمت مکه فمشیت إلی رجالات قریش فقالوا:إنک امرؤ شاعر سید و إنا قد خشینا أن یلقاک هذا الرجل فیصیبک ببعض حدیثه،فإنما حدیثه کالسحر فاحذره أن یدخل علیک و علی قومک ما أدخل علینا،فإنه فرق بین المرء و أخیه،و بین المرء و زوجته،و بین المرء و ابنه،فو اللّه ما زالوا یحدثونی شأنه و ینهونی أن أسمع منه حتی قلت:و اللّه لا أدخل المسجد إلا و أنا ساد أذنی،قال:فعمدت إلی أذنی فحشوتها کرسفا،ثم غدوت إلی المسجد فإذا برسول صلی اللّه علیه و سلم قائما فی المسجد،فقمت قریبا منه و أبی اللّه إلا أن یسمعنی بعض قوله،فقلت فی نفسی:و اللّه إن هذا للعجز و إنی امرؤ ثبت ما تخفی علیّ الأمور حسنها و قبیحها،و اللّه لأتسمعن منه فإن کان أمره رشدا أخذت منه و إلا اجتنبته، فنزعت الکرسفه،فلم أسمع قط کلاما أحسن من کلام یتکلم به فقلت:یا سبحان اللّه ما

۱- السیره النبویه،لابن هشام،۱۸۹/۲-۱۹۰.

سمعت كاليوم لفظا أحسن و لا أجمل منه،فلما انصرف تبعته فدخلت معه بيته،فقلت:

يا محمد إن قومك جاءونى فقالوا لى كذا و كذا فأخبرته بما قالوا و قد أبى اللّه إلا أن أسمعنى منك ما تقول،و قد وقع فى نفسى أنه حق فاعرض علىّ دينك فعرض علىّ الإسلام فأسلمت...) (۱).

ثالثا-لبيد بن ربيعه:

(يعتبر لبيد أحد أصحاب المعلقات السبعه،الذين سارت بشعرهم الركبان،و من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان،يفد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و يسمع كلامه،و يسلم، و لكن ما ذا فعل بالشعر الذى جرى فى كيانه مجرى الدم من عروقه،و جبلت به نفسه، و عرفت به حياته،و تناقله الناس عنه يتفاخرون به و يتمايلون طربا لسماعه،بل يصل بهم الأمر لدرجه الجنون لأجله...لقد ذهل هذا الرجل الفصيح البليغ،الذى فتن الناس بشعره،لقد ذهل عن نفسه و شعره،فلم يعد يتمكن من قول الشعر،إذ أفحمته عظمه القرآن و بلاغته فلم يقل بعد إسلامه إلا بيتا واحدا،و هو قوله:

الحمد للّه إذ لم يأتنى أجلى حتى لبست من الإسلام سربالا)

(۲) لقد تذوق لبيد حلاوه البيان،و تشربت عروقه منه،و فاض الشعر و الأدب فى كيانه منذ نعومه أظافره،و لكنه يوم سمع القرآن تقوضت أركان البيان لديه،و امتدت أروقه البلاغه القرآنيه فى داخله حتى ملئت أقطار نفسه،و عرف الحق فوقف عنده،و انصاع لمستلزماته و أوامره،و أصبح يستحى أن ينبث ببنت شفه فى حضره كلام رب الأرباب...و يكفى أن نعلم ما للبيد من ثقل عظيم فى دنيا الشعر،و ساحات الأدب و البيان،من أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم قال فيه مدحا و ثناء و هو على المنبر:«أشعر كلمه قالتها العرب قول لبيد بن ربيعه ألا كل شىء ما خلا اللّه باطل» (۳)،و ليس بعد شهاده رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم شهاده،و لا يعرف الفضل إلا ذووه و مع تألق لبيد فى بلاغته،و تفرده فى شعره،أيقن أن كلامه يتساقط،و يتناثر أوزاعا،بل و لا يذكر أمام سلطان القرآن و هيمنته على النفوس و الأرواح.

۱- سير أعلام النبلاء،محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى،بيروت،مؤسسه الرساله،تحقيق، شعيب الأرناءوط و محمد نعيم العرقسوسى،الطبعه التاسعه،۱۴۱۳ ه،۳۴۵/۱.

۲- المعجزه القرآنيه،محمد حسن هيتو،ص:۴۳.

۳- أخرجه أحمد فى مسنده،۴۴۴/۲،رقم:(۹۷۳۵).

رابعا–أنيس أخو أبى ذر الغفارى:

كذلك الأمر بالنسبه لأنيس و لغيره ممن سمع القرآن،فقد مزق القرآن أستار الغفله فى كيانه و قشع سحب الظلام التى تلبّدت فى سماء عقله،و رأى نور الحق،و ضياء الهدى ببضع آيات طرقت مسمعه من فم الحبيب صلى اللّه عليه و سلم،علما أن أنيسا كان من أبرز شعراء العرب و خطبائها،و ممن كان لهم صوله و جوله فى ساحات الهجاء و الثناء إذا ما تبارى المتبارون،و ها هو ذا يصف القرآن و ما شعر عند سماع آياته،و الحديث طويل فى صحيح مسلم و نأخذ موطن الشاهد فيه:(...فانطلق أنيس حتى أتى مكه فراث على ثم جاء،فقلت:ما صنعت،قال:لقيت رجلا بمكه على دينك يزعم أن اللّه أرسله، قلت:فما يقول الناس؟قال:يقولون شاعر،كاهن،ساحر،و كان أنيس أحد الشعراء،قال أنيس:لقد سمعت قول الكهنه فما هو بقولهم،و لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدى إنه شعر،و الله إنه لصادق و إنهم لكاذبون) (١).

(أ رأيت كيف اعترف المخالفون من المشركين بسموّ مكانه القرآن،و كيف أثنى عليه أناس تحولوا بسببه من الشرك إلى الإسلام بيقين فإنه لم يصدر ثناء هؤلاء و اعتراف أولئك المشركين حين صدر إلا تنويها بأمر يعرفه ذوو الخبره،فهو إخبار عن شىء باد للعيون لا يرسل أحدهم بصره إلا رآه،فقد أطلق كل من القائلين قوله و هو واثق أنه معلوم للجميع فليس من منصف بصير بمراتب الفضل فى اللغه مؤمنا كان أم جاحدا إلا وجد نفسه مسوقا للاعتراف بإعجازه،شاء أم أبى،لظهوره عند نظرائه لشده وضوحه، لذا فإن أقوالهم دليل بالغ على إعجاز القرآن) (٢).

و يذيّل هذا المبحث بذكر تصريحات أبرز أساطين العلم و المعرفه،و رائدى النهضه الحضاريه الغربيه المعاصره الذين قرءوا القرآن بتدبر و روىّ،فأفرزت دراساتهم هذه مجموعه طيبه و كبيره من شهادتهم بإعجاز القرآن،و بغض النظر عمّن آمن منهم،أو من قال ذلك على سبيل الإنصاف و الحق.

١- رواه مسلم،فضائل الصحابه،باب:من فضائل أبى ذر رضى اللّه عنه،١٩٢٠/۴ رقم:(٢۴٧٣)، و الذهبى،سير أعلام النبلاء،۵١/٢.

٢- الرساله الشافيه،للجرجانى،ثلاث رسائل فى الإعجاز،ص:١١۴-١١۵.

ذیل کتاب«إشارات الإعجاز»بطائفه من الأقوال و الآراء لکبار مفکری الغرب، یتحدثون و یقرّون بعظمه القرآن و إعجازاته و لنثبت بعضها هنا.

یقول:«واشنجون إیرفنج (۱) w.Irving »:(کانت التوراه فی یوم ما هی مرشد الإنسان و أساس سلوکه،حتی إذا ظهر المسیح علیه السلام اتبع المسیحیون تعالیم الإنجیل،ثم حلّ القرآن مکانهما فقد کان القرآن أکثر شمولا و تفصیلا من الکتابین السابقین،کما صحّح القرآن ما قد أدخل علی هذین الکتابین من تغییر و تبدیل،و حوی القرآن کل شیء،و حوی جمیع القوانین،إذ أنه خاتم الکتب السماویه...) (۲).

و یقول«بلاشیر» (۳):(لا جرم فی أنه إذا کان ثمه شیء تعجز الترجمه عن أدائه فإنما هو الإعجاز البیانی و اللفظی و الجرس الإیقاعی فی الآیات المنزله فی ذلک العهد..إن خصوم محمد صلی اللّه علیه و سلم قد أخطئوا عند ما لم یشاءوا أن یروا فی هذا إلاّ أغانی سحریه و تعویذیه،و بالرغم من أننا علی علم استقرائیا فقط بتنبؤات الکهان،فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلک بخطإ هذا الحکم و تهافته،فإن للآیات التی أعاد صلی اللّه علیه و سلم ذکرها فی هذه السور اندفاعا و ألقا و جلاله،تخلّف وراءها بعیدا أقوال فصحاء البشر کما یمکن استحضارها من خلال النصوص الموضوعه التی وصلتنا) (۴).۰.

---

۱ - ۱۸۵۹-۱۷۸۳،واشنجون إیرفنج،قصصی و کاتب سیر أمریکی،اعتبره بعضهم أبا الأدب الأمریکی،و اعتبره آخرون مخترع الأقصوصه،من آثاره القصصیه:حکایات رحاله،و من کتبه:محمد و خلفاؤه.انظر:معجم أعلام المورد،منیر بعلبکی،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه الأولی،۱۹۹۲،ص:۷۹،بتصرف.

۲- إشارات الإعجاز فی مظان الإیجاز،سعید النورسی،بیروت،دار المحراب للطباعه،تحقیق، إحسان قاسم الصالحی د.ت،ص:۲۵۰.

۳ - ۱۳۹۳-۱۳۱۸ ه،۱۹۰۰-۱۹۷۳،بلاشیر ریجیس،من علماء المستشرقین و من أعضاء المجمع العلمی العربی بدمشق،و مجمع الفرنسی الأعلی الأنستیتو بباریس،فرنسی،ضلیع فی العربیه،ولد فی مونروج،من ضواحی باریس،تلقی دروسه الثانویه فی الدار البیضاء بالمغرب و تخرج بکلیه الآداب فی الجزائر،،ألف بالفرنسیه کتبا کثیره و ترجم بعضها إلی العربیه،من کتبه:ترجمه القرآن الکریم،و تاریخ الأدب العربی،و قواعد العربیه الفصحی.انظر:الأعلام، للزرکلی،۷۲/۲،بتصرف.

۴- إشارات الإعجاز،سعید النورسی،ص:۲۵۰.

و يقول«بكثول» (۱):(القرآن هو الذى دفع العرب إلى فتح العالم،و مكنهم من إنشاء إمبراطوريه فاقت إمبراطوريات إسكندر الكبير،و الإمبراطوريه الرومانيه،سعه و قوه و عمرانا و حضاره و دواما...).

و يقول«غوته» (۲):إذا اتجهنا إلى القرآن نفرنا منه فى البدايه،و لكن سرعان ما يذهلنا ثم يجبرنا على تقديره فى النهايه،أما أسلوبه و هدفه فعظيم و رهيب و سام،و لذا سيظل هذا الكتاب ذا تأثير فعّال على مدى الأجيال،و القرآن سيحافظ على تأثيره إلى الأبد، لأن تعاليمه عمليه...و الإنسان منا إذا قرأ القرآن يرى فيه و لأول مره شيئا جديدا لم يألفه و لكنه كلما ازداد فى قراءته ازداد حبا له و اجتذابا إليه،حتى أخيرا يقول إلى إكباره و إجلاله) (۳).

هؤلاء المفكرون العالميون درسوا الإسلام دراسه عميقه و شامله،فأحبه بعضهم و آزره و آمن به آخرون و أعلنوا إسلامهم،و إذا رجعنا إلى الوراء قليلا فلسوف نجد أن الحروب الصليبيه كانت من أبرز الدعائم التى نهضت عليها هذه الدراسات و التصورات حول القرآن الكريم،و هى سبب من أهم الأسباب الأولى التى جعلت الكثير من الغربيين يغيرون وجهه نظرهم فيما يخص الشرق بشكل عام و شامل و الإسلام بشكل خاص،ذلك لأن الغربيين يوم التحموا بالمسلمين رأوا منهم صفات النبل و الشهامه و الأخلاق و السلوك المستقيم و أيقنوا أن دين الشرق ليس كما يصوره الاستعمار من الانحطاط و التخلف،حينها انكب الأوربيون يدرسون و بشكل متسلسل الشرق،الذى كان۹.

۱- ۱۹۳۶-۱۸۷۵،بكثول مارمادوك وليم،ولد فى لندن و حال ضعف صحته دون إتمام دراسته، فأرسلته أمه إلى سوريا فتعلم العربيه و درس عادات أهلها و أخلاقهم،ثم استدعاه اللورد كرومر إلى مصر حيث أقام مده،و صنف فيها كتابيه«أبناء النيل،و النساء المحجبات»و نشر المقالات فى الدفاع عن الإسلام،ثم سافر إلى تركيا و عند عودته منها أشهر إسلامه،ثم تولى منصب إمام المسلمين فى لندن،و قضى ثلاث سنوات فى ترجمه معانى القرآن الكريم.انظر: المستشرقون،نجيب العقيقى،القاهره،دار المعارف،الطبعه الرابعه د.ت،۱۰۲/۲، بتصرف.

۲- ۱۸۳۲-۱۷۴۹،غوته جوهان،كبير شعراء الألمان،و أحد عمالقه الأدب العربى،تميز بتعدد المواهب،فكان شاعرا و ناقدا و روائيا و كاتبا و مسرحيا و عالما،له روايات شهريه هى أحزان فرتر الشاب.انظر:معجم أعلام المورد،منير البعلبكى،ص:۳۰۳،بتصرف.

۳- قالوا فى الإسلام و القرآن و الرسول،حسين سليم،ص:۸۹.

لا يحرك فی عقولهم و نفوسهم إلا ما قد تأصّل فيها من عداوه و اشمئزاز،نتيجه ما قد رسمه لهم أشخاص حاقدون.

و لا ـ أدل علی هـذا الـذی نقول من أن الرحلات المتعـدده،و الصـله المباشـره المسـتمره مع الشـرق كانت وثيقه متينه،و كان من نتائجها أنها قشـعت الأوهام المظلمه التی تلبّدت فی سـماء عقول الغرب تجاه المسـلمين و قرآنهم و نبيهم،فمن من كتّاب الغرب الذين يحترمون أقلامهم و أفكارهم،يجرؤ أن يكتب أو يقول بأن محمدا صـلی اللّه عليه و سـلم هو إله المسلمين كما كان يسوغ هذا لكتّاب غربيين مضوا؟.

و عند ما كتب الشيخ رشيد رضا مقدمه لكتاب«إعجاز القرآن»كان من جمله ما قال:

(فإن من أوتی حظّا من بيان هـذه اللغه،و فاز بسـهم رابـح من آدابها حتی اسـتحكمت له ملكه الذوق فيها لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيده إعجاز القرآن،ببلاغته و فصاحته و بأسـلوبه فی نظم عبارته و قد صرّح بهذا من أدباء النصرانيه المتأخرين الأستاذ جبر ضومط مدرّس علوم البلاغه بالجامعه الأمريكانيه فی كتابه الخواطر الحسان) (۱).

و الذی يستقصـی هذه الأقوال المنصـفه من علماء الغرب المنصـفين يجدها كثيره جدا،و تدل بمجملها علی أن هؤلاء حين قرءوا القرآن جذبهم إليه،و شغل قلوبهم و عقولهم،و قذف فی أعماق فكرهم و ضميرهم يقينا جازما بأن هذا الكتاب إنما هو كلام اللّه تعـالی،و أنه فوق كـل المعجزات،و أنه معجزه خالـده تبرهن بنفسـها علی نفسـها،و لا يمكن أن يصل طوق أحـد من البشـر مهما أوتی من بلغه و فصل خطاب،إلی شیء يسير من بيان القرآن و إعجازه.

و لكن و بعد هذا العرض الذی عشنا أجواءه و تضاعيفه،لنا أن نتساءل،متی نشأ مصطلح إعجاز القرآن؟و كيف كانت بدايته؟و ما هی الدوافع الأساسـيه الأولی التی حفّزت علماء المسـلمين لئن يكتبوا مدونات فی هذا المجال؟هذا ما سـيبحث فی الفصل القادم إن شاء اللّه تعالی.۷.

۱- مقدمه كتاب،إعجاز القرآن و البلاغه النبويه،لمصطفی صادق الرافعی،بيروت،دار الكتاب العربی،د.ت،ص:۷.

الفصل الثانی: نشأه مصطلح إعجاز القرآن

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:الصّرفه و القائلون بها.

المبحث الثانی:نقد مذهب الصّرفه.

المبحث الثالث:أوجه إعجاز القرآن.

ص: ۶۹

تمهید

مما لا شک فیه أن للقرآن الکریم جاذبیه و هیمنه علی النفوس و العقول،کما أن لأسلوبه و نظمه و بیانه سحرا یستولی علی الأفکار و الألباب،و قد أدرک ذلک العرب إبان نزوله،فالمؤمن منهم کانت النشوه القرآنیه تنسکب فی فؤاده،فیشعر بسعاده لا تفوقها سعاده،حتی الکافر و الجاحد منهم،کان یدرک و یستیقن أن هناک فرقا کبیرا بین کلام الخالق و کلام المخلوق،و أن ما جاء به محمد صلی اللّه علیه و سلم إنما هو کلام اللّه تعالی...

و لا غرو و لا عجب من ذلک،فالعرب قد بلغوا من الفصاحه و البیان درجه سامقه باسقه،اتزنت فیها أسالیبهم الکلامیه إفرادا و ترکیبا،و زودهم اللّه بأدوات لغویه تمکنهم من قول الشعر البلیغ و رصف الخطب الرنانه،و الحذق فی البلاغه و البیان.

فسلامه الذوق العربی،و جوده القریحه،و براعه الاستهلال و الأداء،و إدراک کنه الألفاظ و أبعادها دفعت العرب بشعور و إدراک عمیقین،أو بلا شعور أحیانا إلی تقدیس القرآن و الخضوع لحسن بیانه و عذب کلامه...و ظلت هذه المعانی ماثله فی الأذهان، قائمه فی الکیان،فی عصر النبوه و الخلفاء الراشدین و فسحه من عصر الدوله الأمویه، غیر أن اتساع رقعه الإسلام و دخول الأعاجم فی هذا الدین و امتزاجهم بالمجتمع العربی،أثّر فی لغه العرب،و بدأت السلیقه العربیه تفقد رونقها و جمالها،لأن المسلمین من غیر العرب قد وفدوا و معهم أفکار و تیارات و تصورات مختلفه حول الإله و الدین فراحوا یفکّرون بطریقه منطقیه عقلیه مجرده عن التذوق المتألق لمعانی اللغه الصافیه.

فی هذه الأثناء و تلکم الأجواء،ظهر الحدیث عن وجه إعجاز القرآن،و لما ذا عجز العرب عن الإتیان و لو بسوره من مثله،و ما هو سرّ قصورهم عن ذلک،و کان أول ما بدأ ذلک فی البصره،التی کانت تحتضن مجموعه من المذاهب الکلامیه و الفکریه المتعدده عندها برز مصطلح إعجاز القرآن بین الناس و تداولته الألسنه،و کان أول من قال به

النّظام و هو من كبار شيوخ المعتزله عند ما قال:إن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتى فيه و إنما هو بصرف اللّه تفكير الناس عن معارضته،و هذا القول الغريب نجد أنه قد ذاع فى البصره،و عرف هذا القول«بالصّرفه».

عندها انبرى العلماء للرد على هذا القول المتهافت،و بدءوا يفنّدونه و يبينون خطأه و خطره و أوضحوا أن إعجاز القرآن شيء قائم بذاته،و أن اللّه تحدى به العرب فعجزوا عن الإتيان و لو بسوره من مثله،و لم يصرف عقولهم عن التفكير فى معارضته...

فكتبوا كتبا كثيره فى ذلك،و نقدوا مذهب الصرفه،و تحدّثوا عن أوجه إعجاز القرآن، إلا أنهم اختلفوا فى تحديد أوجه إعجاز القرآن،كما أنهم اختلفوا فى ثبات الإعجاز العلمى على التحديد إلى مؤيدين و معارضين،غير أنهم اتفقوا جميعا على بطلان القول بالصرفه،و هذا مجمل ما سنجده فى هذا الفصل إن شاء اللّه تعالى.

المبحث الأول

اشاره

الصّرفه و القائلون بها

سبقت الإشاره إلی أن نشأه مصطلح«إعجاز القرآن»تساورت مع القول بالصرفه،بل إن القول بالصرفه کان هو الباعث الأول للحدیث عن وجوه إعجاز القرآن الکریم،و قبل أن نتحدث عمّن صدر هذا القول،و من الذی تبناه و دعا إلیه،أود أن أبدأ بتعریف کلمه«الصرفه»فی اللغه و الاصطلاح،خلافا لمعظم الباحثین الذین یخوضون فی الحدیث عن الصرفه و مصدرها،دون الاستهلال بتعریفها.

الصّرفه لغه:

بفتح الصاد و تسکین الراء،یقول ابن منظور:(الصرف:رد الشیء عن وجهه صرفه یصرفه صرفا فانصرف،و صارف نفسه عن الشیء،صرفها عنه،و قوله تعالی:

ثُمَّ انْصَرَفُوا رجعوا عن المکان الذی استمعوا فیه،و قیل:انصرفوا عن العمل بشیء مما سمعوا.

صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ أی أضلهم اللّه مجازاه علی فعلهم،و صرفت الرجل عنی فانصرف،و المنصرف قد یکون مکانا،و قد یکون مصدرا،و قوله عز و جلّ:

سَأَصْرِفُ عَنْ آیاتِیَ أی أجعل جزاءهم الإضلال عن هدایه آیاتی،و صرف اللّه عنک الأذی و استصرفت اللّه المکاره،و صرف الشیء،أعمله فی غیر وجهه کأنه یصرفه عن وجه إلی وجه،و تصرف هو،و تصاریف الأمور:تخالیفها،و منه تصاریف الریاح و السحاب) (۱).

۱- لسان العرب،لابن منظور،۱۸۹/۹،و انظر:مختار الصحاح،محمد بن أبی بکر الرازی، بیروت،مکتبه لبنان ناشرون،تحقیق محمود خاطر،۱۴۱۵ ه ۱۹۹۵/۱،۱۵۲/۱،و الفائق فی غریب الحدیث،محمود بن عمر الزمخشری،بیروت،دار المعرفه،تحقیق:علی البجاوی، و محمد إبراهیم،الطبعه الثانیه،د.ت،۲۹۴/۲.

و فی«التوقیف علی مهمات التعریف»:(الصرف:بالفتح رد الشیء من حاله إلی أخری،أو إبداله بغیره و تصریف الریاح:صرفها من حال إلی حال،و منه تصریف الکلام و الدراهم،و الصریف اللبن إذا سکنت رغوته کأنه صرفت الرغوه عنه،و الصرف بالکسر:

صبغ أحمر خالص،ثم قیل لکل خالص من غیره صرف کأنه صرف عنه ما یشوبه) (۱).

الصرفه اصطلاحا:

معناها(أن اللّه صرف العرب عن معارضه القرآن،و سلب علومهم،و کان مقدورا لهم،لکن عاقهم أمر خارجی فصار کسائر المعجزات) (۲).

هذا معنی الصرفه،و لکن منشأ القول بالصرفه،و ما هی ملامح الجوّ الذی صدر عنه هذا الفکر و العوامل التی کوّنت هذا التصور فی أدمغه أصحابها؟هذا ما أوضحه الإمام محمد أبو زهره رحمه اللّه إذ یقول:(إن بعض المتفلسفین من علماء المسلمین اطلعوا علی أقوال البراهمه فی کتابهم«الفیدا»و هو الذی یشتمل علی مجموعه من الأشعار،لیس فی کلام الناس ما یماثلها فی زعمهم و یقول جمهور علمائهم:إن البشر یعجزون عن أن یأتوا بمثلها،لأن براهما صرفهم عن أن یأتوا بمثلها...و عند ما دخلت الأفکار الهندیه فی عهد أبی جعفر المنصور ثانی خلفاء بنی العباس و من والاه من حکام بنی العباس تلقف الذین یحبون کل وافد من الأفکار،و یرکنون إلی الاستغراب فی أقوالهم فدفعتهم الفلسفه إلی أن یعتنقوا ذلک القول«الصرفه»و یطبقوه علی القرآن و إن کان لا ینطبق، فقال قائلهم:إن العرب إذ عجزوا عن أن یأتوا بمثل هذا القرآن،ما کان عجزهم لأمر ذاتی من ألفاظه و معانیه و نسجه و نظمه،بل کان لأن اللّه تعالی صرفهم عن أن یأتوا بمثله،و إن رواج تلک الفکره یؤدّی إلی أمرین أولهما:أن القرآن الکریم لیس فی درجه من البلاغه و الفصاحه تمنع محاکاته و تعجز القدره البشریه عن أن تأتی بمثله،فالعجز لیس من صفات القرآن الذاتیه،و ثانیهما:الحکم بأنه ککلام الناس لا یزید علیه شیء فی بلاغته أو فی معانیه) (۳).

۱- التوقیف علی مهمات التعاریف،محمد عبد الرءوف المناوی،دمشق-بیروت،دار الفکر المعاصر،تحقیق،محمد رضوان الدایه،الطبعه الأولی، ۱۴۱۰ ه،۴۵۴/۱.

۲- الإتقان،للسیوطی،۳۱۴/۲،و البرهان،للزرکشی،۹۵/۲.

۳- المعجزه الکبری،محمد أبو زهره،ص:۷۹،و انظر:البیان فی علوم القرآن،محمد علی الحسن،بیروت،دار الفکر العربی،الطبعه الأولی،۱۹۹۸،ص:۳۹.

و قد ذهب إلى هذا القول النّظّام من المعتزله،و نسب إلى ابن المرتضى من الشيعه، و ابن سنان الخفاجى،و ابن حزم الظاهرى الأندلسى،و هؤلاء هم أبرز من قال بالصرفه،و سوف نقتصر الحديث عليهم،و عمّا قالوه فى هذا المجال تباعا.

القائلون بالصرفه:

١-النّظّام :

اشاره

١-النّظّام (١):

و هو أول من جهر بالقول بالصرفه،و هو من رءوس المعتزله،و لقد أشار الإمام أبو الحسن الأشعرى إلى مقوله النظّام فى الصرفه فى كتابه«مقالات الإسلاميين»فقال:

(و قال النظام:فأما التأليف و النظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد،لو لا أن اللّه منعهم بمنع و عجز أحدثهما فيهم) (٢).

و يحدثنا الإمام أبو منصور البغدادى فى كتابه«الفرق بين الفرق»عن النظام،و عن الظروف و العوامل التى كانت سببا فى تكوين هذا الفكر لديه،و عن طرف من معتقداته الباليه،و خاصه فى الصرفه،فيقول:(إنما كان ينظم الخرز فى سوق البصره،و لأجل ذلك قيل له«النّظام»و كان فى زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنويه،و قوما من السمنيه القائلين بتكافؤ الأدله،و خالط بعد كبره قوما من ملحده الفلاسفه،ثم خالط هاشم بن الحكم الرافضى،فأخذ عن هاشم و عن ملحده الفلاسفه قوله بإبطال الجزء الذى لا يتجزأ ثم بنى عليه قوله بالطفره التى لم يسبق إليها و هم أحد قبله،و أخذ من الثنويه قوله بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور و الكذب،و أخذ عن هاشم ابن الحكم أيضا قوله بأن الألوان و الطعوم و الروائح و الأصوات أجسام،و بنى على هذه البدعه قوله

١- ت ٢٣١ ه،إبراهيم بن سيار النظّام،إليه تنسب فرقه النظاميه،الذين قالوا:إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده فى الدنيا ما لا صلاح لهم فيه و لا أن يزيد و ينقص من عقاب و ثواب،و كونه مريدا لفعله خالقه و لفعل العبد كونه أمر به،و الإنسان هو الروح و البدن و الأعراض و الأجسام لا تبقى،و الجسم مؤلف من الأعراض،و العلم و الجهل المركب مثلان،و الإيمان و الكفر كذلك،و أن الله خلق الخلق دفعه و التقدم و التأخر فى الكون و الظهور،و نظم القرآن ليس بمعجز،و التواتر يحتمل الكذب،و الإجماع و القياس ليس بحجه و أوجبوا النص على الإمام، و ثبوته لعلى،لكن كتمه عمر.انظر:لوامع الأنوار البهيه،للسفارينى،٧٨/١،بتصرف.

٢- مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين،أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى،صيدا- بيروت،المكتبه العصريه،تحقيق،محى الدين عبد الحميد،د.ت،٢٩٦/١.

بتداخل الأجسام فی حیّز واحد،و دوّن مذاهب الثنویه و بدع الفلاسفه و شبه الملحده فی دین الإسلام و أعجب بقول البراهمه بإبطال النبوات،و لم یجسر علی إظهار هذا القول خوفا من السیف،فأنکر إعجاز القرآن فی نظمه،و أنکر ما روی من معجزات نبینا صلی اللّه علیه و سلم من انشقاق القمر،و تسبیح الحصی فی یده،و نبوع الماء من بین أصابعه،لیتوصل بإنکار معجزات نبینا صلی اللّه علیه و سلم إلی إنکار نبوته،ثم إنه استثقل أحکام شریعه الإسلام فی فروعها و لم یجسر علی إظهار دفعها،فأبطل الطرق الداله علیها،فأنکر لأجل ذلک حجه الإجماع،و حجیه القیاس فی الفروع الشرعیه...) (۱).

ثم عرض بعد هذا البغدادی سلسله طویله من انحرافاته و ضلالاته،و أسماها «بالفضائح»بسط الکلام فیما أوجزناه و أثبتناه هاهنا،و غیر البغدادی کثیر من علماء الإسلام الذین أماطوا اللثام عن زیف و وهم ما ذهب إلیه النظام،و رکّزوا علی الصرفه التی جاهر بها،من ذلک ما أورده الإمام الشهرستانی فی کتابه«الملل و النحل»إذ یقول:(إبراهیم بن سیّار النظّام قد طالع کثیرا من کتب الفلاسفه،و خلط کلامهم بکلام المعتزله،و انفرد عن أصحابه بمسائل...و ذکر ثلاثه عشر مسأله أوضح فیها ضلاله و زیفه،منها قضیه الصرفه) (۲).

و من خلال استقراء حیاه النظام یتبین لنا أنه کان شعله من الذکاء و النباهه،حتی قال فیه الجاحظ:(قد أنهج-أی للمتکلمین-لهم سبلا،و فتق لهم أمورا،و اختصر لهم أبوابا ظهرت فیها النعمه و شملتهم بها المنفعه) (۳).۴.

۱- الفرق بین الفرق،عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادی،بیروت،دار المعرفه،تحقیق، محمد محی الدین عبد الحمید،د.ت،ص ۱۳۱-۱۳۲.

۲- الملل و النحل،محمد بن عبد الکریم الشهرستانی،بیروت،دار المعرفه،تحقیق،محمد کیلانی،۱۴۰۴ ه،۵۳/۱،و انظر الفصل فی الملل و الأهواء و النحل،علی بن أحمد بن حزم الظاهری،بیروت،دار المعرفه،الطبعه الثانیه،۱۳۹۵ ه/۱۹۷۵،۶۷/۱،و انظر:عقائد الثلاث و السبعین فرقه،لأبی محمد الیمنی،المدینه المنوره،مکتبه العلوم و الحکم،تحقیق، محمد الغامدی،الطبعه الثانیه ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ ۳۳۳/۱ و انظر:معجم الفرق الإسلامیه، شریف یحیی الأمین،بیروت،دار الأضواء،الطبعه الأولی،۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶ ص ۲۵۰.

۳- الحیوان،عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ،بیروت،دار الهلال،تحقیق،یحیی الشامی، الطبعه الثالثه،۶۹/۴،۱۹۹۷.

و قال عنه الجاحظ أيضا:(و كان لا يرتاب بحديث النظّام إذا حكى عن سماع أو عيان) (۱).

و وصفه أحمد أمين (۲)بأنه(عقليه قويه سابقه لزمنها،فيها الركنان الأساسيان اللذان سببا النهضه الحديثه فى أوروبا و هما:الشك و التجربه) (۳).

لكن مع كل هذا الثناء و المديح سواء كان مبالغا فيه أم لا(لم يستخدم النظّام قدرته العقليه و طاقاته المعرفيه و الذكائيه فى خدمه الشريعه الغراء،و الكشف عن أسرارها و حكمها و شموليتها للكون و الحياه و الإنسان،بل على العكس من ذلك تماما،فقد سلط قلمه و لسانه على الشرع السمح و استهتر بقضايا الدين،و طعن فى أصول الشريعه كما طعن فى فتوى أعلام الصحابه...) (۴).

علاوه على ذلك فإنه كان منحرف السلوك،سيّئ الخلق،و هذا وصف ابن قتيبه له يقول:(وجدنا النظّام شاطرا من الشطّار،يغدو على سكر و يروح على سكر،و يبيت على جرائرها،و يدخل فى الأدناس،و يرتكب الفواحش و الشائنات،و هو القائل:

ما زلت آخذ الزقّ فى لطف و أستبيح دما من غير مجروح

حتى انثنيت و لى روحان فى جسدى و الزقّ مطّرح جسم بلا روح

ثم نجد أصحابه يعدون من خطئه قوله:إن اللّه عز و جلّ يحدث الدنيا و ما فيها،فى كل وقت من غير إفنائها...) (۵).

و قد اتفق أكثر المعتزله على تكفير النّظام كما قال البغدادى:(و قد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزله،منهم أبو الهذيل،فإنه قال بتكفيره فى كتابه المعروف«بالرد على۵.

۱- المصدر نفسه،۱۰۶/۴.

۲ - ۱۲۹۵-۱۳۷۳ ه ۱۸۷۸-۱۹۵۴،أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ،عالم بالأدب غزير الاطلاع على التاريخ،من كبار الكتاب،مولده و وفاته بالقاهره،قرأ بالأزهر و تخرج بمدرسه القضاء الشرعى،تولى الكثير من المناصب،من مؤلفاته،فجر الإسلام و ضحى الإسلام، و ظهر الإسلام،و غيرها.انظر:الأعلام،للزركلى،۱۰۱/۱ بتصرف.

۳- ضحى الإسلام،أحمد أمين،القاهره،النهضه المصريه،الطبعه السابعه،۱۱۲/۳،۱۹۶۱.

۴- انظر:الملل و النحل،للشهرستانى،۵۷/۱،و لوامع الأنوار،للسفارينى،۷۸/۱،بتصرف.

۵- تأويل مختلف الحديث،عبد الله بن مسلم بن قتيبه،بيروت،المكتب الإسلامى،تحقيق، محمد الأصفر،الطبعه الأولى،۱۹۸۹،ص ۲۵.

النظّام»،و فی کتابه علیه فی الأعراض،و الإنسان،و الجزء الذی لا یتجزأ،و منهم الجبائی،فقد کفّر النظام فی قوله:إن المتولدات فی أفعال اللّه بإیجاب الخلقه...

و منهم جعفر بن حرب فقد صنّف کتابا فی تکفیر النظّام بإبطاله الجزء الذی لا یتجزأ...

و أما کتب أهل السنه و الجماعه فی تکفیره فالله یحصیها،و لشیخنا أبی الحسن الأشعری رحمه اللّه فی تکفیر النظّام ثلاثه کتب،و للقلانسی علیه کتب و رسائل،و للقاضی أبی بکر محمد بن الطیب الأشعری رحمه اللّه کتاب کبیر فی نقض أصول النظام،و قد أشار إلی ضلالاته فی کتاب،إکفار المتأولین) (۱).

۲-الشریف المرتضی من الشیعه :

۲-الشریف المرتضی من الشیعه (۲):

و الصرفه عنده هی:أن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاجون إلیها فی معارضه القرآن و الإتیان بمثله،أی إنهم قادرون علی أن یأتوا بمثل القرآن،و ذلک بما زودوا من فصاحه و بلغه و بیان،إلاـ أنهم عاجزون عن ذلک بسبب أن اللّه سلبهم هذه العلوم التی یحتاجون إلیها لمحاکاه القرآن و الإتیان بمثله.

و هذا قوله کما نقله الرافعی (۳):(و قال المرتضی من الشیعه:معنی الصرفه أن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاج إلیها فی المعارضه لیجیئوا بمثل القرآن) (۴).

و إلیه أشار یاقوت الحموی فی کتابه«معجم الأدباء»إذ یقول:(قرأت بخط عبد اللّه ابن محمد بن سعید بن سنان الخفاجی الشاعر فی کتاب ألفه فی الصرفه،زعم فیه أن

۱- الفرق بین الفرق،للبغدادی،ص ۱۳۳.

۲- ۴۳۶-۳۵۵ ه،۹۶۶-۱۰۴۴،علی بن الحسن بن موسی بن إبراهیم أبو القاسم،من أحفاد الحسین بن علی بن أبی طالب نقیب الطالبیین و أحد الأئمه فی علم الکلام و الأدب و الشعر، یقول بالاعتزال،مولده و وفاته ببغداد،له تصانیف کثیره منها:الغرر و الدرر و یعرف بأمالی المرتضی،و الشهاب فی الشیب و الشباب،و الشافی فی الإمامه،و تنزیه الأنبیاء و الانتصار... و کثیر من مترجمیه یرون أنه هو جامع«نهج البلاغه»و من طالعه جزم بأنه مکذوب علی أمیر المؤمنین.انظر:الأعلام،للزرکلی،۲۷۸/۴،بتصرف.

۳- ۱۳۵۶-۱۲۹۸ ه،۱۸۸۱-۱۹۳۷،مصطفی صادق بن عبد الرزاق بن سعید الرافعی،عالم بالأدب،شاعر،من کبار الکتاب أصله من طرابلس الشام،و وفاته فی طنطا بمصر،له دیوان شعر،و تاریخ آداب العرب،و إعجاز القرآن و البلاغه النبویه،و غیرها من الکتب.انظر الأعلام،للزرکلی،۲۳۵/۷،بتصرف.

۴- إعجاز القرآن،للرافعی،ص ۱۴۴.

القرآن لم یخرق العاده بالفصاحه حتی صار معجزه للنبی صلی اللّه علیه و سلم و أن کل فصیح بلیغ قادر علی الإتیان بمثله،إلا أنهم صرفوا عن ذلک،لا- أن یکون القرآن فی نفسه معجز الفصاحه،و هو مذهب الجماعه من المتکلمین و الرافضه منهم بشر المریسی، و المرتضی أبو القاسم...) (۱).

و یقول السفارینی (۲):(و کان المرتضی العلوی یقول بالصرفه،یعنی أن اللّه تعالی صرف العرب عن الإتیان بمثله...) (۳).

و هکذا یتضح لنا الفرق الدقیق بین ما ذهب إلیه النظّام فی الصرفه،و ما ذهب إلیه المرتضی فالنظّام یری بأن الصرفه هی:عدم معارضتهم للقرآن مع قدرتهم علیها،لکن اللّه صرفهم عنها،أما عند المرتضی فالصرفه هی:عدم قدرتهم علی الإتیان بمثل القرآن،لأن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاجون إلیها لمحاکاه القرآن و الإتیان بمثله،بعد أن کانت متأصّله فیهم.

۳-ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری :

۳-ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری (۴):

ابن حزم ممن قال بالصرفه فی کتابه«الفصل فی الملل و الأهواء و النحل»تحت

۱- معجم الأدباء،یاقوت بن عبد الله الرومی البغدادی،بیروت،دار صادر،د.ت،۱۳۹/۳.

۲- ۱۱۱۴-۱۱۸۸ ه،۱۷۰۲-۱۷۷۴،محمد بن أحمد بن سالم السفارینی،عالم بالحدیث و الأصول و الأدب،ولد فی سفارین من قری«نابلس»و رحل إلی دمشق و أخذ عن علمائها، و عاد إلی نابلس فدرس و أفتی و توفی فیها،من کتبه:الدراری المصنوعات فی اختصار الموضوعات،و کشف اللثام شرح عمده الأحکام،و لوامع الأنوار البهیه،و غیرها.انظر: الأعلام،للزرکلی،۱۴/۶،بتصرف.

۳- لوامع الأنوار البهیه،للسفارینی،۱۷۴/۱.

۴- ۳۸۴-۴۵۶ ه،۹۹۴-۱۰۶۴،علی بن أحمد بن سعید بن حزم الظاهری عالم الأندلس فی عصره،و أحد أئمه الإسلام،کان فی الأندلس خلق کثیر ینتسبون إلی مذهبه،یقال لهم «الحزمیه»ولد بقرطبه،و کانت له و لأبیه من قبله رئاسه الوزاره،و تدبیر المملکه،فزهد بها و انصرف إلی العلم و التألیف،فکان من صدور الباحثین،فقیها حافظا یستنبط الأحکام من الکتاب و السنه بعیدا عن المصانعه و انتقد کثیرا من العلماء و الفقهاء فتمالئوا علی بغضه، و أجمعوا علی تضلیله،و حذروا سلاطینهم من فتنته،و نهوا عوامهم عن الدنوّ منه فأقصته الملوک و طاردته،فرحل إلی بادیه لبله من بلاد الأندلس،فتوفی فیها...أشهر مصنفاته:الفصل فی الملل و الأهواء و النحل،و المحلی و جمهره الأنساب،و الناسخ و المنسوخ،و حجه الوداع، و دیوان شعر.انظر:الأعلام،للزرکلی، ۲۵۴/۴،بتصرف.

عنوان:الكلام فی إعجاز القرآن،حیث یذکر عده أقوال،و العدید من المسائل فی إعجاز القرآن و یناقشها مع انتقاده لأکثرها،و هو یری(أن القرآن فی أعلی درجات البلاغه،حیث إن اللّه قد بلغ به ما أراد،فهو فی هذا المعنی فی الغایه التی لا شیء أبلغ منها،و لیس هو فی أعلی درجات البلاغه فی کلام المخلوقین،لأنه لیس من نوع کلامهم،لا من أعلاه و لا من أدناه و لا من متوسّطه...ثمّ یعلن الصرفه فیقول:فصحّ أنه لیس من نوع بلاغه الناس أصلا،و أن اللّه تعالی منع الخلق من مثله،و کساه الإعجاز،و سلبه جمیع کلام الخلق...إذ لم یقل أحد من أهل الإسلام أن کلام غیر اللّه تعالی معجز،لکن لما قاله اللّه تعالی و جعله کلاما له،أصاره معجزا،و منع من مماثلته،و هذا برهان کان لا یحتاج إلی غیره) (۱).

(و علی هذا فإن ابن حزم لا یری القرآن معجزا ببلاغته،و أن فی استطاعه الناس أن یأتوا بمثل بلاغته،مع اعترافه بأنه فی أعلی طبقات البلاغه،و نراه من جهه ثانیه یخالف طریقه المتکلمین،فهم یجعلون إعجاز القرآن وسیله إلی إثبات أنه منزل من عند اللّه و إثبات النبوه،و هو یعکس الأمر فیجعله معجزا لأنه کلام اللّه) (۲).

و للشیخ محمد أبو زهره رحمه اللّه تعقیب نفیس علی کلام ابن حزم الذی أوردناه آنفا یقول:(إن ذلک الکلام یبدو بادی الرأی غریبا من ابن حزم،و لکن المتأمل فیه یجده سائرا علی مذهبه فی نفی الرأی،و الحکم بظاهر القول من غیر تعلیل،فالاتجاه إلی تعلیل الإعجاز بأن السبب فیه بلاغته التی علت عن طاقه العرب،و التی جعلتهم یخرون صاغرین بین یدیه من غیر مراء و لا جدال یعد تعلیلا و هو من باب الرأی الذی ینفیه و التعلیل الذی یجافیه،فلا بد أن یبحث عن سبب غیر ما ذکر اللّه تعالی) (۳).

۴-ابن سنان الخفاجی :

۴-ابن سنان الخفاجی (۴):

و من الذین قالوا بالصرفه الخفاجی فی کتابه«سرّ الفصاحه»فهو یری أن أسلوب

۱- الفصل فی الملل و الأهواء و النحل،لابن حزم،۲۹/۳.

۲- فکره إعجاز القرآن،نعیم الحمصی،ص ۸۴.

۳- المعجزه الکبری،محمد أبو زهره،ص ۸۲-۸۳.

۴- ۴۶۶-۴۲۳ ه،۱۰۳۲-۱۰۷۳ م،عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجی الحلبی،شاعر، أخذ الأدب عن أبی العلاء المعری و غیره و کانت له ولایه بقلعه«عزاز»من أعمال حلب، و عصی بها،فاحتیل علیه فسمّ فمات،له دیوان شعر،و سر الفصاحه.انظر:الأعلام للزرکلی، ۱۲۲/۴،بتصرف.

القرآن لم يبعد كثيرا عن فصيح الكلام المختار من كلام العرب،و أن العرب عند ما عجزوا عن الإتيان بمثله،كان ذلك راجعا إلى أنهم سلبوا العلوم التى كانوا يتمكنون بها من معارضته...

يقول الخفاجى و هو يردّ على أبى الحسن الرمانى الذى يرى أن إعجاز القرآن راجع إلى بلاغته و فصاحته و تلاؤم نظمه...يقول: (و لا فرق بين القرآن و بين فصيح الكلام فى هذه القضيه،و متى رجع الإنسان إلى نفسه و كان معه أدنى معرفه بالتأليف المختار، وجد فى كلام العرب ما يضاهى القرآن فى تأليفه،و لعل أبا الحسن الرمانى يتخيل أن الإعجاز فى القرآن لا يتم إلا بمثل هذه الدعوى الفاسده...ثم يعلن القول بالصرفه فيقول:و إذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته،بأن سلبوا العلوم التى بها كانوا يتمكّنون من المعارضه فى وقت مرامهم ذلك) (۱).

و قد زعم السفارينى أن القاضى عياض له ميل إلى القول بالصرفه فقال:(قلت:

و فى شفاء أبى الفضل القاضى عياض بعض ميل للقول بالصرفه،فإنه قال:و ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر، و يقدرهم اللّه عليه،و لكنه لم يكن هذا،و لا يكون فمنعهم اللّه هذا و عجزهم عنه) (۲).

و الحق أن القاضى عياض لم يمل إلى الصرفه،لا من قريب و لا من بعيد،و إنما استعرض أقوال العلماء فى وجوه الإعجاز،سواء من أثبت الصرفه أو من نفاها،ثم إننا نجده قد بسط الحديث فى إعجاز القرآن،و تحديه للعرب و للناس جميعا،و ذكر آيات التحدى تباعا و أوضح بإسهاب خصائص اللغه العربيه،و ما كان عليه العرب من فصاحه و بلاغه و بيان و مع كل هذا،و القرآن يتحداهم،نجدهم عاجزين ناكصين...و هذا ما قاله القاضى عياض و هو يعرض أقوال العلماء فى وجوه الإعجاز يقول:(و قد اختلف أئمه أهل السنه فى وجه عجزهم عنه،فأكثرهم يقول:إنه ما جمع فى قوه جزالته و نصاعه ألفاظه،و حسن نظمه،و إيجازه،و بديع تأليفه و أسلوبه لا يصح أن يكون فى مقدور البشر و أنه من باب الخوارق الممتنعه عن إقدار الخلق عليها،كإحياء الموتى،۱.

۱- سر الفصاحه،عبد الله بن سنان الخفاجى الحلبى،بيروت،دار الكتب العلميه،الطبعه الأولى،۱۴۰۲ه/۱۹۸۲م،ص ۹۹-۱۰۰.

۲- لوامع الأنوار البهيه،للسفارينى،۱۷۵/۱.

و قلب العصا،و تسبیح الحصی و ذهب الشیخ أبو الحسن إلی أنه مما یمکن أن یدخل مثله تحت مقدور البشر و یقدرهم اللّه علیه،و لکنه لم یکن هذا و لا یکون،فمنعهم اللّه هذا و عجزهم عنه) (۱)،فنحن نمیل إلی الاعتقاد بأنه قد عرض القولین مجرد عرض،بل إنه قد جزم بإعجاز القرآن بالتحدی لا بالصرفه (۲).

هؤلاء هم أبرز من قال بالصرفه،بل هم الذین وضعوا التصور الواضح لمفهوم الصرفه،و یتضح لنا بعد أن تعرفنا علی ما ذهبوا إلیه أن آرائهم تتلخص بمذهبین:

أولا:النظّام و من سار علی نهجه،و هؤلاء یرون أن العرب صرفوا عن معارضه القرآن و لم یحاولوا معارضته،و لو حاولوا لاستطاعوا أن یأتوا بمثله.

ثانیا:الشریف المرتضی و الخفاجی و من سار علی نهجهما،و هؤلاء یرون أن اللّه سلب من العرب العلوم التی یحتاجون إلیها لمعارضه القرآن الکریم،و لو حاولوا معارضته لفشلوا بسبب سلب العلوم التی تمکنهم من معارضته و الإتیان بمثله.

و کلا المذهبین مردود بأدله قاطعه و واضحه،و هذا ما سیتناول فی المبحث القادم إن شاء اللّه تعالی.ه.

۱- الشفا بتعریف حقوق المصطفی،للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی بن عیاض الیحصبی، بیروت،دار الکتاب العربی،تحقیق مصطفی عطی،الطبعه الأولی،۱۹۹۰،۳۷۳/۱.

۲- و الذی یراجع ما کتبه القاضی عیاض فی هذا الصدد فی کتابه الشفا،ص:۳۷۰ و ما بعدها یجد مصداق ما قلناه.

المبحث الثانی

اشاره

نقد مذهب الصرفه

یتسنّی لنا من خلال ما بسطناه من الحدیث عن الصرفه و قائلیها،و ما تلخص لنا من مجموع ما ذهبوا إلیه أن نرکز النقد علی هذا القول الشاذ بما یلی:

أولا:الرد علی النظام و من حذی حذوه:

و الذین قالوا:إن اللّه صرف العرب عن المعارضه،و لو فکروا و حاولوا لاستطاعوا أن یأتوا بمثل هذا القرآن.

۱-بدایه نقول:یلزم من القول بالصرفه أن الإعجاز لیس ذاتیا فی القرآن،و إنما الإعجاز فی المنع أی فی غیره،و هذا القول باطل لأن اللّه سبحانه و تعالی وصف القرآن بأوصاف تدل علی أنه معجز بذاته و أول و أهم هذه الأوصاف أنه قد تحداهم أن یأتوا بمثله،کما قال تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً (۱)و أیضا قوله تعالی: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۲)و قوله جلّ ثناؤه: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۳)،فقد قرر سبحانه و تعالی فی الآیه الأولی أن الإنس و الجن مهما تضافرت قواهم،و تآزرت جهودهم لیعارضوه لم و لن یستطیعوا أن یأتوا و لو بسوره من مثله،فلو کان الإعجاز بالصرفه کما یقولون لاقتضی سیاق الخطاب أن یأتی هکذا«لو اجتمع الإنس و الجن علی أن یأتوا بمثله لصرفهم اللّه عن ذلک»و لکن لم یرد مثل هذا أبدا، بل إن الحق جعل التحدی فی الإعجاز بالقرآن ذاته لا بالمنع و الصرف...

۱- سوره الإسراء،الآیه:۸۸.

۲- سوره البقره،الآیه:۲۳.

۳- سوره هود،الآیه:۱۳.

کـذلک فـإن الآـیه الثـانیه و الثالثه،تـدلان علی أن القرآن معجز بـذاته لا بغیره،و ذلک لأن اللّه جل جلاله أودع فیه من المزایا و الصـفات الساميه،التی لا یمکن أن یصل إلی مستواها طوق أحـد من الخلق لیعارضـها و لیجاریها،و من هنا کان التحدی بالقرآن نفسه و نسـتبین ذلک من أن القرآن سلسل آیات التحدی لهم،و سفّه عقولهم و أثار حمیتهم،فلو کان الإعجاز بالصرفه،لما عرض آیات التحدی،إنما کان یکفیه أن یقول لهم:إن دلیل صدقی هو منعکم عن المعارضه،فالمعجزه تکون نفس المنع عن المعارضـه و لیس القرآن و لکننا نجـد أن الحق عرض آیات التحـدی تباعا بصوره جازمه علی أن المتحدی به هو القرآن ذاته،و أنه المعجز لمزایا أودعها فی ذاته،و لیست هذه الصفات خاصه عنه.

۲-وردت آیات کثیره تدل علی أن القرآن معجز بذاته،و ذلک بسبب قوه تأثیره فی النفوس و هیمنته علی الأفئده،و من أجل هذا کـان الکفره یهمس بعضـهم فی البعض لئلا یصـغوا إلی القرآن حتی لا یسـحرهم جماله و بیانه،قال تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَغْلِبُونَ (۱)کما أن القرآن کان له تأثیر عجیب فی نفوس المسـلمین الخاشـعین و إلی هذا یشیر مولانا تبارک و تعالی: اَللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِینُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلی ذِکْرِ اللّهِ ذلِکَ هُدَی اللّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۲).یقول الشیخ محمد أبو زهره:(إن العرب عنـد ما تلقوا القرآن راعهم بیانه،و أثار إعجابهم أسلوبه و عباراته، و قالوا:ما رأینا مثله شـعرا و لا نثرا،فکان العجز لذاته،لا لشـیء خـارج عنه،و ما لنا نفترض ما لم یقولوا،و ما لم یفعلوا،و ما لم یقـدروا،إلا أن یکون ذلک تمویها و إنکارا للواقع المسـتقر بفرض وهمیّ...و أیضـا فـإنه لو کـان العجز لأـمر خـارجی لاـ لأمر ذاتی فیه،بأن تکون عنـدهم القـدره علی أن یأتوا بمثله و لکن صرفوا،فـإن ذلـک یقتضـی أن یثبت أولاـ أنهم قـادرون علی مثله،و هم أولا قـد نفوا ذلک عن قـدرهم،و لیس لنا أن نفرض لهم قدره قد نفوها عن أنفسـهم،و لو کانوا قادرین لکان من کلامهم قبل نزول القرآن علیهم و ما یکون متماثلا فی نسـقه و نسـجه،و لهم مثل رنینه و صوره البیانیه فی شعر۳.

۱- سوره فصلت،الآیه:۲۶.

۲- سوره الزمر،الآیه:۲۳.

أو نثر،و لكن المتتبع للمأثورات العربيه فى الجاهليه و الإسلام لا يجد فيها ما يقارب القرآن فى ألفاظه أو معانيه أو صوره البيانيه) (۱).

۳-و أما الرد على النظّام و من معه فإنا نقول:(كيف يصح القول أن همتهم لم تتجه للإتيان بمثل القرآن،و هم الذين لم يتركوا سبيلا- للقضاء على دعوه محمد صلى اللّه عليه و سلم و سلكوا كل طريق شاق،و حاربوه و ناوءوه و قاطعوه،و آذوه مع إبطاله لمعتقداتهم،و إثارته لحفيظتهم،و استفزازه لمشاعرهم،و إلهابه لغيرتهم و أصاب موضع عزتهم و فخارهم، و قد مكّنهم من نفسه لو استطاعوا فدعاهم و تحداهم أن يأتوا بمثل سوره من القرآن و لو كان فيهم أدنى قدره،أو عرفوا أحدا يملكها فى أقصى الأرض لبعثوا إليه كما بعثوا لليهود يسألونهم عمّا يسألون محمدا صلى اللّه عليه و سلم عنه ليحرجوه،فلا يصح بعد هذا أن يقال:إن همتهم لم تتجه للإتيان بمثله) (۲).

ثم إن أول من رد على النظّام تلميذه الجاحظ،و الجاحظ كما نعلم معتزلى،و لكنه كان حافلا بالصياغه اللغويه،و ممن يجعلون لصفاء العباره و رونقها شأنا فى البلاغه، كذلك هو كما وصفه ابن النديم فى الفهرست:(بأنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان حتى إنه كان يكترى دكاكين الوراقين و يثبت فيها للنظر) (۳).

و ها هو ذا الجاحظ يتحدّث عن إعجاز القرآن و نظمه و أسلوبه البيانى،رادّا فى ذلك على أستاذه النظّام يقول:(بعث اللّه محمدا أكثر ما كانت العرب شاعرا و خطيبا، و أحكم ما كانت لغه،و أشد ما كانت عدّه،فدعا أقصاها و أدناها إلى توحيد اللّه و تصديق رسالته فدعاهم بالحجه،فلما قطع العذر و أزال الشبهه و صار الذى يمنعهم من الإقرار الهوى و الحميّه دون الجهل و الحيره،حملهم على حظّهم بالسيف،فنصب لهم الحرب و نصبوا له و قتل من عليتهم و أعلامهم و أعمامهم و بنى أعمامهم،و هو فى ذلك۲.

۱- المعجزه الكبرى،لمحمد أبو زهره،ص:۸۳.

۲- دراسات فى علوم القرآن الكريم،د.فهد الرومى،الرياض،مكتبه التوبه،الطبعه السابعه، ۱۴۱۹ ه‍ ۱۹۹۸/،ص ۲۷۴،و انظر روح المعانى و السبع المثانى،محمد الألوسى أبو الفضل بيروت،دار إحياء التراث العربى،د.ت،۲۹/۱.

۳- الفهرست،محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم،بيروت،دار المعرفه،۱۳۹۸ ه‍ ۱۹۷۸/،۱/ ۱۶۹،و انظر:أبجد العلوم فى بيان أحوال العلوم،صديق بن حسن القنوجى،بيروت،دار الكتب العلميه،تحقيق،عبد الجبار زكار،۲۶۰/۲،۱۹۷۸.

يحتجّ عليهم بالقرآن و يدعوهم صباحا و مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسوره.

واحده أو بآيات يسيره فكلما ازداد تحديا لهم بها و تقريعا لعجزهم عنها،تكشّف من نقصهم ما كان مستورا و ظهر منه ما كان خفيا،فحين لم يجدوا حيله و لا حجه قالوا له:

أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف،فلذلك يمكنك ما لا يمكننا،قال فهاتوها مفتريات،فلم يرم ذلك خطيب و لا طمع فيه شاعر و لا طمع فيه لتكلفه،و لو تكلفه لظهر ذلك،و لو ظهر لوجد من يستجيده و يحامى عليه و يكايد فيه،يزعم أنه قد عارض و قابل و ناقض،فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثره كلامهم،و استحاله لغتهم،و سهوله ذلك عليهم،و كثره شعرائهم،و كثره من هجاه منهم،و عارض شعراء أصحابه و خطباء أمته،لأن سوره واحده و آيات يسيره كانت أنقض لقوله و أفسد لأمره و أبلغ فى تكذيبه و أسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس و الخروج من الأوطان و إنفاق الأموال،و هذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش و العرب فى الرأى و العقل بطبقات،و لهم القصيد العجيب و الرجز الفاخر،و الخطب الطوال البليغه و القصار الموجزه،و لهم الأسجاع و المزدوج،و اللفظ المنثور ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم،فمحال-أكرمك اللّه-أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر و الخطأ المكشوف البين،مع التقريع بالنقص و التوقيف على العجز،و هم أشد الخلق أنفه،و أكثرهم مفاخره،و الكلام سيد عملهم،و قد احتاجوا إليه و الحاجه تبعث على الحيله فى الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعه،و كما أنه محال أن يطبقوا ثلاثا و عشرين سنه على الغلط فى الأمر الجليل المنفعه،فكذلك محال أن يتركوه و هم يعرفونه و يجدون السبيل إليه و هم يبذلون أكثر منه) (۱).

(ذلك هو رأى الجاحظ فى إقامه الحجّه على وقوع الإعجاز بالقرآن،و هو رأى كما ترى تقوم بين يديه حجج مشرقه،و أدله قاطعه و إن أكثر الذين أقاموا الحجه على إعجاز القرآن من هذا الوجه إنما نظروا إلى رأى الجاحظ هذا،و اعتمدوا عليه،و داروا حوله) (۲).

۴-و يرد الزرقانى ردا دقيقا على من قال بالصرفه،و ذلك بعد ما عرض شبهه القائلين بها و بدأ بتفنيدها فقال:(...فينقضه الواقع التاريخى أيضا،و دليلنا على هذا ما۴.

۱- انظر:الإتقان،للسيوطى،۳۱۳/۴-۳۱۴.

۲- الإعجاز فى دراسات السابقين،عبد الكريم الخطيب،ص:۱۶۴.

تواترت به الأنباء من أن بواعث العرب إلى المعارضه قد وجدت سبيلها إلى نفوسهم، و نالت منالها من عزائمهم،فهبوا هبّه رجل واحد يحاولون القضاء على دعوه القرآن بمختلف الوسائل فلم يتركوا طريقا إلا سلكوه،و لم يدعوا بابا إلا دخلوه،لقد آذوه و آذوا أصحابه فسبوا من سبوا،و عذّبوا من عذبوا،و قتلوا من قتلوا،و لقد طلبوا إلى عمه أبى طالب أن يكفه و إلا نازلوه و إياه،و لقد قاطعوه و قاطعوا أسرته الكريمه،لا يبيعون لهم و لا يبتاعون،و لا يتزوجون منهم و لا يزوجون،و اشتد الأمر حتى أكلت الأسره الكريمه ورق الشجر و لقد فاوضوه أثناء هذه المقاطعه التى تلين الحديد مفاوضات عده،و عرضوا عليه عروضا سخيه مغريه،منها أن يعطوه حتى يكون أكثرهم مالا،و أن يعقدوا له لواء الزعامه فلا يقطعوا أمرا دونه،و أن يتوجوه ملكا عليهم إن كان يريد ملكا،و أن يلتمسوا له الطب إن كان به مس من الجن،كل ذلك فى نظير أن يترك هذا الذى جاء به،و لما أبى عليهم ذلك،عرضوا عليه أن يهادنهم و يداهنهم فيعبد آلهتهم سنه و يعبدون إلهه سنه،فأبى أيضا،و نزل قول اللّه: قُلْ أَ فَغَيْرَ اللّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ (۱)و نزلت كذلك سوره الكافرون،و لقد اتهموه مره بالسحر و أخرى بالشعر و ثالثه بالجنون و رابعه بالكهانه،و كانوا يتعقبونه و هو يعرض نفسه على قبائل العرب أيام الموسم،فيبهتونه و يكذّبونه أمام من لا يعرفونه،و لقد شدّوا وطأتهم على أتباعه حتى اضطروهم أن يهاجروا من وطنهم و يتركوا أهلهم و أولادهم و أموالهم فرارا إلى اللّه بدينهم،و لقد تآمروا على الرسول صلى اللّه عليه و سلم أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه لو لا أن حفظه اللّه و حماه من مكرهم،و أمره بالهجره من بينهم،و لقد أرسلوا إليه الأذى بعد ذلك فى مهاجره،فنشبت الحرب بينه و بينهم فى خمس و سبعين موقعه،منها سبع و عشرون غزوه،و ثمان و أربعون سريه،فهل يرضى عاقل لنفسه أن يقول بعد ذلك كله إن العرب كانوا مصروفين عن معارضه القرآن و نبى القرآن،و إنهم كانوا مخلدين إلى العجز و الكسل زاهدين فى النزول إلى هذا الميدان،و هل يصح مع هذا كله أن يقال:إنهم كانوا فى تشاغل عن القرآن غير معنيين به و لا آبهين له،و إذا كان أمر القرآن لم يحركهم و لم يسترع انتباههم فلما ذا كانت جميع هذه المهاترات و المصاولات مع أن خصمهم الذى يزعمون خصومته قد قصر لهم المسافه،و دلهم على أن سبيلهم إلى إسكاته هو أن يأتوا بمثل أقصر سوره مما جاءهم به،أ ليس ذلك دليلا ماديا على أن قعودهم عن۱.

۱- سوره الزمر،الآيه:۶۱.

معارضه القرآن ليست إلا- بسبب شعورهم بعجزهم عن هذه المعارضه و اقتناعهم بإعجاز القرآن،و إلا فلما ذا آثروا الملاكمه على المكالمه،و المقارعه بالسيوف على المعارضه بالحروف) (۱).

۵-كما أن الزركشى يورد ردا هاما فى هذا الصدد،لأنه يعتبر القول بالصرفه قولا فاسدا لأن القول بالصرفه هو(زوال الإعجاز بزوال زمان التحدى،و خلوّ القرآن من الإعجاز و فى ذلك خرق لإجماع الأمه،فإنهم أجمعوا على بقاء معجزه الرسول صلى اللّه عليه و سلم العظمى،و لا معجزه له باقيه سوى القرآن،و خلّوه من الإعجاز يبطل كونه معجزه) (۲).

هذه مجموعه من الردود الموجزه على النظّام و من تبعه،و قد تبين من خلال استعراضها بطلان القول بالصرفه التى زعمها هذا الفريق،و أما بالنسبه للرد على الفريق الثانى الذى يتمثل بالمرتضى و من تبعه،فهاك هو:

ثانيا:الرد على المرتضى و من شايعه:

فهؤلاء زعموا أن اللّه سلب من العرب العلوم التى يحتاجونها فى معارضه القرآن و يتلخّص الرد عليهم بما يلى:

۱-نقول:(و هل انحطت علومهم و عقولهم بعد التحدى كما كانت عليه قبل التحدى؟!إننا إذا قارنا بين أساليبهم فى الكلام قبل بعثه محمد صلى اللّه عليه و سلم و بعد البعثه،لم نجد تفاوتا بين أساليبهم،و على هذا الزعم كان ينبغى أن تسفّه أساليبهم بعد التحدى،و لو أن العلوم سلبت منهم فلما ذا لم يلجئوا إلى كلام فصحائهم من القدماء الذين لم يحضروا عصر التنزيل،و لم تسلب منهم العلوم،فيأتوا بقطعه شعريه أو خطبه محفليه فيعارضوا بها القرآن؟و لما ذا لم ينطقوا بهذا السلب و يشيعوا بأنهم سلبوا علومهم فلا- يقدرون على معارضه القرآن؟و لا- يقال:إن ذلك سيكون حجّه عليهم ملزمه لهم لتصديقه،لأن باب الافتراء كان مفتوحا عندهم،فكانوا يستطيعون أن يدّعوا أن علومهم

۱- انظر:مناهل العرفان،للزرقانى،۳۰۲/۲ و انظر:الإتقان،للسيوطى،۳۱۴/۲-۳۱۵، و انظر:تفسير القرآن العظيم،للإمام ابن كثير،۶۳/۱.

۲- البرهان فى علوم القرآن،للزركشى،۹۵/۲، و ۱۲۳/۲،و انظر:البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن،كمال الدين عبد الواحد الزملكانى،بغداد،مطبعه العانى،تحقيق،أحمد مطلوب و خديجه الحديثى،الطبعه الأولى،۱۳۹۴ ه/۱۹۷۴م،ص:۵۳ و ما بعدها.

سلبت بطريق السحر كما افتروا:إن تأثير القرآن على الأنفس إنما هو من قبيل السحر) (۱).

۲-ثم إن قوله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۲)ففى الآيه دليل على أن عجزهم كان مع وجود قدرتهم،و إلا فهل يمكن أن يستقيم التحدى و يتمّ مع المنع و العجز،و كذلك فإن إشاره الآيه إلى المظاهره و المعاونه دليل آخر على تكاتف القوى،و تآزر الجموع،و هل يكون هـذا إلا مع بقاء القدره،و فى نفس الوقت دليل على العجز مع القدره،فلو سلبت منهم العلوم كما يزعم المرتضى لما صحّ البته التحدى لا عقلا و لا شرعا.

۳-ثم إن(استعظام العرب لفصاحه القرآن و بلاغته،و تعجبهم من ذلك لهو دليل على بطلان الصرفه،فلو كانوا مصروفين عن المعارضه بنوع من الصرف لكان تعجّبهم للصرف لا للبيان المعجز و كلامهم قبله،كالفرق بين كلامهم بعد التحدى و بين القرآن، و لمّا لم يكن كذلك بطل القول بالصرفه) (۳)،و التاريخ يثبت أن العرب أبدا لم تفقد عقولهم بعد التحدى،لأن سلب العلوم وقت التحدى يؤدى إلى زوال العقول و إلى الجنون،و لكنّ شيئا من هذا لم يحدث أبدا،بل بقيت العقول بعد التحدى كما كانت قبله،و كذلك العلوم.

۴-و نجد أن للآلوسى فى«روح المعانى»ردا على المرتضى مختصرا و معبرا يقول:

(و هو خاص بمذهب المرتضى أنه لو كان الإعجاز بفقدهم العلوم لتناطقوا به،و لو تناطقوا لشاع إذ العاده جاريه بالتحدث بالخوارق فحيث لم يكن،دلّ على فساد الصرفه بهذا الاعتبار و استدل بعضهم على فساد القول بها بقوله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۴)فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرهم،و لو سلبوا القدره لم تبق فائده لاجتماعهم،لأنه بمنزله اجتماع الموتى،و ليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره) (۵).۱.

۱- مباحث فى إعجاز القرآن،مصطفى مسلم،ص:۶۰.

۲- سوره الإسراء،الآيه:۸۸.

۳- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن،محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى ابن القيم،بيروت،دار الكتب العلميه،الطبعه الأولى، ۱۴۱۵ ه ۱۹۹۴م،ص:۳۸۶.

۴- سوره الإسراء،الآيه:۸۸.

۵- روح المعانى،للآلوسى،۳۰/۱.

۵-و بالنسبه لزعم هذا الفریق بأن علوم العرب سلبت،یشیر الدکتور مصطفی مسلم إلی لفته هامه هاهنا فیقول:(و إن کان القرآن غیر معجز بشیء ذاتی فیه،و إنما لم یعارضه العرب بصرف دواعیهم عن المعارضه،أو بسلب العلوم منهم،فهل أحسّ النظّام و المرتضی بما وصفوا العرب به من صرف و سلب؟فلما ذا لم یأتیا بمعارضه للقرآن،و کان النظّام من الأذکیاء و الماهرین کما یشهد له تلمیذه الجاحظ،و المرتضی مشهود له أنه کان من فرسان البلاغه و البیان) (۱).و یذیّل هذا المبحث باستدراکین هامین حول نقد مذهب الصرفه،الأول للباقلانی و الثانی للجرجانی،یقول الباقلانی:

(و مما یبطل ما ذکروه من القول بالصرفه،أنه لو کانت المعارضه ممکنه و إنما منع منها الصرفه،لم یکن الکلام معجزا و إنما یکون المنع معجزا،فلا یتضمن الکلام فضیله علی غیره فی نفسه) (۲).

و یقول الجرجانی:(...ثم إن هذه الشناعات التی تقدّم ذکرها،تلزم أصحاب الصرفه أیضا و ذلک أنه لو لم یکن عجزهم عن معارضه القرآن،و عن أن یأتوا بمثله لأنه معجز فی نفسه،لکان لأن أدخل علیهم العجز عنه،و صرفت هممهم و خواطرهم عن تألیف کلام مثله،و کان حالهم علی الجمله حال من أعدم العلم بشیء قد کان یعلمه، و حیل بینه و بین أمر قد کان یتسع له،لکان ینبغی ألا یتعاظمهم،و لا یکون منهم ما یدل علی إکبارهم أمره و تعجبهم منه،و علی أنه قد بهرهم،و عظم کل العظم عندهم،و لکان التعجب للذی دخل من العجز علیهم،و لما رأوه من تغیر حالهم،و من أن حیل بینهم و بین شیء قد کان علیهم سهلا،و أن سد دونه باب کان لهم مفتوحا،أ رأیت لو أن نبیا قال لقومه:إن آیتی أن أضع یدی علی رأسی،و کان الأمر کما قال،ممّ یکون تعجب القوم؟أ من وضعه یده علی رأسه،أم من عجزهم أن یضعوا أیدیهم علی رءوسهم) (۳).

و فی خاتمه المبحث یتضح أن الذی ذهب إلی القول بالصرفه،إنما هو إنسان ماکر مخادع،جاف فی تذوقه لمعانی القرآن العذبه،ذلک لأن من قرأ القرآن بحسه و روحه، و عقله و فکره وجد نفسه یعیش فی روضه من ریاض الجنه،و یشعر أن کلام الحق یثیر فی۳.

۱- مباحث فی إعجاز القرآن،مصطفی مسلم،ص:۶۰،و انظر:مباحث فی علوم القرآن،منّاع القطان،الریاض،مکتبه المعارف الطبعه الأولی،۱۴۱۳ ه ۱۹۹۲/،ص:۲۶۹.

۲- إعجاز القرآن،للباقلانی،ص:۵۸.

۳- دلائل الإعجاز،للجرجانی،ص:۳۷۳.

أقاصی نفسه مشاعر الحب و الولاء للّه تبارک و تعالی،فضلا عما یساور نفسه من نشوه یجد متعتها و هو یتلو القرآن الکریم...

زیاده علی ذلک فقد صدق من قال:رب ضارّه نافعه،نعم فلقد کان للقول بالصرفه أثر واضح فی دفع العلماء للرد علیه،و ذلک من خلال الاتجاه إلی البحث و الکتابه و التألیف فی میادین البلاغه القرآنیه،و الکمّ الکبیر من کتب البلاغه الذی نراه الیوم، إنما کان انعکاسا واضحا للمجهود الذی قدمه السلف الصالح،و هم یردون علی القول بالصرفه،و ذلک من خلال دراسه أسرار الإعجاز فی کتاب اللّه تعالی،و التأمل فی أسلوبه البیانی،و إیقاعه النفسی...فکانت هذه الکتب ثروه ذخرت بها المکتبه العربیه و الإسلامیه،و یعتقد أن أحدا من الناس الیوم لا یمکن أن یجرؤ علی القول بالصرفه أو ینادی به،لأن من نادی به قدیما إنما تذرع بفکره عدم معارضته من الناحیه البیانیه،أما الیوم،و بعد انکشاف أسرار الکون،و الکشف عن غوامضه و خفایاه،و وقوف العلماء علی الإعجاز العلمی الذی یبرهن علی أن ما توصل إلیه علماء الیوم من کثیر من الحقائق الکونیه،کان القرآن الکریم قد سبقهم لتسطیر أسسها و تسجیل قواعدها قبل أکثر من أربعه عشر قرنا من الزمن و الدارس لهذا الجانب العلمی من القرآن الکریم بدقه و أناه لا بد إلا و أن یطأطأ الرأس إجلالا و إخباتا لعظمه هذا الکتاب،علی أننا نؤکد أن الجانب البیانی إنما هو معجز أبد الدهر و أنه الرباط العام لکل مناحی و أوجه الإعجاز فی کتاب اللّه...

فالقول بالصرفه وهم لا یستند إلی دلیل أو برهان،بل هو مردود بأدله نقلیه و أخری عقلیه کما ورد ذلک فی ثنایا البحث،کما أنه مردود بتکذیب الواقع التاریخی له،و الذی أوضح سفور الصرفه و بطلانها....و بإمکاننا الآن و قد طوینا ملف الصرفه و نقدها، أن ننتقل لموضوع أشمل من هذا،ألا و هو:أوجه إعجاز القرآن،و الذی سیدرس فی المبحث القادم إن شاء اللّه تعالی.

المبحث الثالث

اشاره

أوجه إعجاز القرآن

اتضح من خلال المباحث السابقه،أن القرآن الكريم معجزه الدهر،و أن العرب قد خضعوا لسلطانه،و أقروا بإعجازه،و اعترفوا أنهم قاصرون عن مطاولته، و أنهم عاجزون عن الإتيان بأقصر سوره من مثله،ثم إن هذا الإعجاز نابع من ذاته، و ليس بسبب خارجی عنه...و إذا كان شأن إعجاز القرآن هذا،فلما ذا نجد أن العلماء اختلفوا قديما و حديثا فی تحديد وجوه إعجاز القرآن و الجهات التی منها كان الإعجاز؟.

القرآن معجز،نعم،و لا خلاف فی ذلك أبدا،لما دلت عليه البراهين الواضحه، و الدلائل الساطعه،التی سيقت لإشباع الحديث عن إعجاز القرآن،و لكن لسائل أن يتساءل فيقول:من أیّ جهه يمكن لنا أن نقف على إعجاز القرآن؟.

هل من جهه أسلوبه و دقه عبارته و كلامه؟

و لما ذا؟و كتاب اللّه لم ينـدّ على قواعد اللغه العربيه،و لا على تركيب عبارات و جمل و أساليب الكلام العربی الذی استخدموه فيما بينهم،و أقروه على أنه لغه الخطاب المستعمله فيما بينهم؟.

أم أن الإعجاز جاء من جهه ألفاظه؟

و لما ذا؟و القرآن كانت صياغته من نفس الألفاظ التی يستخدمها العرب فی صياغه خطبهم و أشعارهم و مدائحهم و قصائدهم،و أفانين الكلام الجذّاب لديهم؟.

أم أن الإعجاز جاء من جهه المعانی التی تضمنها القرآن الكريم؟

اشاره

و لما ذا؟و هل كانت المعانی التی ارتكزت عليها آيات القرآن غريبه على العرب...؟عند ما يتحدث القرآن عمّا سلف من قصص الأمم الغابره،و ما جرى لتلك الشعوب البائده،فهل يصعب على العربی فهم القصه و مغزاها و محتواها؟و عند ما

يتحدث عن التربيه و التهذيب فی الأخلاق و السلوک و المعاملات،فهل يتعسّر علی العربی فهم هذه الأخلاقيات المطروحه و المعروفه؟.

و هکذا عند ما يتحدث عن باقی الجوانب الحياتيه و التشريعيه و غيرهما،فإن العرب کانوا بسليقتهم الصافيه يدرکون و بسهوله کل هذه المعانی القرآنيه...

من أين جاء الإعجاز إذن؟إن القرآن لم يبعد عن کلام العرب و لغتهم،و الماده التی يتألف منها کلامهم؟

هذا ما يطوف فی أذهان کثير من الناس،و لکن يقرر أن القرآن معجز...إنّه معجزه خالده،مع کل ما ذکر،فإن العرب قد عجزوا عن الإتيان و لو بأقصر سوره من مثله.

و لهذا الذی ذکر،فإن العلماء قديما و حديثا انکبّوا علی دراسه القرآن،و الکشف عن أسراره و وجوه الإعجاز فيه،فاتجهت أبحاثهم و دراساتهم الغزيره لکی يقفوا علی السر الذی به کان القرآن معجزه کبری،و تبوّأ مکانه ساميه و عظيمه تنزوی لديه الرقاب، و تقصر عن مطاولته النفوس و الطمع للوصول إلی عشر معشاره همم جهابذه الناس،مع أنه کلام من جنس کلامهم...

و راح العلماء يکتبون فی وجوه إعجاز القرآن،فمن الذين أفاضوا الحديث عن إعجاز القرآن الإمام«الباقلانی»فی کتابه«إعجاز القرآن» (۱)،و الإمام البلاغیّ الکبير «عبد القاهر الجرجانی»فی کتابه«دلائل الإعجاز» (۲)،و کذلک القاضی«عياض»فی کتابه القيّم«الشفا بتعريف حقوق المصطفی» (۳)فقد تحدث عن وجوه إعجاز القرآن، و الإمام«القرطبی»و غيرهم...و من المعاصرين الذين تحدثوا عن وجوه إعجاز القرآن،حجه الأدب فی العصر الحديث«مصطفی صادق الرافعی»،فی کتابه«إعجاز القرآن» (۴)،و قد أفرد الشهيد«سيد قطب»کتابا کاملا تحدث فيه عن وجه واحد من وجوه إعجاز القرآن هو«التصوير الفنی فی القرآن الکريم» (۵)،و غير هؤلاء کثير ممن جنّدوا أقلامهم،و أسهروا ليلهم ليقعوا علی أسرار وجوه الإعجاز فی کتاب اللّه تعالی.۷.

۱- إعجاز القرآن،محمد بن الطيب الباقلانی.

۲- دلائل الإعجاز فی علم المعانی،للإمام البلاغی عبد القاهر الجرجانی.

۳- الشفا بتعريف حقوق المصطفی،للقاضی أبی الفضل عياض بن موسی اليحصبی.

۴- إعجاز القرآن و البلاغه النبويه،لمصطفی صادق الرافعی.

۵- التصوير الفنی فی القرآن الکريم،لسيد قطب،القاهره،دار الشروق،۱۹۹۷.

و سيقتصر الحديث على رأى اثنين من العلماء فى وجوه الإعجاز،ثم يبين الراجح من مذاهبهم مع تعقيب و نقد و مناقشه لكل مذهب على حده،ثم أقرر و أعدد تعدادا ما قد ألهمنى اللّه إياه فى تحديد أوجه إعجاز القرآن الكريم.

أولا-وجوه إعجاز القرآن كما حددها الإمام الباقلانى :

أولا-وجوه إعجاز القرآن كما حددها الإمام الباقلانى (١):

ذهب الإمام الباقلانى فى تحديده لأوجه إعجاز القرآن إلى ثلاثه أوجه و هى:

(أ-يتضمن الإخبار عن الغيوب،و ذلك مما لا يقدر عليه البشر،و لا سبيل إليه،ثم أنه قد أدرج تحت هذا البند نوعين من إعجاز القرآن و هما:غيب المستقبل،و الوفاء بالوعد،و ساق طائفه من الأمثله التى تدل على ما ذهب إليه.

ب-ذكر فى هذا الوجه الثانى،ما يدل على أن القرآن أخبر عن غيوب ماضيه،علما أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم كان أميا لا يكتب و لا يحسن أن يقرأ.

ج-فى الوجه الثالث تحدث عن القرآن من حيث أنه بديع النظم،عجيب التأليف، متناه فى البلاغه إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه،ثم إنه قد فصّل الوجه الثالث فى عشره نقاط نذكرها هنا كما أوردها هو رحمه اللّه تعالى.

يقول:منها ما يرجع إلى الجمله و ذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه و تباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم،و مباين للمألوف من ترتيب خطابهم،و له أسلوب يختص به و يتميز فى تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد،و ذلك أن الطرق التى يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه،ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفّى،ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع،ثم إلى معدل موزون غير مسجع،ثم إلى ما يرسل إرسالا فتطلب فيه الإصابه و الإفاده و إفهام المعانى المعترضه على وجه بديع و ترتيب لطيف،و إن لم يكن معتدلا فى وزنه و ذلك شبيه بجمله الكلام الذى لا يتعمل فيه،و لا يتصنع له،و قد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه،و مباين لهذه الطرق،و يبقى علينا أن نبين أنه ليس من

١- ت ۴٠٣ ه،القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى،ولد فى البصره،و توفى فى بغداد،من كبار العلماء فى علوم القرآن و صاحب كتاب«إعجاز القرآن»الذى يعتبر من أبرز و أهم المراجع فى الإعجاز.طبقات المفسرين،للأدنهوى ،۴٣٩/١،و انظر مقدمه الشيخ محمد سكر لكتاب:إعجاز القرآن،للباقلانى،ص:٧،بتصرف.

باب مسجع،و لا فيه شیء منه و كذلك ليس من قبيل الشعر،لأن من الناس من زعم أنه كلام السجع،و منهم من يدعى فيه شعرا كثيرا و الكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع، فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم و أساليب خطابهم،أنه خارج عن العاده،و أنه معجز و هذه خصوصيه ترجع إلى جمله القرآن،و تميز حاصل فى جميعه.

و منها:أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحه و الغرابه و التصرف البديع، و المعانى اللطيفه و الفوائد الغزيره،و الحكم الكثير،و التناسب فى البلاغه،و التشابه فى البراعه على هذا الطول و على هذا القدر،و إنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدوده، و ألفاظ قليله،و إلى شاعرهم قصائد محصوره يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال، و يعترضها ما نكشفه من الاختلاف،و يشملها ما نبديه من التعمل و التكلف و التجوز و التعسف،و قد حصل القرآن على كثرته و طوله متناسبا فى الفصاحه على ما وصفه اللّه تعالى به فقال عز من قائل: اَللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللّهِ ذلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۱)و قوله: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (۲)فأخبر سبحانه أن كلام الآدمى إن امتد وقع فيه التفاوت و بان عليه الاختلال،و هذا المعنى هو غير المعنى الأول الذى بدأنا بذكره فتأمله تعرف الفصل.

و فى ذلك معنى ثالث و هو:أن عجيب نظمه و بديع تأليفه لا يتفاوت و لا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التى يتصرف فيها من ذكر قصص و مواعظ و احتجاج،و حكم و أحكام،و إعذار و إنذار،و وعد و وعيد و تبشير و تخويف،و أوصاف و تعليم أخلاق كريمه،و شيم رفيعه،و سير مأثوره و غير ذلك من الوجوه التى يشتمل عليها،و نجد كلام البليغ الكامل و الشاعر المفلق و الخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور،فمن الشعراء من يجود فى المدح دون الهجو،و منهم من يبرز فى الهجو دون المدح،و منهم من يسبق فى التقريظ دون التأبين،و منهم من يجود فى التأبين دون التقريظ...و متى تأملت شعر الشاعر البليغ،رأيت التفاوت فى شعره على حسب۲.

۱- سوره الزمر،الآيه:۲۳.

۲- سوره النساء،الآيه:۸۲.

الأحوال التی یتصرف فیها،فیأتی بالغایه فی البراعه فی معنی،فإذا جاء إلی غیره قصر عنه،و وقف دونه،و بان الاختلاف علی شعره و قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جمیع ما یتصرف فیه من الوجوه التی قدمنا ذکرها علی حد واحد فی حسن النظم،و بدیع التألیف و الرصف،لا تفاوت فیه و لا انحطاط عن المنزله العلیا،و لا إسفاف فیه إلی الرتبه الدنیا،و کذلک قد تأملنا ما یتصرف إلیه وجوه الخطاب من الآیات الطویله و القصیره، فرأینا الإعجاز فی جمیعها علی حد واحد لا یختلف.

و معنی رابع و هو:أن کلام الفصحاء یتفاوت تفاوتا بیّنا فی الفصل و الوصل،و العلو و النزول و التقریب و التبعید،و غیر ذلک مما ینقسم إلیه الخطاب عند النظم و یتصرف فیه القول عند الضم و الجمع،أ لا ترى أن کثیرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنی إلی غیره،و الخروج من باب إلی سواه،حتی إن أهل الصنعه قد اتفقوا علی تقصیر البحتری مع جوده نظمه و حسن وصفه فی الخروج من النسیب إلی المدیح، و أطبقوا علی أنه لا یحسنه و لا یأتی فیه بشیء،و إنما اتفق له فی مواضع معدوده خروج یرتضی و تنقل یستحسن،و کذلک یختلف سبیل غیره عند الخروج من شیء إلی شیء و التحول من باب إلی باب،و نحن نفصل بعد هذا،و نفسر هذه الجمله،و نبین أن القرآن علی اختلاف فنونه،و ما یتصرف فیه من الوجوه الکثیره،و الطرق المختلفه یجعل المختلف کالمؤتلف،و المتباین کالمتناسب،و المتنافر فی الأفراد إلی حد الآحاد، و هذا أمر عجیب تبین به الفصاحه،و تظهر به البلاغه و یخرج معه الکلام عن حد العاده، و یتجاوز العرف.

و معنی خامس و هو:أن نظم القرآن وقع موقعا فی البلاغه یخرج عن عاده کلام الجن،کما یخرج عن عاده کلام الإنس،فهم یعجزون عن الإتیان بمثله کعجزنا، و یقصرون دونه کقصورنا،و قد قال اللّه عز و جلّ: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً (۱)فإن قیل هذه دعوی منکم و ذلک أنه لا سبیل لنا إلی أن نعلم عجز الجن عن الإتیان بمثله و قد یجوز أن یکونوا قادرین علی الإتیان بمثله،و إن کنا عاجزین کما أنهم قد یقدرون علی أمور لطیفه و أسباب غامضه دقیقه لا نقدر نحن علیها،و لا سبیل لنا للطفها إلیها،و إذا کان کذلک لم یکن إلی علم ما ادعیتم سبیل؟قیل:قد یمکن أن نعرف ذلک بخبر اللّه عز و جلّ،و قد۸.

۱- سوره الإسراء،الآیه:۸۸.

يمكن أن يقال إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبه الجن،و ما يروون لهم من الشعر،و يحكون عنهم من الكلام،و قد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم، منقول عنهم،و القدر الذى نقلوه من ذلك قد تأملناه،فهو فى الفصاحه لا يتجاوز حد فصاحه الإنس،و لعله يقصر عنها،و لا يمتنع أن يسمع كلامهم،و يقع بينهم و بينهم محاورات فى عهد الأنبياء صلوات اللّه عليهم،و ذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات،على أن القوم إلى الآن يعتقدون مخاطبه الغيلان،و لهم أشعار محفوظه مدونه فى دواوينهم.

و معنى سادس و هو:أن الذى ينقسم عليه الخطاب من البسط و الاقتصاد،و الجمع و التفريق و الاستعاره و التصريح،و التجوز و التحقيق،و نحو ذلك من الوجوه التى توجد فى كلامهم موجوده فى القرآن،و كل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم فى الفصاحه و الإبداع و البلاغه و قد ضمنا بيان ذلك من بعد لأن الوجه هاهنا ذكر المقدمات دون البسط و التفصيل.

و معنى سابع و هو:أن المعانى التى تضمنها فى أصل وضع الشريعه و الأحكام و الاحتجاجات فى أصل الدين و الرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعه، و موافقه بعضها بعضا فى اللطف و البراعه مما يتعذر على البشر و يمتنع و ذلك أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعانى المتداوله المألوفه،و الأسباب الدائره بين الناس أسهل و أقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكره،و أسباب مؤسسه مستحدثه،فإذا برع اللفظ فى المعنى البارع كان ألطف و أعجب من أن يوجد اللفظ البارع فى المعنى المتداول المتكرر و الأمر المتقرر المتصور،ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع فى الوجوه التى تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه و يراد تحقيقه بأن التفاضل فى البراعه و الفصاحه،ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى و المعانى وفقها لا يفضل أحدهما على الآخر فالبراعه أظهر و الفصاحه أتم.

و معنى ثامن و هو:أن الكلام يتبين فضله و رجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمه فى تضاعيف كلام أو تقذف ما بين شعر فتأخذها الأسماع،و تتشوف إليها النفوس،و يرى وجه رونقها باديا غامرا سائر ما تقرن به،كالدره التى ترى فى سلك من خرز، و كالياقوته فى واسطه العقد،و أنت ترى الكلمه من القرآن يتمثل بها فى تضاعيف كلام كثير،و هى غره جميعه،و واسطه عقده،و المنادى على نفسه بتميزه،و تخصصه برونقه و جماله...

و معنی تاسع و هو:أن الحروف التی بنی علیها کلام العرب تسعه و عشرون حرفا، و عدد السور التی افتتح فیها بذکر الحروف ثمان و عشرون سوره،و جمله ما ذکر من هذه الحروف فی أوائل السور من حروف المعجم نصف الجمله و هو أربعه عشر حرفا،لیدل بالمذکور علی غیره،و لیعرفوا أن هذا الکلام منتظم من الحروف التی ینظمون بها کلامهم،و الذی تنقسم إلیه هذه الحروف علی ما قسمه أهل العربیه،و بنوا علیها وجوهها.

و معنی عاشر و هو:أنه سهل سبیله،فهو خارج عن الوحشی المستکره،و الغریب المستنکر،و عن الصنعه المتکلفه،و جعله قریبا إلی الإفهام،یبادر معناه لفظه إلی القلب،و یسابق المغزی منه عبارته إلی النفس،و هو مع ذلک ممتنع المطلب،عسیر المتناول،غیر مطمع مع قربه فی نفسه،و لا موهم مع دنوه فی موقعه أن یقدر علیه أو یظفر به،فأما الانحطاط عن هذه الرتبه إلی رتبه الکلام المبتذل و القول المسفسف، فلیس یصح أن تقع فیه فصاحه أو بلاغه،فیطلب فیه الممتنع،أو یوضع فیه الإعجاز و لکن لو وضع فی وحشی مستکره،أو غمر بوجوه الصنعه،و أطبق بأبواب التعسف و التکلف لکان لقائل أن یقول فیه،و یعتذر أو یعیب و یقرع و لکنه أوضح مناره،و قرب منهاجه،و سهل سبیله و جعله فی ذلک متشابها متماثلا...) (۱).

نلحظ فی تقسیم الإمام الباقلانی أنه جمع و ألمّ بما قیل فی وجوه الإعجاز حتی زمانه،و تناول أفکارا ذکرت قبله بالنقد و الرد،و لعلّ الجدید الذی جاء به الباقلانی هو التفریع و التفصیل الذی ذکره هنا،کذلک المناقشه الموضوعیه الدقیقه لآراء عرضها ثم بیّن بطلانها،و یتضح هذا لو تأمّلنا فی الموازنه التی أقامها بین الشعر و السجع و القرآن، ثم نفی الشعر و السجع عن القرآن،و کذلک المقارنه بین ما ینسبه العرب إلی الجن من أقوال و بین القرآن...

ثم إننا نأخذ علیه أنه أسهب و بکثره فی الحدیث عن الجانب البیانی و فروعه و شعبه، فی حین أنه أغفل عددا من وجوه القرآن لم یذکر منها إلا الغیبی،و الحق أن کتابه «إعجاز القرآن»یعتبر أول کتاب مستقلّ تحدث عن إعجاز القرآن،و هو من خیره الکتب،بل من أهم الکتب التی یرجع إلیها الدارسون لقضیه الإعجاز حتی عصرنا هذا.۲.

۱- انظر:إعجاز القرآن،للباقلانی،ص:۶۲.

ثانیا-القاضی عیاض و وجوه إعجاز القرآن :

ثانیا-القاضی عیاض و وجوه إعجاز القرآن (۱):

أورد القاضی عیاض رحمه اللّه فی کتابه«الشفا فی التعریف بحقوق المصطفی»أوجه الإعجاز فی أربعه ثم أتبع بها وجهین حکم علیهما بالضعف،ثم ساق عده أوجه و لم یعتد بها.

الوجه الأول:(حسن تألیفه،و التئام کلمه،و فصاحته،و وجوه إیجازه،و بلاغته الخارقه لعاده العرب و ذلک أنهم کانوا أرباب هذا الشأن،و فرسان الکلام،فقد خصوا من البلاغه و الحکم بما لم یخص غیرهم من الأمم،و أوتوا من درایه اللسان ما لم یؤت إنسان،و من فصل الخطاب،ما یقید الألباب،جعل اللّه ذلک لهم طبعا و خلقه و فیهم غریزه و قوه...فما راعهم إلا رسول کریم بکتاب عزیز،أحکمت آیاته و فصلت کلماته،و بهرت بلاغته العقول،و ظهرت فصاحته علی کل مقول و تظافر إیجازه و إعجازه...) (۲).

الوجه الثانی:(صوره نظمه العجیب،و الأسلوب الغریب المخالف لأسالیب کلام العرب و مناهج نظمها و نثرها الذی جاء علیه،و وقفت مقاطع آیه،و انتهت فواصل کلماته إلیه،و لم یوجد قبله و لا بعده نظیر له،و لا استطاع أحد مماثله شیء منه،بل حارت فیه عقولهم،و تدلهت دونه أحلامهم،و لم یهتدوا إلی مثله فی جنس کلامهم من نثر أو نظم،أو سجع أو رجز أو شعر) (۳).

الوجه الثالث:(ما انطوی علیه من الأخبار بالمغیبات،و ما لم یکن و لم یقع،فوجد کما ورد،و علی الوجه الذی أخبر به) (۴).

الوجه الرابع:(ما أنبأ به من أخبار القرون السالفه،و الأمم البائده،و الشرائع الدائره،مما کان لا یعلم منه القصه الواحده إلا الفذ من أحبار أهل الکتاب الذی قطع

۱- ت ۵۴۴ ه،عیاض بن موسی السبتی،أحد مشایخ العلماء المالکیه و صاحب المصنفات الکثیره المفیده،منها الشفا،و شرح مسلم و مشارق الأنوار،و له شعر حسن،و کان إماما فی علوم کثیره کالفقه و اللغه،انظر:سیر أعلام النبلاء،للذهبی ۲۲۵/۱۲ بتصرف.

۲- الشفا،للقاضی عیاض،۳۵۸/۱.

۳- المصدر نفسه،۳۶۹/۱.

۴- المصدر نفسه،۳۷۵/۱.

عمره فی تعلم ذلک،فیورده النبی صلی اللّه علیه و سلم علی وجهه و یأتی به علی نصه،فیعترف العالم بذلک بصحته و صدقه،و أن مثله لم ینله بتعلیم) (۱).

الوجوه الالحاقی

أما الوجهان اللذان ألحقهما بالأوجه الأربعه فهما:

(۱-الروعه التی تلحق قلوب سامعیه و أسماعهم عند سماعه،و الهیبه التی تعتریهم عند تلاوته لقوه حاله و أناقه خطره،و هی علی المکذبین به أعظم،حتی کانوا یستثقلون سماعه و تزیدهم نفورا) (۲).

(۲-کونه آیه باقیه،لا تعدم ما بقیت الدنیا،مع تکفل اللّه بحفظه) (۳).

أما الأوجه التی ساقها رحمه اللّه و لم یعتد بها،فهی کما یذکرها هو:

(أن قارئه لا یمله،و سامعه لا یمجه،بل الإکباب علی تلاوته یزیده حلاوه،و ترذیده یوجب له محبه لا یزال غضا طریا...

و جمعه لعلوم و معارف لم تعهد العرب عامه،و لا- محمد صلی اللّه علیه و سلم قبل نبوته خاصه، لمعرفتها،و لا القیام بها و لا یحیط بها أحد من علماء الأمم،و لا- یشتمل علیها کتاب من کتبهم،فجمع فیه من بیان علم الشرائع و التنبیه علی طرق الحجج العقلیات،و الرد علی فرق الأمم،ببراهین قویه،و أدله بینه سهله الألفاظ موجزه المقاصد...

و جمعه فیه بین الدلیل و مدلوله،و ذلک أنه احتج بنظم القرآن و حسن رصفه،و إیجازه و بلاغته و أثناء هذه البلاغه أمره و نهیه،و وعده و وعیده،فالتالی له یفهم موضوع الحجه و التکلیف معا من کلام واحد،و سوره منفرده.

و جعله فی حیز المنظوم الذی لم یعهد،و لم یکن فی حیز المنثور،لأن المنظوم أسهل علی النفوس و أوعی للقلوب،و أسمع فی الآذان،و أحلی علی الأفهام،فالناس إلیه أمیل،و الأهواء إلیه أسرع.

و منها تیسیره تعالی حفظه لمتعلمیه،و تقریبه علی متحفظیه،قال اللّه تعالی: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۴)و سائر الأمم لا یحفظ کتبها الواحد منهم،فکیف الجمّاء علی مرور السنین علیهم.

۱- المصدر نفسه،۳۷۹/۱.

۲- الشفا،للقاضی عیاض،۳۸۴/۱.

۳- المصدر نفسه،۳۸۸/۱.

۴- سوره القمر،الآیه:۱۷.

و مشاكله بعض أجزائه بعضا،و حسن ائتلاف أنواعها،و التئام أقسامها،و حسن التخلص من قصه إلى أخرى،و الخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه، و انقسام السوره الواحده إلى أمر و نهى و خبر و استخبار،و وعد و وعيد،و إثبات و نبوه، و توحيد و تفريد،و ترغيب و ترهيب،إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله) (۱).

ثم يذيّل القاضى عياض عرضه لهذه الأوجه بخاتمه ينبه فيها إلى أن كل ما سرده هنا إنما هو من خواص القرآن و فضائله،و القول الفصل هو ما حصره فى الأوجه الأربعه التى سبق و أن قررها،يقول فى ذلك:(و هذا كله و كثير مما ذكرنا،أنه ذكر فى إعجاز القرآن،إلى وجوه كثيره ذكرها الأئمه لم نذكرها إذ أكثرها داخل فى باب بلاغته،فلا يجب أن يعد فنّا منفردا فى إعجازه،إلا فى باب تفصيل فنون البلاغه و كذلك كثيرا مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه و فضائله،لا إعجازه) (۲).

يتّضح لنا من خلال عرض رأى القاضى عياض رحمه اللّه فى أوجه إعجاز القرآن أنه لم يأت بجديد و إنما أجمل ما ذكره الإمام الباقلانى فى كتابه«إعجاز القرآن»مع إضافات يسيره جاء بها كقوله:جمع القرآن علوما و معارف لم يجمعها كتاب قبله على إيجازه و غيرها...

ثم إننا نجد الوجه الثانى«نظم القرآن العجيب»هو الذى دار حوله أكثر العلماء الذين تناولوا قضيه إعجاز القرآن،و ما انطوى عليه من أسرار،لأن نظم القرآن كان متفردا و بديعا،بحيث لم يقع العرب على مثله من قبله أبدا،بخلاف الوجه الأول الذى كان محطه نقاش و خلاف بين العلماء،هل يعتبرونه وجها من أوجه إعجاز القرآن،أم أنه دليل من دلائل الإعجاز؟.

و مما يلاحظ على القاضى عياض أنه قد حصر أوجه إعجاز القرآن فى الأربعه المذكوره،و ألحقها بوجوه قالها الأئمه من قبله و لم يعتبرها هو أوجها إنما اعتبرها من خواص القرآن،من هذه الملحقات التى لا نوافقه على أنها ملحقه إلحاقا،و ليس وجها من أوجه الإعجاز قوله:و منها،أى من وجوه الإعجاز الروعه التى تلحق قلوب سامعيه و أسماعهم عند سماعه،و الهيبه التى تعتريهم عند تلاوته،لقوه حاله...و الحق أن هذا۱.

۱- الشفا،للقاضى عياض،۳۸۹/۱.

۲- الشفا،للقاضى عياض،۳۹۶/۱.

الوجه يعتبر من أهم و أدق أوجه إعجاز القرآن،لأن الروعه التى تلحق قلوب سامعيه و الهيبه التى تعتريهم عند تلاوته،هى أساس الإعجاز التى قامت و ستبقى قائمه فى القرآن إلى يوم الدين.

و لقد أورد المصنفون فى علوم القرآن أقوالا لعلماء هذه الأمه فى إعجاز القرآن،لا مجال لسردها و إنما نكتفى بما قد أورده و نقله السيوطى فى الإتقان عن علماء الأمه يقول:(...اختلف أهل العلم فى وجه إعجاز القرآن فذكروا فى ذلك وجوها كثيره كلها حكمه و صواب،و ما بلغوا فى وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره،فقال قوم:هو الإيجاز مع البلاغه،و قال آخرون:هو البيان و الفصاحه،و قال آخرون:هو الرصف و النظم،و قال آخرون:هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم و النثر و الخطب و الشعر،مع كون حروفه فى كلامهم،و معانيه فى خطابهم،و ألفاظه من جنس كلماتهم،و هو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم،و جنس آخر متميز عن أجناس خطابهم، حتى إن من اقتصر على معانيه و غيّر حروفه أذهب رونقه،و من اقتصر على حروفه و غيّر معانيه أبطل فائدته،فكان فى ذلك أبلغ دلاله على إعجازه،و قال آخرون:هو كون قارئه لا يكل،و سامعه لا يمل،و إن تكررت عليه تلاوته و قال آخرون:هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضيه،و قال آخرون هو ما فيه من علم الغيب و الحكم على الأمور بالقطع،و قال آخرون هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها و يشقّ حصرها) (۱).

الرأى المختار فى تحديد أوجه إعجاز القرآن

يتبيّن من خلال ما عرض من أقوال العلماء فى أوجه إعجاز القرآن،أن سبب اختلافهم فى تحديد أوجه الإعجاز،هو عدم وجود ضابط أو تعريف لمعنى الوجه فى القرآن،و مرد ذلك إلى أن القرآن حمّال لأوجه كثيره،و أن هذه الأوجه منها ما هو ظاهر للعيان فى كل عصر من العصور كأسلوب البيان فى القرآن،و منها ما قد يكتشفه و يقع عليه الناس مع مرور الزمن،و تعاقب الأجيال كالإعجاز العلمى فى القرآن الكريم،ثم إن التباين فى صفاء النفس،و ارتقائها فى مدارج الكمال،و من ثم تفاعلها مع كلام اللّه و العيش فى ظلال القرآن،و الكشف عن وجوهه و أسراره،يعتبر من أهم الدوافع التى تجعل صاحبها يحظى بالتعرف على وجوه جديده فى كتاب اللّه.

۱- الإتقان فى علوم القرآن،للسيوطى،۳۲۲/۲.

و سأحاول بعون اللّه أن أصوغ تعريفا لمعنى الوجه القرآنى المعجز،و ذلك من مجموع ما قرأت و أجلت النظر فى كتب علماء البلاغه و البيان و التفسير و علوم القرآن، و من خلال ما قد استقرّ فى ذهنى من تصور للأبعاد و المسالك التى سلكها علماء المسلمين،و هم يحاولون تقرير وجوه القرآن و كذلك من خلال المرتكزات و القواعد التى نهضوا عليها و هم يشيّدون صرح هذه الوجوه الشامخه بأدله و براهين تثبت ما ذهبوا إليه من جهه،و تدحض شبهات المعاندين من جهه أخرى.

فالوجه القرآنى المعجز هو:كل صفه فى أسلوب القرآن أو لفظه أو معناه قد ندت عن قدره البشر،فعجزوا عن الإتيان بمثلها.

و الذى أعنيه بهذا التعريف،أن الصفه القرآنيه الواحده قد ينضوى تحت إطارها مجموعه من إعجازات القرآن التى أعلن البشر عجزهم عن مجاراتها،و هذه المجموعه يربطها رابط واحد مشترك يجعلها تندرج تحت هذه الصفه العامه،ليصدق عليها اسم وجه القرآن المعجز...

و لكى أوضح ما أردته من هذا التعريف أضرب مثالا على ذلك:الأخبار الغيبيه التى وردت فى القرآن الكريم،سواء ما كان منها ماضيا أو مستقبليا،فإن هذه الأخبار كلها يربطها رابط واحد ألا و هو«الغيب»و بناء على ذلك فإنها تكون وجها واحدا،لا وجهين كما قسمهما كثير من العلماء القدامى و المعاصرين،فجعلوا الغيب الماضى وجها،و الغيب المستقبلى وجها آخر،و الحق أن الغيب بمجمله يعتبر وجها واحدا، لأنه يشترك فى وحده الموضوع،و ذات المقصود،و مجموع ما أخبر عنه القرآن من أخبار غيبيه،فى الماضى و الحاضر و المستقبل نعتبرها وجها واحدا،لأنها تندرج كلها تحت صفه واحده ألا و هى«الإخبار بالمغيبات»و لم أجد فيما وقفت عليه من مصادر و مراجع للعلماء القدامى الذين أفاضوا الحديث عن إعجاز القرآن و وجوهه و لو تعريفا واحدا لمعنى الوجه،إذ بالتعريف يتسنّى لنا أن نحدد الضوابط و القيود للقضيه المطروحه...

و بناء على هذا فإننا نستطيع الآن أن نثبت وجوه إعجاز القرآن كحد وسط بين الذين أكثروا و أسهبوا فى ذكر الوجه،حتى خرجوا عن معنى الوجه القرآنى إلى غيره،و بين الذين أقلوا فى ذكر الوجوه حتى أغفلوا أهمها و أبرزها...و هى كما يلى:

۱)الأسلوب البیانی فی القرآن.

۲)الإخبار عن الغیب فی القرآن.

۳)الإعجاز التشریعی الشامل فی القرآن.

۴)الإعجاز العلمی فی القرآن.

۵)التأثیر النفسی فی القرآن.

و هـذه أدق وجوه إعجـاز القرآن،و هی تعتبر حـدا وسـطا بین الفریقین،و قبل ذلک فإنها تقوم علی مرتکزات و ضوابط التعریف الـذی أثبتنـاه آنفـا،و قـد مر معنـا فی ثنایـا البحث و غضونه شـرحا واضـحا و أمثله کثیره لکل وجه من هـذه الوجوه...علاوه علی المؤلفات الکثیره التی أفردها العلماء لهـذه الأوجه ما عـدا الوجه العلمی الذی سنسـهب الحدیث عنه فی التطبیقات المعاصـره من هـذه الرسـاله إن شاء اللّه تعالی،و لکن هل هو محل اتفاق أی الإعجاز العلمی فی القرآن بین العلماء؟و من من العلماء قـد أقره و ما هی أدلته؟و من من العلماء رده،و ما هی أدلته؟و ما هو الرأی الراجح فی هذه المسأله؟هذا ما سـیدرس فی الفصل القادم بعون اللّه تبارک و تعالی.

الفصل الثالث: الإعجاز العلمى بين المؤيدين و المعارضين

اشاره

تمهيد.

المبحث الأول:أبرز المؤيدين من العلماء القدامى لإعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثانى:أبرز المؤيدين من العلماء المعاصرين لإعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثالث:أبرز المعارضين من العلماء القدامى و المعاصرين لإعجاز القرآن الكريم.

المبحث الرابع:أدله الفريقين مع الترجيح فى مسأله إعجاز القرآن الكريم.

ص: ١٠٥

تمهید

القرآن الکریم کتاب هدایه و نور،أنزله اللّه سبحانه و تعالی لیخرج الناس من الظلمات إلی النور،و من الجهل إلی العلم،و من الفرقه و الشقاق إلی الوحده و الإخاء،قال تعالی: الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ (۱).و هذه الهدایه القرآنیه عامه و شامله لکل مناحی الحیاه و الکون و الإنسان،ذلک أن اللّه أودع فی القرآن من الرکائز الإیمانیه و الثوابت الیقینیه ما یحقق اتزان الإنسان،و استقرار نفسیته و سعادتها و أودع فیه من الشرائع و التوجیهات ما یکفل صلاح المجتمع الإنسانی و انضباطه،و سریان أسباب الموده و الرحمه فیه،و أودع فیه من الأخلاقیات و الآداب العامه ما یکفل استمرار الترابط البشری فی أعلی أصعده الإخاء و المحبه و الوئام،کما أنه أودع فیه من المعارف و الحقائق الکونیه العلمیه التی أخذت شوطا کبیرا فیه ما یکفل خلق جوّ نزیه خلال سعی الإنسان لاکتشاف أسرار الکون و البحث عن غوامضه و خفایاه،لتذلیلها و تسخیرها له.

إذن،هدایه القرآن متعدده الأبعاد،کثیره الجوانب،و ما ینبغی أن تقصر علی جانب دون آخر إلا أن الجانب الأخیر الذی ذکر و هو الحقائق العلمیه فی القرآن،کان میدانا للأخذ و الرد بین العلماء عبر مرور الأزمان و کرّ الأیام،فقد طرح التساؤل التالی:هل النصوص القرآنیه قد اشتملت علی العلوم و المعارف کلها،أی علی علوم الطبیعه، و الفلک،و علم طبقات الأرض(الجیولوجیا)و علوم الحیاه(البیولوجیا)و علم الطب و التشریح،و علم الوظائف(الفسیولوجیا)،و الریاضیات...أم أن القرآن کتاب هدایه و نور،جاء لیعزز الإیمان فی النفوس،و لیربط الخلق بالخالق و شرعه،و لا علاقه له بهذه المعارف؟.

۱- سوره إبراهیم،الآیه:۱.

اختلف العلماء إزاء هذه القضيه قديما و حديثا إلى طائفتين،الأولى:ترى أن العلوم و المعارف قد أخذت مساحه كبيره من القرآن،و خاصه عند ما يلفت القرآن نظرنا للحديث عن السماء و الأرض و الجبال و البحار و الأنهار و الإنسان و النجوم و الطيور...و على هذا فإن هناك تطابقا بين الثوابت العلميه التى وصل إليها علماء العصر،و بين الآيات القرآنيه،غير أن بعضهم بالغ حتى جعل من القرآن الكريم موسوعه علميه تشتمل حتى على المخترعات و المكتشفات بأنواعها.

و الثانيه:ترى أن القرآن الكريم كتاب هدايه و نور،و ما المعارف العلميه إلا نتيجه من نتاج العقل البشرى،و لا صله لها بالقرآن.

و سوف تعرض بعون اللّه تعالى أبرز هذه الآراء من العلماء القدامى و المعاصرين، سواء من ذهب إلى صحه التفسير العلمى للقرآن الكريم،أو من عارض تفسير القرآن على أساس العلم،و بعد استعراض آراء كل طائفه،ستساق أدله كل منها على حده،ثم يعقد مبحث ختامى لهذا الفصل يثبت فيه الرأى الذى نميل و نطمئن إليه،مع بعض المناقشه و الاستدراكات.

المبحث الأول: أبرز المؤيّدين من العلماء القدامى

اشاره

أبرز من تبنّى فكره التفسير العلمى للقرآن أبو حامد الغزالى،و فخر الدين الرازى، و الزركشى و السيوطى،و سنستعرض آراء كل من هؤلاء الأئمه فى هذه القضيه على حده.

أولا-الإمام أبو حامد الغزالى :

أولا-الإمام أبو حامد الغزالى (۱):

(الكاتبون فى هذا الموضوع يذهبون إلى أن الإمام أبا حامد الغزالى المتوفّى سنه ۵۰۵ ه كان إلى عهده أكثر من استوفى هذا القول و أيده،و عمل على ترويجه فى الأوساط العلميه الإسلاميه مما يدل على أن هذه الفكره كانت موجوده قبل الغزالى منذ أن ترجمت العلوم المختلفه إلى اللغه العربيه و دونت العلوم المختلفه،بل إننا نستطيع أن نقول:إن بذورها كانت موجوده فى عصر صحابه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقد استدل هؤلاء العلماء بقول عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه:من أراد علم الأولين و الآخرين فليتدبر القرآن، و لكنها كانت فى بدايتها) (۲).

۱- ت ۵۰۵ ه،حجه الإسلام و زين الأنام،أبى حامد محمد بن محمد الغزالى،ولد بطوس سنه خمسين و أربعمائه،و ارتحل إلى إمام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى صار أنظر أهل زمانه،و كان الإمام يحبه باطنا لما يصدر عنه من سرعه العباره،و قوه الطبع،و ابتدأ بالتصانيف،و كان محط رجال العلماء و مقصد الأئمه و الفصحاء،و رجع إلى دمشق و أقام بها عشره سنين بمناره الجامع و صنف بها كتبا منها الإحياء،ثم سار إلى القدس و الإسكندريه،ثم عاد إلى وطنه طوس فأقبل على التصنيف و العباده و الملازمه للتلاوه و نشر العلم و كانت وفاته بطوس.انظر:طبقات الفقهاء،إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى،بيروت،دار القلم،تحقيق،الشيخ خليل الميس د.ت ۲۴۸/۱،و شذرات الذهب فى أخبار من ذهب،عبد الحى بن أحمد ابن العماد الحنبلى الدمشقى،بيروت،دار الكتب العلميه د.ت ۳۸۳/۲،بتصرف.

۲- التفسير العلمى للقرآن،أحمد عمر أبو حجر،دمشق،دار قتيبه،الطبعه الأولى،۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱،ص:۱۴۶.

إلا أن الإمام الغزالی یعتبر أول من أثار هذا الموضوع،و طرحه فی الأوساط، و لذلک نجده قد عقد فی کتابه الشهیر«إحیاء علوم الدین»بابا فی آداب تلاوه القرآن و عنونه«فی فهم القرآن و تفسیره بالرأی من غیر نقل»و الذی قال فیه:(الأخبار و الآثار تدل علی أن فی معانی القرآن متسعا لأرباب الفهم،قال علی رضی اللّه عنه:إلا أن یؤتی اللّه عبدا فهما فی القرآن،فإن لم یکن سوی الترجمه المنقوله فما ذلک الفهم؟و قال:إن للقرآن ظهرا و بطنا و حدّا و مطلعا،ثم یسوق أثرا عن ابن مسعود فیقول:و قال ابن مسعود رضی اللّه عنه:من أراد علم الأوّلین و الآخرین فلیتدبر القرآن و ذلک لا یحصل بمجرد تفسیر الظاهر،ثم یقول:و بالجمله،فالعلوم کلها داخله فی أفعال اللّه عز و جلّ و صفاته و فی القرآن شرح ذاته و أفعاله و صفاته،و هذه العلوم لا نهایه لها،و فی القرآن إشاره إلی مجامعها و المقامات فی التعمق فی تفصیله راجع إلی فهم القرآن،و مجرد ظاهر التفسیر لا یشیر إلی ذلک،بل کل ما أشکل فیه علی النظار و اختلف فیه الخلائق فی النظریات و المعقولات،ففی القرآن إلیه رموز و دلالات علیه یختص أهل الفهم بدرکها،فکیف یفی بذلک ترجمه ظاهره و تفسیره؟) (۱).

و فی کتابه«جواهر القرآن»و الذی ألفه بعد الإحیاء نری الإمام الغزالی عاد إلی نفس الموضوع لیتوسع فیه،و قد ذکر فی الفصل الأول أن القرآن هو البحر المحیط و ینطوی علی أصناف الجواهر و النفائس یقول:(أ و ما بلغک أن القرآن هو البحر المحیط،و منه یتشعب علم الأولین و الآخرین کما یتشعب عن سواحل البحر المحیط أنهارها و جداولها؟) (۲).

و فی الفصل الرابع من نفس الکتاب و الذی عنونه بکیفیه انشعاب العلوم الدینیه کلها عن الأقسام العشره المذکوره،نجده قد قسّم علوم القرآن إلی قسمین:

(القسم الأول:علم الصّدف،و اعتبر الصدف أول ما یظهر،ثم یقف بعض الواصلین إلی الصدف علی الصدف،و بعضهم یفتق الصدف و یطالع الدرّ،فکذلک صدف جواهر القرآن...و قد جعل منه علوم اللغه و النحو و القراءات،و علم مخارج۳.

۱- إحیاء علوم الدین،الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی،بیروت،دار الفکر، ۱۹۹۵،۲۷۲/۱.

۲- جواهر القرآن،الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی،بیروت،دار إحیاء علوم الدین،تحقیق،محمد رشید رضا القبانی،الطبعه الثانیه،۱۴۰۶ ه ۱۹۹۶/،ص:۲۳.

الحروف،و علم التفسير الظاهر،ثم رتّبها على أساس القريب و البعيد من القشر و اللب.

القسم الثانى:علم اللباب،و هو يتضمّن معرفه قصص القرآن،و ما يتعلق بالأنبياء، و ما يتعلق بالجاحدين و الأعداء،و علم الكلام،و علم الفقه و أصوله،و العلم بالله و اليوم الآخر،و العلم بالصراط المستقيم...) (۱).

ثم يعنون الفصل الخامس انشعاب سائر العلوم من القرآن فيقول:(و لعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيره،كعلم الطب،و النجوم،و هيئه العالم،و هيئه بدن الحيوان، و تشريح أعضائه،و علم السحر و الطلسمات و غير ذلك،فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينيه التى لا بد من وجود أصلها فى العالم حتى يتيسّر سلوك طريق اللّه تعالى و السفر إليه...ثم هذه العلوم ما عددناها و ما لم نعدها ليست أوائلها خارجه عن القرآن فإن جميعها مغترفه من بحر واحد من بحار معرفه اللّه تعالى،و هو بحر الأفعال و قد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له،و أن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد،فمن أفعال اللّه تعالى،و هو بحر الأفعال مثلا الشفاء و المرض،كما قال اللّه تعالى حكايه عن إبراهيم عليه السّلام: وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (۲)،و هذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفه المرض بكماله و علاماته،و معرفه الشفاء و أسبابه،و من أفعاله تبارك و تعالى تقدير معرفه الشمس و القمر و منازلهما بحسبان،و قد قال اللّه تعالى: اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ (۳)و قال تعالى: هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللّهُ ذلِكَ إِلاّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ... (۴)و لا يعرف حقيقه سير الشمس و القمر بحسبان و خسوفهما،و ولوج الليل فى النهار،و كيفيه تكور أحدهما على الآخر،إلا من عرف هيئات تركيب السموات و الأرض،و هو علم برأسه،و لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(۶) اَلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلَكَ(۷) فِى أَىِّ صُورَهٍ۵.

۱- المصدر نفسه،ص:۳۵.

۲- سوره الشعراء،الآيه:۸۰.

۳- سوره الرحمن،الآيه:۵.

۴- سوره يونس،الآيه:۵.

ما شاءَ رَكَّبَكَ (۱) لا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرا و باطنا،و عددها و أنواعها و حكمتها و منافعها،و قد أشار فى القرآن فى مواضع إليها،و هى من علوم الأولين و الآخرين،و فى القرآن مجامع علم الأولين و الآخرين و كذلك لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (۲)،من لم يعلم التسويه و النفخ و الروح و وراءها علوم غامضه يغفل عن طلبها أكثر الخلق،و ربما لا يفهمونها أن سمعوها من العالم بها،و لو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال،و لا تمكن الإشاره إلا إلى مجامعها،و قد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جمله معرفه اللّه تعالى معرفه أفعاله فتلك الجمله تشتمل على هذه التفاصيل، و كذلك كل قسم أجملناه،لو شعب لا نشعب إلى تفاصيل كثيره،فتفكّر فى القرآن، و التمس غرائبه،لتصادف فيه مجامع علم الأولين و الآخرين،و جمله أوائله و إنما التفكّر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله،و هو البحر الذى لا شاطئ له) (۳).

و يلاحظ أن هذا المنهج الذى سلكه و رسم أطره الإمام الغزالى،إنما هو منهج دقيق و صحيح،ذلك أن من يريد أن يفسر القرآن على أساس العلوم الكونيه يجب أن يكون جامعا لأصول العلوم الشرعيه و اللغه العربيه على اختلاف مناحيها،بجانب إلمامه بالعلوم الطبيعيه و الكونيه و التطبيقيه...فمن جمع بين هذه العلوم يستطيع أن يوضح إشراقات الهدايه الربانيه فى القرآن الكريم،و بذلك يكون قد أدخل أداه أخرى لعلوم الكونيه إلى دائره الأدوات العلميه،و التى تتمثّل بالعلوم الشرعيه أصولا و فروعا و علوم اللغه العربيه و فروعها،و علوم الآله،لفهم مقاصد النصوص القرآنيه.

ثانيا-فخر الدين الرازى :

ثانيا-فخر الدين الرازى (۴):

ثم جاء بعد الغزالى الإمام الرازى،ليقيم موازنه و مقارنه بين ما انتشر فى وسطه من

۱- سوره الانفطار،الآيات ۶-۸.

۲- سوره الحجر،الآيه:۲۹.

۳- انظر:جواهر القرآن،للغزالى،ص ۴۴.

۴- ت ۶۰۶ ه،محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على،العلامه سلطان المتكلمين فى زمانه فخر الدين أبو عبد الله القرشى البكرى التيمى الطبرستانى الأصل ثم الرازى،المفسّر المتكلم إمام وقته فى العلوم العقليه و أحد الأئمه فى علوم الشريعه،صاحب المصنّفات المشهوره و الفضائل الغزيره المذكوره،ولد فى رمضان سنه أربع و أربعين و خمسمائه و قيل سنه ثلاث،-

علوم و معارف و ثقافه،سواء كانت وافده و مترجمه عن الأمم الأخرى أو من تأليف المسلمين،و بيّن النصوص القرآنيه،و المحور الـذى يـدور حوله الإمـام الرازى من وراء تفسـيره للقرآن على أساس العلم إنما هو ترسـيخ فكره التوحيـد،و تقويه دعائم الكمال النفسى و الإيمان بالله تعالى،فكان تفسيره«مفاتيح الغيب»فيّاضا بالاستطرادات العلميه الكونيه.

و هـا هو ذا الإمـام الرازى يرد على من اعترض عليه بسـبب إكثـاره من القضايـا الكونيه و العلميه فى تفسـيره فيقول:(و ربمـا جـاء بعض الجهال و الحمقى و قال:إنك أكثرت فى تفسير كتاب اللّه من علم الهيئه و النجوم،و ذلك على خلاف المعتاد؟فيقال لهذا المسـكين:إنـك لو تـأملت فى كتـاب اللّه حق التأمـل لعرفت فساد ما ذكرته،و تقريره من وجوه:الأول:أن اللّه تعالى ملأ كتابه من الاسـتدلال على العلم و القـدره و الحكمه بأحوال السـموات و الأرض،و تعاقب الليل و النهار،و كيفيه أحوال الضـياء و الظلام، و أحوال الشـمس و القمر و النجوم،و ذكر هـذه الأمور فى أكثر السور و كررها و أعادها مره بعد أخرى،فلو لم يكن البحث عنها،و التأمـل فى أحوالهـا جـائزا لمـا ملأ اللّه كتابه منها،و الثانى:أنه تعالى قال: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ (۱)فهو تعـالى حثّ على التأمـل فى أنه كيف بناهـا و لا معنى لعلم الهيئه إلا التأمل فى أنه كيف بناها و كيف خلق كـل واحـد منهـا،و الثالث:أنه تعالى قال: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۲)فبيّن أن عجـائب الخلقه و بـدائع الفطره فى أجرام السـموات أكثر و أعظم و أكمل مما فى أبـدان الناس،ثم أنه تعالى رغب فى التأمل فى أبدان الناس بقوله: وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (۳)۱.

۱- سوره ق،الآيه:۵.

۲- سوره غافر،الآيه:۵۷.

۳- سوره الذاريات،الآيه:۲۱.

فما كان أعلى شأنا و أعظم برهانا منها أولى بأن يجب التأمل فى أحوالها و معرفه ما أودع اللّه فيها من العجائب و الغرائب،و الرابع:أنه تعالى مدح المتفكرين فى خلق السموات و الأرض فقال: وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا (۱)و لو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل) (۲).

و الحق أن الإمام الرازى قد توسع فى ذكر القضايا العلميه فى تفسيره،حتى يخرجك فى بعض الأحيان عن مقاصد النص القرآنى الذى يبحثه بسبب إسهابه فى ذكر المسائل الكونيه و العلميه،و مع غزاره علم هذا الإمام،و الثروه العلميه الهائله التى تركها لنا فى تفسيره،و التى لا يستغنى عنها أى باحث فى علوم القرآن و فهم دقائقه و معانيه،فإن عددا ليس بالقليل من المسائل العلميه و الكونيه التى أوردها فى تفسيره قد أصبحت اليوم بعد الثوره العلميه غير دقيقه،لأنه إنما استقاها مما جدّ من ثقافه علميه فى عصره و بيئته التى عاش فيها،و على كل حال فإن الإمام الرازى يعتبر من أول من طبق هذا الاتجاه عمليا،بعد ما أورده الغزالى فى«إحيائه»بشكل نظرى.

و لسنا بحاجه لإيراد أمثله من تفسيره تدلنا على التطبيق العملى الذى قام به الرازى من تفسير النصوص القرآنيه على أساس العلم،فتفسيره فياض بذلك،و لسوف نستشهد بآرائه و فهمه للنصوص القرآنيه فى الجانب التطبيقى من هذه الرساله بعونه تعالى.

ثالثا–الإمام الزركشى :

ثالثا–الإمام الزركشى (۳):

ثم يأتى الإمام الزركشى فى كتابه«البرهان فى علوم القرآن»ليقرّر إمكانيه استخراج كل شىء من القرآن الكريم.

۱- سوره آل عمران،الآيه:۱۹۱.

۲- انظر:التفسير الكبير،محمد فخر الدين الرازى،بيروت،دار الفكر،۱۴/۲۷۸،۱۹۹۳.

۳- ت ۷۹۴ ه،محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى الموصلى الشافعى بدر الدين،ولد فى سنه خمس و أربعين و سبعمائه،و ألّف تصانيف كثيره فى عدّه فنون،و هو عالم فى الحديث و التفسير،و من مصنّفاته شرح البخارى،و التنقيح على البخارى،و شرح التنبيه و البرهان فى علوم القرآن،و تخريج أحاديث الرافعى.انظر:طبقات المفسرين،للأدنهوى ،۱/۳۰۲ و انظر،كشف الظنون للقسطنطينى ۱/۲۴۰،و الدرر الكامنه فى أعيان المائه الثامنه،أحمد بن على ابن حجر العسقلانى،بيروت،دار الكتب العلميه،تحقيق،عبد الوارث محمد على، الطبعه الأولى،۱۴۱۸ ه ۱/۱۲۴،۱۹۹۷،بتصرف.

و نراه يستدل على ذلك عند ما عقد فصلا فى كتابه المذكور و عنونه فى حاجه المفسر إلى الفهم و التبحر فى العلوم،و ينقل فيه أقوال بعض الصحابه فى ذلك،كما يسوق آراء الإمام الغزالى من كتابه«الإحياء»مدللا بكل ذلك على ما ذهب إليه.

يقول:(كتاب اللّه بحره عميق و فهمه دقيق،لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر فى العلوم، و عامل اللّه بتقواه فى السر و العلانيه،و أجله عند مواقف الشبهات،و اللطائف و الحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع و هو شهيد،فالعبارات للعموم و هى للسمع،و الإشارات للخصوص و هى للعقل،و اللطائف للأولياء و هى المشاهد،و الحقائق للأنبياء و هى الاستسلام،و للكل وصف ظاهر و باطن،و حد و مطلع فالظاهر التلاوه،و الباطن الفهم،و الحد أحكام الحلال و الحرام،و المطلع أى الإشراق من الوعد و الوعيد،فمن فهم هذه الملاحظه بان له بسط الموازنه و ظهر له حال المعاينه...

ثم يقول:و بالجمله فالعلوم كلها داخله فى أفعال اللّه تعالى و صفاته،و فى القرآن شرح ذاته و صفاته و أفعاله،فهذه الأمور تدل على أن فهم معانى القرآن مجالا رحبا و متسعا بالغا،و أن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الإدراك فيه بالنقل و السماع، لا بد منه فى ظاهر التفسير ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم و الاستنباط، و الغرائب التى لا تفهم إلا باستماع فنون كثيره،و لا بد من الإشاره إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها و يعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أو لا،و لا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر،و من ادعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب،فظاهر التفسير يجرى مجرى تعلم اللغه التى لا بد منها للفهم،و ما لا بد فيها من استماع كثير...) (۱).

و مما يلاحظ على الإمام الزركشى أنه أوغل فى تحميل النصوص القرآنيه بجزئيات المسائل الحسابيه و الفلكيه،مما أخرج نصوص القرآن عن مقاصدها الأساسيه التى هى هدايه البشر،و القرآن ذكر أسس و قواعد العلوم و أشار إليها إشارات،لكنه لم يكن موسوعه علميه تتضمن جزئيات العلوم و فروعه.۲.

۱- البرهان فى علوم القرآن،للزركشى،۱۵۳/۲.

رابعا-الإمام السيوطی :

رابعا-الإمام السيوطی (۱):

ثم جاء الإمام جلال الدين السيوطی ليؤكد فی كتابيه«الإتقان فی علوم القرآن» و«معترك الأقران»ما ذهب إليه من قبله من العلماء،بأن القرآن يحتوی علی علم الأولين و الآخرين،و نراه يسوق طائفه من الآيات و الأحاديث و الآثار و أقوال العلماء ليدلل علی ما ذهب إليه.

فمن الآيات قوله تعالی: وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْكِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (۲)و قوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِينَ (۳).

و من الأحاديث ما روی عن علی رضی اللّه عنه أنه قال:(سمعت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم يقول:«إنها ستكون فتنه»فقلت:ما المخرج منها يا رسول اللّه؟قال:«كتاب اللّه فيه نبأ ما قبلكم، و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم،و هو الفصل ليس بالهزل،من تركه من جبار قصمه اللّه، و من ابتغی الهدی فی غيره أضله اللّه،و هو حبل اللّه المتين،و هو الذكر الحكيم،و هو الصراط المستقيم،هو الذی لا تزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنه،و لا يشبع منه العلماء،و لا يخلق عن كثره الرد،و لا تنقضی عجائبه،هو الذی لم تنته الجن إذ سمعته حتی قالوا:إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدی إلی الرشد فآمنا به،من قال به صدق،و من عمل به أجر،و من حكم به عدل،و من دعا إليه هدی إلی صراط مستقيم خذها إليك يا أعور) (۴).

و من الآثار:(ما روی عن ابن مسعود أنه قال:من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين و الآخرين،و عن الحسن قال:أنزل اللّه مائه و أربعه كتب أودع علومها

۱- ۹۱۱-۸۴۹ ه،۱۵۰۵-۱۴۴۵،عبد الرحمن بن أبی بكر بن محمد الخضيری السيوطی،إمام و حافظ و مؤرخ و أديب،كان من الأغنياء و الأمراء نشأ فی القاهره يتيما،مات والده و عمره خمس سنوات،له نحو ۶۰۰ مصنف منها:الإتقان فی علوم القرآن،و الأرج فی الفرج،و الأشباه و النظائر،و غيرها.انظر:الأعلام،للزركلی،۳۰۱/۳،بتصرف،و كشف الظنون،للقسطنطينی،۷۵/۱،بتصرف.

۲- سوره الأنعام،الآيه:۳۸.

۳- سوره النحل،الآيه:۸۹.

۴- رواه الترمذی،۱۷۲/۵،رقم:(۲۹۰۶)،و قال:هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و إسناده مجهول،و ورد فی سنن الدارمی عبد الله بن عبد الرحمن الدارمی،بيروت،دار الكتاب العربی،الطبعه الأولی،۱۴۰۷ ه،تحقيق،خالد العلی ۵۲۶/۲،رقم:(۳۳۳۱).

أربعه منها التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان،ثم أودع علوم الثلاثه الفرقان،و قال الإمام الشافعی:جميع ما تقوله الأمه شرح للسنه،و جميع السنه شرح للقرآن...و قال أيضا:جميع ما حكم به النبی فهو مما فهمه من القرآن...و عن ابن سراقه أنه حكی فی كتاب الإعجاز عن أبی بكر بن مجاهد أنه قال:ما شیء فی العالم إلا و هو فی كتاب اللّه فقيل له:فأين ذكر الخانات فيه،فقال:فی قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَهٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ (۱)فهی الخانات،و قال ابن الفضل المرسی فی تفسيره:جمع القرآن علوم الأولين و الآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقه إلا المتكلم بها،ثم رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم خلا ما استأثر به سبحانه و تعالی،ثم ورث ذلك عنه معظم سادات الصحابه و أعلامهم،مثل الخلفاء الأربعه،و ابن مسعود، و ابن عباس،حتی قال:لو ضاع لی عقال بعير لوجدته فی كتاب اللّه تعالی،ثم ورث عنهم التابعون بإحسان،و قال ابن سراقه:من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر اللّه فيه من أعداد الحساب و الجمع و القسمه و الضرب و الموافقه و التأليف و المناسبه و التنصيف و المضاعفه،ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صادق فی قوله،و أن القرآن ليس من عنده،إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفه،و لا تلقی الحساب و أهل الهندسه.

ثم يعقب علی ما أورده من أقوال العلماء فيقول:و أنا أقول قد اشتمل كتاب اللّه العزيز علی كل شیء أما أنواع العلوم فليس منها باب و لا مسأله هی أصل إلا و فی القرآن ما يدل عليها و فيه عجائب المخلوقات و ملكوت السموات و الأرض و ما فی الأفق الأعلی و تحت الثری و بدء الخلق و أسماء مشاهير الرسل و الملائكه و عيون أخبار الأمم السالفه...) (۲).

هذه آراء أشهر العلماء القدامی الذين أيّدوا تفسير القرآن علی أساس العلم،و سننتقل فی المبحث القادم إلی أبرز من تناوله من العلماء المعاصرين و دافع عنه.۱.

۱- سوره النور،الآيه:۲۹.

۲- انظر:الإتقان فی علوم القرآن،للسيوطی،۲/۲۳۰-۲۳۱.

المبحث الثانی: أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین

اشاره

قبل الشروع فی التعرف علی أبرز العلماء المعاصرین و علی رأیهم فی هذا الصدد، یلفت الانتباه إلی أن الهدف الأساسی الذی یسعی المؤیدون للتفسیر العلمی لتحقیقه إنما هو:استنباط بعض المعانی الجدیده من الآیات القرآنیه علی أساس العلوم الکونیه،لکن ضمن إطار النص القرآنی،و دون جرّ الآیات القرآنیه إلی النظریات بشکل تعسفی،أو تحمیل النص القرآنی ما لا یحتمل،فإذا کان الأمر کذلک فإننا وجدنا فی العصر الحدیث من یحاول تفسیر النصوص القرآنیه تفسیرا تعسفیا قد أخرجها عن مدلولاتها اللغویه و معانیها الشرعیه،فإذا ما سمع بنظریه علمیه أسرع لیجد لها من کتاب اللّه ما یؤکدها و لا ضیر إن ثنی أعناق الآیات و طوعها لهذه النظریه،أو أنه أقحم هذه النظریه إقحاما قسریا فی نصوص القرآن...

و من هنا سیعرض فی هذا المبحث لطائفتین من أقوال العلماء،الطائفه الأولی:

و هم العلماء المثبتون لقضیه الإعجاز و لکن بمغالاه و منهم:محمد عبده،عبد الرحمن الکواکبی،طنطاوی جوهری،و الطائفه الثانیه:و هم العلماء المثبتون لقضیه الإعجاز و لکن باعتدال و منهم:مصطفی صادق الرافعی وحید الدین خان،محمد جمال الدین الفندی،مصطفی المراغی،و سنبدأ بالحدیث عن القسم الأول و هم المغالون.

القسم الاول:العلماء المثبتون لقضیه الإعجاز بمغالاه

أولا–الإمام محمد عبده :

أولا–الإمام محمد عبده (۱):

یعتبر الشیخ محمد عبده من رواد هذا الاتجاه فی تفسیر القرآن فی العصر الحدیث،

---

۱ - ۱۳۲۳-۱۲۶۶ ه،۱۸۴۹-۱۹۰۵،محمد عبده بن حسن خیر الله من آل الترکمانی،مفتی الدیار المصریه،و من کبار رجال الإصلاح و التجدید فی الإسلام،ولد فی شنرا من قری الغربیه فی مصر،تعلم بالأزهر و تصوف و تفلسف،أصدر مع صدیقه جمال الدین الأفغانی جریده العروه الوثقی،ثم تولی منصب القضاء فی مصر عام ۱۸۸۸،ثم مفتیا للدیار المصریه عام ۱۳۱۷ ه، و استمر إلی أن توفی بالإسکندریه و دفن فی القاهره،له تفسیر القرآن الکریم،و رساله التوحید، و الفلسفه و التصوف،و غیرها.انظر:الأعلام،لخیر الدین الزرکلی ۲۵۲/۶ بتصرف.

بل من الذين أصدروا فتوى بجواز تفسير نصوص القرآن بمستجدات العصر و ما يتمخض عنه من اكتشافات و ابتكارات،و إذا ما رجعنا إلى أفكار الشيخ محمد عبده فلسوف نجد المنهج العلمى التطبيقى الذى سلكه فى تحليل آيات القرآن واضحا فى تفسيره لجزء«عم»و قد طبع فى كتاب منهجى لطلاب المدارس فى المراحل المتوسطه، و مع غزاره علمه و مكانته العلميه المرموقه إلا أنه لم يترك خلفه سوى تفسير جزء عم، و تفسير واسع لسوره العصر،و بعض المقالات الإسلاميه،و نحن إذ نعرض طرفا من تفسيره فى جزء عم،فإننا نجد التجاوز الواضح،بل المغالاه و هو يفسر بعض الآيات الكريمه بما استجد فى عصره من علوم و معارف.

فهـا هو ذا يفسـر قوله تعالى: وَ إِذَا الْبِحارُ سُـجِّرَتْ (۱)فيقول:(أمـا تسـجير البحـار فهو أن يفجر الزلزال ما بينها حتى تختلط و تعود بحرا واحـدا،و هو بمعنى الملء فإن كل واحد منها يمتلئ حتى يفيض و يختلط بالآخر،و تسـجير البحار على هذا المعنى لازم لما سبقه من تقطع أوصال الأرض،و انفصال الجبال و يـدل على رجحان هذا التأويل ظاهر قوله تعالى فى سوره الانفطار وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ (۲)و قد يكون تسـجيرها إضـرامها،فإن ما فى بطن الأرض من النار إذ ذاك يظهر بتشـققها و تمزق طبقاتها العليا،أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا،و لا يبقى فى البحار إلا النار) (۳).

و فى تفسـير قوله تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَـقَّتْ (۴)يقول:(انشـقاق السـماء...هو فساد تركيبها و اختلال نظامها عند ما يريد اللّه خراب هـذا العالم الـذى نحن فيه،و هو يكون بحادثه من الحوادث التى قـد ينجر إليها سـير العلم،كأن يمر كوكب فى سـيره بالقرب من الآخر فيتجاذبا فيتصادما،فيضـطرب نظام الشـمس بأسـره،و يحـدث من ذلك غمام و أى غمام!يظهر فى مواضع متفرقه من الجوّ و الفضاء الواسع،فتكون السماء قد تشققت بالغمام و اختل نظامها حال ظهوره) (۵).

(و قد انتقده بعض العلماء فى هذا التفسير لخراب العالم،لأن الكون أعظم من أن يختل نظامه بمجرد ضرب كوكب فى آخر من المجموعه الشمسيه،فما أكثر۵.

۱- سوره التكوير،الآيه:۶.

۲- سوره الانفطار،الآيه:۳.

۳- تفسير جزء عمّ،محمد عبده،بيروت،دار الهلال،۱۹۸۵،ص ۳۰.

۴- سوره الانشقاق،الآيه:۱.

۵- تفسير جزء عمّ،محمد عبده،ص ۳۵.

المجموعات الشمسيه التى تتجاوز الأرقام الحسابيه التى عرفها البشر!و ما أصغر أفكار البشر فى شأن مستقبل العالم خرابا أو عمارا فمثل ذلك يجب تفويض الأمر فيه إلى اللّه تعالى فهو علام الغيوب) (۱).

و عند ما يفسر سوره الفيل نجد تجاوزا و تعسفا شديدين فى تفسير هذه السوره،يقول:

(و فى اليوم الثانى فشا فى جند الحبش داء الجدرى و الحصبه،قال عكرمه:هو أول جدرى ظهر فى بلاد العرب و قال يعقوب بن عتبه:أول ما رؤيت الحصبه و الجدرى ببلاد العرب ذلك العام،ثم يقول:و هذا ما اتفقت عليه الروايات و يصح الاعتقاد به، و قد بيّنت لنا هذه السوره أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبه نشأت من حجاره يابسه سقطت على أفراد الجيش بواسطه فرق عظيمه من الطير مما يرسله اللّه مع الريح،فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض...و أن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه بالميكروب لا يخرج عنها،هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السوره،و ما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته) (۲).

لا أدرى من الذى سوّغ للإمام رحمه اللّه أن يقحم الميكروب فى تفسير السوره مكان الطير الأبابيل،و ما أظن أن فى اللغه العربيه و مترادفاتها ما يسوّغ أن نطلق على لفظه الطير بالميكروب،أو بالجدرى أو بالحصبه...ثم إن حماس الشيخ قد دفعه ليجزم قائلا:هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السوره،و ما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته،و هذا كما هو واضح تحميل للنص القرآنى ما لا يحتمل و ما لا يطيق أبدا،و قد أكثر العلماء فى الرد عليه،و أرى أن المسأله من البطلان بحيث لا تستأهل تضييع الوقت فى الرد على مثل هذه التعسفات.

ثانيا-عبد الرحمن الكواكبى :

ثانيا-عبد الرحمن الكواكبى (۳):

عند ما يتحدث الكواكبى عن القرآن يصفه بأنه:شمس العلوم و كنز الحكم،و يعلل

۱- التفسير العلمى للقرآن،أحمد عمر أبو حجر،ص ۱۷۳.

۲- تفسير جزء عمّ،محمد عبده،ص ۱۶۲.

۳- ۱۳۲۰-۱۲۶۵ ه،۱۸۴۹-۱۹۰۵،عبد الرحمن الكواكبى من الكتاب و الأدباء و من رجال الإصلاح،تعلم فى حلب،و أنشأ فيها جريده الشهباء فأقفلتها الحكومه،و جريده الاعتدال فعطلت،و أسندت إليه مناصب عديده،ثم ضيق عليه أعداء الإصلاح فسعوا به فسجن،توفى فى مصر و له من المؤلفات:أم القرى،و طبائع الاستبداد.انظر:الأعلام،للزركلى،۲۸۹/۳ بتصرف.

السبب الذی جعل العلماء ینصرفون عن تفسیر قسمی«الآلاء و الأخلاق»من القرآن تفسیرا علمیا هو أنهم:(کانوا یخافون مخالفه رأی بعض السلف القاصرین فی العلم، فیکفرون فیقتلون،و هذه مسأله إعجاز القرآن و هی أهم مسأله فی الدین،لم یقدروا أن یوفوها حقها من البحث،و اقتصروا علی ما قاله بعض السلف قولا مجملا من أنها قصور الطاقه عن الإتیان بمثله فی فصاحته و بلاغته،و أخباره عن أن الروم من بعد غلبهم سیغلبون،مع أنه لو أطلق للعلماء عنان التدقیق و حریه الرأی و التألیف کما أطلق لأهل التأویل و الخرافات،لرأوا فی ألوف من آیات القرآن ألوف آیات من الإعجاز لرأوا فیه کل یوم آیه تتجدد مع الزمان و الحدثان تبرهن إعجازه بصدق قوله سبحانه و تعالی: وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ (۱)برهان عیان لا مجرد تسلیم و إیمان) (۲).

ثم یبدأ بسرد طائفه من الآیات القرآنیه،و یحللها و یفسرها تفسیرا علمیا فیقول:

(و مثال ذلک أن العلم کشف فی هذه القرون الأخیره حقائق و طبائع کثیره،تعزی لکاشفیها و مخترعیها من علماء أوروبا و أمریکا،و المدقق فی القرآن یجد أکثرها ورد التصریح أو التلمیح به فی القرآن منذ ثلاثه عشر قرنا،و ما بقیت مستوره تحت غشاء من الخفاء إلا لتکون عند ظهورها معجزه للقرآن،شاهده بأنه کلام رب لا یعلم الغیب سواه،و ذلک أنهم قد کشفوا أن ماده الکون هی الأثیر،و قد وصف القرآن بدء التکوین فقال: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ (۳)و کشفوا أن الکائنات فی حرکه دائمه دائبه و القرآن یقول: وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ (۴)و حققوا أن الأرض منفتقه فی النظام الشمسی و القرآن یقول: اَلسَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما (۵)و حقّقوا أن القمر منشق من الأرض،و القرآن یقول: اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (۶)...و حققوا أن طبقات الأرض سبع و القرآن یقول: اَللّهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (۷)و کشفوا۲۱.

۱- سوره الأنعام،الآیه:۵۹.

۲- طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد،عبد الرحمن الکواکبی،بیروت،دار النفائس،الطبعه الأولی،۱۹۸۴،ص ۴۷.

۳- سوره فصلت الآیه:۱۱.

۴- سوره یس،الآیه:۴۰.

۵- سوره الأنبیاء،الآیه:۳۰.

۶- سوره القمر،الآیه:۱.

۷- سوره الطلاق،الآیه:۱۲.

وجود الميكروب و تأثيره كالجدرى و غيره من المرض و القرآن يقول وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (۱)أى متتابعه مجتمعه، تَرْمِيهِمْ بِحِجارَهٍ مِنْ سِجِّيلٍ (۲)أى من طين المستنقعات اليابس إلى غير ذلك من الآيات الكثيره المحققه لبعض مكتشفات علم الهيئه و النواميس الطبيعيه،و بالقياس على ما تقدم ذكره يقتضى أن كثيرا من آياته سينكشف سرها فى المستقبل فى وقتها المرهون،تجديدا لإعجازه ما دام الزمان) (۳).

(و إذا كان لنا من تعليق على قوله فإننا نقول:إنه قد تأثر بهذا اللون من التفسير تأثّرا كبيرا حتى وصل به الأمر إلى حد الإفراط و المغالاه،و بسبب ذلك صار يتلمس لكل نظريه نصا من القرآن مدعيا أن هذا وجه من وجوه صدقه و دلائل إعجازه العلمى بعد أن اقتصر علماء السلف على حد قوله على أن فصاحته و بلاغته هى سبب إعجازه،فانظر إلى استدلاله على أن القمر منشق من الأرض بقوله تعالى: اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ فإن هذا المعنى المزعوم لا تدل عليه أى من الآيتين،و هو معنى بعيد كل البعد عن معناهما،بالإضافه إلى أنه قد يستدل ببعض آيه تاركا ما قبلها و ما بعده) (۴).هذان من أبرز من تناول تفسير القرآن بمغالاه،و هناك غيرهما كثير مثل عبد العزيز إسماعيل فى كتابه«الإسلام و الطب الحديث»و عبد الرزاق نوفل فى عده كتب له،و من أخطر و أجرأ من تعسف فى هذا الصدد هو طنطاوى جوهرى فى تفسيره«الجواهر»الذى جاء فى خمسه و عشرين جزءا،و الذى يتحدث فيه:(لقد وضعت فى هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام و الأخلاق و عجائب الكون و أثبت فيه غرائب العلوم،و عجائب الخلق،مما يشوق المسلمين و المسلمات إلى الوقوف على حقائق معانى الآيات البينات فى الحيوان و النبات و الأرض و السموات و لتعلمنّ أيها الفطن أن هذا التفسير نفحه ربانيه،و إشاره قدسيه،و بشاره رمزيه،و أمرت به بطريق الإلهام،و أيقنت أن له شأنا سيعرفه الخلق،و سيكون من أهم أسباب رقىّ المستضعفين فى الأرض) (۵).

يقول فيه الدكتور حسين الذهبى:(و نجده يضع لنا فى تفسيره كثيرا من صور النباتات۱.

۱- سوره الفيل،الآيه:۳.

۲- سوره الفيل،الآيه:۴.

۳- انظر:طبائع الاستبداد،للكواكبى،ص ۴۸-۴۹.

۴- التفسير العلمى للقرآن،أحمد عمر أبو حجر،ص ۱۹۲.

۵- الجواهر فى تفسير القرآن الكريم،طنطاوى جوهرى،بيروت،دار إحياء التراث العربى،الطبعه الرابعه،۱۴۱۲ ه ۱۹۹۱/۱،۳/.

و الحيوانات و مناظر الطبيعه،و تجارب العلوم،بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول، توضيحا يجعل الحقيقه أمامه كالأمر المشاهد المحسوس،و لقد أفرط فی ذلک،و جاز حد المجاز.

و مما يؤخذ عليه:أنه قد يشرح بعض الحقائق الدينيه بما جاء عن أفلاطون فی جمهوريته أو بما جاء عن إخوان الصفا فی رسائلهم،و هو حين ينقلها يبدی رضاه عنها و تصديقه بها فی حين أنها تخالف فی ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون و الأشاعره.

هذا،و إنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيرا يقوم علی نظريات علميه حديثه غير مستقره فی ذاتها،و لم تمض فتره التثبت منها،و هذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف،إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحيانا،فلا أقل من أن يذهب بروائه و بهائه) (۱).

القسم الثانی:المثبتون من العلماء المعاصرين باعتدال

أولا–وحيد الدين خان :

أولا–وحيد الدين خان (۲):

و سوف نقف مع كتابه«الإسلام يتحدی»و الذی قدم له الدكتور عبد الصبور شاهين.

عقد وحيد الدين خان فی كتابه المذكور مبحثا بعنوان:القرآن و الكشوف الحديثه، تحدّث فيه عن قضيه الإعجاز العلمی فی القرآن الكريم،و وضع بعض الضوابط لهذا النمط من التفسير،و التی تدل علی اعتدال الرجل و اتزانه إزاء هذه القضيه،ثم ساق طائفه من الآيات القرآنيه و فسّرها بناء علی معطيات الحقائق العلميه،و بمنهج دقيق لا إفراط فيه و لا مغالاه.

و ها هو ذا يبين أهم قيد من القيود التی يرتكز عليها هذا التفسير فيقول:(إن مطابقه كلمات القرآن و ألفاظه للكشوف العلميه الحديثه مبنيه علی أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن أسرار الواقعه موضوع البحث،فتوفرت لدينا مواد نافعه لتفسير الإشارات

۱- التفسير و المفسرون،محمد حسن الذهبی،القاهره،دار الكتب الحديثه،الطبعه الأولی،۱۳۸۱ ه،۱۸۴/۳،۱۹۶۱.

۲- من كبار علماء الهند و مفكّريها فی العصر الحديث،و من الذين يتولون قضيه الإسلام أمام الزحف الفكری المعادی،له عده مؤلفات منها،الإسلام يتحدی،و الدين.انظر:مقدمه الدكتور عبد الصبور شاهين لكتاب الإسلام يتحدی.

القرآنیه فی ذلک الموضوع،و لو أن دراسه المستقبل فی موضوع ما تبطل واقعه من وقائع العلم الحدیث کلیا أو جزئیا فلیس هذا بضائر مطلقا صدق القرآن،بل معناه أن المفسر أخطأ فی محاولته لتفسیر إشاره مجمله فی القرآن،و إننی لعلی یقین راسخ بأن الکشوف المقبله سوف تکون أکثر إیضاحا لإشارات القرآن،و أکثر بیانا لمعانیه الکامنه) (۱).

و یبدأ بضرب بعض الأمثله علی إعجاز القرآن،و سبقه فی تسجیل الحقائق العلمیه التی وصل إلیها علماء العصر،لکن بعد جهد جهید،و عمل مضن و مستمر کلفهم أموالا طائله فضلا عن سهر اللیالی الطویل،فیقول:

(۱-ذکر القرآن الکریم قانونا خاصا بالماء فی سورتین هما الفرقان و الرحمن، و جاء فی السوره الأولی قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۲)و أما الآیه التی وردت فی السوره الأخری فهی تقول:

مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ(۱۹) بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ(۲۰) (۳) .

إن الظاهره الطبیعیه التی یذکرها القرآن فی هذه الآیات معروفه عند الإنسان منذ أقدم العصور و هی أنه إذا ما التقی نهران فی ممر مائی واحد،فماء أحدهما لا یدخل أی لا یذوب فی الآخر،و هناک علی سبیل المثال،نهران یسیران فی«تشاتغام»بباکستان الشرقیه إلی مدینه«أرکان»فی«بورما»و یمکن مشاهده النهرین،مستقلا أحدهما عن الآخر،و یبدو أن خیطا یمر بینهما حدا فاصلا،و الماء عذب فی جانب و ملح فی جانب آخر،و هذا هو شأن الأنهار القریبه من السواحل،فماء البحر یدخل ماء النهر عند حدوث المد البحری و لکنهما لا یختلطان،و یبقی الماء عذبا تحت الماء الأجاج، و هکذا شاهدت عند ملتقی نهری«الکنج و الجامونا»فی مدینه« الله آباد»فهما رغم التقائهما لم تختلط میاههما و یبدو أن خیطا فاصلا یمیز أحدهما عن الآخر...

إن هذه الظاهره کانت معروفه لدی الإنسان القدیم...و لکنا لم نکشف قانونها إلا منذ بضع عشرات من السنین،فقد أکدت المشاهدات و التجارب أن هناک قانونا ضابطا للأشیاء السائله،یسمی بقانون المط السطحی (surface tension) و هو یفصل بین ۰.

۱- الإسلام یتحدی،وحید الدین خان،القاهره،دار البحوث العلمیه،ترجمه،ظفر الإسلام خان،الطبعه الثانیه،۱۳۹۳ ۱۹۷۳۰/،ص:۱۴۱.

۲- سوره الفرقان،الآیه:۵۳.

۳- سوره الرحمن،الآیتان ۱۹،۲۰.

السائلين،لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل إلى آخر،و لذا يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله،و قد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانون،الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه: بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ و ملاحظه هذا البرزخ لم تخف عن أعين القدماء،كما لم تتعارض مع المشاهده الحديثه.

و نستطيع بكل ثقه أن نقول إن المراد من البرزخ إنما هو المط أو التمدد السطحى الذى يوجد فى الماءين و الذى يفصل أحدهما عن الآخر) (۱).

ثم يستعرض عددا من الأمثله فى عده جوانب من العلوم مقارنا ذلك مع ما ورد فى كتاب اللّه تعالى،بدقه و موضوعيه،ثم يقول: (لسنا نملك أمام هذا التوافق المدهش بين ما ورد فى الماضى البعيد و ما اكتشف بالأمس القريب،إلا أن نؤمن بأن هذا الكلام صادر عن موجود يحيط علمه بالماضى و الحال و المستقبل على السواء) (۲).

ثانيا–الدكتور محمد جمال الدين الفندى :

ثانيا–الدكتور محمد جمال الدين الفندى (۳):

يعرض الدكتور الفندى قضيه الإعجاز العلمى فى القرآن لكن بتحفظ و تثبت دون مغالاه أو تجاوز و يقف عند حدود النص و مدلولاته اللغويه و الشرعيه،و يعتمد المنهج الدقيق الصحيح،و هو:تفسير القرآن على أساس الحقائق العلميه الثابته لا النظريات المتغيره المتبدله،و يسوق مجموعه من الأمثله التى تثبت إعجاز القرآن الكريم،يقول:

(و سوف نوضح كيف تمشّى العلم مع القرآن الكريم منذ نزل و تلك قاعده عامه طالما كانت التعليقات العلميه أو التفسيرات مبنيه على حقائق سليمه علميه و قاصره على الحقائق بعيدا عن النظريات المتطوره،و من غير أن نكلف الآيات ما لا طاقه لها به من مجاز أو كنايه) (۴).

۱- انظر:الإسلام يتحدى،وحيد الدين خان،ص:۱۴۲-۱۴۳.

۲- المصدر نفسه،ص:۱۵۱.

۳- رئيس قسم الفلك و أستاذ الطبيعه الجويه بكليه العلوم فى جامعه القاهره،كما أنه عضو فى المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه بمصر،له العديد من المؤلفات العلميه و الدينيه منها:قصه الكون،و الصعود إلى المريخ،و الإسلام و قوانين الوجود.عن مقدمه دار النشر لهذا الكتاب، الهيئه المصريه العامه للكتب.

۴- الإسلام و قوانين الوجود،محمد جمال الدين الفندى،القاهره،الهيئه المصريه العامه للكتب،۱۹۸۲،ص:۵۵.

و يبدأ بعرض أمثله يوضح فيها سبق القرآن فى تسجيل بعض قواعد العلوم و إعجازه فى ذلك و من هذه الأمثله التى ذكرها تعقيبه على قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ (۱).

فيقول:(قال الأقدمون فى ظل ما كان متوفرا لديهم من حقائق العلم أن لَواقِحَ هنا إنما تشير إلى تلقيح الرياح لبعض النباتات لكى تثمر أو يوجد الثمر،و هذه حقيقه قائمه لم تتغير لأن الرياح كانت و لا زالت و سوف تستمر فى تلقيح بعض النباتات لتوجد الثمر،و فى ظل الآفاق الواسعه التى فتحها أمامنا عصر العلم اتضح للعلماء و ثبت لديهم أن الرياح هى التى تثير السحاب و تكونه،مصدقا لبيانه تعالى: اَللّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (۲)و القرآن الكريم هو أول كتاب على الإطلاق قرر تلك الحقيقه العلميه،و فى ظل تلك القضايا العلميه الهامه يستمر القرآن الكريم فيفرق بين السحاب الذى يمطر و السحاب الذى لا يمطر معلنا فى إعجاز علمى أخّاذ أن نزول المطر إنما يتم عن طريق تلقيح الرياح للسحاب، وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ و لقد ثبت علميا أن السحب لكى تمطر يجب أن تستمر الرياح و تدأب على تلقيحها أو إمدادها بجسيمات عناصر المطر و هى بخار الماء و نوى التكاثف و بخار الماء عباره عن جزئيات منفصله من الماء،تحملها الرياح من أسطح البحار و المحيطات و تصعد بها إلى مناطق إثاره السحب لكى تتجمع من جديد على جسيمات صغيره أخرى تذروها الرياح و تعرف باسم«نوى التكاثف».

و هذا التفسير الجديد إنما يربط بين أجزاء الآيه الكريمه و يجعلها واضحه المعنى، حيث تكون الفاء فى قوله: فَأَنْزَلْنا هى فاء السببيه،أى نجم عن هذا التلقيح إخصاب السحاب،و من ثم نزول الماء العذب و هو المطر) (۳).

۲-و عند ما يفسر قوله تعالى: وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ (۴)يقول:(قال الأقدمون:إن هذه الآيه الكريمه تشير إلى حقيقه ما لدى الخالق من عظيم القدره۷.

۱- سوره الحجر،الآيه:۲۲.

۲- سوره الروم،الآيه:۴۸.

۳- انظر:الإسلام و قوانين الوجود،محمد جمال الفندى،ص:۵۶.

۴- سوره الذاريات،الآيه:۴۷.

و اتساع الملک رغم ما أودعه فی الکون الفسیح من ألوان الماده و أجرام السماء،أی أن کلمه«موسعون»إنما تشیر إلی الیسر و الغنی...و بتقدم آلات الرصد عرفت المجرات، و أقرب المجرات إلینا مجره«المرأه المسلسله»و هی تبعد عن مجرتنا بنحو ۷۰۰ ألف سنه ضوئیه (۱)،و ما زالت أبعاد الکون تتسع حتی عرف الناس الیوم أن هناک نجوما هی فی الواقع مجرات،تبدو لفرط بعدها عنا علی هیئه نقط مضیئه هی أشباه النجوم و تبعد عنا بنحو ۱۲ ألف ملیون سنه ضوئیه!.

إننا مره أخری نسلم بحقیقه المعنی الأول لکلمه«موسعون»کما أننا نسلم بصحه التفسیر الحدیث الذی سقناه،حیث إنه فعلا اتسعت أبعاد الکون المرئی أمام البشر اتساعا یکاد لا یصدقه العقل بتقدم آلات الرصد و التتبع،علی أن هناک معنی آخر یشیر إلی حقیقه أن الکون یتمدد،أی تزداد أبعاده بمرور الزمن و هذه إحدی نتائج حسابات النسبیه،إلا أن الآیه الکریمه إنما تضم هذه التفسیرات و الحقائق العلمیه السلیمه کلها، و رأینا إذا کیف ساير رکب العلم ما أثاره القرآن الکریم من قضایا العلم العامه...) (۲).

ثالثا–الشیخ أحمد مصطفی المراغی:

یعلن الشیخ المراغی فی مقدمه تفسیره عن المنهج الذی سلکه فی تفسیر القرآن الکریم،و یدقق علی أهمیه تلاقح المعرفه،بحیث یستند المفسر لکتاب اللّه فی قضایا العلم علی المختصین فی العلوم الکونیه و الطبیعیه،لیکون لکلامه وزن و ثقل و مصداقیه،و أن یواکب العلوم العصریه و مستجداتها و لا یرکن إلی ما قیل فی قضایا العلم قبل قرون...

یقول المراغی فی مقدمه تفسیره:(و قد سلکنا فی الوصول إلی فهم الآیات التی أشارت إلی بعض نظریات فی مختلف الفنون استطلاع آراء العارفین بها،فاستطلعنا آراء الطبیب النطاسی،و الفلکی العارف،و المؤرخ الثبت،و الحکیم البصیر لیدلی کل برأیه فیما تمهر فیه،لنعلم ما أثبته العلم و أنتجه الفکر،فیکون کلامنا معتزا بکرامه المعرفه التی تشرف بتفهم کتاب اللّه،فرجل الدین حامل لوائها علیه أن یسأل العلم دائما یستبصر بما ثبت لدیه،و یساير عصره ما وجد إلی ذلک سبیلا،فإن قعدت به همته

۱- السنه الضوئیه:(light year) المسافه التی یقطعها الضوء خلال سنه.موجز فی تاریخ الزمان، ستیفن هوکنغ ،ص:۲۰۸.

۲- انظر:الإسلام و قوانین الوجود،محمد جمال الفندی،ص:۵۸-۵۹.

إلی الموروث من قضایاه لدی الماضین رکب شططا و ازداد بعدا عن الحقیقه،و تضاءل أمام نفسه و أمام قارئی بحوثه و مؤلفاته) (۱).

و إذا ما أردنا أن نتبین التطبیق العملی لهذا المنهج فلنستعرض بعض الأمثله التی أوردها فی تفسیره و کیف وازن بین آیات القرآن الکریم و بین مستجدات العلم.

ففی تفسیره لقول اللّه تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ(۲) (۳).

یقول المراغی: (وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ أی جعلها متسعه ممتده فی الطول و العرض لتثبت علیها الأقدام،و یتقلب علیها الحیوان،و ینفع الناس بخیراتها و زرعها و ضرعها ...و لا شک أن الأرض لعظم سطحها هی فی رأی العین کذلک،و هذا لا یمنع کرویتها التی قد قامت علیها الأدله لدی علماء الفلک،و لم یبق لدیهم فیها ریب...

ثم یقول: وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ أی و جعل فیها من کل أصناف الثمرات زوجین اثنین ذکرا أو أنثی حین تکونها،فقد أثبت العلم حدیثا أن الشجر و الزرع لا یولدان الثمر و الحب إلا من اثنین ذکر و أنثی،و عضو التذکیر قد یکون مع عضو التأنیث فی شجره واحده کأغلب الأشجار،و قد یکون عضو التذکیر فی شجره و عضو التأنیث فی شجره أخری کالنخل،ما کان العضوان فیه فی شجره واحده إما أن یکونا معا فی زهره واحده کالقطن،و إما أن یکون کل منهما فی زهره کالقرع مثلا) (۳).

و فی بیانه تعالی: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ(۳۸) (۴)یقول:(أی و الشمس تجری حول مرکز مدارها الثابت الذی تسیر حوله بحسب وضعها النجمی،فقد ثبت أن لها حرکه رحویه حول هذا المرکز تقدّر بمائتی میل فی الثانیه، و هذا الوضع العجیب من تقدیر العزیز القاهر لعباده...ثم یقول:و علماء الفلک قدیما جعلوا الکواکب مرکوزه فی الأفلاک علی ما نراه فی کتبهم،فلیس للکوکب أن یسبح من تلقاء نفسه،بل لا بد له من حامل یحمله و هو الذی یدور به و کیف یسبح ما لا حریه له، و لا قدره له علی السیر بل هو محمول علی غیره؟هکذا کان الرأی عندهم،و لکن رأی۸.

۱- تفسیر المراغی،أحمد مصطفی المراغی،۱۸/۱.

۲- تفسیر المراغی،أحمد مصطفی المراغی،۶۶/۳۱.

۳- سوره الرعد،الآیه:۳.

۴- سوره یس،الآیه:۳۸.

علماء الفلك المحدثين:أن جميع الكواكب تسير فى مدارات فى عالم الأثير فهى إذا كأنها سمك فى بحر لجى...ثم يعقب قائلا:فاعجب أيها القارئ الكريم للقرآن كيف أثبت ما دل على صحته الكشف الحديث،و دحض تلك الآراء التى كانت شائعه عصر التنزيل لدى علماء الفلك من اليونان و الهند و الصين) (۱).

بعد هذه الجوله السريعه فى صفحات كتب المثبتين لقضيه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم،من العلماء القدامى و المعاصرين،ننتقل فى المبحث الآتى لنتعرف على أبرز المعارضين لتفسير القرآن على أساس العلم من العلماء القدامى و المعاصرين.۱.

۱- تفسير المراغى،أحمد مصطفى المراغى،۱۰/۲۳-۱۱.

المبحث الثالث: أبرز المعارضين من العلماء القدامى و المعاصرين

اشاره

إذا كان قد وجد من العلماء القدامى من دعا و تبنى قضيه التفسير العلمى للقرآن،فإن من العلماء القدامى من قد عارض هذا الاتجاه و رده،و على رأس هؤلاء العالم الأصولى الكبير،و الذى أخذ كتابه«الموافقات»شهره كبيره فى أوساط العلماء منذ قرون،إنه الإمام الشاطبى.

أولا-المعارضون من العلماء القدامى:

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى :

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى (١):

عرض الإمام الشاطبى فى كتابه«الموافقات»لأميه الرسول،و أميه هذه الأمه،و ساق أدله على أميه هذه الأمه من القرآن الكريم و السنه المطهره،و بما أننا أمه أميه فإن الشريعه التى نزلت فينا أميه كذلك؟على هذا الأساس كان منطلق رده لقضيه التفسير العلمى للقرآن.

يقول الإمام الشاطبى:(ما تقرر من أميه الشريعه و أنها جاريه على مذاهب أهلها و هم العرب ينبنى عليه قواعد:

١-منها:أن كثيرا من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحدّ،فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين:من علوم الطبيعيات،و التعاليم و المنطق،و علم الحروف،و جميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون و أشباهها،و هذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح،و إلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابه و التابعين و من يليهم كانوا

١- ...-٧٩٠ ه...١٣٨٨،إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى الشاطبى،أصولى حافظ،كان من أئمه المالكيه،من مؤلفاته،أصول النحو،و الاعتصام بالسنه،و الاتفاق فى علم الاشتقاق،و الموافقات فى أصول الشريعه،و غيرها.انظر:الأعلام للزركلى،٧٥/١،بتصرف.

أعرف بالقرآن و بعلومه و ما أودع فيه،و لم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم فی شیء من هذا المدعی،سوی ما تقدم و ما ثبت فيه من أحكام التكاليف و أحكام الآخره،و ما يلی ذلك،و لو كان لهم فی ذلك خوض و نظر،لبلغنا منه ما يدلّنا علی أصل المسأله؛إلا أن ذلك لم يكن،فدل علی أنه غير موجود عندهم،و ذلك دليل علی أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشیء مما زعموا نعم،تضمن علوما هی من جنس علوم العرب،أو ما ينبنی علی معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب،و لا تبلغه إدراكات العقول الراجحه دون الاهتداء بأعلامه،و الاستناره بنوره،أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا) (۱).

ثم يشرع الشاطبی رحمه اللّه بذكر أدله المجيزين لقضيه الإعجاز و يردها،فيقول:(و ربما استدلوا علی دعواهم بقوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَیْءٍ (۲)و قوله:

ما فَرَّطْنا فِی الْكِتابِ مِنْ شَیْءٍ (۳) و نحو ذلك،و بفواتح السور و هی مما لم يعهد عند العرب و بما نقل عن الناس فيها،و ربما حكی من ذلك عن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه و غيره أشياء.

فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف و التعبد،أو المراد بالكتاب فی قوله تعالی: ما فَرَّطْنا فِی الْكِتابِ مِنْ شَیْءٍ اللوح المحفوظ،و لم يذكروا فيها ما يقتضی تضمنه لجميع العلوم النقليه و العقليه.

و أما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضی أن للعرب بها عهدا،كعدد الجمل الذی تعرفوه من أهل الكتاب،حسبما ذكره أصحاب السير،أو هی من المتشابهات التی لا يعلم تأويلها إلا اللّه تعالی،و غير ذلك.

و أما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون،و لم يدّعه أحد ممن تقدم،فلا دليل فيها علی ما ادّعوا و ما ينقل عن علیّ أو غيره فی هذا لا يثبت،فليس بجائز أن يضاف إلی القرآن ما لا يقتضيه،كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه،و يجب الاقتصار فی الاستعانه علی فهمه علی كل ما يضاف علمه إلی العرب خاصه،فبه يوصل إلی علم ما أودع من۸.

۱- الموافقات فی أصول الشريعه،إبراهيم بن موسی بن محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی، بيروت،دار المعرفه،الطبعه الرابعه،۱۴۲۰ ه،۱۹۹۹/۲،۳۸۹-۳۹۰.

۲- سوره النحل،الآيه:۹۸.

۳- سوره الأنعام،الآيه:۳۸.

الأحكام الشرعيه،فمن طلبه بغير ما هو أداه له ضلّ عن فهمه،و تقوّل على اللّه و رسوله فيه،و الله أعلم،و به التوفيق) (۱).

(و منطق الشاطبى هنا منطق قوى،و أدلته لا مطعن فيها،إلا ما كان من اعتماده على أميه الشريعه،بناء على أميه الأمه،ذلك أن أميه الأمه ليست أمرا مطلوبا و لا مرغوبا فيه،بل بعث اللّه رسوله فى الأميين ليخرجهم من الأميه إلى باحه العلم و النور كما قال تعالى: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (۲)فهذه مهمه الرسول صلى اللّه عليه و سلم مع الأميين:التلاوه و التزكيه و تعليم الكتاب و الحكمه،و لا أعجب أن كانت الآيات الأولى من الوحى تنبئ بذلك اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (۳)فالأميه ممدوحه فى حقه صلى اللّه عليه و سلم لأنها أدل على الإعجاز، و ليست ممدوحه فى حق الأمه،و على الأمه أن تتحرر منها لتتعلم و تتفقه و تنظر فى ملكوت السموات و الأرض...) (۴).

ثانيا–المعارضون من العلماء المعاصرين

۱–الشيخ محمود شلتوت :

۱–الشيخ محمود شلتوت (۵):

لم يخرج شيخ الأزهر محمود شلتوت عن الأطر التى رسمها الشاطبى لمعارضته، فها هو ذا يعلن معارضته الواضحه لتفسير القرآن على أساس العلم فى مقدمه تفسيره فيقول:(و أما الناحيه الثانيه:فإن طائفه أخرى فهى طائفه المثقفين الذين أخذوا بواف من العلم الحديث،و تلقنوا أو تلقفوا شيئا من النظريات العلميه و الفلسفيه و غيرها،

۱– الموافقات،إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى الشاطبى،۳۹۰/۲.

۲– سوره الجمعه،الآيه:۲.

۳– سوره العلق،الآيه:۱.

۴– كيف نتعامل مع القرآن العظيم،يوسف القرضاوى،القاهره،دار الشروق،الطبعه الأولى، ۱۴۱۹ ه ۱۹۹۹/،ص ۳۷۷–۳۷۸.

۵– ۱۳۸۳–۱۳۱۰ ه،۱۸۹۳–۱۹۶۳،محمود شلتوت،فقيه و مفسر ولد فى منيه بنى منصور فى البحيره،و تخرج بالأزهر عام ۱۹۱۸ و كان داعيه إصلاح نير الفكر،و من أعضاء كبار العلماء، و من أعضاء مجمع اللغه العربيه،ثم تعين شيخا للأزهر عام ۱۹۵۸،إلى وفاته،له ۲۶ مؤلفا مطبوعا منها:التفسير،و حكم الشريعه،و القرآن و المرأه،و غيرها.انظر:الأعلام،للزركلى، ۱۷۳/۷،بتصرف.

أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثه،و يفسّرون آيات القرآن على مقتضاها،نظروا فى القرآن فوجدوا اللّه سبحانه و تعالى يقول: وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ (۱)فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا فى القرآن فتحا جديدا،ففسروه على أساس من النظريات العلميه المستحدثه،و طبّقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونيه و ظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن،و يرفعون من شأن الإسلام،و يدعون له أبلغ دعايه فى الأوساط العلميه و الثقافيه.

نظروا فى القرآن على هذا الأساس،فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، و أفضى بهم إلى صور من التفكير لا- يريدها القرآن،و لا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله اللّه،فإذا مرت آيه فيها ذكر للمطر أو وصف للسحاب أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا و استبشروا و قالوا:هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين،و يصف لهم أحدث النظريات العلميه عن المطر و السحاب و كيف ينشأ و كيف تسوقه الرياح، و إذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات أو الحيوان و ما خلق اللّه من شىء قالوا:هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعه و أسرار الطبيعه،و إذا رأوه يتحدث عن الشمس و القمر و الكواكب و النجوم،قالوا:هذا حديث يثبت لعلماء الهيئه و الفلكيين أن القرآن كتاب علمى دقيق...) (۲).

و بعد استعراضه بعض الآيات التى فسّرت تفسيرا علميا يقول:(إن هؤلاء فى عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سافلين فكّروا مثل هذا التفكير،و لكن على حسب ما كانت توحى به إليهم أحوال زمانهم فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علميه أو فلسفيه أو سياسيه) (۳).

ثم يبين جوانب الخطأ فى هذا الاتجاه فيقول:(هذه النظره للقرآن خاطئه من غير شك،لأن اللّه لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم و دقائق الفنون و أنواع المعارف.۱.

۱- سوره الأنعام،الآيه:۳۸.

۲- تفسير القرآن الكريم،محمود شلتوت،القاهره،دار الشروق،الطبعه السادسه،۱۳۹۴ ه/ ۱۹۷۴،ص ۱۱.

۳- المصدر نفسه،ص:۱۱.

و هی خاطئه:من غیر شک لأنها تحمل أصحابها و المغرمین بها علی تأویل القرآن تأویلا متکلفا یتنافی مع الإعجاز و لا یسیغه الذوق السلیم.

و هی خاطئه:لأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فی کل زمان و مکان، و العلوم لا تعرف الثبات و لا القرار و لا الرأی الأخیر،فقد یصح الیوم فی نظر العلم ما یصبح غدا من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن علی هذه المسائل العلمیه المتقلبه،لعرضناه للتقلب معها،و تحمل تبعات الخطأ فیها،و لأوقفنا أنفسنا بذلک موقفا حرجا فی الدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته و جلاله،و لنحفظ علیه قدسیته و مهابته،و لنعلم أن ما تضمنه من الإشارات إلی أسرار الخلق و ظواهر الطبیعه إنما هو لقصد الحث علی التأمل و البحث و النظر...) (۱).

۲-سید قطب :

۲-سید قطب (۲):

موقف سید قطب رحمه اللّه تعالی هو نفس موقف الشاطبی و شلتوت،و لندع لقلمه البلیغ أن یعرب عما یعتقده فی هذا المجال،و سوف نقتبس رأیه من تفسیره«الظلال» عند تعلیقه علی آیه الأهله یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنّاسِ وَ الْحَجِّ وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۳).

یقول:(القرآن قد جاء لما هو أکبر من تلک المعلومات الجزئیه،و لم یجیء لیکون کتاب علم فلکی أو کیماوی أو طبی کما یحاول بعض المتحمسین له أن یلتمسوا فیه هذه

۱- تفسیر القرآن الکریم،محمود شلتوت،ص:۱۲.

۲- ۱۳۸۷-۱۳۲۴ ه،۱۹۰۶-۱۹۶۶،الشهید سید بن قطب بن إبراهیم،مفکر إسلامی مصری من مواليد قریه«موشا»فی أسیوط،تخرج بکلیه دار العلوم بالقاهره،و عمل فی جریده الأهرام، و کتب فی مجلتی الرساله و الثقافه،أوفد فی بعثه لدراسه برامج التعلیم فی أمریکا،ثم انضم إلی الإخوان المسلمین،فترأس قسم نشر الدعوه و تولی تحریر جریدتهم،و سجن معهم،فعکف علی تألیف الکتب و نشرها و هو فی سجنه إلی أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم،کتبه کثیره و مطبوعه منها،النقد الأدبی،و العداله الاجتماعیه فی الإسلام،و التصویر الفنی فی القرآن،و فی ظلال القرآن،و غیرها.انظر:الأعلام،للزرکلی ۱۴۸/۳،بتصرف.

۳- سوره البقره،الآیه:۱۸۹.

العلوم،أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم،إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعه هذا الكتاب و وظيفته و مجال عمله،إن مجاله هو النفس الإنسانيه و الحياه الإنسانيه،و إن وظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود و ارتباطه بخالقه،و لوضع الإنسان فى هذا الوجود،و ارتباطه بربه،و أن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياه يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته،و من بينها طاقته العقليه التى تقوم هى بعد تنشئتها على استقامه،و إطلاق المجال لها لتعمل بالبحث العلمى فى الحدود المتاحه للإنسان و بالتجريب و التطبيق،و تصل إلى ما تصل إليه من نتائج ليست نهائيه و لا مطلقه بطبيعه الحال،إن ماده القرآن التى يعمل فيها هى الإنسان ذاته،تصوره و اعتقاده و مشاعره و مفهوماته و سلوكه و أعماله و روابطه و علاقاته،أما العلوم الماديه و الإبداع فى عالم الماده بشتى وسائله و صنوفه فهى موكوله إلى عقل الإنسان و تجاربه و كشوفه و فروضه و نظرياته،بما أنها أساس خلافته فى الأرض و بما أنه مهيأ لها بطبيعه تكوينه،و القرآن يصحح له فطرته كى لا تنحرف و لا تفسد و يصحح له النظام الذى يعيش فيه كى يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبه له،و يزوده بالتصور العام لطبيعه الكون و ارتباطه بخالقه و تناسق تكوينه،و طبيعه العلاقه القائمه بين أجزائه،و هو أى«الإنسان»أحد أجزائه،ثم يدع له أن يعمل فى إدراك الجزئيات و الانتفاع بها فى خلافته،و لا يعطيه تفصيلات لأن معرفه هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتى...و إنى لأعجب لسذاجه المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، و أن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه،و أن يستخرجوا منه جزئيات فى علوم الطب و الكيمياء و الفلك و ما إليها،كأنما ليعظموه بهذا و يكبروه،إن القرآن كتاب كامل فى موضوعه،و موضوعه أضخم من تلك العلوم كلها،لأنه هو الإنسان ذاته الذى يكشف هذه المعلومات و ينتفع بها،و البحث و التجريب و التطبيق من خواص العقل فى الإنسان،و القرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه بناء شخصيته و ضميره و عقله و تفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنسانى الذى يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخوره فيه،و بعد أن يوجد الإنسان السليم التصور و التفكير و الشعور و يوجد المجتمع الذى يسمح له بالنشاط،يتركه القرآن يبحث و يجرب و يخطئ و يصيب فى مجال العلم و البحث و التجريب،و قد ضمن له موازين التصور و التدبر و التفكير الصحيح كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائيه التى يذكرها القرآن أحيانا عن الكون فى طريقه لإنشاء التصور الصحيح لطبيعه الوجود و ارتباطه بخالقه و طبيعه التناسق بين

أجزائه،لا- يجوز أن نعلق هذه الحقائق النهائيه التى يذكرها القرآن بفروض العقل البشرى و نظرياته و لا حتى بما يسميه حقائق علميه مما ينتهى إليه بطريق التجربه القاطعه فى نظره،إن الحقائق القرآنيه حقائق نهائيه قاطعه مطلقه،أما ما يصل إليه البحث الإنسانى أيا كانت الأدوات المتاحه له فهى حقائق غير نهائيه و لا قاطعه،و هى مقيده بحدود تجاربه،و ظروف هذه التجارب و أدواتها،فمن الخطأ المنهجى بحكم المنهج العلمى الإنسانى ذاته،أن نعلق الحقائق النهائيه القرآنيه بحقائق غير نهائيه،و هى كل ما يصل إليه العلم البشرى هذا بالقياس إلى الحقائق العلميه و الأمر أوضح بالقياس إلى النظريات و الفروض التى تسمى علميه،و من هذه النظريات و الفروض كل النظريات الفلكيه،و كل النظريات الخاصه بنشأه الإنسان و أطواره،و كل النظريات الخاصه بنفس الإنسان و سلوكه،و كل النظريات الخاصه بنشأه المجتمعات و أطوارها،فهذه كلها ليست حقائق علميه حتى بالقياس الإنسانى،و إنما هى نظريات و فروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونيه أو الحيويه أو النفسيه أو الاجتماعيه إلى أن يظهر فرض آخر يفسّر قدرا أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق،و من ثم فهى قابله دائما للتغيير و التعديل و النقص و الإضافه؛بل قابله لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أداه كشف جديده أو بتفسير جديد لمجموعه الملاحظات القديمه و كل محاوله لتعليق الإشارات القرآنيه العامه بما يصل إليه العلم من نظريات متجدده متغيره أو حتى بحقائق علميه،ليست مطلقه كما أسلفنا تحتوى أولا على خطأ منهجى أساسى كما أنها تنطوى على معان ثلاثه كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم.

الأولى هى:الهزيمه الداخليه التى تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن و القرآن تابع،و من هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم على حين أن القرآن كتاب كامل فى موضوعه و نهائى فى حقائقه و العلم ما يزال فى موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس،و كل ما يصل إليه غير نهائى،و لا مطلق،لأنه مقيد بوسط الإنسان و عقله و أدواته،و كلها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقه واحده نهائيه مطلقه.

و الثانيه:سوء فهم طبيعه القرآن و وظيفته،و هى أنه حقيقه نهائيه مطلقه،تعالج بناء الإنسان بناء يتفق بقدر ما تسمح طبيعه الإنسان النسبيه مع طبيعه هذا الوجود و ناموسه الإلهى،حتى لا- يصطدم الإنسان بالكون من حوله،بل يصادقه و يعرف بعض أسراره و يستخدم بعض نواميسه فى خلافته،نواميسه التى تكشف له بالنظر و البحث و التجريب

و التطبیق وفق ما یهدیه إلیه عقله الموهوب له لیعمل لا لیتسلم المعلومات المادیه جاهزه.

و الثالثه هی:التأویل المستمر مع التمحل و التکلف لنصوص القرآن کی نحملها و نلهث بها وراء الفروض و النظریات التی لا تثبت و لا تستقر و کل یوم یجد فیها جدید، و کل أولئک لا یتفق و جلال القرآن کما أنه یحتوی علی خطأ منهجی کما أسلفنا...) (۱).

۳-محمد عبد العظیم الزرقانی :

۳-محمد عبد العظیم الزرقانی (۲):

عقد الشیخ الزرقانی فی کتابه القیّم«مناهل العرفان فی علوم القرآن»بابا بعنوان:

موقف القرآن من العلوم الکونیه،و فیه یعلن معارضته للتفسیر العلمی للقرآن الکریم، یقول:(موقف القرآن من العلوم الکونیه...و معنی هذا أن القرآن روعیت فیه بالنسبه إلی العلوم الکونیه اعتبارات خمسه لا یصدر مثلها عن مخلوق،فضلا عن رجل أمی نشأ فی الأمیین و هو محمد صلی اللّه علیه و سلم.

أولها:أنه لم یجعل تلک العلوم الکونیه من موضوعه،و ذلک لأنها خاضعه لقانون النشوء و الارتقاء و فی تفاصیلها من الدقه و الخفاء ما یعلو علی أفهام العامه،ثم إن أمرها بعد ذلک هین بإزاء ما یقصده القرآن من إنقاذ الإنسانیه العاثره و هدایه الثقلین إلی سعاده الدنیا و الآخره،فالقرآن کما أسلفنا فی المبحث الأول کتاب هدایه و إعجاز، و علی هذا فلا یلیق أن نتجاوز به حدود الهدایه و الإعجاز حتی إذا ذکر فیه شیء من الکونیات فإنما ذلک للهدایه و دلاله الخلق علی الخالق،و لا یقصد القرآن مطلقا من ذکر هذه الکونیات أن یشرح حقیقه علمیه فی الهیئه و الفلک أو الطبیعه و الکیمیاء،و لا أن یحل مسأله حسابیه أو معادله جبریه أو نظریه هندسیه،و لا أن یزید فی علم الطب بابا و لا فی علم التشریح فصلا،و لا أن یتحدث عن علم الحیوان أو النبات أو طبقات الأرض إلی غیر ذلک...

۱- فی ظلال القرآن،سید قطب،القاهره،دار الشروق،الطبعه الخامسه و العشرون،۱۴۱۷ ه/ ۱/۱۸۰،۱۹۹۶-۱۸۲.

۲- ...-۱۳۶۷ ه...-۱۹۴۸ ه،محمد عبد العظیم الزرقانی،من علماء الأزهر بمصر،تخرج بکلیه أصول الدین،و عمل بها مدرسا لعلوم القرآن و الحدیث،و توفی بالقاهره،من أشهر کتبه، مناهل العرفان فی علوم القرآن.انظر:الأعلام،للزرکلی،۶/۲۱۰،بتصرف.

و لكن بعض الباحثين طاب لهم أن يتوسّعوا فى علوم القرآن و معارفه،فنظموا فى سلكها ما بدا لهم من علوم الكون،و هم فى ذلك مخطئون و مسرفون،و إن كانت نيتهم حسنه و شعورهم نبيلا-و لكن النيه و الشعور مهما حسنا لا- يسوغان أن يحكى الإنسان غير الواقع،و يحمل كتاب اللّه على ما ليس من وظيفته...إن وظيفته فى هدايه العالم أسمى وظيفه فى الوجود،و مهمته فى إنقاذ الإنسانيه أعلى مهمه فى الحياه،و ما العلوم الكونيه بإزاء الهدايات القرآنيه؟أ ليس العالم الآن يشقى بهذه العلوم و يخترب و ينتحر؟ ثم أ ليست العلوم الكونيه هى التى ترمى الناس فى هذه الأيام بالمنايا و تقذفهم بالحمم و تظهر لهم على أشكال مخيفه مزعجه من مدافع رشاشه و دبابات فتاكه و طائرات أزازه و قنابل مهلكه و غازات محرقه و مدمرات فى البر و البحر و فى الهواء و الماء؟و ما أشبه هذه العلوم للإنسان بعد تجرده من هدى اللّه و وحى السماء بالأنياب و المخالب للوحوش الضاريه و السباع الواغله فى أديم الغبراء.

ثانيها:أن القرآن دعا إلى هذه العلوم ما دعا إليه من البحث و النظر و الانتفاع بما فى الكون من نعم و عبر،قال اللّه سبحانه و تعالى: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (۱)،و قال جل شأنه: وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲).

ثالثها:أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مربوبه له تعالى و مقهوره لمراده،و نفى عنها ما علق بأذهان كثير من الضالين الذين توهموها آلهه و هى مألوهه و زعموها ذات تأثير و سلطان بينما هى خاضعه لقدره اللّه و سلطانه...

رابعها:أن القرآن حين يعرض لآيه كونيه فى معرضه من معارض الهدايه،يتحدّث عنها حديث المحيط بعلوم الكون،الخبير بأسرار السموات و الأرض الذى لا- تخفى عليه خافيه فى البر و البحر و لا- فى النجوم و الكواكب و لا- فى السحاب و الماء و لا- فى الإنسان و الحيوان و النبات و الجماد،و ذلك هو الذى بهر بعض المشتغلين بالعلوم الكونيه و أوقع من أوقع منهم فى الإسراف،و اعتبار هذه العلوم من علوم القرآن.

خامسها:أن الأسلوب الذى اختاره القرآن فى التعبير عن آيات اللّه الكونيه،أسلوب بارع جمع بين البيان و الإجمال فى سمت واحد،بحيث يمر النظم القرآنى الكريم على۳.

۱- سوره يونس،الآيه:۱۰۱.

۲- سوره الجاثيه،الآيه:۱۳.

سامعیه فی کل جیل و قبیل فإذا هو واضح فیما سبق له من دلاله الإنسان و هدایته إلی اللّه،ثم إذا هو مجمل التفاصیل یختلف الخلق فی معرفه تفاریعه و دقائقه باختلاف ما لدیهم من مواهب و مسائل و علوم و فنون...) (۱).

ثم یعقب قائلا:(و لا أحب أن نتوسع فی هذا،فبین أیدینا أمثله کثیره و مؤلفات جمه تموج و تضطرب باستنباط علوم الکون من القرآن أو بتفسیر القرآن و شرحه بعلوم الکون و أحداثها،فیما أعلم کتاب تحت الطبع الآن ألفه شاب فاضل مثقف و سماه بین القرآن و العلم و ضمنه شتیتا من الأبحاث المختلفه فی الاجتماع و علم النفس و علم الوارثه و الزراعه و التغذیه و فیما وراء الطبیعه،مما لا یتسع المقام لذکره،و مما لا نری حاجه إلیه خصوصا بعد أن تبین لنا أن العلوم الکونیه خاضعه لطبیعه الجزر و المد،و أن أبحاثا کثیره منها لا تزال قلقه حائره بین إثبات و نفی،فما قاله علماء الهیئه بالأمس ینقضه علماء الهیئه الیوم،و ما قرره علماء الطبیعه فی الماضی یقرر غیره علماء الطبیعه فی الحاضر،و ما أثبته المؤرخون قدیما ینفیه المؤرخون حدیثا،و ما أنکره الملادیون و أسرفوا فی إنکاره باسم العلم أصبحوا یثبتونه و یسرفون فی إثباته باسم العلم أیضا،إلی غیر ذلک مما زعزع ثقتنا بما یسمونه العلم،و مما جعلنا لا نطمئن إلی کل ما قرروه باسم هذا العلم...ثم هل یلیق بعد ذلک کله أن نحاکم القرآن إلی هذه العلوم المادیه القلقه الحائره،بینما القرآن هو تلک الحقائق الإلهیه العلویه القاره الثابته المتنزله من أفق الحق الأعلی الذی یعلم السر و أخفی،ألا إن القرآن لا یفر من وجه العلم،و لکنه یهفو إلی العلم و یدعو إلیه و یقیم بناءه علیه،فأثبتوا العلم أولا و وفروا له الثقه و حققوه ثم اطلبوه فی القرآن،فإنکم لا شک یومئذ واجدوه،و لیس من الحکمه و لا الإنصاف فی شیء أن نحاکم المعارف العلیا إلی المعارف الدنیا،و لا أن نحبس القرآن فی هذا القفص الضیق الذی انحبست فیه طائفه مخدوعه من البشر،بل الواجب أن نتحرّر من أغلال هذه المادّه المظلمه،و أن نطیر فی سماوات القرآن حیث نستشرف المعارف النورانیه المطلقه،و الحقائق الإلهیه المشرقه...) (۲).

۴-محمد رشید رضا:

یعتبر محمد رشید رضا الناطق العام،و المدافع الأول عن أفکار شیخه محمد عبده،

۱- مناهل العرفان فی علوم القرآن،للزرقانی،۲۵۷/۲-۲۵۸.

۲- مناهل العرفان فی علوم القرآن،عبد العظیم الزرقانی،۲۵۹/۲.

لکننا نجده هنا یخالفه و یأخذ بالملامه علی الذین یفسرون القرآن بالعلم،ففی مقدمه تفسیره یقول:

(کان من سوء حظ المسلمین أن أکثر ما یکتب فی التفسیر یشغل قارئه عن هذه المقاصد العالیه،و الهدایه السامیه،فمنها ما یشغله عن القرآن بمباحث الإعراب و قواعد النحو،و نکت المعانی و مصطلحات البیان،و منها ما یصرفه عنه بجدل المتکلمین،و تخریجات الأصولیین،و استنباطات الفقهاء المقلدین،و تأویلات المتصوفین،و تعصب الفرق و المذاهب بعضها علی بعض،و بعضها یلفته عنه بکثره الروایات،و ما مزجت به من خرافات الإسرائیلیات،و قد زاد الفخر الرازی،صارفا آخر عن القرآن هو ما یورده فی تفسیره من العلوم الریاضیه و الطبیعیه،و غیرها من العلوم الحادثه فی المله علی ما کانت فی عهده کالهیئه الفلکیه الیونانیه و غیرها،و قلده بعض المعاصرین بإیراد مثل ذلک من علوم هذا العصر و فنونه الکثیره الواسعه،فهو یذکر فیما یسمیه تفسیر الآیه فصولا طویله بمناسبه کلمه مفرده،کالسماء و الأرض من علوم الفلک و النبات و الحیوان تصد قارئها عما أنزل اللّه لأجله القرآن) (۱).

هذا هو رأی المعارضین للإعجاز العلمی فی القرآن الکریم،و سوف یتحدث المبحث القادم بعون اللّه عن أدله الفریقین مع ذکر الترجیح.۱.

۱- تفسیر المنار،رشید رضا،۷/۱.

المبحث الرابع: أدله الفريقين

أولا-من أدله المؤيدين للتفسير العلمی:

استدل المؤيدون للتفسير العلمی بأدله كثيره نذكر منها:

١-الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات:

كبيانه تعالى: ما فَرَّطْنا فِی الْكِتابِ مِنْ شَیْءٍ (١)و قوله سبحانه و تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَیْءٍ (٢)و قوله تعالى: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ (٣)و قوله سبحانه: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَیْءٍ شَهِيدٌ (۴)،و غير ذلك من الآيات الداعيه إلى التفكر و التدبر فی خلق اللّه عز شأنه.

٢-الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث و الآثار:

كحديث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال:«أنها ستكون فتنه»فقلت:ما المخرج منها يا رسول اللّه؟قال:«كتاب اللّه فيه نبأ ما قبلكم،و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم،و هو الفصل ليس بالهزل،من تركه من جبار قصمه اللّه،و من ابتغى الهدى فی غيره أضله اللّه،و هو حبل اللّه المتين،و هو الذكر الحكيم و هو الصراط المستقيم،هو الذی لا يزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنه،و لا يشبع منه العلماء،و لا يخلق عن كثره الرد،و لا تنقضی عجائبه،هو الذی لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدی إلى

١- سوره الأنعام،الآيه:٣٨.

٢- سوره النحل،الآيه:٩٨.

٣- سوره ق،الآيه:۶.

۴- سوره فصلت،الآيه:۵٣.

الرشد فآمنا به،من قال به صدق،و من عمل به أجر،و من حكم به عدل،و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور» (۱).

۳-(و قالوا:إن اللّه سبحانه و تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم و القدره و الحكمه بأحوال السموات و الأرض،و تعاقب الليل و النهار،و كيفيه الضياء و الظلام، و أحوال الشمس و القمر و النجوم،و ذكر هذه الأمور فى أكثر السور و كررها و أعادها مره بعد أخرى،فلو لم يكن البحث عنها و التأمل فى أحوالهم جائزا لما ملأ اللّه كتابه منها.

۴-أن العلم الحديث قد يكون ضروريا لفهم بعض المعانى القرآنيه،و ليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهما دقيقا متوقفا على تقدم بعض العلوم،فتكون الحقيقه العلميه من قواعد الترجيح فى التفسير إذا كان للآيه أكثر من معنى،فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذى تؤيده الحقائق العلميه.

۵-تحقق فوائد كثيره و منافع كبيره من التفسير العلمى منها:

أ-إدراك وجوه جديده للإعجاز فى القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم و حقائق العلم.

ب-استماله غير المسلمين إلى الإسلام و إقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمى، و إقامه الحجه عليهم بذلك.

ج-امتلاء النفوس إيمانا بعظمه اللّه عز و جلّ و عظيم سلطانه و قدرته،بعد الوقوف على أسرار الكون التى كشفها القرآن) (۲).

ثانيا-من أدله المعارضين للتفسير العلمى

(و استدل المعارضون للتفسير العلمى بأدله منها:

۱-أن للتفسير شروطا و قيودا قررها العلماء ينبغى الالتزام بها،فلا يكون تفسير القرآن مباحا لكل من حصّل علما من العلوم و غابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر، و من ذلك عدم تحميل ألفاظ القرآن معان و إطلاقات لم توضع لها و لم تستعمل فيها.

۱- رواه الترمذى،۱۷۲/۵،رقم:(۲۹۰۶)،و قال:هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و إسناده مجهول،و رواه الدارمى،۵۲۶/۲ رقم:(۳۳۳۱).

۲- انظر:دراسات فى علوم القرآن الكريم،فهد بن عبد الرحمن الرومى،ص ۲۹۱-۲۹۲،و انظر: التفسير العلمى للقرآن،أحمد عمر أبو حجر،ص ۱۰۳.

۲-أن القرآن الكريم كتاب هدايه و إرشاد و ليس بكتاب تفصيل لمسائل العلوم و نظرياته و دقائق الاكتشافات و المعارف،و من طلب ذلك من القرآن فقد أساء فهم طبيعه هذا القرآن و وظيفته.

۳-أن التفسير العلمى مدعاه إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعارضين، لأن عمليه التوفيق تفترض غالبا محاوله للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان و لا عداء،أو يظن أنهما متلاقيان و لا لقاء.

۴-أن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزه الحدود التى تحتملها ألفاظ النص القرآنى لأنه يحس بالضروره متابعه العلم فى مجالاته المختلفه،فيتعجّل تلمّس المطابقه بين القرآن و العلم تعجلا غير مشروع.

۵-أن ما يكشف من علوم إنما هو نظريات و فروض قابله دائما للتغير و التبديل و التعديل و النقض و الإضافه،بل قابله لأن تنقلب رأسا على عقب و من ثم فلا يصح أن تعلّق الحقائق القرآنيه النهائيه بمثل تلك النظريات حتى نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظريه) (۱).

هذه هى أدله المؤيّدين و المعارضين،و من خلال ما ثار بين الفريقين من مدّ و جزر، و أخذ ورد،و نفى و إثبات،يتّضح لنا أن الجميع يريد أن يثبت أن القرآن الكريم هو كلام اللّه المنزّه عن النقص و التناقض،و أنه منزل من عند اللّه سبحانه و تعالى...

الترجيح:

بعد التأمل فى وجهه نظر الفريقين و الوقوف على ما أوجزنا من أدلتهم،يمكن لنا أن نخلص إلى نتيجه فنقول:دراسه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم لا تقتصر على الجانب البلاغى و البيانى منه فهو تحدّى العرب إبان نزوله و هم أصحاب الفصاحه و فرسان البلاغه،و طالبهم بأن يأتوا بسوره من مثله فعجزوا و فشلوا...و القرآن خاطب الإنسانيه جمعاء لأنه منزّل عليها كلها على اختلاف الألسنه و اللغات،و أمرها بإعلان الدينونه و الولاء له،و لذلك كان لزاما أن نبرز جوانب الإعجاز فى القرآن لكل البشر، و نوضح لهم أسرار القرآن فى الكون و الحياه،و لكى يتحقق ذلك فإننا نرى أن اللّه قد وضع فى القرآن آيات علميه كونيه يتضح الإعجاز فيها فى كل عصر من العصور...

۱- دراسات فى علوم القرآن الكريم،فهد الرومى،ص:۲۹۳.

و خلال عرضنا لنواحی الإعجاز فی القرآن الکریم،ننبه إلی أن عملنا هذا لا یهدف إلی إبراز الحقائق العلمیه الکونیه،و من ثمّ للتدلیل بها علی إثبات مصداقیه القرآن الکریم،و أنه تنزیل الحکیم العلیم،فکتاب اللّه لا یدلل بشیء فی الوجود علی صحته، لأن کل حرف فیه ناطق علی أنه منزل من لدن حکیم خبیر،إنما سیکون عملنا شرحا و تفصیلا لآیات القرآن الکریم،فکما أن المفسرین القدامی فسروا القرآن علی ضوء اللغه،أو ما أثر عن الرسول صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه الکرام و التابعین،فکذلک نحن نفسر الآیات العلمیه بما یتناسب معها و ینسجم مع منطوقها أعنی الکشوفات العلمیه،و هذا المنهج لا یلوی أعناق الآیات و یخضعها لحقائق العلم،و لا یحمّل النص القرآنی ما لا یحتمل،و بالمقابل فإنه لا یحاول إقحام المعارف الکونیه إقحاما قسریا لشرح آیه من کتاب اللّه،معاذ اللّه،لا هذا و لا ذاک،إنما یعتمد هذا المنهج علی وضوح الحقیقه العلمیه و ثباتها و عند ما نقول:«ثباتها»أی إنها غیر قابله للتغییر أو التبدیل،آنذاک نعرض من القرآن ما قد قرره فی هذا الصدد و أثبته فتظهر المعجزه،من ذلک:حداثه الکون و خلقه،إنها حقیقه علمیه غیر قابله للتبدیل،فلم یعد هناک بعد الکشوفات العلمیه أحد یقول بأزلیه الکون،إن حداثه الکون أصبحت حقیقه واضحه قطعیه،آنذاک و قبل ذلک ندلل علی هذه الحقیقه بآیات القرآن الکریم التی یتحدث فیها الخالق علی خلق الکون من العدم و إیجاده،و من ذلک دوران الأرض،و انشقاق القمر،و ارتباط وجود الماء بالجبال الشامخات...الخ،فکل هذه و غیرها کثیر،حقائق ارتقت إلی مستوی القطعیه و الثبات.

و أیضا فإن مما تجدر الإشاره إلیه هنا هو أن القرآن الکریم کتاب هدایه و نور،و لیس کتاب علوم کونیه،فاللّه سبحانه و تعالی جعل الهدایه التامه و الحق المبین بین دفّتی القرآن الکریم الذی أنزله لیخرج الناس به من الظلمات إلی النور،و من عباده العباد إلی عباده رب العباد،و من ضیق الدنیا إلی سعه الآخره،و من جور العباد إلی عدل الإسلام،و من وهده الفجور و مستنقعات المعاصی إلی الیقین و الهدی،قال تعالی الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ (۱)و قال تعالی: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ وَ یُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ۱.

۱- سوره إبراهیم،الآیه:۱.

اَلصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (۱) و قال اللّه تبارک و تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ (۲)فالله سبحانه و تعالی جعل القرآن الکریم نورا للقلوب و حیاه للنفوس و ضبطا للسلوک و دستورا للمجتمعات،قال اللّه تعالی: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ (۳).

و منهج الهدایه الربانیه فی القرآن الکریم تبرز عند ما تتناول آیاته المبارکه نفس الإنسان بالتربیه و التهذیب و التقویم و الإصلاح،و هذه الآیات التی تتحدث عن الوعد و الوعید و الجنه و النار و الدنیا و الآخره،و تلک التی تتحدث عن أخبار الأمم الغابره، التی سادت ثم بادت بعد حین من الزمن،و أخری تتحدّث عن قصه وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض و کیف أنه لا محاله صائر إلی الزوال و الفناء،و تلک التی تنظّم حیاه الفرد و تقوم سلوکه و تضبط معاملاته بضوابط الشرع و أحکامه البینات...و منها ما فیه حدیث عن ارتباط الأمه الإسلامیه بغیرها من الأمم و الأسس التی ینبغی أن تسیر وفقها الأمه الإسلامیه فی معاملاتها مع غیرها...و هکذا فإننا نجد أن القرآن الکریم حافل بموضوعات شتّی و متعدده کلها تصب فی النهایه فی بوتقه واحده ألا و هی هدایه الإنسان إلی الحق المبین.

لکن مع هذه الهدایه فی العقیده و التشریع و الخلق و السلوک،نجد أن فی القرآن الکریم صنفا آخر من أصناف الهدایه،ألا و هو وجود آیات کونیه و حقائق علمیه وضعها الحق عز و جلّ فی صفحات کتابه المجید لتکون مؤشرا علی عظمه الخالق و لتکون دلیلا علی أن هذا القرآن هو وحی السماء إلی الأرض و بذلک یزداد المؤمن إیمانا،و یتنبه غیر المسلم إلی حقائقه العلمیه التی سبقت رکاب العلم و أساطین المعرفه،فیخضع لسلطانها و ینقاد لصدقها فیعلن ولائه للّه سبحانه و تعالی،فالقرآن إذا لیس کتاب فلک و لا کتاب طب أو جیولوجیا...لا،إنما هو کتاب هدایه و نور،و ما الحقائق العلمیه فی القرآن و الإشارات الکونیه،إلا سبیلا من سبل الهدایه،و مدخلا واسعا لرحاب الحق و ریاض الإیمان.

و من أهم ما ینبغی أن یسترعی انتباهنا و نحن ندعو إلی اللّه فی هذا المیدان،أن۴.

۱- سوره الإسراء،الآیه:۹.

۲- سوره النحل،الآیه:۸۹.

۳- سوره الأنفال،الآیه:۲۴.

التفسیر العلمی للآیات الکونیه فی القرآن الکریم،إنما یخضع لتلک الضوابط و القیود التی نصّ علیها المفسرون و ستذکر فیما بعد.

و أعجب فی هذا الصدد لمن یحاول إنکار قضیه الإعجاز فی القرآن أو السنه و یرید أن یحصر الإسلام فی قضایا التشریع و المعاملات و الخلق...

و خلال التوصیف نقول لمثل هؤلاء الأحباب المخلصین:ثمه آیات کثیره فی کتاب اللّه نجانب الصواب إن لم نفسرها علی أساس العلم،فعلی سبیل المثال،کیف لنا أن نفسّر قول اللّه تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ (۱).

لما ذا نرفض أن تفسّر هذه الآیه طبق الواقع المناخی الذی یحدثنا بل و قد صوره لنا علماء المناخ و أرونا الجبال السائره فی کبد السماء«جبال البرد»و صوّروا لنا السحب الرکامیه و طبقاتها.

و کیف لنا أن نفسّر قول اللّه تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ (۲).

لقد أثبت العلم صور الأمواج السطحیه و الأمواج الداخلیه و اقتران هذه الأمواج بالبحار التی تلبّدت سماؤها بالغیوم الکثیفه...لما ذا لا نفسر هذه الآیه بالمعطیات العلمیه التی ارتقت إلی مستوی القطعیه و المشاهده و الرؤیا؟!و هکذا فی سائر الآیات الکونیه التی اتضحت حقائقها العلمیه.

و یلفت النظر إلی أن الذین عارضوا تفسیر القرآن علی أساس العلم،لو سألنا أحدهم أو لو رجعنا إلی تفاسیرهم و نظرنا فیها کیف یفسرون الآیات التی تتحدث عن مظاهر الکون و الحیاه و الإنسان؟لمعرفه ذلک نفتح تفسیر«فی ظلال القرآن»لشهید الإسلام سید قطب رحمه اللّه،فمما هو معلوم أن سید قطب من المعارضین لقضیه الإعجاز العلمی کما مر معنا،فلقد سلک منهجا فی التفسیر حاول فیه التحفظ و الابتعاد عن الإعجاز.

۱- سوره النور،الآیه:۴۳.

۲- سوره النور،الآیه:۴۰.

العلمی فی القرآن،لکننا نجده عند ما یفسر قول اللّه تعالی: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً (۱)نجده یقول ما نصه:(و هنا یقف الإنسان مدهوشا أمام ما کشف عنه القرآن من حقیقه فی تکوین الجنین لم تعرف علی وجه الدقه إلا أخیرا بعد تقدم علم الأجنه التشریحی،ذلک أن خلایا العظام غیر خلایا اللحم،و قد ثبت أن خلایا العظام هی التی تتکون أولا فی الجنین،و هی الحقیقه التی یسجلها النص القرآنی فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً فسبحان العلیم الخبیر) (۲).

و کم وبخ محمد رشید رضا،-کما رأینا-الذین یؤیّدون الإعجاز العلمی،و لو رجعنا إلی تفسیره فلسوف نجده مولعا بتفسیر الآیات تفسیرا علمیا!.

ففی بیان الحق سبحانه تعالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّامٍ ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ یَطْلُبُهُ حَثِیثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَکَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (۳)یقول:

(۱-إن الماده التی خلقت منها السموات و الأرض کانت دخانا،أی مثل الدخان.

۲-إن هذه الماده الدخانیه کانت واحده فتق اللّه رتقها،أی فصل بعضها من بعض، فخلق منها هذه الأرض و السموات السبع العلی.

۳-إن خلق الأرض کان فی یومین،و تکون الیابسه و الجبال الرواسی فیهما، و مصادر القوت،و هی أنواع النبات و الحیوان فی یومین آخرین تتمه أربعه أیام.

۴-إن جمیع الأحیاء النباتیه و الحیوانیه خلقت من الماء.

فیعلم من هذا أن الیوم الأول من أیام خلق الأرض هو الزمن الذی کانت فیه کالدخان حین فتقت من رتق الماده العامه التی خلق منها کل شیء مباشره،أو غیر مباشره،و إن الیوم الثانی هو الزمن الذی کانت فیه مائیه بعد أن کانت بخاریه أو دخانیه، و إن الیوم الثالث هو الزمن الذی تکونت فیه الیابسه،و نتأت منها الرواسی فتماسکت بها،و إن الیوم الرابع هو الزمن الذی ظهرت فیه أجناس الأحیاء من الماء و هی النبات و الحیوان،فهذه أزمنه الأطوار من الخلق قد تکون متداخله و أما السماء العامه،و هی۴.

۱- سوره المؤمنون،الآیه:۱۴.

۲- فی ظلال القرآن،سید قطب،۲۴۵۹/۴.

۳- سوره الأعراف،الآیه:۵۴.

العالم العلوی بالنسبه إلی أهل الأرض فقد سوی أجرامها من مادتها الدخانیه فی یومین أی:زمنین کالزمنین اللذین خلق منهما جرم الأرض.

ثم یقول:هذا التفصیل الذی یؤخذ من مجموع الآیات یتفق مع المختار عند علماء الکون فی هذا العصر،من أن الماده التی خلقت منها هذه الأجرام السماویه،و هذه الأرض کانت کالدخان و یسمونها«السدیم» (۱)و کانت ماده واحده رتقا،ثم انفصل بعضها عن بعض،و یصورون ذلک تصویرا مستنبطا مما عرفوا من سنن الخلق،إذا صح کان بیانا لما أجمل فی الآیات،و إذا لم یصح کله أو بعضه لم یکن ناقصا لشیء منها، فهم یقولون:إن تلک الماده السدیمیه کانت مؤلفه من أجزاء دقیقه متحرکه،و أنها قد تجمع بعضها،و انجذب إلی بعض،بمقتضی سنه الجاذبیه العامه،فکان منها کره عظیمه تدور علی محور نفسها،و أن شده الحرکه أحدثت فیها اشتعالا فکانت ضیاء، أی نورا ذا حراره،و هذه الکره الأولی من عالمنا هی التی نسمیها الشمس،و یقولون أیضا:إن الکواکب الدراری التابعه لهذه الشمس فیما نشاهد من نظام عالمنا هذا قد انفتقت من رتقها،و انفصلت من جرمها و صارت تدور علی محاورها مثلها،و منها أرضنا هذه فقد کانت مشتعله مثلها...و بعد استطراد فی ذکر المسائل العلمیه یختم کلامه قائلا:کل ذلک تفصیل لخلق العوالم أطوارا بسنن ثابته و تقدیر منظم لم یکن منه شیء جزافا،و قد أرشد الکتاب الحکیم إلی هذه الحقائق العامه الثابته فی نفسها و إن لم یثبت کل ما قالوه من فروعها و مسائلها) (۲).

إذا،یتحتّم علی الإنسان عند تفسیره لآیه کونیه أن یفسرها حسب ما یقتضیه حالها، و الجو القرآنی الذی سیقت فیه،و إلا فسیکون تفسیرها بعیدا عن هدفها و مقصدها...

إن هذه اللغه،لغه العلم هی الرابط المشترک بین الناس جمیعا،فلا یستطیع أحد أن ینکرها،و من أجل تحقیق أهداف الدعوه و نجاحها کان لا بد أن نسلک منهج العلم فی زمن العلم،و نخاطب الناس باللغه التی یفهمون و اللهجه التی یعرفون...۷.

۱- السدم، nebulak ،و هی عباره عن لطع مضیئه منتشره فی عده أماکن من رقعه السماء علی شکل سحب،غازیه التکوین.انظر:الموسوعه الفلکیه،زینب منصور،عمان،الأهلیه للنشر، الطبعه الأولی،۲۰۰۱، ص ۲۱،و انظر:المحیط الکونی و أسراره،نجیب زبیب،بیروت،دار الأمیر،الطبعه الأولی،۱۴۱۵ ه ۱۹۹۴/،ص ۴۱۱.

۲- تفسیر المنار،رشید رضا،۸/۴۴۶-۴۴۷.

و إلی هنا نأتی إلی نهایه الحدیث عن الإعجاز القرآنی فی دراسته التاریخیه،و لسوف تکون الفصول القادمه مرکزه علی التطبیقات المعاصره للإعجاز العلمی فی القرآن الکریم.

ص: ۱۴۹

الفصل الرابع: الإعجاز القرآنی فی علم الفلک

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:بین الإسلام و العلم.

المبحث الثانی:مولد الکون و نشأته بین العلم و القرآن.

المبحث الثالث:تمدّد الکون و توسعه بین العلم و القرآن.

المبحث الرابع:نهایه الکون و فناؤه بین العلم و القرآن.

تمهید

من أجلّ ما أقرّ به القاصی و الدانی،أن الإسلام دین یحترم العلم و یدعو إلیه،بل یفرض علی معتنقیه أن یتزوّدوا من العلوم النافعه التی تؤهلهم للکشف عن أسرار الکون و الحیاه،و الاستفاده من خیرات الأرض و ما حوت،و ذلک بدراسه العلوم الکونیه،فضلا عن العلوم الشرعیه التی تنور لهم سبل حیاتهم الدنیویه و الأخرویه، و لذلک کان لزاما علی أبناء الأمه أن یعرضوا الإسلام بصورته المضیئه التی تؤکد علی وجود مؤشرات قرآنیه واضحه،تنسجم مع حقائق العلم القطعیه التی یکتشفها العلماء، حتی یتبین للجمیع أن دیننا یدعم مواکبه المستجدات و یؤکدها،طبعا بشروط و ضوابط سترد فی ثنایا هذا الفصل.

کما ستتناول مباحث هذا الفصل الحدیث عن تضافر أبحاث علماء الفلک و دراساتهم،حول نشأه الکون و مولده،و حول توسعه و نهایته،و ما أفرزته هذه الدراسات من المؤلفات سواء فی القدیم أو فی الحدیث،و لسنا بصدد استعراض الأفکار التی کانت سائده لدی الأقوام الغابره و نظرتهم للکون و الحیاه،و ما شاع بینهم من أساطیر حول الکون و ما حوی،و تشخیص ذلک من خلال مقاییس العلم و موازینه، و لا بتفنید ظاهره التنجیم التی قد امتدّ سلطانها یومذاک علی تلک الشعوب و خاصه الوثنیه منها،التی کانت تدین بالولاء و الخضوع للکواکب و النجوم،و تربط عقیدتها و مصیرها ارتباطا وثیقا بالأجرام السماویه...کذلک لن نتعرض إلی المجهود القیّم الذی بذله علماء الفلک فی العصور الوسطی دراسه أو نقدا و تعقیبا،إنما سنحاول الخوض فی علوم الفلک المعاصره التی تطوّرت تطورا هائلا حتی فاقت معداتها و وسائلها و الاهتمام بها کل میادین الحیاه و مرافق العلم.

و لنبدأ الحدیث عن مولد الکون و منشئه من خلال الآیات القرآنیه الکثیره،التی تضافرت ألفاظها و معانیها لترسم لنا الصوره الکونیه الأولی،ثم نصغی إلی أقوال

المفسرين حول هذه الآيات،و إلى دلالات الكلمات القرآنيه و أبعادها من خلال المعاجم،و من ثم نرى ما ذا يطالعنا أصحاب العلوم الفلكيه البحته عن الماده الأولى التى تشكل منها كوننا الواسع الرحيب؟و ما ذا يحدثنا من امتدت أروقه علومهم فى آفاق السماء الشاسعه،و على التحديد أولئك الذين يكتشفون أسرار الكون،و تتكشف لهم حقائقه يوما بعد يوم؟كما سيبين هذا الفصل موضوع انتشار الكون و توسعه،و عن نهايته و فنائه بين معطيات القرآن و حقائق العلم،ثم نقف على التوفيق و الربط بين الإشاره القرآنيه التى أصّلت الحقيقه المدروسه و سجلتها فى صفحات القرآن الكريم،لتكون بذلك سابقه لأساطين العلم و المعرفه منذ أكثر من أربعه عشر قرنا.

إن القراءه الدقيقه فى كتب علماء الفلك هؤلاء تظهر كيف تحدثنا أقلامهم،و تخط فى صفحات كتبهم عظمه اللّه فى خلقه و كونه،و الدقه البالغه فى انسجام الكون و تناسق أجرامه،و النظام الباهر الذى سطع إماضه،و تألّق فى ملكوت اللّه،بعد جوله فى صفحات القرآن الكريم.

ص: ۱۵۴

المبحث الأول

اشاره

بين الإسلام و العلم

و يتناول فی هذا المبحث ثلاثه قضايا و هی:

أولا-الإسلام دين العلم

إن مما تميز به الإسلام عن غيره من الشرائع السماويه،أنه توج رسالته بالعلم، و أول كلمه نزلت من السماء إلى الأرض و على قلب النبی الكريم محمد بن عبد اللّه هی كلمه اِقْرَأْ (۱)،فكانت تاجا وضعه الحق تبارك و تعالى فوق رأس هذه الأمه،فكان الإسلام بهذا مفرق الطريق،أو مفصلا فی تاريخ الإنسانيه،لظاهره العلم التی برزت فيه و حركه النشاط الفكرى التی دفعت المجتمع البشرى الذى نزل فيه الإسلام إلى الأمام فضلا عن مزاياه الأخرى المتعدده.

و المعيار الدقيق لكمال الإنسان أو نقصانه،بيّنه الحق عز و جلّ بقوله: قُلْ هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (۲)،و أولى القرآن الكريم العلم و أهله مكانه ساميه بقوله: يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ (۳).

غير أن الحق تبارك و تعالى وضع تصورا دقيقا و أساسا واضحا ينهض عليه العلم و تشاد عليه ركائزه،و أول هذه الركائز،التدبر فی معرفه العلم الذى ستأخذه و ذلك عند ما قال وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا (۴)و الاقتفاء هو التتبع و ما من أدوات الشمول و العموم،أى عموم ما لم تعلم حقيقته و تدرك كنهه و تتبصر فيه الغث من السمين لا تتبعه،و ما ذلك إلا لأن

۱- سوره العلق،الآيه:۱.

۲- سوره الزمر،الآيه:۹.

۳- سوره المجادله،الآيه:۱۱.

۴- سوره الإسراء،الآيه:۳۶.

الأدوات التی تتحصّل من خلالها علی العلوم و المعارف ستسأل عنها یوم القیامه،کما قال تعالی: إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً و منهج القرآن متفرد فی هذا الصدد،لأنه یحث الناس علی اقتفاء العلم النافع و هجر ما لا ینفع،و من هنا کان یقول النبی الکریم صلی اللّه علیه و سلم:«اللهم إنی أعوذ بک من علم لا ینفع» (۱).

و إذا کان الأمر کذلک،فإن الحق عز و جلّ لا یقبل إیمان عبد قد اکتسبه بوسیله المحاکاه و التقلید للآباء و الأجداد،دون إدراک حقیقه الإیمان الذی ینبع من معین العلم و العقل و الطاقه المبصره النیره و الولاء المطلق لرساله الإسلام،قال تعالی: وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ کانَ آباؤُهُمْ لا یَعْقِلُونَ شَیْئاً وَ لا یَهْتَدُونَ (۲).

بل إن القرآن قد جعل الإیمان ثمره من ثمرات العلم الحق،لأن الأصل فی الطریق إلی اللّه و إلی الإیمان هو العلم،قال تعالی: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ (۳)فالعلم قد تقدم علی التوحید،لأن صاحب العلم الحق یقوده علمه إلی مراتع الإیمان و ریاض التوحید،أما العلم الذی یجعل صاحبه خاضعا لنزوات الحمأ المسنون لدیه،و عقله تبعا لعصبیاته و أهوائه،فإنه یوم القیامه من النادمین الذین یقرون و یعترفون أن بعدهم عن الإیمان فی الدنیا ما کان إلا لأنهم ما عقلوا سر الحیاه و ما أدرکوا قصه وجودهم فی الکون،و بالتالی غابت عنهم حقیقه العبودیه للّه عز و جلّ،فأصبحوا أشبه ما یکونوا بالمجانین و فی ذلک یحکی القرآن عن هؤلاء فیقول سبحانه: وَ قالُوا لَوْ کُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما کُنّا فِی أَصْحابِ السَّعِیرِ (۴)نعم لو أنهم سمعوا الهدی و انقادوا لمستلزماته،و أعملوا عقولهم و فکروا فیها لما تخبّطوا فی أوحال الشرک و دیاجیر الظلام.

یقول ابن القیم:(إن کل ما سوی اللّه مفتقر إلی العلم،و لا قوام له بدونه،فإن الوجود وجودان وجود الخلق و وجود الأمر.

و الخلق و الأمر مصدرهما علم الرب و حکمته،فکل ما ضمّه الوجود من خلقه و أمره۰.

۱- رواه مسلم،۲۰۸۸/۴،رقم:(۲۷۲۲)،و رواه الحاکم فی المستدرک،۱۸۵/۱،رقم: (۳۵۴).

۲- سوره البقره،الآیه: ۱۷۰.

۳- سوره محمد،الآیه:۱۹.

۴- سوره الملک،الآیه: ۱۰.

صادر عن علمه و حکمته،فما قامت السموات و الأرض و ما بینهما إلا بالعلم،و لا بعثت الرسل و أنزلت الکتب إلا بالعلم،و لا عبد اللّه وحده و حمد و أثنی علیه و مجّد إلا بالعلم،و لا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم،و لا عرف فضل الإسلام علی غیره إلا بالعلم) (۱).

و من دأب القرآن الکریم أنه یربی المسلم و ینبه کل الناس علی دوام التفکیر،و التبصر فی هذه المکونات التی زجّ الإنسان فی داخلها،فإذا ما حدّق الإنسان البصر و أجال النظر فی هذه المخلوقات و رأی الإبداع فی خلقها،و الدقه فی تناسقها،و التساوق فی ارتباطها،فإنه بلا أدنی شک سینطق بلسان حاله و مقاله: رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النّارِ (۲).

و لما انقاد الرعیل الأول سلفنا الصالح لمقتضیات هذه الآیات،حفزهم إیمانهم باللّه للعلم و التعلیم و العمل بما یتعلمون،و لذلک تجد فی تاریخ الإسلام المجید قد برز کبار العلماء فی الکونیات و الطبیعه من علماء المسلمین و الفقهاء،و قدم هؤلاء للإنسانیه العلوم النافعه فی الطب و الهندسه و الفیزیاء و الکیمیاء و الریاضیات و الفلک...و العالم فی الغرب و الشرق یعترف بفضلهم و ما قدموه کان سببا فی نهضه الغرب و حضارته.

(و قد أثبت التقدم الفکری الحدیث أن القرآن الکریم کتاب دعا إلی العلم دعوته إلی الدین،و أنه دعا صراحه إلی دراسه مختلف العلوم،و أنه حوی أصول هذه الدراسات فی مختلف قطاعات العلم و یبلغ عدد الآیات العلمیه فی القرآن الکریم ما یقرب علی ۷۵۰ آیه تشمل مختلف العلوم) (۳).

(دین کهذا یکرم العلم و یحض علی التعلم و یدعو إلی معرفه الخالق عن طریق معرفه مخلوقاته کیف وجدت و کیف نشأت،لهو الصراط السوی حیث لا لبس و لا غموض بل دراسه و تعلم و بحث و تفکیر...ثم یقول:و منه یتضح أن الدین الإسلامی و العلم توأمان،و أن الدین لا یقف عقبه فی سبیل العلم بل یدعو إلیه و یعتمد علیه،و یشجع علی۶.

۱- فضل العلم و العلماء،لابن قیم الجوزیه،جمع و ترتیب صالح الشامی،بیروت،المکتب الإسلامی،الطبعه الأولی،۱۴۲۲ ه۲۰۰۱/ ص ۳۵.

۲- سوره آل عمران،الآیه:۱۹۱.

۳- القرآن الکریم أضواء علی الشرق و الغرب،محمد قبیسی،بیروت،مؤسسه الرحاب الحدیثه، الطبعه الأولی،۱۹۹۶،ص ۱۴۶.

البحث،و يرغب فى التعلم،بل و يجعل العلم هو الوسيله الوحيده لمعرفه اللّه سبحانه و تعالى،و الوقوف على عظمته و قدرته) (۱).

ثم إن جمال الإسلام يكمن فى أنه حث على العلم الذى ينفع البشريه،بغض النظر عن المعتقدات و الأديان،و هذه الحقيقه التى نفتخر بها،قد ذابت عند الغربيين و اضمحلت،ذلك أن ما توصلوا إليه من طغيان مادى و علم طبيعى أردى فى كثير من الأحيان بالبشريه إلى الخراب،فقد اخترع لهم علمهم القنابل النوويه و الراجمات و الطائرات القاصفه و المدرعات و الدبابات،فكانت أداه للتدمير و التشريد و التقتيل و سفك الدماء البريئه،و هدم البنيان،فأصبح الطفل يقتل و هو رضيع فى حضن أمه و العجوز يذبح و أعين أولاده ترمقه،و مدن بأكملها تشطب معالمها من ساحه الوجود؟!.

ثانيا-الإعجاز العلمى سبيل من سبل الدعوه

إن سبل الدعوه إلى اللّه متعدده و متنوعه،و سبب هذا التعدد أن لكل مقام مقالا ينسجم معه و يتوافق مع الجو الذى يجب أن تحقق فيه الدعوه أهدافها.

و يظهر هذا الذى نقول من خلال المناهج التى سلكها الدعاه من رسل و غيرهم، عند ما قاموا بإعلان دعوه الحق و دحض الباطل و الضلال،و لقد سجّلها القرآن الكريم فى صفحاته لتكون الأسوه التى تحتذى،و القدوه التى يسير وفق برنامجها كل من باع نفسه للّه و لدين اللّه.

و لقد أيّد الحق تبارك و تعالى الرسل و الأنبياء بالدلائل و البيانات التى تثبت صدق دعوتهم و أنهم مبعوثون من عند اللّه،كما أن هذه البيانات تنسجم مع البيئه و المحيط الذى ظهرت فيه،و هى تتناسب مع المستوى العقلى و العلمى لدى القوم الذين خوطبوا بها،قال اللّه تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ (۲)،فبينه موسى كانت من جنس ما قد انتشر فى قومه ألا و هو السحر،و بينه عيسى إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى بإذن اللّه،و ذلك لأن الطب كان من أبرز ما اشتهر به قوم عيسى عليه السّلام،فأثبت موسى صدق رسالته بمعجزته العصا،لما أبطل عمل السحره،و أثبت عيسى صدق رسالته لمّا أحيا

۱- هذا خلق اللّه،عبد الحليم كامل،القاهره،المكتبه الأكاديميه،الطبعه الأولى،۱۹۹۴، ص ۱۵،

۲- سوره الحديد،الآيه:۲۵.

الموتی بإذن اللّه،و هذا ما عجز عنه قومه،إلا أن تلک المعجزات المادیه کانت حیاتها مرتبطه بحیاه أصحابها من الأنبیاء،فلما رحل الأنبیاء إلی دار القرار،ذهب وجه الإعجاز لتلک البینات من حیز الواقع المشاهد و المرئی،و لم یبق منها إلا النقول و الأخبار عبر کتب السماء.

و یأذن الخالق جل جلاله بظهور المعجزه الخالده القرآن الکریم،المعجزه المتجدده عبر الزمان،فلکل جیل من الأجیال نصیب وافر منها،و مهما تطورت العلوم المادیه و تجددت الاکتشافات العصریه،فإن إعجاز القرآن الکریم مواکب لهذه المستجدات، مبین أنه قد تحدث عن بعض حقائقها وقت نزوله و لم یکن أحد قد أدرکها بعد.

(و نظرا لکون عصرنا الحاضر هو عصر العلم و(التکنولوجیا)،و أن لغه العصر الحالی هی لغه العلم،و لکون القرآن الکریم هو کتاب هدایه للناس کافه،و لیس مقتصرا علی العرب فقط أو الناطقین باللغه العربیه الذین یفهمون إعجازه اللغوی و البلاغی، فأصبح من اللازم علی المسلمین إظهار أوجه إعجازه المتعدده الأخری،و خاصه البرهان العلمی الذی أصبح أکثر وضوحا فی الوقت الحاضر نتیجه التقدم الحاصل فی العلم و«التکنولوجیا») (۱).

کما أن(تقدیم الخطوط العریضه لشریعه الحیاه من أجل الإنسان،و ما ینضحان به أحیانا من بوارق من الإعجاز العلمی الباهر المتجدّد تجدد الحضاره و الإنسان هی عطایا من اللطیف الخبیر لتطمئن به نفوس المؤمنین و لترعوی نفوس المشککین، و لیتراجع عن غیّهم السادرون،و لیتقاصر غرور المفتونین بنتائج العلم الحدیث...

فالإعجاز القرآنی بکل أنواعه،و لا سیما العلمی منه،بوابه کبیره مشرعه الأبواب لکل من یبصر الطریق العلمی القرآنی لولوج تلک الأبواب) (۲).

إننا دخلنا فی القرن الواحد و العشرین،و نحن أمام إرث علمی هائل قد خلّفه لنا القرن الراحل فلقد ترک لنا ثروه علمیه أو ثوره علمیه عجیبه مدهشه،فهلّا جعلنا تدریس۱.

۱- العلوم فی القرآن،محمد جمیل الحبال و مقداد الجواری،بیروت،دار النفائس،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه۱۹۹۸/،ص ۱۶.

۲- الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم،سلیمان الطراونه،عمان،دار الفرقان،الطبعه الأولی، ۱۴۲۱ ه۲۰۰۰/،ص ۱۲۱.

الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم سبیلا من سبل الدعوه إلی اللّه،لا بل من أهم ما ینبغی أن یدرّس و یرکز علیه.

إن الآیات الکونیه و العلمیه فی القرآن الکریم تنادینا و تستنهض هممنا و تقول لنا:یا أتباع محمد أنا المعجزه المادیه العلمیه فی عصر ماده،فلئن کان أجدادکم العرب و هم أصحاب الفصاحه و فرسان البلاغه قد ذهلوا عند سماعهم القرآن الکریم لما انطوی علیه من بلاغه و بیان و دقه،فخضعوا لسلطانه و استسلم أکثرهم لأوامره،فمتی یا مسلمون تبینون الجانب الکونی و العلمی فی آیات القرآن؟.

فإلی کل داع إلی اللّه،و إلی کل داعیه إلی الحق المبین،أن تکون دعوته قائمه علی دعائم و رکائز العلم و المعرفه،و أن یبرز الحقائق العلمیه التی قد سجلها القرآن و سبق أصحاب العلوم الذین یدعون أنهم هم أول من اکتشفها و تحدث عنها،عساهم أن ینصاعوا إلی الحق و الإیمان.

إن المسئولیه تقع علی عاتق کل مسلم دون استثناء،و أخص منهم العلماء و الحکام، الذین ملکوا زمام أمور المسلمین،و أقول لهم:یا قادتنا إن أصحاب الباطل یروّجون لباطلهم فی اللیل و النهار و کبار رؤساء الدول الغربیه یدعمون حملات التنصیر و الاستشراق دعما باهظا لترویج بضاعه الصلیبیین و أباطیل الماسونیین...فهلاّ قمتم یا حکام العرب و المسلمین بتجهیز الدعاه إلی اللّه و إلی الحق،لعرض أوجه الإعجاز العلمی فی القرآن علی أساطین العلوم فی الغرب،و أن تعلنوا للغرب أن الإسلام لیس دین إرهاب و سفک للدماء،إنما هو دین العلم،دین متابعه التکشفات العلمیه و المستجدات العصریه لتقیموا الحجه و تثبتوا المعجزه؟

إذا کان أصحاب الباطل یدعون لباطلهم،فلما ذا نستحی من دعوتنا إلی الحق؟.

إذا کانت وسائل الإعلام غربا قد شوّهت صوره الإسلام،و أقنعت أبناءها هناک أن المسلمین ما تخلفوا إلا بالإسلام،لأنه دین الحرب و التقتیل و الدمار،فأصبح الغربیون یعرضون عن الإسلام إعراض المشمئز الکاره له،فلما ذا لا نقوم بتصحیح هذه الأفکار المغلوطه،و نبین لهم وجه الحق و الصواب؟إذا کنا نحن ضعفاء بمقومات حیاتنا المادیه،و بصناعاتنا و إنتاجاتنا المحلیه،و کنا شعبا مستهلکا لما یصدره لنا الغرب فی شتی جوانب الحیاه،فإننا بحمد اللّه أقویاء فی عقیدتنا،أقویاء فی علومنا و معارفنا لکن هل من مبلّغ؟.

إن توجّه الدعاه بهذه البضاعه النضره المتألقه يعنى فتحا و انتصارا،و إن كل داعيه متسلح بهذه العلوم هو خير من الأسلحه الثقيله و أقوى من الصواريخ و الدبابات، و عرضنا لهذه الحقائق نبتغى من ورائه هدايه الناس خاصه أولئك الذين توغّلوا فى الماده فنسوا اللّه و الدار الآخره،و هدايتهم تعنى إحياءهم و بث روح الإيمان فى قلوبهم و عقولهم،فالإسلام هو دين الحياه.

ثالثا-ضوابط التفسير العلمى للقرآن

اشاره

وضع العلماء قيودا و ضوابط لتفسير القرآن على أساس العلوم العصريه و هى:

١-الاعتماد فى تفسيرنا العلمى على الحقائق لا الفرضيات:

البعد فى تفسيرنا عن الفرضيات و التخمين و النظريات،لأن الفرضيات هى آراء يحاول أصحابها من الباحثين تفسير ظاهره شاهدوها فى مجال الطبيعيات و الكونيات و فى شتّى الميادين و كما هو معلوم أن أى فرض علمى قابل للصحه و البطلان أو التعديل،و الحكم فى ذلك هو التجربه و الواقع و إذا ما انتقل الفرض إلى حيز النظريه فإنه لا يزال كذلك قابلا للأخذ و الرد،لكن عند ما يرقى إلى مستوى الحقيقه العلميه و صعيد اليقين الجازم يومذاك يكون تفسيرا قويا لآيات القرآن الكريم،و نحن لا نجيز تفسير الآيات بالنظريات و الفرضيات،بل الدعامه العلميه التى ننهض عليها هى تفسير القرآن بحقائق العلم القطعيه،و ذلك توصيدا لباب الشك و الريب هنا،فكم من نظريه ذاع صيتها و راجت بين الناس ثم أهيل عليها التراب فيما بعد و طويت فى صفحات الزمن المنسى و أصبحت من الوهميات.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى:(أن نستخدم من نتائج العلوم ما استقر عند أهله، و غدا حقيقه علميه يرجع إليها،و يعوّل عليها،و لا نعوّل على الفرضيات و النظريات التى لم تثبت دعائمها حتى لا نعرض فهمنا للقرآن للتقلب مع هذه الفرضيات،فليكن اعتمادنا على الحقائق المقرره،و لا يقال:إن العلم ليس فيه حقائق ثابته إلى الأبد، فكم من قضايا علميه كانت يوما ما بل ظلت قرونا و قرونا حقائق مقدسه،ثم ذهبت قدسيتها العلميه،و أثبت التطور العلمى عكسها،و هذا صحيح و معروف،و لكن حسبنا الثبات النسبى للحقائق،فهذا هو الذى فى مقدورنا بوصفنا بشرا،و قد قيل فى تعريف التفسير هو:بيان المراد من كلام اللّه بقدر الطاقه البشريه) (١).

١- كيف نتعامل مع القرآن العظيم،يوسف القرضاوى،ص ٣٨٢.

۲-عدم التعارض بين الحقيقه العلميه و القرآن.

و تجدر الإشاره هنا إلى أنه لا تعارض بين نصوص القرآن و الحقائق العلميه،فإنه من المستحيل أن يتعارض نص قرآنى قطعى الدلاله مع حقيقه علميه،لأن القرآن حق، و الحقيقه العلميه حق و كلاهما مصدرهما واحد و هو الحق تبارك و تعالى القائل: أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (۱).

(و يستحيل التصادم بين الحقائق القرآنيه و بين الحقائق العلميه لأنهما من مشكاه واحده،و ينبغى أن يكون من المسلّمات فى أذهاننا أن الحقائق القرآنيه المتعلقه بأىّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان و الحيوان و النبات إذا كانت قطعيه الدلاله لا يمكن أن تصادمها حقيقه علميه توصل الجهد البشرى إليها بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضارى للبشريه) (۲).

(إن الحقيقه العلميه إن لم يكن فى القرآن ما يؤيدها فليس فيه قطعا ما يعارضها،نعم قد يكون هناك خلاف بين القرآن و بين بعض النظريات العلميه التى لم تبحث و لم تدرس بعد دراسه كامله و على ذلك فمن أراد أن يفهم من القرآن مبدءا علميا فعليه أن يتخصص فى ذلك العلم و يدرسه دراسه كامله مستوفيه،ثم بعد ذلك يأتى للقرآن فيجده قد سبق البحث الحديث و الحقائق العلميه و أتى بالحقائق الرائعه التى لا تقبل شكا و لا جدلا، لأنه تنزيل الذى يعلم السر فى السموات و الأرض سبحانه) (۳).

۳-التمكن من علوم اللغه العربيه و علوم الآله.

بحيث يكون تفسيرنا للآيات القرآنيه خاضعا لدلالات اللغه العربيه و قواعدها،و علم الصرف و أصول الاشتقاق،بالإضافه إلى علم البلاغه و أصول الفقه.

(و أن يكون الباحث ملتزما بالمعانى اللغويه فى اللغه العربيه للآيات التى يريد إيضاح إشاراتها العلميه،لأن القرآن عربى،كما أنه ينبغى أن يراعى التأليف بين الآيات و تناسبها و مؤاخاتها،فيربط بينها لتكون وحده موضوعيه متكامله) (۴).

۱- سوره الملك،الآيه:۱۴.

۲- مباحث فى إعجاز القرآن،مصطفى مسلم،ص ۱۵۵.

۳- التفسير العلمى للقرآن،أحمد عمر أبو حجر،ص ۱۱۹.

۴- أصول التفسير و قواعده،خالد عبد الرحمن العك،ص ۲۲۴.

۴-عدم حصر دلاله الآیه علی الحقیقه الواحده.

العالم الذی زوده اللّه بالعلوم الشرعیه أو الکونیه،مهما ارتقی فی سلم المعرفه و الاستنباط فینبغی أن یعلم أن هناک حدودا ینبغی أن یقف عندها،و أن الإحاطه بمراد کلام اللّه بشکل مطلق أمر محال فالباحث فی هذا المیدان یحاول توأمه الحقیقه العلمیه القاطعه بالآیه القرآنیه بوجه من الوجوه المترجمه و لا یکون جازما بأن مراد اللّه هذا الذی وصل إلیه.

(و عند إحاطتنا بالدلالات اللغویه الحقیقیه و المجازیه و استعمالات العرب لها،إن وجدنا أن حقیقه علمیه تؤید إحدی هذه الدلالات،لا بأس عندئذ أن نرجح الدلاله التی أیدتها الحقیقه العلمیه علی أن لا نحکم بالبطلان و الفساد علی الدلالات الأخری للکلمه من جهه،و أن لا نحصر معنی الآیه علی الدلاله التی رجّحناها من جهه أخری، فقد تکون الحقیقه العلمیه التی رجحنا علی ضوئها هذه الدلاله إحدی وجوه دلالات الآیه،و ظلالها ممتده إلی حقائق أخری لم نتمکن من التوصل إلیها حسب ثقافه عصرنا،إلا أن العلمی و الحضاری کفیل أن یمیط اللثام لنا عن جوانب أخری،فمثلا قوله تعالی: بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ (۱)کان إلی ما یقرب من مائه سنه ینظر إلی دلاله تسویه البنان نظره تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفه قضیه البصمات،إلا أننا لا نبطل کلام السلف فی معنی الآیه،فالآیه تدل علی ما قالوه و ما فهموه...و إن کان فهمنا الآن لدلاله الآیه علی ضوء معطیات العلم الحدیث أعمق و أدل،و کذلک فإن شعورنا فی صنعه کلام الخالق سبحانه و تعالی و حکمته سلیم و صحیح،و مع ذلک فإننا لا نستطیع أن نقول:إن معنی الآیه هو هذا فحسب،و لیس بعد فهمنا لها فهم آخر،بل قد یکشف لنا المستقبل عن أسرار إلهیه فی البنان فوق ما تصورناه و وصلت إلیه مدارکنا العصریه،و تبقی الآیه الکریمه مجال بحث الباحثین،و استنباط المفکرین،و بصمه إعجاز علی جبین العصور) (۲).

۵-أهمیه التخصص العلمی:

من الأهمیه بمکان أن یکون المتحدث فی قضایا الإعجاز من أهل الاختصاص، بحیث یکون متمکّنا من العلوم الشرعیه و اللغویه،و کذلک متمکنا بأساسیات و أبجدیه

۱- سوره القیامه،الآیه:۴.

۲- مباحث فی إعجاز القرآن،مصطفی مسلم،ص:۱۵۴-۱۵۵.

العلوم الكونيه و الطبيعيه التى يفسر بها النصوص القرآنيه،أو يكون معتمدا فيما يطرحه على مختصين فى كلا الميدانين،لكى لا يقع فى الزلل و التأرجح،و بسبب عدم الالتزام بهذا القيد فإن كثيرا ممن كتب و تحدث فى قضايا الإعجاز قد تعسف فى تفسيره للنص القرآنى،مما أدى للخروج عن مدلول النص و معناه،كما أنه يأتى بالحقيقه العلميه لكن بشكل معكوس لأنه غير مختص فى هذا المجال،مما دفع كثيرا من العلماء أن ينادوا بمنع هذا النمط من التفسير.

۶-القرآن الكريم كتاب هدايه و نور.

و أيضا فإن مما تجدر الإشاره إليه أن القرآن الكريم كتاب هدايه و نور،و ليس كتاب علوم كونيه فحسب فالحق سبحانه و تعالى جعل الهدايه التامه و الحق المبين بين دفّتى القرآن الكريم الذى أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور،و من عباده العباد إلى عباده رب العباد،و من ضيق الدنيا إلى سعه الآخره و من جور الأديان إلى عدل الإسلام،و من وهده الفجور و مستنقعات المعاصى إلى اليقين و الهدى،قال تعالى:

الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (۱) و قال تعالى: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (۲)فالله عز و جلّ جعل القرآن الكريم نورا للقلوب و حياه للنفوس و ضبطا للسلوك و دستورا للمجتمعات،قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ (۳).

و منهج الهدايه الربانيه فى القرآن الكريم تبرز عند ما تتناول آياته المباركه نفس الإنسان بالتربيه و التهذيب و التقويم و الإصلاح،و هذه الآيات التى تتحدّث عن الوعد و الوعيد و الجنه و النار و الدنيا و الآخره،و تلك التى تتحدّث عن أخبار الأمم الغابره، التى سادت ثم بادت بعد حين من الزمن،و أخرى تتحدث عن قصه وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض و كيف أنه لا محاله صائر إلى الزوال و الفناء،و تلك التى تنظم حياه الفرد و تقوم سلوكه و تضبط معاملاته بضوابط الشرع و أحكامه البينات...و منها ما فيه حديث عن ارتباط الأمه الإسلاميه بغيرها من الأمم و الأسس التى ينبغى أن تسير وفقها

۱- سوره إبراهيم،الآيه:۱.

۲- سوره الإسراء،الآيه:۹.

۳- سوره الأنفال،الآيه:۲۴.

الأمه الإسلاميه فی معاملاتها مع غیرها...و هکذا فإننا نجد أن القرآن الکریم حافل بموضوعات شتی و متعدّده،کلها تصب فی النهایه فی بوتقه واحده ألا و هی هدایه الإنسان إلی الحق المبین،لکن مع هذه الهدایه فی العقیده و التشریع و الخلق و السلوک، نجد أن فی القرآن الکریم صنفا آخر من أصناف الهدایه،ألا و هو وجود آیات کونیه و حقائق علمیه وضعها الحق جل جلاله فی صفحات کتابه المجید لتکون مؤشرا علی عظمه الخالق و لتکون دلیلا علی أن هذا القرآن هو وحی السماء إلی الأرض و بذلک یزداد المؤمن إیمانا،و یتنبه غیر المسلم إلی حقائقه العلمیه التی سبقت رکاب العلم و أساطین المعرفه،فیخضع لسلطانها و ینقاد لصدقها فیعلن ولائه للّه سبحانه و تعالی،فالقرآن إذا لیس کتاب فلک و لا کتاب طب أو(جیولوجیا)...لا،إنما هو کتاب هدایه و نور،و ما الحقائق العلمیه و الاشارات الکونیه إلا سبیلا من سبل الهدایه،و مدخلا واسعا لرحاب الحق و ریاض الإیمان.

ص: ۱۶۵

المبحث الثانی

اشاره

مولد الکون و نشأته بین القرآن و العلم

الآیات التی تتحدّث عن خلق الکون،و ما بث فی تضاعیفه من مکونات و مخلوقات کثیره جدا کما أن هناک عددا لیس بالقلیل من هذه الآیات تسترعی انتباه الناس،و تدعوهم إلی التفکیر و التأمل فی خلق السموات و الأرض،و الدافع الحقیقی لهذا التأمل هو التعرف علی عظم هذه المخلوقات و أسرار خلقها،و عجائب تکوینها، و بالتالی الوقوف علی عظمه الخالق،و روعه إبداعه فی صنعه و خلقه یقول تعالی:

أَ وَ لَمْ یَرَوْا کَیْفَ یُبْدِئُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیرٌ (۱) و بقوله سبحانه و تعالی: قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللّهُ یُنْشِئُ النَّشْأَهَ الْآخِرَهَ إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲)و یقول تعالی: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ (۳).

هذه الآیات و غیرها تأمرنا أن نستخدم مدرکاتنا،و وسائل الإدراک و النظر التی هی امتداد لمدرکاتنا،و ما منحنا اللّه من مستجدات تقنیه و علمیه لنتعرف علی قضیه الخلق، و مراحل الخلق و کیف بدأ الخلق و ما تنطوی علیه السموات و الأرض من عجائب الخلق و التدبیر،و السبیل الأوحد إلی ذلک هو ما أشار إلیه الحق قُلِ انْظُرُوا فبالنظر و التأمل و الاستدلال یتوصل الإنسان للکشف عن حقائق الخلق.

و ما أجمل هذا الحث القرآنی علی دراسه الأرض و مکوناتها لنتعرف من خلال ذلک علی بدایه الخلق و علی النشأه الأولی للکون قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللّهُ یُنْشِئُ النَّشْأَهَ الْآخِرَهَ إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۴)،و هذا لا یتنافی أبدا مع

۱- سوره العنکبوت،الآیه:۱۹.

۲- سوره العنکبوت،الآیه:۲۰.

۳- سوره یونس،الآیه:۱۰۱.

۴- سوره العنکبوت،الآیه:۲۰.

قوله تعالى: ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (۱)لأن الحق هنا يقرر ضعفهم و تفرده فى الخلق و الإيجاد،و لكنه لا ينفى أبدا أن يفتش الإنسان عن المفردات العلميه و الكونيه ليعلم ماهيه بدايه الخلق و التكوين.

و لقد عرض لنا القرآن الكريم بدايه خلق الكون و المراحل التى مر بها عرضا بيانيا دقيقا،يصور كل طور من أطوار الخلق بوضوح و جلاء دون لبس أو غموض،و سوف نستعرض الآيات القرآنيه التى تتحدّث عن كل مرحله،و نزيّلها بفهم علماء التفسير و اللغه،ثم نحدّد معطياتها،لنرى مدى التوافق الدقيق بينها و بين ما وصل إليه علماء الفلك و الكون فى عصرنا الحاضر.

مراحل الخلق

أولا-مرحله الرتق و الفتق

يقول تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ (۲).

الآيه هنا تسترعى انتباه العباد،و تخلق فيهم الباعث الذى يولد فى كينونتهم،و يثير فى ساحه الإدراك و التفكير لديهم حب الاستطلاع و الرغبه فى البحث و التنقيب عن سرّ انتقال هذا الكون العظيم من دنيا الفناء و عالم اللاشىء،إلى طور التخلق فالقرار ثم الحياه،ثم إن انبلاج هذا الكون من تلافيف العدم إلى حيّز الوجود و ميدان الإدراك، ليتطلّب من البشر أن يسخّروا ما أوتوا من قوه عقليه و علميه و ماديه،فى سبيل التعرف على خلق هذا الكون،و الوقوف عند الماده الأم التى تشكل الكون منها بأسره.

و الآيه تشير إلى أن السموات و الأرض،أى الكون و ما بثّ فى أرجائه من نجوم و مجرات و كواكب و شموس و أقمار كان شيئا واحدا،كان ماده واحده،كتله واحده ثم انشطرت هذه الماده و فتقت و تفجرت،فانفصلت السموات عن الأرض،و تباعدت أجزاؤها و أصبحت عالما عظيما مترامى الأطراف،بعيد المدى،واسع الرحاب، و قوله سبحانه و تعالى: كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما تعبير دقيق و مشهد رائع،يأخذ بالألباب

۱- سوره الكهف،الآيه:۵۱.

۲- سوره الأنبياء،الآيه:۳۰.

و العواطف و الأحاسیس،لأنه یصور لنا المشهد الأول،و اللقطه الأولی من الکون ساعه الانفصال.

و بجوله سریعه فی کتب المفسرین،یتکامل التصور الدقیق حول هذه المرحله من خلال شرحهم لهذه الآیه الکریمه و معطیاتها.

ففی«جامع البیان»:(یقول تعالی ذکره:أ و لم ینظر هؤلاء الذی کفروا بالله بأبصار قلوبهم فیروا بها،و یعلموا أن السموات و الأرض کانتا رتقا،یقول:لیس فیهما ثقب، بل کانتا ملتصقتین یقال منه:رتق فلان الفتق إذا شدّه،فهو یرتقه رتقا و رتوقا،و من ذلک قیل للمرأه التی فرجها ملتحم:رتقاء،و وحد الرّتق،و هو من صفه السماء و الأرض، و قد جاء بعد قوله تعالی: کانَتا لأنه مصدر،مثل قول الزّور و الصوم و الفطر، و قوله: وَ جَعَلْنا یقول:فصدعناهما و فرجناهما،ثم اختلف أهل التأویل فی معنی وصف اللّه تعالی السموات و الأرض بالرتق،و کیف کان الرتق،و بأیّ معنی فتق؟قال ابن عباس:کانتا ملتصقتین،فرفع السماء و وضع الأرض...

و کان الحسن و قتاده یقولان:کانتا جمیعا ففصل اللّه بینهما بهذا الهواء،و قال آخرون:بل معنی ذلک أن السموات کانت مرتتقه طبقه،ففتقها اللّه فجعلها سبع سماوات،و کذلک الأرض کانت کذلک مرتتقه،ففتقها فجعلها سبع أرضین) (۱).

و فی تفسیر«القرطبی»:(و قال: رَتْقاً و لم یقل رتقین،لأنه مصدر،و المعنی کانتا ذواتی رتق...و الرتق السد ضد الفتق،و قد رتقت الفتق أرتقه فارتتق أی التأم،و منه الرتقاء للمنضمه الفرج،قال ابن عباس و غیره:یعنی أنها کانت شیئا واحدا ملتزقتین ففصل اللّه بینهما بالهواء،و کذلک قال کعب:خلق اللّه السموات و الأرض بعضها علی بعض ثم خلق ریحا بوسطها ففتحها بها،و جعل السموات سبعا و الأرضین سبعا) (۲).

و فی«الجلالین»(کانتا رتقا،سدّا بمعنی مسدوده: فَفَتَقْناهُما جعلنا السماء سبعا۲.

۱- جامع البیان،للطبری،۱۳/۱۷.

۲- الجامع لأحکام القرآن،محمد بن فرح القرطبی،تحقیق،أحمد عبد العلیم البردونی،القاهره، دار الشعب،الطبعه الثانیه،۱۳۷۲ ه ۲۸۲/۱۱،و انظر:تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر /۵ ۶۹۲.

و الأرض سبعا و فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت،و فتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت) (۱).

و فی«أضواء البیان»عده أقوال منها:(الأول:أن معنی: رَتْقاً فَفَتَقْناهُما أی کانت السموات و الأرض متلاصقه بعضها مع بعض،ففتقها اللّه و فصل بین السموات و الأرض،فرفع السماء إلی مکانها،و أقر الأرض فی مکانها،و فصل بینهما بالهواء الذی بینهما کما تری.

القول الثانی:أن السموات السبع کانت رتقا،أی متلاصقه بعضها ببعض،ففتقها اللّه و جعلها سبع سماوات،کل اثنتین منها بینهما فصل،و الأرضون کذلک کانت رتقا ففتقها،و جعلها سبعا بعضها منفصل عن بعض) (۲).

و نجد نفس المعانی فی تفسیر«البیضاوی»: کانَتا رَتْقاً ذات رتق أو مرتوقتین، و هو الضم و الالتحام،أی کانتا شیئا واحدا و حقیقه متحده، فَفَتَقْناهُما التنویع و التمییز،أو کانت السموات واحده ففتقت بالتحریکات المختلفه حتی صارت أفلاکا، و کانت الأرضون واحده فجعلت باختلاف کیفیاتها و أحوالها طبقات أو أقالیم،و قیل کانَتا بحیث لا فرجه بینهما ففرج) (۳).

و قال الرازی:(الرتق فی اللغه:السد،یقال ارتتق الشیء فارتتق،و الفتق:الفصل بین الشیئین الملتصقین،و الرتق مصدر و المعنی کانتا ذواتی رتق...و عن ابن عباس رضی اللّه عنه أن المعنی کانتا شیئا واحدا ملتزقتین،ففصل اللّه بینهما،و رفع السماء إلی حیث هی و أقرّ الأرض) (۴).

یقول صاحب«الکشاف»:(أی کانتا رتقا،و معنی ذلک أن السماء کانت لاصقه۱.

۱- تفسیر الجلالین،محمد بن أحمد بن محمد المحلی و جلال الدین السیوطی،القاهره،دار الحدیث،الطبعه الأولی،د.ت،ص ۴۲۹.

۲- أضواء البیان فی إیضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمین بن محمد المختار الشنقیطی،بیروت، عالم الکتاب،د.ت،۱۰۲/۴.

۳- أنوار التنزیل،عبد الله بن عمر البیضاوی،تحقیق،عبد القادر عرفات،بیروت،دار الفکر، ۱۴۱۶ ه۱۹۹۶/،۹۰/۴.

۴- التفسیر الکبیر،للرازی،۱۶۳/۱۱.

بالأرض لا فضاء بينهما،أو كانت فی القرآن الذی هو معجزه فی نفسه فقام مقام المرئی المشاهد،و أن تلاصق الأرض و السماء و تباينهما كلاهما جائز فی العقل) (۱).

و لتوخّی الدقه و زياده الضبط نفتح المعاجم اللغويه للتعرف على معانی بعض الكلمات القرآنيه من حيث أصلها اللغوی و اشتقاقاتها،ليصبح وجه الاستدلال بها منسجما مع المقارنه الكونيه للآيه القرآنيه.

يقول ابن منظور: كانَتا رَتْقاً (و الرتق ضد الفتق،و الرتق إلحام الفتق و إصلاحه) (۲).

و فی«القاموس المحيط»:(الرتق ضد الفتق،ارتتق التأم السموات متلاصقات و كذلك الأرض لا فرج بينها ففتقها اللّه و فرّج بينها...فإن قلت:متی رأوهما رتقا حتی جاء تقريرهم بذلك؟قلت:فيه وجهان،أحدهما أنه وارد) (۳).

و لربما يخطر فی البال هاهنا سؤال فيقول صاحبه:ما هی الماده التی تكونت الكتله الكونيه الأولی التی تم رتقها و فتقها؟

هذا السؤال قد حيّر علماء الفلك و المتخصصين فی الفيزياء الكونيه،فراحوا ينسجون تصورات نظريه حول هذه الماده و طبيعتها إلی أن اتفقوا علی أن أصل الماده عباره عن سدم،لكننا نجد القرآن الكريم قد أجاب علی هذا السؤال بكل وضوح، و أشار إلی أن الماده الكونيه الأولی للكون إنما هی من«الدخان»كما قال تعالی: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ (۴)فالماده التی تشكل منها كوننا العظيم إنما هی من الدخان.

و لنا أن نستخلص مما سبق،و من خلال التصور القرآنی عن المرحله الأولی لخلق الكون ما يلی:

۱-أن السموات و الأرض فی لحظه الخلق الأولی و بدايه النشأه،كانتا كتله واحده متلاصقه ثم انفصلت و توزعت.

۲-طبيعه هذه الماده التی تشكل الكون منها إنما هی الدخان.۱.

۱- الكشاف،محمود بن عمر الزمخشری،بيروت،دار إحياء التراث العربی،الطبعه الأولی، ۱۴۱۷ ه‍ـ/۱۹۹۷م،۵۷۰/۲.

۲- لسان العرب،ابن منظور،۱۳۲/۵.

۳- القاموس المحيط،الفيروزآبادی ،۲۴۳/۳.

۴- سوره فصلت،الآيه:۱۱.

ثانیا-مرحله خلق السموات و الأرض

قال تعالی: قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْـداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ(۹) وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَهِ أَیّامٍ سَواءً لِلسّائِلِینَ(۱۰) ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ(۱۱) (۱).

کان الحدیث فی الآیه الأولی عن طبیعه الماده الکونیه الأولی و ماهیتها،و کیف أنها کانت کتله واحده ثم انفصلت،أما هنا فالآیه تتحدث عن أطوار خلق السموات و الأرض،و المراحل التی اعترتها بعد عملیه انفصال الماده الأولی.

و هـذه الآـیه الکریمه تقرر حقیقه کونیه ثـابته و قطعیه الـدلاله و هی،أن الأـرض بعـد عملیه فتق الرتق خلقت أولا،ثم تمّ تشـکیل السـماء و بناؤها من الـدخان،و هـذا ما ذهب إلیه جمهور المفسـرین،و لقد وقع فی الخطأ و الخلط من حاول أن یقدم مرحله خلق السـموات علی الأـرض،بسـبب رغبه شدیـده دفعته إلی توأمه هـذا النص القرآنی مع التخمینـات النظریه التی تحـدث عنها بعض الفلکیین،من أن السموات خلقت قبل الأرض،و هذا الکلام لا یستند إلی دلیل لا من النصوص القرآنیه و لا من المعطیات العلمیه الثابته،و هذا ما سیوضح بعد إلقاء نظره حول هذه الآیه فی کتب التفاسیر.

ففی«أنوار التنزیل»:(قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ فی مقدار یومین،أو نوبتین،و خلق فی کل نوبه ما خلق فی أسـرع مـا یکـون،و لعـل المراد من اَلْأَرْضِ مـا فی جهه السـفل من الأـجرام البسـیطه و من خلقهـا فِی یَـوْمَیْنِ أنه خلـق لهـا أصـلا مشترکا،ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا، ثُمَّ اسْـتَوی إِلَی السَّماءِ قصـد نحوها من قولهم:اسـتوی إلی مکان کـذا إذا توجه إلیه توجها لا یلوی علی غیره،و الظاهر أن ثم تفاوت ما بین الخلقتین لا للتراخی فی المـده لقوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها و دحوها متقـدم علی خلق الجبال من فوقها: وَ هِیَ دُخانٌ أمر ظلمانی،و لعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصـغره التی کتب منها: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیـا بمـا خلقت فیکمـا من التـأثیر و التـأثر و أبرزا مـا أودعتکمـا من الأوضـاع المختلفه و الکائنات المتنوعه،أو: أَتَیْنا فی الوجود علی أن الخلق السابق بمعنی التقدیر أو الترتیب للرتبه،أو الإخبار أو إتیان

۱- سوره فصلت،الآیات ۹-۱۱.

السماء حدوثها و إتيان الأرض أن تصير مدحوه،و قد عرفت ما فيه أو لتأت كل منكما الأخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما) (۱).

و فى«روح المعانى»:(الكلام على التقديم و التأخير و الأصل ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ إلخ، فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا إلخ،و هو أبعد عن القيل و القال،إلا أنه خلاف الظاهر،أو كوّنا و أحدثا على وجه معين و فى وقت مقدّر لكل منكما،فالمراد إتيان ذاتهما و إيجادهما،فالأمر للتكوين على أن خلق و جعل و بارك و قدر بالمعنى الذى حكيناه عن إرشاد العقل السليم،و يكون هذا شروعا فى بيان كيفيه التكوين إثر بيان كيفيه التقدير،و لعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض و ما فيها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين و ترتيب مبادئ معايشهم قبل خلقهم ما يحملهم على الإيمان،و يزجرهم عن الكفر و الطغيان،و خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه إليهما معا اكتفاء بذكر تقدير الأرض و تقدير ما فيها كأنه قيل:فقيل لها و للأرض التى قدر وجودها و وجود ما فيها كونا و أحدثا،و هذا الوجه هو الذى قدمه صاحب الإرشاد و ذكره غيره احتمالا،و جعل الأمر عباره عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل من غير أن يكون هناك آمر و مأمور) (۲).

و فى«بحر العلوم»:(ثم استأنف فقال: سَواءً لِلسّائِلِينَ و من قرأ بالنصب يعنى قدرها سواء صار نصبا على المصدر،و معناه:استوت استواء ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ أى صعد أمره إلى السماء،و هو قول اللّه: كُنْ و يقال:عمد إلى خلق السماء وَ هِيَ دُخانٌ يعنى بخار الماء كهيئه الدخان،و ذلك أنه لما خلق العرش،لم يكن تحت العرش شىء سوى الماء كما قال تعالى: وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ ثم ألقى الحراره على الماء حتى ظهر منه البخار،فارتفع بخاره كهيئه الدخان،فارتفع البخار،و ألقى الريح الزبد على الماء،فزيد الماء،فخلق الأرض من الزبد،و خلق السماء من الدخان) (۳).۷.

۱- أنوار التنزيل،للبيضاوى،۱۰۵/۵-۱۰۶،و انظر:جامع البيان،للطبرى،۲۶/۲۴.

۲- روح المعانى،للآلوسى،۱۱۷/۲۴-۱۱۸،و انظر:الدر المنثور،للسيوطى،۳۱۳/۷.

۳- بحر العلوم،نصر بن محمد السمرقندى،تحقيق،محمود مطرجى،بيروت،دار الفكر العربى، ۱۹۹۷،۲۱۷/۳،و انظر:الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى ۳۴۲/۱۵،و انظر:أضواء البيان،للشنقيطى،۴۰۶/۷-۴۰۷.

و فی«مختار الصحاح»:(الدخان:دخان النار معروف و جمعه دواخن،کعثان و عواثن،علی غیر قیاس،و دخنت النار ارتفع دخانها،و بابه قطع و خضع،و ادخنت مثله،و دخنت النار إذا فسدت بإلقاء الحطب علیها حتی هاج دخانها،و دخن الطبیخ إذا تدخنت القدر،و الدخن الجاورس و الدخنه کالذریره تدخن بها البیوت) (۱).

و فی«مفردات ألفاظ القرآن»نجد أن الدخان هو:(المستصحب للهیب،قال تعالی:

ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ أی هی مثل الدخان،إشاره إلی أنه لا تماسک لها،و دخنت النار تدخن کثر دخانها،و الدخنه منه،لکن تعورف فیما یتبخر به من الطیب) (۲).

و یستخلص من معطیات النص القرآنی ما یلی:

۱-تم خلق الأرض بعد فتقها من الکتله الدخانیه فی یومین خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ .

۲-تم تسویه السموات السبع فی یومین کما قال تعالی: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ و ذلک بعد فتقها و الانفجار و الانفصال الذی اعتراها بعد ما کانت دخانا،قال تعالی: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ .

۳-تمّ تدبیر الأرض و تهیئتها و تسخیرها لتعیش علیها المخلوقات فی یومین وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها أی الجبال التی تساعد علی توازن و استقرار الأرض وَ بارَکَ فِیها أی زاد فیها الخیر و الزرع و الماء و غیر ذلک وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها من أرزاق و أسباب المعیشه.

و ینبه إلی أن المقصود بالأیام هنا هی المراحل و الحقب الزمنیه،و لیست الأیام المعروفه لدینا کما أشار إلی ذلک کثیر من المفسرین کما سبق،و لأن الزمن شیء نسبی کما هو معلوم،فیوم الأرض لیس کیوم الشمس و لیس کیوم المجره و هکذا...

ثالثا-مرحله دحو الأرض

قال تعالی: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها(۲۷) رَفَعَ سَمْکَها فَسَوّاها(۲۸) وَ أَغْطَشَ لَیْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها(۲۹) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها(۳۰) (۳).

۱- مختار الصحاح،للجوهری،۸۴/۱.

۲- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،تحقیق،صفوان داودی،دمشق،دار القلم،الطبعه الثانیه،۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷م/،ص:۳۱۰.

۳- سوره النازعات،الآیات ۲۷-۳۰.

هذه هی المرحله الثالثه من مراحل الخلق حسب تصویر القرآن لذلک،فالمرحله الأولی کانت مرحله تفجیر الکتله الدخانیه«الرتق و الفتق»و المرحله الثانیه کانت مرحله خلق الأرض لکنها غیر مدحوه،و تسویه السموات و تشکیلها،ثم جاءت المرحله الثالثه التی هی مرحله دحی الأرض.

لکن قد یستشکل أحدنا أو یجول فی خاطره سؤال مفاده،أیهما خلق أولا-السموات أم الأرض؟ففی الآیه السابقه عرفنا بنص قرآنی واضح و صریح أن الأرض خلقت قبل السماء قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ (۹) وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَهِ أَیّامٍ سَواءً لِلسّائِلِینَ(۱۰) ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ(۱۱) (۱)و هنا نجد أن الحق یخبرنا أن الأرض خلقت بعد السماء وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها أی بعد خلق السموات،فکیف یکون ذلک؟.

إن الجواب علی هذا السؤال أو الاستشکال سهل للغایه،و قد عرض هذا السؤال علی ابن عباس رضی اللّه عنه و أجاب علیه،کما ورد فی صحیح البخاری:(قال رجل لابن عباس رضی اللّه عنهما:إنی لأجد فی القرآن أشیاء تختلف علیّ...قال تعالی: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها إلی قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها فذکر خلق السماء قبل الأرض،ثم قال تعالی: قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ... فذکر فی هذه خلق الأرض قبل خلق السماء...فقال ابن عباس رضی اللّه عنهما:خلق الأرض فی یومین،ثم خلق السماء،ثم استوی إلی السماء فسواهن فی یومین آخرین،ثم دحی الأرض و دحیها أن أخرج منها الماء و المرعی،و خلق الجبال و الرمال و الجماد و الآکام و ما بینهما فی یومین آخرین،فذلک قوله تعالی: دَحاها و قوله: خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ فخلق الأرض و ما فیها من شیء فی أربعه أیام،و خلق السموات فی یومین...فلا یختلفن علیک القرآن،فإن کلا من عند اللّه عز و جلّ) (۲).

و علی هذا النسق سار المفسرون،ففی إرشاد العقل السلیم:(فهی و ما فی سوره البقره من قوله سبحانه و تعالی: هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی إِلَی۴.

۱- سوره فصلت،الآیات ۹-۱۱.

۲- رواه البخاری،باب التفسیر،رقم:(۴۵۳۷)،۱۸۱۵/۴.

اَلسَّماءِ فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ (۱) تدلان على تقدم خلق الأرض و ما فيها على خلق السماء و ما فيها،و عليه إطباق أكثر أهل التفسير،و قد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات و الأرض على الماء،ثم إنه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان،فأما الزبد فبقى على وجه الماء،فخلق فيه اليبوسه فجعله أرضا واحده،ثم فتقها فجعلها أرضين،و أما الدخان فارتفع و علا فخلق منه السموات،...و قيل إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات،لكن دحوها و خلق ما فيها مؤخر عنه لقوله سبحانه و تعالى: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها و لما روى عن الحسن رحمه اللّه،من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئه الفهر عليه دخان ملتزق بها،ثم أصعد الدخان و خلق منه السموات و أمسك الفهر فى موضعها،و بسط منها الأرض و ذلك قوله تعالى: كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و ليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الآمر بالإتيان إنشاءها و إحداثها بل إنشاء دحوها و جعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين و وصف مخصوص،كأنه قيل:ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه،ائتى يا أرض مدحوّه قرارا و مهادا لأهلك،و ائتى يا سماء مقبّبه سقفا لهم) (۲).

و عند الطبرى:(عن ابن عباس،قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء،ثم ذكر السماء قبل الأرض،و ذلك أن اللّه خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء،ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سماوات،ثم دحا الأرض بعد ذلك،فذلك قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (۳).

و عند ابن كثير:(أن الأرض خلقت قبل خلق السماء،و لكن إنما دحيت بعد خلق السماء،بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوه إلى الفعل) (۴).

و فى تفسير القرطبى:(أن اللّه تعالى خلق أوّلا دخان السماء ثم خلق الأرض،ثم استوى إلى السماء و هى دخان فسوّاها،ثم دحا الأرض بعد ذلك،و مما يدل على أن الدخان خلق أوّلا قبل الأرض ما روى عن ابن مسعود و عن ناس من أصحاب۸.

۱- سوره البقره،الآيه:۲۹.

۲- إرشاد العقل السليم،لأبى السعود،۵/۸-۷.

۳- جامع البيان،للطبرى،۴۶/۳۰.

۴- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،۳۱۷/۸.

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى قوله عز و جلّ: هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكَمْ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ قال:إن اللّه تبارك و تعالى كان عرشه على الماء و لم يخلق شيئا قبل الماء،فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه،فسمّاه سماء،ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحده،ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين) (۱).

(فالكلمتان«دحاها-طحاها»تدلان على معنى البسط،دحا الأرض يدحوها، بسطها،قال شمّر:فأنشدتنى أعرابيه:الحمد للّه الذى أطاقا بنى السماء فوقنا طباقا ثم دحا الأرض فما أضاقا و الأدحوّه،مبيض النعام فى الرمل...و مدحى النعام،موضع بيضها) (۲).

هذه هى مراحل الخلق حسب معطيات القرآن الكريم و دلائله،و لا شك أن هذا التفصيل لمراحل خلق الكون عسير على العلم بل من المستحيل أن يصل إليه،لأنه من المغيبات التى لا تخضع لمدركات الإنسان،لكن يمكن للعلم أن يصل إلى حقائق كونيه ثابته عن أصل الكون و الخلق،لكنها مجمله و ليست مفصله بهذه الدقه القرآنيه العجيبه، و الدليل على ذلك أنهم حقا توصلوا إلى حقائق علميه تدل على أصل الكون و منشئه.

و العوده لملف علم الفلك،و النظر فى أقوال علماء الكون،تظهر أن ما توصلوا إليه من حقائق كونيه علميه ثابته بعد جهد جهيد من الدراسه و البحث،هى ذاتها التى أشار إليها القرآن الكريم بوضوح القول و صريح العباره،و أن ما كشفوا عنه اليوم هو الذى سبقهم إليه كتاب اللّه تعالى و سطّر ملامحه و أطره فى صفحاته قبل أكثر من أربعه عشر قرنا.

الكون الذى يحوى فى ثناياه النجوم و الكواكب و المجرات،و ما يتبعها من غازات و معادن و صخور و تراب و حيوانات و نباتات و إنسان،و غير ذلك من المخلوقات الأخرى،كان مثار اهتمام لدى الإنسان عبر مرور الأحقاب،سواء كان هذا الاهتمام مبنيا على الخرافه و الوهم،كما عند بعض الناس فى القدم،و الذين اعتقدوا بأزليه الكون،و ربطوا تصوراتهم العقائديه بأجسام عده من الكون كالشمس و الشجر۷.

۱- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۱/۲۵۰.

۲- لسان العرب،لابن منظور،۳۰۳/۴،و انظر:مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانى، ص:۵۱۷.

و النار...و جعلوها آلهه لهم،أو كان مرتكزا على الدراسات الصحيحه التى تعتمد على الرصد و الحسابات الفلكيه و الرياضيه.

و إذا ما طوينا صفحه الخيال أو الخرافه التى كانت سائده و مسيطره على عقل الإنسان فى معظم الحضارات القديمه،و اتجهنا إلى التعرف على الدراسات الحديثه التى شهدها الإنسان فى بدايه القرن العشرين،فإننا نجد تطورا هائلا فى مجال الفلك بسبب الاكتشافات الكبيره لأسرار الكون،عبر المراصد الضخمه،و من خلال النظريات العلميه الجديده.

و قبل الشروع فى عرض و بيان آراء العلماء حول مولد الكون و نشأته،ينبه إلى أن هناك العديد من النظريات التى أعلنت حول أصل الكون،إلا أن معظمها خفت صوتها و غيّبت،عند ما ظهرت أحدث نظريه حول مولد الكون و التى تدعى بالانفجار العظيم (big bang)بل و التى أجمع على صحتها جمهور علماء الفلك،مما دفع بعض الفلكيين إلى القول بأنها حقيقه قطعيه كما سيأتى.

و بوسعنا الآن أن نستعرض طائفه من دراسات الفلكيين حول الانفجار الكونى العظيم،لنرى مدى التوافق بين ما أثبتوه،و بين الحقائق القرآنيه التى سبق و أن قرر من خلالها الحق نشأه الكون.

الحقائق العلميه:

(توصل عالم الفلك البلجيكى«جورج إدوارد لوميتر» (١)إلى نتيجه الانفجار العظيم، و أعلنها فى عام ١٩٢٧،و قد افترض فى مستهل الأمر أن الماده الكونيه كانت كلها مضغوطه فى حجم ضئيل للغايه أسماه البيضه الكونيه،ثم تعرض ذلك الجسم لتمدد مفاجئ سريع و ما زال يتمدد،و لما طرح«هبل» (٢)قانونه فى عام ١٩٢٩،و شرح

١- جورج إدوارد لوميتر،١٨٩٤-١٩٦٦،كاهن بلجيكى كان رائدا فى علم الرياضيات،عمل أستاذا فى جامعه لوفان،أهم أبحاثه التى أدت إلى نظريه الضربه الكونيه الكبرى عن تكوين الكون،ظهرت فى عام ١٩٢٧،خدم فى الجيش البلجيكى،و ربح ميداليه الحرب وقتها.انظر: موسوعه غينيس فى علم الفلك،باتريك موور،ترجمه،مركز التعريب و البرمجه،بيروت، الدار العربيه للعلوم،الطبعه الأولى،١٤١٥ ه ١٩٩٤/،ص:٢٨٤.

٢- أدويل هبل،١٨٨٩-١٩٥٣،فلكى أمريكى معاصر،قام برصد ملايين النجوم من مرصد جبل بالومار،و قام بتصنيفها فى مجموعات،أعلن أن الكون أكبر مما يتصور العلم آنذاك.الأطلس الفلكى،عصام الميدانى،دمشق،دار دمشق،١٩٩٦،ص:٨٨.

المشاهدات التی استند إلیها،بدا واضحا أن ذلک یجسد تماما ما ینبغی أن یکون من شأن کون فی حاله تمدد،و کون کل المجرات تبتعد عنا بمعدل أسرع کلما کانت أکثر بعدا،أمر لیس له أی دلاله خاصه تتعلق بنا و بمجرتنا،فما دام الکون فی حاله تمدد فهذا یعنی أن کل مجراته تتباعد عن بعضها،و قد التقط الفیزیائی«جورج جاموف» (۱)فکره البیضه الکونیه و عممها ثم أطلق علی عملیه التمدد الأولی اسم(الانفجار العظیم)،و ما زال ذلک الاسم مستخدما حتی الآن و یشیر«جاموف»إلی أن الإشعاعات التی صاحبت الانفجار العظیم،لا بد أن یکون لها الآثار حتی الآن ما یمکن رصده من أی اتجاه علی هیئه موجات(میکروویف)ضعیفه،لها من المواصفات ما یمکن تقدیره حسابیا،و بهذا الاکتشاف انتهی علماء الفلک إلی الاقتناع بوجود الانفجار العظیم، و من المتفق علیه الآن أن الکون قد بدأ بجسم ضئیل انفجر منذ خمسه عشر بلیون سنه، و ما زال تحدید عمر الکون علی وجه الدقه قید البحث،و لکنه یصعب أن یقل عن عشره بلایین سنه،و لن یزید علی الأرجح علی عشرین بلیون سنه) (۲).

و هذا ما أکّده کثیر من علماء الکون(یدرس علماء الکون الزمن الغابر باستقراء خارجی للشروط السائده فی الکون حالیا،بمعنی أنهم یستعملون قوانین الفیزیاء لاستنباط الکیفیه التی کان الکون علیها حین نشأته و بدایه تکوینه،فلقد تبین أن الکون کان فی بدایته حارا و کثیفا،و کان غازیا و کانت مادته و إشعاعه ممتزجین معا امتزاجا یختلف فیه تماما عما نعرفه عنهما من حیث تمیزهما الواضح عن بعضهما،و یعود سبب الامتزاج إلی أنه فی غاز ذی درجه حراره مرتفعه یحمل الإشعاع طاقه هائله،الأمر الذی یوفر إمکان تحوله إلی ماده،و هکذا فالإشعاع و الماده فی بدایه نشأه الکون سلکا سلوکا لا یکاد یمیّز أحدهما عن الآخر...و هم یعتقدون أن درجه حرارته کانت عالیه جدا مما أدی إلی الانفجار العظیم) (۳).۲.

۱- جورج جاموف،۱۹۰۴-۱۹۶۸،الأمریکی الروسی الأصل،مؤسس نظریه الانفجار الکبیر لنشوء الکون،و صاحب المصطلح الذی أصبح الآن من أکثر الفرضیات إثاره للجدل فی تاریخ العلم،و تنبأ بوفره عنصر الهیلیوم،و بانتشار الأشعه البارده.انظر:مفکرون من عصرنا،سامی خشبه،القاهره،المکتبه الأکادیمیه،الطبعه الأولی،۱۴۲۲ ه ۲۰۰۱/،ص:۳۱۱.

۲- الشموس المتفجره،إسحاق عظیموف،ترجمه السید عطا،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۹۴،ص:۱۲۳-۱۲۴.

۳- مقدمه فی علم الفلک،توماس آرنی،ترجمه،د.أحمد الحصری،دمشق،دار طلاس،الطبعه الأولی،۱۹۹۸،ص:۷۰۲.

و یؤکد هذا المعنی العالم«جون فایفر» (۱)فیقول:(لقد کانت الظلمات السائده حینذاک نقطه بدایه لا نقطه نهایه،عند ما تکونت فیها سحابه لا تشبه سحب الیوم أبدا، فقد بدأت الماده تتجمّع بالغریزه کما تتجمع قطعان الأغنام،و هکذا بدأت کثافه السحابه تزداد،و بدأت الظلمه تنقشع و یبدو فیها بصیص من النور،و لقد کان هذا النور بدایه تکون النجوم) (۲).

رسم یبین عملیه الانفجار العظیم و توسع الکون و هذا ما أثبته العلماء فی أوائل القرن العشرین و ذکره القرآن الکریم منذ ألف و أربعمائه عام بأن السماء و الأرض کانتا رتقا ففتقناهما.

(و فی اللحظات الأولی للکون عند ما کانت الکثافات هائله،و درجات الحراره۹.

۱- جون فایفر أحد أئمه کتاب العلوم،و قد کرس نفسه أساسا لتقدیم صوره عامه دقیقه عن نتائج البحث العلمی،و کان المحرر العلمی و الطبی لمجله«نیوزویک»و المدیر العلمی لإذاعه و تلفزیون کولومبیا،له عده مؤلفات منها:العلم فی حیاتک،و العقل البشری،و الکون الصغیر. انظر:مقدمه المترجم،ص:۲.

۲- بدایه الکون،جون فایفر،ترجمه،د.محمد الشحات،القاهره،مؤسسه سجل العرب، ۱۹۷۵،ص:۹.

عـاليه،لاـ بـد من أن الكون كان معتما،فلم تكن(فوتونات) (۱)أشـعه تسـتطيع التحرك إلا لمسافه قصـيره جدا،و بعدها ترتطم إما بجسـيم أو(بفوتون)آخر،و لكن عنـد ما أخذ الكون بالاتساع أخذت الأطوال الموجيه(للفوتونات)فى الكره الناريه الأوليه بدورها بالاسـتطاله شـيئا فشـيئا،و ازدياد الأطوال الموجيه يعنى انخفاض الطاقه التى يحملها كل (فوتون)،و بانخفاض الطاقه المحموله فى كل(فوتون)بـدأت درجه حراره الكره الناريه بالهبوط و ابتدأ الكون بعدها بالبروده...و قد لعبت(الإلكترونات) (۲)الحره المنطلقه حول الكره النـاريه،عنـد مـا كـان الكون فى بـدايته ساخنا،دورا مهما فى الإبقاء على عتمه الكون،فقـد كانت(الإلكترونات)الحره تسـتطيع بسـهوله و كفـاءه تشـتيت(الفوتونـات)،إذ لـم يكـن لأـى(فوتـون)المجـال للتحرك بعيـدا،إذ كـان و لاـ بـد أن يرتطم(بالإلكترونات) السائبه) (۳).

و يقول صاحب كتاب«قصه الكون»:(إن الكون قـد بـدأ على شـكل كتله ساخنه جدا من الماده،و لم يكن شبيها كليا بالماده كما نعتقد،بل كانت توجد فيه على الأقل كتله من الجسـيمات الذريه الأوليه مزدحمه مع بعضها،و قد قدر أن قطر هذه الماده لم يكن يتعـدى بضع ملايين من الأميال،أى أنه كان من الممكن أن يوضع فى مـدار الأرض حول الشـمس،و لا بـد أن كثافه هذه الماده كانت مائه مليون طن لكل سنتيمتر مكعب،۱.

۱- الفوتون: photon ،عبـاره عن كميه الطـاقه الضـوئيه المرئيه أو غير المرئيه،و يمتلـك الفوتـون طـاقه و كميه حركه،و يتمتع بكتله تساوى طاقته مقسومه على مربع سـرعه الضوء،غير أنه ليس له كتله سـكون،فهو دائم الحركه بسـرعه تساوى سرعه الضوء،و هو جسيم ليس له أى شحنه كهربائيه. انظر:الموسوعه الفلكيه،خليل بدوى،عمّان،عالم الثقافه،الطبعه الأولى،۱۹۹۹،ص ۸۴.

۲- الإلكترون: nortcele ،مشـتق من الكلمه اليونـانيه، nortktron ،و التى تعنى الكهرمـان،و هو جسـيم ذو شـحنه كهربائيه سالبه يـدور حول نواه الـذره،توجـد الإلكترونات فى الحاله الاعتياديه فى مـدراتها الرئيسـيه المسـتقره فى الـذرات،و بما أن عـدد الإلكترونات يساوى عـدد البروتونات فى ذره ما،فإن شـحنه الذره تساوى صـفرا.انظر:موسوعه الكويت العلميه للكيمياء،الكويت، مؤسسه الكويت للتقدم العلمى،الطبعه الأولى،۱/۳۲۵،۱۹۸۶،و ۱/۶۲۶.

۳- المجرات و الكـوازرات، وليـام كاوفمـان،ترجمـه،عبـد الكريـم السـامرائى،بغـداد،دار الشـئون الثقـافيه العـامه،الطبعـه الأـولى، ۱۹۸۹، ص ۱۳۷-۱۳۸،و انظر:الانفجـار الكبير،أميـد شـمشك،ترجمه،أورخان محمـد على،عمّان،دار البشـير،الطبعه الأولى،۱۴۱۹ ۱۹۹۸ه/ ص ۲۷،و انظر:الـدقائق الثلاـث الأولى من عمر الكون،ستيفن ونبرغ،ترجمه،وائل الأتاسـى،دمشق،منشورات وزاره الثقافه ۱۹۸۶ ص:۸۱.

أی أکثف من نواه الـذره،کمـا کانت درجه حرارتها بلا شک عالیه إلی حوالی عشـره بلایین درجه،و مثل هـذه الکتله یمکن أن تکون غیر مستقره جـدا فتنفجر عنـد وقت مـا، و مع درجه الحراره العالیه لا بـد أن الانفجار کان قویا،انـدفعت بمقتضاه کل ماده الذره الضخمه إلی الخارج،و فی جزء من الثانیه أصبح للکون وجود) (۱).

و یؤکد هذه القضـیه«کارل ساغان» (۲)فی کتـابه«الکون»فیقول:(و نعلم الآـن أن کوننـا یبلغ من العمر نحو ۱۵ أو ۲۰ ملیار سنه،و هـذا الزمن محسوب منـذ ذلـک الحـدث التفجیری الاسـتثنائی،الـذی یعرف بالانفجـار الکبیر،و فی بـدایه الکون لم تکن هنـاک مجرات أو نجوم أو کواکب أو أی نوع من الحیاه أو حضارات،بل مجرد کره ناریه مشعه منتظمه الشکل تملأ الفضاء کله) (۳).

الإعجاز:

لاـ أری داعیا فی سـرد المزیـد من دراسات علماء الفلک و الکون،و التی تصور بمجملها أصل الکون و مولـده،و تؤکـد علی أن الکون کان کتله متماسکه حارّه،ثم بدأ

۱- قصه الکون عجب و بهاء،کلیفورد سیماک،ترجمه،د.عبد القوی عیاد،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۷۵ ص ۱۹۵ و انظر:آفاق فلکیه،فوزیه محمد الرویح،الکویت، جامعه الکویت،الطبعه الأولی،۱۹۹۷،ص:۲۸۱.

۲- کارل ساغان،أستاذ الفلک و علم الفضاء بمعهد دافید دنکان،و مدیر معمل دراسات الکواکب بجامعه کورنیل،قام بدور بارز فی رحلات سـفن الفضاء،له نحو ستمائه ورقه بحثیه علمیه، بالإضافه للعدید من الکتب.انظر:مقدمه المترجم،ص:۳،و انظر:الفضاء و الشـهب،محمـد فتحی عوض الله،القاهره،الهیئه المصـریه العامه للکتب،۱۹۷۳،ص:۲۰،و انظر:بلوغ سنّ الرشـد فی المجره،تمـثی فرس،ترجمـه،هنری مطر،عمّـان،مرکز الکتب الأـردنی،۱۹۹۰، ص ۳۸۳،و انظر:الکـون البحـث عـن لحظـه المیلاـد،هـوبرت ریفز،ترجمـه،درویش الحلّـوجی، القـاهره،المسـتقبل العربی،الطبعه الأـولی،۱۹۹۶،ص:۷۱،و انظر:أجمـل تاریـخ للکـون، جـویل دورونی و آخرون،ترجمه،موسی خوری،بیروت،دار الکتاب العربی،۱۹۹۶،ص:۲۲.

۳- عـالم المعرفه،الکون،کـارل ساغـان،ترجمه،نـافع أیوب لبس،الکویت،المجلس الوطنی للثقـافه،۱۴۱۴ ه ۱۹۹۳/،ص:۳۶،و انظر رحله فی الکون و الحیاه،أحمد محمد عوف، القاهره،الهیئه المصـریه العامه للکتاب،۱۹۹۶،ص:۱۲۳،و انظر:نشأه الکون،السموات السبع،محمد جمال الدین الفندی،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۷۳، ص:۱۴۲.

بانفجار مدو عظیم أدی إلی انفصال الکتله الملتحمه،و تفرقت أجزاؤها فی أنحاء الفضاء،و کانت درجه الحراره وقتها عالیه جدا ثم تبردت و انخفضت...

هذا ما توصل إلیه علماء الکون (۱)بعد دراسات حثیثه و مضنیه،کلفتهم ما اللّه به علیم من الجهد و الوقت و المال،لکننا نجد أن القرآن الکریم قد سبقهم لتسطیر هذه الحقیقه حول أصل الکون و مولده،قبل أکثر من أربعه عشر قرنا،حیث قال اللّه جل جلاله: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ (۲)،ما أعظمها من آیه و ما أدق بیان الحق فیها،فهی تصور لنا أن السموات و الأرض کانتا رَتْقاً أی کتله واحده ملتصقه متماسکه فَفَتَقْناهُما أی فصلنا أجزائهما من مجرات و کواکب و نجوم...و هذا ما کشف عنه العلم المعاصر الیوم،أو لیس هذا التوافق داعیا البشر لیطأطئوا الرءوس إجلالا و تعظیما لهذا الکتاب الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه.۰.

۱- ما یؤخذ علی القول(بالانفجار العظیم)و نرده و لا نقبله هو(الانفجار)لأن الانفجار یدل علی العشوائیه و عدم الرتابه و الانضباط،لذلک نری أن تستبدل هذه اللفظه،و هذا المصطلح بالمصطلح القرآنی(الرتق و الفتق)لأنه أدق فی التعبیر عن بدایه خلق الکون،و أفصح و أوضح لغه و حقیقه.

۲- سوره الأنبیاء،الآیه:۳۰.

صوره رقم:(۲)(مجره إم ۱۰۱ أو مجره المروحه) إحدى أضخم و ألمع المجرات المعروفه و التى تسمى إم ۱۰۱،أو مجره المروحه نسبه لشكلها العام و التى تمتد على قطر يبلغ مائتين ألف سنه ضوئيه،و تقع على مسافه اثنين و عشرين سنه ضوئيه عن مجرتنا،كما أنها تخلف موجات من الكتل العاليه،و تكثف الغاز ليدور حول مركز المجره،و هذه الموجات تضغط على الغازات الموجوده و تسبب نشوء النجوم، و هذه الصوره التقطتها ناسا الفضائيه الأمريكيه فى ۲۰۰۳/۳/۱۰ (۱).th

---

۱- ترجم هذا النص،و أخذت هذه الصوره من موقع ناسا: lmth ۱۳۰۳.pa/dopa/vog.asan.cfsg.pr wtna://ptth

المبحث الثالث

اشاره

تمدد الكون و توسعه

يقول سبحانه و تعالى: وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ (۱).

تعطينا هذه الآيه الكريمه مشهدا آخر من مشاهد تخلق الكون و تطوره،و هذا هو الطور الثانى الذى مرت به حركه الكون،فبعد أن طرأ عليه الانفجار العظيم،هبطت درجه حرارته المرتفعه،و بدأ بالتبرد،و التوسع،و الانتشار،و التمدد الدءوب المستمر...و إن هذا التوسع و ذاك التمدد،لم يسر عبر مسالك مستوعره،و طرق و ساحات قد ازدحمت بالفوضى و الاضطراب...ليست الحاله كذلك بل كما عبّر القرآن الكريم بَنَيْناها و البناء يقتضى هندسه دقيقه،و يستلزم تصميما تشيع بين جنباته الرّتابه المتألقه.

و بإلقاء نظره فى كتب المفسرين حول معانى هذه الآيه،و ما تصور لنا من معطيات كونيه و علميه نجد ما يلى:

يقول القرطبى:(فى السماء آيات و عبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصه قوم نوح لأنهما آيتان،و معنى بِأَيْدٍ أى بقوه و قدره،عن ابن عباس و غيره: وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ قال ابن عباس:لقادرون،و قيل:أى و إنا لذو سعه، و بخلقها و خلق غيرها لا يضيق علينا شىء نريده،و قيل:أى و إنا لموسعون الرزق على خلقنا،و منه أيضا،و إنا لموسعون الرزق بالمطر و قيل:جعلنا بينهما و بين الأرض سعه) (۲).

و يقول البيضاوى:(و إنا لموسعون،أى لقادرون،من الوسع،بمعنى الطاقه، و الموسع:القادر على الإنفاق،أو لموسعون السماء،أو ما بينها و بين الأرض،أو الرزق) (۳).

۱- سوره الذاريات،الآيه:۴۷.

۲- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۵۲/۱۷.

۳- أنوار التنزيل،للبيضاوى،۲۴۱/۵.

و فی«روح المعانی»:(و السماء،أی و بنینا السماء بنیناها،بأییـد:أی بقوه،قاله ابن عباس و مجاهـد و قتاده،و مثله الآد،و لیس جمع یـد،و جوزه الإمام،و إن صحت التوریه به،و إنا لموسعون،أی لقادرون،من الوسع بمعنی الطاقه،فالجمله تذییل إثباتا لسعه قدرته عز و جلّ کل شیء،فضلا عن السماء،...و الید بمعنی النعمه لا الإنعام،و قیل:أی لموسعوها بحیث أن الأرض و ما یحیط بها من الماء و الهواء بالنسبه إلیها محلقه فی فلاه،و قیل:أی لجاعلون بینها و بین الأرض سعه،و المراد السعه المکانیه) (۱).

و فی تفسیر«فتح القدیر»:(و إنا لموسعون،الموسع:ذو الوسع و السعه،و المعنی إنا لذو سعه بخلقها و خلق غیرها،لا نعجز عن ذلک،و قیل:لقادرون،من الوسع بمعنی الطاقه و القدره،و قیل:إنا لموسعون الرزق بالمطر) (۲).

و یقول ابن عاشور:(و الموسع:اسم فاعل من أوسع،إذا کان ذا وسع،أی قدره، و تصاریفه جائیه من السعه،و هی امتداد مساحه المکان ضد الضیق) (۳).

و یقول سید قطب رحمه اللّه:(و الأید:القوه،و القوه أوضح ما ینبئ عنه بناء السماء الهائل المتماسک المتناسق،بأی مدلول من مدلولات کلمه السماء،سواء کانت تعنی مدارات النجوم و الکواکب،أم تعنی مجموعه من المجموعات النجمیه التی یطلق علیها اسم المجره،و تحوی مئات الملایین من النجوم و الکواکب...و السعه کذلک ظاهره، فهذه النجوم ذات الأحجام الهائله و التی تعد بالملایین،لا تعد أن تکون ذرات متناثره فی هذا الفضاء الرهیب) (۴).

فکلمه تشیر إلی الاستمراریه فی البناء المتناسق،و هذا نفی لکل ما قد یمور فی سرادیب عقل إنسان،من أن الکون جامد ثابت لا حراک فیه و لا حرکه،و أنه ملازم صفه واحده لا ینفک عنها.

و إذا ما رجعنا إلی معاجم اللغه و فتشنا عن معنی کلمه(موسع)و عن الأبعاد التی تعطینا إیاها فسوف نجد ما یلی:۶.

۱- روح المعانی،للآلوسی،۱۷/۲۷.

۲- فتح القدیر،محمد بن علی الشوکانی،۹۱/۵.

۳- التحریر و التنویر،محمد الطاهر ابن عاشور،بیروت،مؤسسه التاریخ،الطبعه الأولی، ۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰،۳۶/۲۷.

۴- فی ظلال القرآن،لسید قطب،۳۳۸۵/۶.

(وسعه الشیء بالکسر یسعه سعه بالفتح،و الوسع و السعه بالفتح الجده و الطاقه، و أوسع الرجل صار ذا سعه و غنی،و منه قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ أی أغنیاء قادرون و یقال:أوسع اللّه علیک،أی أغناک،و التوسیع خلاف التضییق، تقول:وسع الشیء فاتسع و استوسع أی صار واسعا،و توسعوا فی المجلس تفسحوا) (۱).

و فی لسان العرب:(...فی أسمائه سبحانه و تعالی الواسع،و هو الذی وسع رزقه جمیع خلقه و وسعت رحمته کل شیء،و غناه کل فقر،و یقال:الواسع المحیط بکل شیء...و السعه،نقیض الضیق و استوسع الشیء،وجده واسعا و طلبه واسعا، و أوسعه و وسعه،صیره واسعا،و قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ أراد جعلنا بینها و بین الأرض سعه،جعل أوسع بمعنی وسع،و قیل:أوسع الرجل صار ذا سعه و غنی،و قوله: وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ أی أغنیاء قادرون) (۲).

هذا هو النبأ و القرار القرآنی الصریح حول استمراریه الکون فی عملیه البناء الموسعه،فمن معطیات الآیه الکریمه أن الکون فی حاله اتساع مستمره،و أنه غیر ثابت محجم و محجر،فما ذا یقول علماء الفلک فی هذا؟و ما ذا توصلوا فی أبحاثهم حول توسع الکون؟.

الحقائق العلمیه:

المتتبع للمستجدات العلمیه فی أواخر القرن التاسع عشر و بدایه القرن العشرین، یجد تنافسا هائلا بین العلماء فیمن یحظی بأسبقیه تدوین اکتشافه حول حرکه الکون و توسعه.

فلقد(لاحظ العالم النمساوی«دوفلر» (۳)فی سنه ۱۸۴۲،أن الموجات الصوتیه و الضوئیه الصادره عن جسم متحرک،تغیر أطوالها و ذبذباتها تبعا لحرکاتها بالنسبه لراصدها،فهی تقصر فتزداد حده إذا کانت صادره عن جسم یتحرک نحو الراصد،أو

۱- مختار الصحاح،فخر الدین الرازی،۲۱۰/۱.

۲- لسان العرب،لابن منظور،۳۹۲/۸.

۳- کریستیان جوهان دوفلر، doppler ،فیزیائی فلکی نمساوی،اکتشف ظاهره دوفلر،و هی تغیّر الطول الموجی الضوئی أو الکهرومغنیطی المنبعث من جسم متحرک.انظر:علم الفلک،هاشم أحمد،بیروت،هلابون،د.ت،ص:۸۴.

تطول فتخف حدتها إذا كانت صادره عن جسم يبتعد عن راصده،هذه الظاهره المعروفه فی الفيزياء باسم ظاهره«دوفلر»،و قد اكتسبت نظريه«دوفلر»هذه أهميه كبری فی علم الفلك عام ۱۸۶۸،عند ما استخدمت فی دراسه الخطوط الطيفيه المنفصله،فقد برهن العلماء فی ذلك العام أن فی الخطوط المظلمه من أطياف بعض النجوم إزاحه بسيطه نحو الأحمر أو الأزرق مقارنه مع طيف الشمس) (۱).

ثم جاء«أنيشتاين» (۲)بنظريته النسبيه(و التی تمثل مراجعه شامله لقوانين الفيزياء التقليديه،فعند ما فرغ أنيشتاين من صياغه النظريه النسبيه العامه فی عام ۱۹۲۵،حاول استغلال نظريته فی بناء نموذج نظری للكون،و لا بد من الإشاره إلی أن النظريه النسبيه هی نظريه للجاذبيه،تطبق علی الأنظمه الحركيه المنتظمه و غير المنتظمه،و يعتبر أنيشتاين بنظريته النسبيه أن الجاذبيه تمثل انحناء أو تحدبا فی النسيج الزمكانی«الزمان و المكان»و بغياب الجاذبيه يصبح كل من الزمان و المكان مسطحا،و فی حاله وجود مجال جذبی ينحنی الزمان و المكان...و رغم أن نظريه أنيشتاين حول الجاذبيه أكثر دقه،إلا أنه لم يكن متأكدا من صحه ما توصل إليه فی بناء النماذج النظريه للكون،و لم يكن أحد فی ذلك الحين أيضا يظن أو يشك بوجود حركات كبری فی الكون،و لذلك اتجه أنيشتاين فی أبحاثه إلی وضع نماذج ثابته للكون،و قد تعرضت جهوده فی هذا المجال للإحباط الشديد،فكلما سعی إلی بناء نموذج رياضی للكون يجد أن عمله يؤدی إلی كون ينكمش،و بدلا من أن يتابع ما توصل إليه فی حساباته و يوافقها إذ كانت صيغته الرياضيه تقوده دائما إلی حقيقه تدل علی أننا لا نحيا فی كون ثابت،و لذلك بدأ۷.

۱- الكون و أحجار الفضاء،محمد فتحی عوض،دمشق،دار الوثبه،الطبعه الثانيه،۱۹۸۳، ص:۴۱،و انظر:المحيرات الفلكيه،عبد الرحيم بدر،الكويت،مؤسسه الكويت للتقدم العلمی،الطبعه الأولی،۱۹۸۴،ص:۳۰.

۲- أنيشتاين،۱۸۷۹-۱۹۵۵،فيزيائی ألمانی،صاحب نظريه النسبيه المشهوره التی لا يفهمها إلا نفر ضئيل،و هو من علماء الرياضيات و من أعمق المفكرين،أتم دراسته الثانويه فی ميونخ، و أخذ الجنسيه السويسريه،و استقر فی برلين و عين عضوا فی أكاديميه العلوم فيها عام ۱۹۱۳، و نشر نظريه النسبيه.انظر:مشاهير القرن العشرين،محمد بوذينه،تونس،مطبعه تونس، الطبعه الأولی، ۱۹۹۴،ص:۸۹ و انظر:أعلام الحضاره،سمير شيخانی،بيروت،مؤسسه عز الدين،۱۴۰۱ ه/۱۹۸۱م،ص:۲۳۸،و انظر:الأطلس الفلكی،محمد عصام الميدانی، ص:۸۷.

الشک و الحیره تصیبه فی صحه معادلاته،و علی ذلک أضاف إلی معادلاته مقدارا محددا أطلق علیه«الثابت الکونی»بحیث یمنع الثابت کون«أنیشتاین»من الانکماش، و بمعادلاته الخاطئه فی بناء نماذج کونیه ثابته فوت«أنیشتاین»الفرصه فی تعجیل اکتشاف«هبل»،بما لا یقل عن عشر سنوات،و بحلول عام ۱۹۲۹،أصبح جلیا أننا نحیا فی کون یتمدد،و لم یعد هناک أی تحفظ جدید،و لقد ندم«أنیشتاین»کثیرا فی السنوات الأخیره التالیه لإضافته الثابت الکونی فی معادلاته الأصلیه فی النسبیه العامه، و أشار إلی ذلک بقوله:لقد کان ذلک هو أکبر خطأ وقعت به فی حیاتی) (۱).

ثم استنتج العالم الفلکی الأمریکی«هبل»(أن المجرات تتباعد عن بعضها بعضا بسرعات تتناسب مع المسافه بینها،یشبه ذلک قلیلا قالب الحلوی الذی نضعه فی الفرن،فکلما انتفخ تباعدت فیه حبات الزبیب عن بعضها بعضا،و هذه الحرکه لمجمل المجرات و المسماه توسع الکون) (۲).

یقول«ستیفن هوکنغ» (۳):(صورتنا الحدیثه عن الکون یرجع تاریخها فقط إلی ۱۹۲۴،عند ما برهن عالم الفلک الأمریکی«إدوین هبل»علی أن مجرتنا لیست المجره الوحیده،و الحقیقه أن هناک مجرات کثیره أخری،بینها قطع فسیحه من فضاء خاو، و حتی یثبت ذلک فإنه احتاج إلی تحدید المسافات إلی هذه المجرات الأخری،و هی۲.

۱- نحن و الکون،عبد الوهاب سلیمان،الکویت،مؤسسه الکویت التقدم العلمی،الطبعه الأولی،۱۹۹۶،ص:۹۴،و انظر:المجموعه الشمسیه و مجال الجاذبیه الکونیه،الأمین محمد کعوره،القاهره،المکتب المصری الحدیث،د.ت،ص:۲۴.

۲- أجمل تاریخ للکون،جویل دورونی و آخرون،ص ۲۲،و انظر:هل من کائنات عاقله خارج الأرض،نزار دندش،بیروت،دار المؤلف،الطبعه الأولی،۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰/،ص:۱۸، و انظر:الکون و الطاقه،إعداد المکتب العالمی للبحوث،بیروت،المکتب العالمی ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۹،ص:۹،و انظر:علم الفلک و فلسفه النسق الکونی،فائز فوق العاده،الکویت، مؤسسه الکویت للتقدم العلمی الطبعه الأولی،۱۹۹۲،ص:۳۳۵.

۳- ستیفن هوکنغ،ملاّح بارع یجوب أفاقا عجیبه فی علم الکون و الفیزیاء،مستندا إلی موهبه علمیه فذه،وسعه أفق خلاقه،و من الشیق أنه رجل معوق ألزمه مرض أعصابه و عضلاته کرسیه ذا العجلات طیله العشرین سنه الأخیره من عمره،الذی بلغ التاسعه و الأربعین و مع ذلک فهو یعد أبرز المنظرین فی الفیزیاء منذ أنیشتاین،و یشغل الآن کرسی أستاذ الریاضیات الذی کان یشغله إسحاق نیوتن فی کمبردج.انظر:مقدمه المترجم،ص:۲.

بعیده جدا بحیث إنها بخلاف النجوم القریبه التی تبدو فی الواقع ثابته،و اضطر«هبل» بسبب ذلک إلی استخدام وسائل غیر مباشره لقیاس المسافات،و قام«هبل»بحساب المسافات إلی تسع مجرات مختلفه،و نحن نعرف الآن أن مجرتنا لیست إلا واحده من مجرات یناهز عددها مائه ألف ملیون مما یمکن رؤیته باستخدام(التلسکوبات الحدیثه) ...و اکتشاف أن الکون یتمدد هو إحدی الثورات الثقافیه العظیمه فی القرن العشرین) (۱)

و یقول«ستیفن هوکنغ»أیضا:(بعد انقضاء ساعات قلیله علی الانفجار العظیم یکون تولید(الهلیوم) (۲)و العناصر الأخری قد توقف بعد ذلک،و حتی لفتره ملیون سنه تلت أو نحو ذلک یکون الکون قد استمر فی توسعه من دون حدوث ما هو ذو شأن یذکر، و أخیرا عند ما تکون الحراره قد انخفضت إلی آلاف قلیله من الدرجات،و لم یعد (للإلکترونات)و للنوی ما یکفی من الطافه للتغلب علی الجاذبیه الکهرومغناطیسیه فیما بینها،تأخذ هذه(الإلکترونات)و النوی بالتکتل لتکوین الذرات و یکون الکون ککل قد استمر فی التوسع و التبرد) (۳).

ثم إن(المراقبین فی سائر المجرات النموذجیه،یرون دفعه ماديه واحده و فی جمیع الاتجاهات،و فی أثناء هذا التوسع تزداد أطوال موجات الأشعه الضوئیه متناسبه مع المسافه بین المجرات،و لا یظن أن هذا التوسع هو نتیجه لقوه کونیه دافعه،بل إنه ببساطه سرعه انفلات و هروب اکتسبتها الأجرام عند حدوث انفجار سابق،و هذه السرعه تتناقص تدریجیا تحت تأثیر الجاذبیه) (۴).

و لقد أکدت قیاسات«هبل»(أن جمیع المجرات،حتی الموغله فی الأعماق السحیقه من الکون تتحرک مبتعده عنا و بسرعات هائله،و تبدو لأعیننا و کأن الکون ینفتح۳.

۱- موجز فی تاریخ الزمان،ستیفن هوکنغ،ترجمه،مصطفی فهمی،القاهره،مکتبه الأسره، ۲۰۰۱،ص:۴۴،و انظر:علم الفلک العام،مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، القاهره،دار الفکر العربی،الطبعه الأولی،۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰/،ص:۲۷۵.

۲- الهلیوم،أخف العناصر و أکثرها و فره بعد الهیدروجین،کل ذره هلیوم تحتوی إلکترونین حول نواتها.الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون،ستیفن و ینبرغ،ص:۱۸۸.

۳- موجز فی تاریخ الزمان،ستیفن هوکنغ،ص:۱۴۲.

۴- الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون،ستیفن و ینبرغ،ص:۶۳.

أمام ناظرينا،و على الرغم مما لوحظ من تباعد عام لجميع المجرات عن مجرتنا،إلا أنه تم الكشف عن استثناء وحيد فى ذلك،و هو مجره(المرأه المسلسله)التى تبدو و كأنها تتحرك نحونا،و لقد عرف السبب الحقيقى لذلك منذ وقت قريب،و هو أن حركه شمسنا فى مدارها حول مركز مجرتنا تقع فى اتجاه مجره المرأه المسلسله) (١).

(و يقوم العلماء حاليا باستعمال مطيافات شديده القوه و الفاعليه لتحليل ضوء النجوم،و بعد دراسات طويله توصلوا إلى التأكد من أن الخطوط الطيفيه تميل دائما إلى الاحمرار،و عند ما يبتعد مصدر ضوئى عن المرصد الموجود على الأرض نجد أن تردد الضوء يتضاءل،و بما أن اللون يحدد تردد الموجات الضوئيه،و أن اللون الأحمر يكون تردده أقل،فإن العلماء قد استنتجوا أن ميل الخطوط الطيفيه إلى الإحمرار إنما يدل على أن كل الأجرام تبتعد عن بعضها،مما ينتج عنه امتداد للكون بشكل عام) (٢).

الإعجاز:

هذه هى الحقائق العلميه عن توسع الكون،التى قد توصل إليها العلماء فى عصرنا الحاضر،و أثبتوا كما رأينا من تضافر أبحاثهم،أن الكون ليس ثابتا جامدا،إنما هو كون متحرك متوسع،و هذا الذى وصلوا إليه بعد كل الدراسات الشاقه و الأبحاث المضنيه،نجد أن القرآن الكريم الذى نزل على نبىّ أمّىّ صلى اللّه عليه و سلم و على أمه بدائيه تعيش بين بحار من الرمال فى فناء الصحراء الواسع،قد سبق العلماء فى إثبات هذه الحقائق العلميه،و سطرها فى صفحاته المجيده، وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ لتكون سراجا مضيئا يتبصر بها جمهره البشر معالم بناء حضارتهم،و سبل الوصول إلى الحق فاليقين،و ليعلم الجميع أن هذا الكتاب حق،و أنه تنزيل العزيز الحميد.

١- قصه نشوء الكون،مخلص الريس و على موسى،دمشق،دار دمشق،الطبعه الأولى،١٩٩٠، ص:٤١.

٢- موسوعه الكون و الفضاء و الأرض،موريس شربل و رشيد فرحات،بيروت،دار الفكر العربى، الطبعه الأولى،١٩٩٩،ص:٢٠ و انظر:طرائف علم الفلك،فيكتور كوماروف،ترجمه عبد اللّه حبه،موسكو،دار مير،١٩٨٥،ص:٢٤،و انظر:أحاديث حول اللامرئى،جان أودوز و آخرون،ترجمه،نور الدين عبيد،الطبعه الأولى،٢٠٠٠،دمشق،مكتبه الأهلى،ص:٦٦، و انظر:احتمالات نهايه الكون،إعداد قسم التأليف و الترجمه فى دار الرشيد،دمشق-بيروت، دار الرشيد،١٤٠٨ ه/١٩٨٨،ص:٢٧.

صوره رقم:(۳)،مجره(أندروميدا).

مجره أندروميـدا،قرص مسـتدير ذو هيئه لولبيه،و لهـا ذراعـان يتكونان من مليارات النجوم، و هى أقرب مجره أساسـيه لمجرتنا،و هـذه المجره انطلق ضوؤهـا قبـل اثنين مليون سـنه ليصـلنا، و هى فى حـاله توسع و انتشار،التقطت(ناسا)الفضائيه هـذه الصوره فى ۱۹۹۵/۷/۲۴ (۱).ml

ص: ۱۹۱

۱- ترجم هذا الكلام و أخذت هذه الصوره من موقع: htpp//:antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap۹۵۰۷۲۴.html

صوره رقم:(۳)،مجره(درب التبانه).

و هـذه مجرتنـا(درب التبـانه)،الـتی تحتـوی علی ملاـیین النجـوم، و الضـوء المشـع هـو مـن أقرب النجـوم لمرکز المجره،التقطتها(ناسا)فی ۱۹۹۶/۶/۱۳ (۱).tm

ص: ۱۹۲

۱- ترجـم هـذا الکلاـم و أخـذت هـذه الصـوره مـن موقـع: http//:planetscapes.com/solar/cap/ds/milkyway.htm

المبحث الرابع

اشاره

نهايه الكون بين القرآن و العلم

إن الإيمان المقدس الذى شرفنا اللّه سبحانه و تعالى به،له متعلقات هامه ينبغى أن تكون ماثله دائما فى الأذهان و النفوس،و مستلزمات لا ينبغى أن تنفك عنه قيد أنمله،و أول ثمره من مقتضيات الإيمان باللّه سبحانه و تعالى،أن يشرق فى نفس العبد إماض التوحيد الناصع،و يستقر فى سويداء قلبه أن الذى أبلج الكون من العدم،و فلقه من ظلام اللاشىء هو اللّه الخالق العظيم.

و هذه الحقيقه الشامخه هى المقوم الأول من مقومات الدين،و الدعامه الأولى التى ينهض على أساسها صرح الإسلام الشاهق السامى.

فإذا ما تكاملت التصورات السديده حول هذه الحقيقه،و تساوقت المعانى المتلازمه فى سبيل ترسيخ هذا التصور فى أعماق النفس و الفؤاد،آنذاك نقف على مفرق الطريق، بين من حفلت نفوسهم بهذه الحقيقه فآمنوا بهذا و انصاعوا بشوق و حب لمتعلقاتها، و بين من تنكّب طريق هذه الحقيقه فارتكس على وجهه قد خسر الدنيا و الآخره و ذلك هو الخسران المبين.

النزعات البشريه التى يصدرها الهوى كثيره،إلا أن أخطرها تلك النزعات المسعوره التى تبناها جمهره من الذين لا يقرّون بوحدانيه الخالق لهذا الكون،فراحوا يروجون بين الناس أن الكون أزلى سرمدى،لا أول لأوّله،و سخروا لبث هذه الأفكار المسمومه أمه هائله من البشر،و إمكانات ضخمه من القوه و المال،فأوغلوا فى الجحود و إنكار الذات العليا،و اكتسى هذا الإلحاد أثوابا متعدده فتاره يعلنون كفرهم بالله و إنكارهم أن للكون خالقا باسم الشيوعيه،و تاره باسم العلم و التمدن و هذه المسميات نتسامع عنها بين الفينه و الأخرى،و تظهر بصور و أشكال متعدده،إلا أن جوهرها و حقيقتها واحده ألا و هى إنكار وحدانيه اللّه و تصرفه فى الكون.

هذه المزاعم العتيقه لم يبق من يعيرها اهتماما،بعد ما أثبتت البحوث العلميه أن

الكون حادث و ليس بأزلى،و هذا الصلف الذى روجوه،قد تصدى للرد عليه العلماء فى شتى تخصصاتهم،و أثبتوا أن الكون تفجر من العدم.

ينص القانون(للديناميكا)الحراريه على أنه(من المحال أن يكون وجود الكون أزليا فهو ينص على أن الحراره تنتقل من الأجسام الساخنه إلى البارده،و حيث إنه لا يمكن أن يحدث العكس،أى انتقال الحراره من الأجسام البارده إلى الحاره بدافع ذاتى،فإن الكون يسير إلى درجه تتساوى و تتناسب فيها حراره جميع الموجودات،و ينطفئ وهج الطاقه و يغور معينها،و تقف التفاعلات الكيميائيه فى الكون كله،لكن بما أن العمليات الكيميائيه ما تزال مرئيه و واقعيه نعيشها فى الكون من سطوع الشمس،و دوران الأرض، و حركه النجوم و الأفلاك،فهذا دليل على أن الكون ليس أزليا،إذ لو كان الكون أزليا لفقد طاقته منذ أعصار بعيده،بناء على هذا القانون فإن الحياه التى تدب فى الموجودات،تسير نحو الانكسار و التقويض حتى تنتهى تلقائيا،و تتوقف الحركه و يسود الفناء) (١).

(إن الاكتشاف العظيم فى هذا القرن هو أن الكون ليس مستقرا و لا أبديا،كما كان يفترض معظم علماء الماضى،نحن اليوم مقتنعون بذلك تمام الاعتقاد،فللكون تاريخ و هو لا ينفك يتطور بتناقض كثافته و ابتراده و تشكل بناه،و تسمح لنا أرصادنا و نظرياتنا بإعاده تشكيل(السيناريو)و بالرجوع فى الزمن،و هى تثبت لنا أن هذا التطور مستمرّ منذ ماض بعيد جدا يقع بين ١٠ مليارات و ١٥ مليار سنه وفق التقديرات) (٢).

و يصرح«ستيفن هوكنغ»بوجود بدايه و نهايه للكون فيقول:(إذن ليس مفاجئا أن يكون الكثير من العلماء غير مبتهجين لهذا الاستنتاج المنطوى على وجود متفرد لانفجار أعظم،و بالتالى على وجود بدايه للزمن) (٣).٨.

١- انظر:الحراره و الديناميكا الحراريه،ماركٍ وزنماسكى و ريتشارد ديثمان،ترجمه،محسن سالم رضوان،القاهره،دار ماكجروصيل الطبعه الأولى،١٩٨٢،ص:١٨٠،و انظر:الديناميكا الحراريه،فرانسيس و ستون سيرس،ترجمه،رضا جاد جرجس و طاهر مجيد الشريتى، البصره،طبع كليه التربيه جامعه البصره،د.ت،ص:١٨٣،و انظر:الديناميكا الحراريه، أبوت فان هيس،ترجمه،أحمد فؤاد باشا و سعيد بسيونى الجزائرى،القاهره،الدار الدوليه للنشر،الطبعه الرابعه،١٩٩٨،ص:١٧۶.

٢- أجمل تاريخ للكون،جويل دورونى،و آخرون،ص:١۶.

٣- الثقوب السوداء و الأكوان الطفله،سيتفن هوكنغ،ترجمه،حاتم النجدى،دمشق،دار المعارف للطباعه،الطبعه الأولى، ١٩٩٨،ص:٧٨.

هـذا هو القرار العلمی الـذی توصـل إلیه الـدارسون،و هـذا هو الواقع الـذی ینطق الکون به،لأـن الکون متغیر و کل ما قـد خضـع لقانون التغیر و التبدل،فإنه حادث مصیره الفناء و لو بعد حین.

و نزیـد فی التأکیـد علی نهـایه الکـون مـن النـاحیه العلمیـه،باسـتعراض نتائـج مـا اسـتقر فی دراسـات البـاحثین حـول هـذه القضـیه،یقـول«سـتیفن وینـبرغ»:(و سـیقف توسـعه عنـد حـد یتبعـه بعدئـذ انکمـاش متسـارع،و سـتهبط درجـه حراره الخلفیه الکونیه(للفوتونات) و(النوترینوات) (۱)،ثم ترتفع تبعا لانتقال الکون من طور التوسع إلی طور الانکماش،و سـتتغیر دائما بتناسـب عکسـی مـع قـدر الکـون...و سـتبدأ الجزئیـات فی أجـواء النجـوم و السـیارات بالتفکـک إلی ذراتهـا المکـونه لهـا،و ستنفصل(إلکترونات) الذرات عن نواها لتصبح حره طلیقه،ثم تذوب النجوم و السیارات فی حساء کونی من الإشعاع...) (۲).

(و أثناء اسـتمرار هـذا التوسع تبتعـد المجرات بالتدریج،و یخبو نورها حتی تصـبح غیر مرئیه،و کل ماده منها ما لم تبتلعها الثقوب السوداء سـتبرد ببطء حتی تبلغ درجه حراره الفضاء الصـقیعیه إلی الأبـد...حتما و هناک فی العلم وضع تنبؤات تولـد کآبه لا تقل عمقا عن کآبه موت العالم الحی) (۳).

(و فی نهـایه المطـاف یتحول النجم المتقلص إلی بؤره غیر مرئیه،یحیطهـا مجـال جـذبی شدیـده القوه یمتص و یبتلع کـل ما یمر جواره من أجسـام مـادیه أو(فوتونات ضوئیه)،أو نجوم هرمه مکـدسه و منکمشه،و یرافق النجم المنهار المتقلص ازدیاد فی شـده المجال۴.

۱- النوترینوات، neutrino ،جسیم أولی من الماده،خفیف الوزن للغایه،و ربما من دون کتله،یتأثر بالقوه الضـعیفه و بالجاذبیه دون سواهما.انظر:موجز فی تاریخ الزمان،ستیفن هوکنغ، ص:۲۱۱.

۲- الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون،ستیفن و ینبرغ،ص:۱۹۸.

۳- المکـان و الزمان فی العالم الکونی الحـدیث،ب.د.دیفیس،ترجمه،أدهم السـمان،دمشق، مؤسـسه الرساله،الطبعه الأولی،۱۴۰۹ ۱۹۸۸/،ص:۲۰۵،و انظر:أعمـاق الکون،سـعد شـعبان،القـاهره،دار الکتاب العربی،د.ت،ص:۳۵۰،و انظر:مـن الـذره إلی المجره، محمد صالح المحب،بیروت،دار الفکر اللبنانی،د.ت،ص:۹۴.

الجذبی قرب سطحه لتصبح أعظم من أی قوه أخری فی النجم،و القادره علی اختفائه من الوجود و تحویله إلی ثقب أسود ذی درجه حراره عالیه) (۱).

(و الإنسان یری نفسه علی مرآه المرصد فی النهایه حسب نظریه«أنیشتاین»،علی أن الکون مغلق و أحدب أی مکور کالکره أو البیضه،و کما للکون بدایه فإن له نهایه، و المخلوقات و الکائنات الحیه علی الکره الأرضیه تتوالد و تموت ثم تنشأ من جدید، و الشمس و کواکبها تسیر نحو الهرم،و المجره جمیعها مع مکوناتها من نجوم و سحب کونیه و سدم ستنکدر،و تنطفئ جذوتها،و تفقد خواصها،و ما سیصیب المجره (۲)سیصیب المجرات الأخری و التی ستخلق من جدید سیصیبها کلها ما أصاب قبلها من موت و فناء) (۳).

یتضح لنا مما سلف من دراسات العلماء،أن الکون صائر إلی نهایه محتومه،و فناء مؤکد،و قد تضافرت أبحاث العلماء حول نهایه الکون،و رکزت علی تصورین للنهایه الکونیه،و قد ذکرناهما فی ثنایا سرد أقوال العلماء و هما:۲.

۱- علم الفلک و الکون،عواد الزحلف،عمان،دار المناهج،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه ۱۹۹۸/، ص ۱۸۴،و انظر:عالم المعرفه،النهایه فرانک کلوز،ترجمه،مصطفی إبراهیم فهمی، الکویت،المجلس الوطنی للثقافه و الفنون،۱۴۱۵ ه ۱۹۹۴/،ص ۳۰۸.

۲- المجره« galaxy »تجمع نجمی،تضم ملیارات من النجوم و الغبار و الغازات،لکن لها أشکال و أحجام مختلفه.انظر:الموسوعه الکامله الکون،بیروت نوبیلس،الطبعه الأولی،۱۹۹۷، ۵۶/۲.

۳- من الذره إلی المجره،حماده العائدی،عمان،دار الفکر،الطبعه الأولی،۱۴۱۵ ه ۱۹۹۴/، ص ۴۰۷،و انظر:الکون ذلک المجهول جلال عبد الفتاح،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۹۴،ص:۱۲۲.

۱-الانکماش العظیم و نهایه الکون:و صاحب هذا الاتجاه هو العالم«ستیفن وینبرغ»و الذی أسهب فی الحدیث عن نهایه الکون،و أنه کما بدأ بانفجار عظیم،کذلک فإنه سیعود و ینکمش علی نفسه کما بدأ،و قد أثبتنا تصوره هذا آنفا،و کان قد سجل هذا الاستنتاج فی کتابه«الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون»ثم جاء«ستیفن هوکنغ» و أکد هذه الفکره،و أطلق علی نهایه الکون بناء علی دراساته الفلکیه ب(الانکماش العظیم)و ذلک فی کتابه«تاریخ موجز للزمان»و یعتبر هذا الاتجاه من أقوی ما سجل حول نهایه الکون.

۲-الثقوب السوداء و النهایه الکونیه:و هذا التصور حول نهایه الکون،لا یختلف عن سابقه من حیث المضمون،فکلاهما ینص علی النهایه الأکیده للکون،إلا أن الاختلاف ناشئ من جهه الحیثیه و الملابسات التی تعتری أطوار النهایه.

و لا بد من الترکیز قلیلا علی قضیه«الثقوب السوداء» (۱)،لما لها من الأهمیه البالغه فی دراسات الفلکیین،و کذلک لأن اقتناع عدد لیس بالقلیل من العلماء بأن مصیر الکون و نهایته إنما سیتم ضمن مقبره النجوم فی السماء،ألا و هی الثقوب السوداء،فما هی تصورات العلماء حول هذه الثقوب؟و ما هی طبیعتها؟و کیف تتم عملیه جذب الکواکب و النجوم إلی داخلها و کیف تکون النهایه؟.

یقول«ستیفن هوکنغ»:(و بعد عشره ملیارات سنه أو نحوها،ستکون معظم النجوم فی الکون قد احترقت،و النجوم ذات الکتل المشابهه لکتله الشمس سوف تتحول إما إلی أقزام بیضاء...أما النجوم ذوات الکتل الأکبر،فتتحول إلی ثقوب سوداء،و هذه أصغر من النجوم(النیوترونیه) (۲)و تمتلک حقلا ثقیلا شدیدا یمنع الضوء،و کل شیء آخر من الخروج منها...و یتجمع فی النهایه لیکون ثقبا أسودا عملاقا فی مرکز المجره،و ما قلناه عن مجرتنا ینسحب علی المجرات الأخری،و مهما تکن الماده۱.

۱- الثقب الأسود« black hole »،جسم فائق التقلص،یملک جاذبیه قویه جدا إلی درجه أنها تمنع الضوء نفسه من الإفلات.انظر:الموسوعه الکامله،۵۶/۲.

۲- النجم النیوترونی، neutron star ،نجم بارد،مدین ببقائه للتنافر بین النیوترونات فی مبدأ الاستبعاد.انظر:موجز فی تاریخ الزمان من الانفجار العظیم إلی الثقوب السوداء،ستیفن هوکنغ،ص ۲۱۱.

المظلمه فی المجرات و مجموعات المجرات فیتوقع أنها ستسقط فی هذه الثقوب السوداء الضخمه أیضا) (۱).

(و لقد تنبأت نظریه(أنیشتاین)نفسها فی النسبیه العامه،أن الزمکان(الزمان، المکان)بدأ مع الانفجار العظیم،و بأنه سوف ینتهی إما مع تفرد الانهیار العظیم،إذا ما عاد الکون بکامله إلی الانسحاق و التقوض،أو مع تفرد داخل ثقب أسود،إذا ما کان لمنطقه محلیه کالنجم مثلا- أن تنسحق،فأی ماده تقع داخل الثقب،سوف تدمر بالتفرد، و لا یبقی منها أی شیء محسوس سوی تأثیر جاذبیه کتلتها،من جهه أخری فعند ما تؤخذ تأثیرات الکمّ بالحسبان،و أن الثقب الأسود و کذلک أی تفرد فی داخله سوف تتبخر تلاشیا،و یختفی فی النهایه) (۲).

صوره لثقب أسود یبتلع ما حوله-صوره التقطت بواسطه تلسکوب هابل۹.

۱- الثقوب السوداء و الأکوان الطفله،ستیفن هوکنغ،ص:۱۲۳.

۲- موجز فی تاریخ الزمان من الانفجار العظیم إلی الثقوب السوداء،ستیفن هوکنغ،ص:۱۳۹.

إن هذه الثقوب السوداء التى تبتلع الكواكب و النجوم و الأجرام السماويه،و تلتهم الكون بجاذبيتها التى لا يفلت من قبضتها شىء حتى الضوء نفسه يكون لقمه سائغه عند ما يقع فى شباكها قد أماط العلماء اللثام عن بعض خصائصها العلماء،و هاك هذه الخصائص:

(مراكز معظم المجرات بما فيها مجرتنا درب التبانه،تحتوى على ثقوب سوداء يقدر العلماء وجود حوالى نصف مليون ثقب أسود فى مجرتنا.

-أن حوالى ٨٠ إلى ٩٠٪ من الكتله الإجماليه فى الكون،متواريه عن الأنظار على هيئه ثقوب سوداء.

-حسب بعض العلماء الوزن النوعى«الكثافه»للثقب الأسود،و وجدوا أنه قد يصل إلى ١٧٨٠٠ طن لكل سم مكعب واحد.

-وزن الإنسان،أى قوه جذبه الواقف على سطح الثقب الأسود،سيصل عندها إلى ١١٣ مليار طن!.

-إن حد الأمان أكبر من ٣٠٠٠٠ ميل،فلو اقترب نجم إلى هذه المسافه فيكون قد وقع فى فخ الثقب الأسود) (١).

أما عن ماهيه الثقب الأسود و طبيعته،فقد وضع العلماء تصورا نظريا عن الثقوب السوداء و تخيلات نسجوها من خلال ما توفر لديهم من معلومات مجرده حولها،فقد تصور العلماء(سفينه فضائيه تقترب من ثقب أسود،كتلته تعادل ١٠ كتل شمسيه،أول ما يلاحظه رواد السفينه تعاظم قوه جذبهم،كلما صغرت المسافه التى تفصلهم عن الثقب الأسود،ينظر الرواد من نافذه مركبتهم فيرون قرصا حلزونيا من الغازات،يدور حول الثقب الأسود،قام الثقب الأسود بشفطها من نجم قريب،و تنطلق أثناء ذلك دفعات غزيره من الطاقه،معظمها بشكل«أشعه سينيه» (٢)قويه،تلك الأشعه قويه٢.

١- الثقب الأسود،محمد رضوان المصرى،دمشق،دار المعارف للطباعه،الطبعه الأولى، ١٩٨٦،ص:٣٦،و انظر:الثقوب السوداء و الأكوان الطفله،ستيفن هوكنغ،ص:٨٧، و انظر:الكون هوبرت ريفرز،ترجمه درويش الحلوجى،القاهره،دار المستقبل العربى، الطبعه الأولى،١٩٩٦،ص:٣٣٠.

٢- أشعه سينيه x-rays ،و تسمى أيضا أشعه رونتجن،و هى قصيره الموجات،تحتاج إلى طاقه كبيره لإطلاقها.انظر:المحيرات الفلكيه،عبد الرحيم بدر،ص:١١٢.

الاحتراق،التی تمر عبر عضلات الإنسان و لحمه،و کأنها تخترق الهواء لا یوقفها إلا العظم،ینظر الرواد عبر مرصدهم الفلکی المحمول علی متن السفینه،فیشاهدون ضوء النجوم البعیده یحیط بمنطقه داکنه لا تسمح بمرور أی شعاع ضوئی،هی ستار مسرح الأحداث المحیط بالثقب الأسود و الذی یقارب قطره ۳۷ میلا،إن ما یقع ضمن مسرح الأحداث لا یمکن رؤیته أو سماعه من قبل أی شخص ینظر إلیه من الخارج،أما إذا دخل المشاهد مسرح الأحداث عندها یکون قد فات الأوان،انطلاقا من هذه التصورات وجد العلماء أن قوه الجاذبیه الخارقه للثقب الأسود،هی ذات آثار یمکن کشفها،فهی قادره علی أسر نجم قریب و وضعه فی مدار حول الثقب الأسود،یطلق النجم المأسور أثناء ذلک إشعاعات قویه،و ما علی العلماء فی هذه الحاله إلا کشف صرخات الاستغاثه التی یطلقها النجم المأسور لیشکل إشعاعات سینیه،و«فوق بنفسجیه» (۱)کی یستدلوا علی وجود الثقب الأسود المتواری عن الأنظار) (۲).

و فی إطار دراسات العلماء حول الثقوب السوداء هذا المقال:(ساهم ارتفاع مفاجئ للمعان سحابه غازات عالیه الحراره بمرکز مجره درب التبانه،فی دعم الفکره القائله بوجود ثقب أسود غایه فی الشساعه وسط هذه المجره،و یعتقد غالبیه علماء الفلک أن ذلک الشیء یوجد فعلا هناک،لکن الأدله المقدّمه لغایه الآن،و المبنیه علی تحرکات فی نجوم مجاوره،لم تصل إلی خلاصات حاسمه،و قد تمکنت عملیات مراقبه أجریت أخیرا لمرکز المجره،من رصد طاقه ناجمه عن ومیض من(أشعه إکس)ظل یلمع و یفتر مده عشر دقائق،و هذه الفتره إذا ما أضیفت إلی دلائل سابقه تسمح لعلماء الفلک بقیاس کتله و حجم الثقب الأسود المحتمل،و قد کانت المحصله هی کتله تفوق ملیونی أضعاف کتله الشمس،و یعتقد العلماء أن التفسیر الوحید لهذه الظاهره هو وجود ثقب أسود هناک.۵.

۱- أشعه فوق بنفسجیه ultraviolet rays ،و هی أمواج کهرومغناطیسیه ،لها تردد أکبر من تردد الأشعه البنفسجیه،و هی أشعه غیر مرئیه تستخدم لأغراض التعقیم،و لها دور مهم فی تکوین فیتامین«د» فی الجسم،و لکن إذا تعرض الجسم لهذه الأشعه لفتره طویله تؤدی إلی حدوث سرطان الجلد. انظر: http//:www.schoolarabia.net/kemya/general_chemistry/glossary/chem_I/chem.htm

۲- انظر:مجله العربی،الکویت،العدد ۳۱۳ دیسمبر،۱۹۸۴،مقال لسمیر صلاح الدین شعبان، ص:۱۱۵،و انظر:الثقوب الکونیه السوداء فائز فوق العاده،دمشق،دار المعرفه،الطبعه الأولی،۱۴۰۹ ه/۱۹۸۸،ص:۱۷۵.

و من بين النظريات التى تحاول تفسير ما يعترى النجوم الواقعه بمركز المجره من حركه سريعه،ما يذهب إلى القول بوجود شكل غير مرئى من الماده التى تشبه عنقودا من النجوم الداكنه،و أيا كان نوع التفسير،فإن ما يوجد هناك له من الضخامه ما يجعله قادرا على جذب أقرب النجوم المرئيه بسرعه خارقه تصل إلى خمسه ملايين كيلومتر فى الساعه،و ما يجعلنا نكاد نجزم بأن ما يجرى الجدل حوله هو ثقب أسود،يجد سنده فى شىء ما يحدث فى أطرافه) (١).

صوره متخيله لماده و ضوء يدوران حول ثقب أسود هائل.

الإعجاز:

هذه هى الصوره العلميه التى توصل إليها العلماء و الباحثون عن نهايه الكون و فنائه، و قد فنّدوا بهذا هراء الإلحاد الذى يزعم بخلود العالم و عدم فنائه...

و من الملفت للانتباه،بل من المثير حقا،أننا نجد من خلال سرد ما توصل إليه العلماء فى أبحاثهم أنهم قد قرروا أن للكون نهايه،و هذه النهايه صوروها بالانكماش

١- مقال فى موقع bbc ،بقلم:دفيد وايتهاوس.

العظیم،أی بانطواء الکون علی نفسه،و عودته إلی نقطه البدایه و شکله الأولی،أو بالثقوب السوداء التی تقوم بشفط و ضغط الکواکب و إعادتها إلی غازات کتلک التی منها نشأ الکون...فکل التصورات العلمیه التی تبناها الفلکیون فی عصرنا ترسم السیناریو الواضح لنهایه الکون،و ارتداده إلی صورته التی کان علیها یوم وجد و نشأ،و الله أعلم.

و لیت شعری لو أن هؤلاء العلماء،أو المتخصصین من علماء الإسلام،عکفوا علی کتاب اللّه تعالی و درسوه من جهه تخصصاتهم دراسه متأنیه،لوجدوا الخطوط البیانیه و الرئیسیه التی ترسم أطر النهایه الکونیه بکل وضوح...

إنه التوافق العجیب بین معطیات العلوم الحدیثه و حقائق القرآن الکریم،فالعلماء اتفقوا علی أن الکون سینتهی علی شکل الصوره التی بدأ منها،و هذه الحقیقه لطالما قررها مولانا تبارک و تعالی فی کتابه المجید،قال جل جلاله: یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ کَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِیدُهُ وَعْداً عَلَیْنا إِنّا کُنّا فاعِلِینَ (۱).

و قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۲).

و کیفما کان وجه الصوره لنهایه الکون و تآکله ثم فنائه،و نحن لا نجزم إلا بالصوره القرآنیه التی أخذت مساحه کبیره فی القرآن الکریم و هی تقرر حقیقه النهایه،فإن الذی یعنینا من ذلک أن القرار الواضح الذی لم یعد یتسرب إلیه شک أو موارب أن سلطان الفناء و الخراب سیمتد لیطوق الکون بأسره،ثم لیحیله إلی العدم،و هذه الحقیقه کما أسلفنا،هی أصل من أصول الدین و العقیده لدی کل مؤمن،و لقد قررها القرآن الکریم فی کثیر من الآیات الکریمه،و لنستعرض طائفه من الآیات القرآنیه التی تصور لنا المشهد الأخیر من قصه الکون و وجوده فی مسرح الحیاه الفانیه.

قال تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ(۱) وَ إِذَا النُّجُومُ انْکَدَرَتْ(۲) وَ إِذَا الْجِبالُ سُیِّرَتْ(۳) وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ(۴) وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(۵) وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ(۶) (۳).۶.

۱- سوره الأنبیاء،الآیه:۱۰۴.

۲- سوره الروم،الآیه:۲۷.

۳- سوره التکویر،الآیات ۱-۶.

و قال تعالی: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (۱)،فی هذه الآیه إیحاء و تصویر لمشهد الطمس الذی أسلفنا الحدیث عنه،أ لا ترى أن الکواکب عند ما تبتلعها الثقوب السوداء تطمس طمسا فلا ترى أبدا و اللّه أعلم.

و یتحدث سید قطب عن نهایه الکون فیقول:(هذا هو مشهد الانقلاب التام لکل معهود و الثوره الشامله لکل موجود،الانقلاب الذی یشمل الأجرام السماویه و الأرضیه،و الوحوش النافره و الأنعام الألیفه و نفوس البشر و أوضاع الأمور،حیث ینکشف کل مستور،و یعلم کل مجهول و تقف النفس أمام ما أحضرت من الرصید و الزاد فی موقف الفصل و الحساب،و کل شیء من حولها عاصف و کل شیء من حولها مقلوب) (۲).

إن هذه الأحداث المرعبه التی تضفی علی الکون صوره الخراب و الاضطراب، و تجعل من الکون المتساوق فی أجرامه،المتسق فی حرکته و جریانه،المنضبط فی مساره،الرصین فی إحکام بنائه،تجعل منه أنکاثا متناثره،و أوزاعا متفرقه.

و یصف الإمام الرازی النهایه فیقول:(و تکویر الشمس هو انطفاؤها و خمدان لهیبها و تجمدها و انکدار النجوم و انفراطها من عقدها الفرید،و تناثرها من نظامها الدقیق...أما الجبال،فاعلم أن اللّه تعالی ذکر فی مواضع من کتابه أحوال هذه الجبال علی وجوه مختلفه،و یمکن الجمع بینها علی الوجه الذی نقوله،و هو أن أول أهوالها الاندکاک و هو قوله سبحانه: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُکَّتا دَکَّهً واحِدَهً (۳).

و الحاله الثانیه لها أن تصیر کالعهن المنفوش،و ذکر اللّه تعالی ذلک فی قوله: یَوْمَ یَکُونُ النّاسُ کَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ(۴) وَ تَکُونُ الْجِبالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ(۵) (۴).۵.

۱- سوره المرسلات،الآیه:۸.

۲- فی ظلال القرآن،سید قطب،۳۸۳۷/۶.

۳- سوره الحاقه،الآیه:۱۴.

۴- سوره القارعه،الآیتان ۴،۵.

و الحاله الثالثه:أن تصير كالهباء،و ذلک أن تتقطع و تتبدد بعد أن كانت كالعهن و هو قوله سبحانه و تعالى: وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا(۱) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا(۲) (۳).

و الحاله الرابعه:أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمه ماره فى مواضعها،و الأرض تحتها غير بارزه فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها و هو المراد من قوله تعالى:

وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً (۴) .

و الحاله الخامسه:أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتصيرها شعاعا فى الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها،من بعد حسبها لتكاثفها أجساما جامده،فهى فى الحقيقه ماره إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها صيرها مندكه متفتته و هى قوله: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ (۵).

ثم تبين أن تلک الحركه حصلت بقهره و تسخيره فقال سبحانه: وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَهً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (۶).

الحاله السادسه:أن تصير سرابا،بمعنى لا شىء،فمن نظر إلى مواضعها لم يجد منها شيئا،كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذى كان فيه لم يجده شيئا و الله أعلم) (۵).

كذلک فإن الحديث عن السماء يأخذ بالألباب،و يثير الرعب و الهلع فى النفوس، قال اللّه سبحانه و تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ (۶).

و قال سبحانه: يَوْمَ نَطْوِى السَّماءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ (۷).۴.

۱- التفسير الكبير،للفخر الرازى،۱۲/۱۶.

۲- سوره الروم،الآيه:۲۵.

۳- سوره الواقعه،الآيتان ۵،۶.

۴- سوره طه،الآيه:۱۰۵.

۵- سوره النمل،الآيه:۸۸.

۶- سوره الكهف،الآيه:۴۷.

۷- سوره الأنبياء،الآيه:۱۰۴.

و هکذا فإن کل شیء فی هذا الوجود سیشیّع إلی مثواه الأخیر،و یرقد فی کفن الموت،فالحق هز المخلوقات التی یضمها الکون بین جنباته هزا عنیفا،و أوحی إلیهم أن نوامیس الدنیا المعهوده و قوانین الحیاه المعروضه،و المقاییس التی عشناها و تفاعلنا معها قد سقطت الآن فی رحی القیامه،و الجمیع سیمثل بین یدی الدیان،لیحاسب علی الصغیر و الکبیر و الفتیل و القطمیر.

صوره التقطت بواسطه التلسکوب الفضائی هابل،و تظهر ثقبا أسود.

و السیناریو الذی وضعه العلماء لنهایه العالم سیکون طاقه هائله قاتمه تنمو و تتوهج إلی کمیه کبیره،بحیث مجرتنا لا یمکن لها أن تبقی متماسکه،و النجوم و الکواکب و حتی الذرات لا یمکن أن تتحمل القوه الداخلیه المتزایده،و قدیما کان یقال نهایه العالم بالضغط الشدید أما الآن فبالانفجار و التمزق العظیم،ناسا بتاریخ،۲۰۰۳/۳/۳ (۱).rg

---

۱- ترجم هذا الکلام،و أخذت هذه الصوره من: http//:hubblesite.org

نجم يموت و ينفث الأشعه الملتهبه من داخله.

كما أن هذه الصوره تجسيد حی لقوله سبحانه و تعالی: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ (۱)، أخذت هذه الصوره من ناسا،و التقطت بتاريخ،۱۹۹۵/۶/۲۸ (۲).ml

---

۱- سوره الرحمن،الآيه:۳۷.

۲- http//:antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap ۹۵۰۶۲۸.html

الفصل الخامس: الإعجاز القرآنی فی الشمس

اشاره

تمهید:

المبحث الأول:تحرکات الشمس و انتقالاتها بین القرآن و العلم.

المبحث الثانی:الشمس متوهجه ملتهبه بین القرآن و العلم.

المبحث الثالث:تعدد الشموس و الأقمار بین القرآن و العلم.

المبحث الرابع:موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم.

ص: ۲۰۷

تمهید

قال تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ کُنْتُمْ إِیّاهُ تَعْبُدُونَ (۱).

الشمس آیه من آیات اللّه،فهی نجم متألق فی قبه السماء،و صدیق حمیم لعامه المخلوقات التی أودعها اللّه فوق رحب هذه الأرض و فی جنباتها،إذ منها یستمد الکائن الحی،سواء الإنسان أم المخلوقات الأخری،الطاقه الإشعاعیه التی من شأنها أن تغذی الکائنات الحیه،و ذلک بالحفاظ علی عوامل نموها و نجاحها،و هی سبب فی الاستحاله المائیه حولنا،فعن طریقها یتحول الماء إلی بخار ماء ثم یتکاثف بعد ذلک بصور مختلفه منها المطر و البرد و الثلج...و هذه الظواهر الطبیعیه من ضروریات الحیاه،بل هی المقومات الأساسیه التی تنهض علیها الحیاه بأسرها.

نظرا لفوائدها الکثیره التی لا مجال لسردها هنا،فإننا سنتعرف بعون اللّه تعالی علی ترکیب هذا النجم الوهاج،و خصائصه الفیزیائیه،لنقف علی مشاهد الروعه و الإبداع فی خلق اللّه العجیب.

ثم سنتحدث عن بعض جوانب الإعجاز فی الشمس،و التی سجّلها القرآن الکریم و قررها،قبل أن یکشف عنها و یصل إلی أسرارها العلماء،کحرکه الشمس و جریانها، و کیف أن القرآن الکریم رکّز فی کل آیاته علی أن الشمس سراج وهّاج مضیء،و لیس منیرا کالقمر و الإعجاز فی ذلک،ثم نتحدث عن أسبقیه القرآن فی تقریر أن هناک کثیرا من الشموس و الأقمار و لیست شمسا واحده،و لا قمرا واحدا کما کان یظن،ثم یطوی ملف الشمس فی التعریج علی نهایتها،و خمدان لهیبها،و انطفاء ضیائها بین القرآن و العلم.

۱- سوره فصلت،الآیه:۳۷.

المبحث الأول

اشاره

تحرکات الشمس و انتقالاتها

قبل أن نشرع فی الحدیث عن الإعجاز فی تحرکات الشمس و تنقلاتها،یشار إلی بعض خواص الشمس الفیزیائیه،و ذلک للأهمیه فی هذا المبحث.

کشف العلماء عن بعض أسرار خلق اللّه فی الشمس،و أطلعونا علیها و ذلک:(عن طریق استخدام المطیاف الذی یحلل أشعه النور إلی أطیاف،بواسطه الموشور الزجاجی،الموجود أمام عدسه المطیاف،أمکن معرفه مرکبات الشمس و درجه الحراره فیها،إذ أن لکل عنصر یکون علی شکل غاز متوهج لونا خاصا به،یمیزه عن غیره،و یدلنا علی مقدار درجه حرارته،و نوع الماده التی یتألف منها،و من تحلیل الطبقه السطحیه من الشمس إلی خطوط طیفیه،تبین أن ترکیب تلک الطبقه یکون علی الشکل التالی و بالنسبه المحدده بجانب کل عنصر:

الهیدروجین و نسبته أقل بقلیل من ۷۰٪.

الهلیوم و نسبته أقل بقلیل من ۲۴٪.

الأوکسجین و نسبته أقل بقلیل من ۱٪.

الفحم و نسبته أقل بقلیل من ۴,۰٪.

الحدید و نسبته أقل بقلیل من ۱۶,۰٪.

السیلیس و نسبته أقل بقلیل من ۱,۰٪.

الآزوت و نسبته أقل بقلیل من ۱,۰٪.

المغنیسیوم و نسبته أقل بقلیل من ۹,۰٪.

النیون و نسبته أقل بقلیل من ۰۷,۰٪.

و عند ما نبلغ الطبقه الوسطی من الشمس نجد أن غاز الهیدروجین،یأخذ بالتناقص لتصبح نسبته ۶۵٪ بینما ترتفع نسبه الهلیوم حتی تصبح ۳۴٪،و عند بلوغنا سطح

الطبقه المرکزیه أی النواه،یزداد تناقص الهیدروجین حیث لا تزید نسبته هناک علی ۳۴٪،بینما ترتفع نسبه الهلیوم لتصبح ۶۵٪،و عند ما نقترب من مرکز الشمس یختفی الهیدروجین تماما،و تصبح نسبه الهلیوم هناک ۹۹٪و یبقی ۱٪ للعناصر المعدنیه التی تدخل فی ترکیب الشمس) (۱).

و أما قطرها فیبلغ(۴,۱ ملیون کیلومتر تقریبا،و معدل بعدها عن الأرض ۱۵۰ ملیون کم و معدل درجه الحراره الداخلیه ۲۰ ملیون درجه«سنتغرید»،أکبر من الأرض ب ۱۲۰۰۰۰۰ مره،و اللون أصفر،و مسافه الشمس من مرکز المجره ۳۰۰۰۰ سنه ضوئیه،و سرعه الشمس حول مرکز المجره ۲۲۰ کلم فی الثانیه،و تدور حول نفسها مره کل ۲۵ یوما من أیام الأرض،و تسیطر الشمس بقوه جاذبیتها علی الکواکب العشره التی تدور حولها،کما أنها تفقد فی الدقیقه الواحده ۲۵۰۰۰۰۰۰۰ طن من الماده لتتحول إلی طاقه) (۲).

بعد هذه اللمحات و المعلومات السریعه عن الشمس،نأتی للحدیث عن بعض جوانب الإعجاز القرآنی حول هذا النجم الکبیر،و الحقائق العلمیه التی سجلها کتاب اللّه فی هذا الشأن،ثم کیف تکشفت بعد ذلک للعلماء فی میدان الفلک حدیثا.

تحرکات الشمس و انتقالاتها

قال تعالی: وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی (۳).

و قال سبحانه: وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ (۴).

و قال سبحانه: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ (۵).

نلاحظ أن هذه الآیات تقرر قرارا صریحا و واضحا أن الشمس تجری و تسبح فی فلک السماء فهی لیست ثابته کما کان یعتقد الناس قدیما،فکانوا یعتقدون أن الشمس

۱- الشمس،إبراهیم غوری،بیروت،دار الشرق العربی،د.ت،ص ۱۴.

۲- موسوعه غینیس فی علم الفلک،باتریک موور،ص:۷.

۳- سوره لقمان،الآیه:۲۹.

۴- سوره إبراهیم،الآیه:۳۳.

۵- سوره یس،الآیه:۳۸.

مسمره ثابته فی کبد السماء،لا یعتریها زوال،و تستهجن الحرکه و المسیر،و ترکن إلی الاستقرار و الجمود...

لکن اللّه سبحانه و تعالی قرر أنها تجری،و الفعل تَجْرِی فیه إعجاز عظیم،لأنه لا یدل علی حرکه الشمس الظاهریه التی یبصرها الناس عند ما تشرق الشمس شیئا فشیئا، ثم ترتفع و تتوسط السماء،ثم تزول و تأوی إلی مهدها فی الغیاب،ثم تتواری عن أنظار الخلائق...بل هو یدل و یعبر عن حرکه واقعیه أثبتتها الأرصاد،و حرکتها العظیمه هذه یعبر عنها الفعل تَجْرِی بالسرعه الهائله التی تقطعها الشمس خلال جریانها،لأن الجری أسرع من المشی أو السیر،و لذلکم فإن جریان الشمس السریع هذا المقرون بجاذبیه الشمس یجر معه الکواکب السیاره التی تدور حولها،و لقد أشرنا إلی المسافه الکبیره التی تقطعها الشمس فی الثانیه،و التی توضح لنا تألق دقه التعبیر القرآنی بالفعل تَجْرِی الذی حمل الإعجاز الشمسی فی أحرفه الرصینه.

و بنظره دقیقه فی کتب التفسیر حول هذه الآیات نجد ما یلی:

ففی تفسیر الطبری:(و سخر الشمس و القمر لمصالح خلقه و منافعهم،کل یجری، یقول:کل ذلک یجری بأمره إلی وقت معلوم و أجل محدود،إذا بلغه کورت الشمس و القمر،و بنحو الذی قلنا فی ذلک قال أهل التأویل) (۱).

و عند ابن کثیر:(و سخر الشمس و القمر کل یجری إلی أجل مسمی،قیل:إلی غایه محدوده و قیل إلی یوم القیامه،و کلا المعنیین صحیح) (۲).

و قال الإمام البیضاوی:(و سخر لکم الشمس و القمر دائبین،یدأبان فی سیرهما و إنارتهما و إصلاح ما یصلحانه من المکونات،و سخر لکم اللیل و النهار یتعاقبان لسباتکم و معاشکم) (۳).

و فی تفسیر«معالم التنزیل»:(و سخر لکم الشمس و القمر دائبین،یجریان فیما یعود۳.

۱- جامع البیان،للطبری،۸۳/۲۱،و انظر:الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز،علی بن أحمد الواحدی،تحقیق،صفوان داودی،دمشق دار القلم،الطبعه الأولی،۱۴۱۵ ه،۸۵۰/۲.

۲- تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۴۵۳/۳،و انظر:التفسیر الواضح المیسر،محمد علی الصابونی،بیروت،مؤسسه الریان،الطبعه الأولی،۱۴۲۲ ه ۲۰۰۱/،ص:۱۰۲۲.

۳- أنوار التنزیل،للبیضاوی،۳۵۰/۳.

إلی مصالح العباد و لا- یفتران،قال ابن عباس:دءوبهما فی طاعه اللّه عز و جلّ،و سخر لکم اللیل و النهار یتعاقبان فی الضیاء و الظلمه و النقصان و الزیاده) (۱).

و فی تفسیر«زاد المسیر»:(و سخر لکم الشمس و القمر لتنتفعوا بهما،و تستضیئوا بضوئهما دائبین فی إصلاح ما یصلحانه من النبات و غیره لا یفتران،و معنی الدءوب مرور الشیء فی العمل علی عاده جاریه فیه) (۲).

و روی عن ابن عباس أنه(قرأ لا مستقر لها،أی جاریه لا تثبت فی موضع واحد) (۳).

(و الشمس أی و آیه لهم الشمس تجری لمستقر لها،و فیه أربعه أقوال،أحدها:إلی موضع قرارها روی أبو ذر قال:سألت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عن قوله: لِمُسْتَقَرٍّ لَها قال:

«مستقرها تحت العرش»و قال:«إنها تذهب حتی تسجد بین یدی ربها،فتستأذن فی الطلوع فیؤذن لها» (۴)،و الثانی:أن مستقرها مغربها لا تجاوزه و لا تقتصر عنه قاله مجاهد،و الثالث:لوقت واحد لا تعدوه قاله قتاده و قال مقاتل:لوقت لها إلی یوم القیامه،و الرابع:تسیر فی منازلها حتی تنتهی إلی مستقرها الذی لا تجاوزه،ثم ترجع إلی أول منازلها) (۵).

إذن،یصرّح القرآن الکریم بأن الشمس تجری باتجاه معین،و هذا(ما قرره علماء الفلک بأن للشمس حرکه حقیقیه فی الفضاء معلومه المقدار و الاتجاه،و کشف النقاب عن ذلک بعد ألف و مائتی سنه من نزول هذا الکتاب الحکیم و أوضح علم الفلک،أن الشمس لها مجموعه من الکواکب و الأقمار و المذنبات،تتبعها دائما،و تخضع لقوه۷

۱- معالم التنزیل،حسین بن مسعود البغوی،تحقیق،خالد العک،بیروت،دار المعرفه،الطبعه الثانیه،۱۴۰۷ ه ۱۹۸۷/۳/۳۶.

۲- زاد المسیر فی علم التفسیر،عبد الرحمن بن علی بن محمد الجوزی،بیروت،المکتب الإسلامی،الطبعه الثالثه،۱۴۰۴ ه،۳۶۳/۴.

۳- معانی القرآن الکریم،لأبی جعفر النحاس،تحقیق،محمد علی الصابونی،مکه المکرمه،نشر جامعه أم القری،الطبعه الأولی، ۱۴۰۹ ۴۹۳/۵.

۴- صحیح البخاری،کتاب التفسیر،باب:و الشمس تجری لمستقر لها،۱۸۰۶/۴،رقم: (۴۵۲۴).

۵- زاد المسیر،لابن الجوزی،۱۷/۷.

جاذبیتها،و تجعلها تدور من حولها فی مدارات متتابعه بیضاویه الشکل،و جمیع أفراد هذه المجموعه تنتقل مع الشمس خلال حرکتها الذاتیه) (۱).

و لو فتشنا فی المعاجم عن معنی دائِبَیْنِ لوجدنا ما یلی:

فی لسان العرب:(الدءوب،المبالغه فی السیر،و أدأب الرجل الدابه إدآبا،إذا أتعبها،و الفعل اللازم دأبت الناقه تدأب دءوبا،و رجل دءوب علی الشیء...یقال:

دأبت أدأب دأبا و دءوبا،إذا اجتهدت فی الشیء،و الدائبان:اللیل و النهار) (۲).

و فی مختار الصحاح:(دأب فی عمله،جد و تعب،و بابه قطع و خضع،فهو دائب، بالألف لا غیر و الدائبان:اللیل و النهار) (۳).

یستخلص من معطیات النصوص القرآنیه ما یلی:

۱-أن الشمس تجری فی الفضاء بسرعه منتظمه.

۲-ستتوقف الشمس عن الجری فی وقت ما،و سیکون لها مستقر محدد لا یعلمه إلا الحق سبحانه و تعالی.

الحقائق العلمیه:

ما ذا قال العلماء عن حرکه الشمس و جریانها؟.

لقد أثبتت الأبحاث العلمیه أن الأجرام کلها تجری فی الفضاء،و لکل کوکب أو جرم فلک خاص به یدور حوله و لا یحید عنه أبدا،و الشمس من هذه الأجرام السیاره، و لها ثلاث حرکات تقوم بها معا.

حرکات الشمس

الدوره المحوریه:

(و تتمها الشمس حول نفسها فی زمن متوسط قدره ۳۰ یوما،و نقول فی زمن متوسط،لأن جسم الشمس الغازی لا یتصرف عند دورته المحوریه تصرف الأجسام

۱- الإعجاز العلمی فی الإسلام،محمد کامل عبد الصمد،القاهره،الدار المصریه اللبنانیه، الطبعه الأولی،۱۴۱۵ ه ۱۹۹۴/،ص:۴۲.

۲- لسان العرب،لابن منظور،۳۶۸/۱.

۳- مختار الصحاح،للرازی،۸۳/۱.

الصلبه،كالأرض فالمنطقه الاستوائيه فى الشمس تتم دوره كل ۲۵ يوما،بينما تحتاج المنطقه الواقعه عند درجه عرض ۳۰ من سطح الشمس إلى ۴,۲۶ يوما كى تتم الدوره، أما عند درجه عرض ۶۰ من سطح الشمس،فإن المنطقه هناك تحتاج إلى ۳۲ يوما لإتمام الدوره،و المنطقه الواقعه عند درجه عرض ۸۰ من سطح الشمس تحتاج إلى ۳۵ يوما كى تتم دورتها،و قد أمكن التأكد من دوران الشمس حول نفسها عن طريق رصد الكلف الشمسيه،التى كانت تدور مع سطح الشمس و التى احتاجت إلى ۱۵ يوما حتى أتمت نصف دوره من الدوره الكامله للشمس.

الدوره الانتقاليه للشمس:

تقوم الشمس مع كل منظومتها بدوره انتقاليه حول مركز مجرتنا،و لما كانت المنظومه الشمسيه واقعه قرب حافه المجره،و تبعد عن مركزها بمقدار ۳۰ ألف سنه ضوئيه،فإنها تحتاج إلى ۲۵۰ مليون سنه كى تتم دورتها حول المجره،علما بأن سرعتها لا تقل عن ۲۰۶-۲۲۰ كيلومتر فى الثانيه،أى ما يعادل ۷۴۱۶۰۰ كم فى الساعه.

الحركه التباعديه أو الانتشاريه:

لقد ثبت أن المجرات تنطلق فى الكون متباعده عن بعضها،و قد دعا العلماء هذه الظاهره باسم«الانتشار الكونى»و قدرت سرعه مجرتنا و ضمنها شمسنا،و هى تبتعد عن غيرها من المجرات فى الكون بمقدار ۹۸۰ كيلومترا فى الثانيه،أى ما يعادل ۳۵۲۸۰۰۰ كيلومترا فى الساعه) (۱).

و فى«الموسوعه الفلكيه»نجد(أن الشمس تدور حول محورها مره كل خمسه و عشرين يوما و تقاس حركتها بمراقبه البقع الكبيره المظلمه على سطحها و التى تعرف باسم الكلف الشمسيه) (۲).

و لكى نفهم الآيات القرآنيه التى سلف عرضها،يجب علينا النظر فى موقع الشمس داخل مجرتنا درب التبانه،و أن نستعين بمعطيات العلم الحديث التى تقول:(تتكون مجرتنا من عدد هائل من النجوم موزعه على أسطوانه أكثر تماسكا فى المركز منها على

۱- انظر:الشمس،إبراهيم حلمى غورى،ص:۱۸.

۲- الموسوعه الفلكيه،خليل بدوى،ص:۲۱.

المحیط،و یصل عدد النجوم إلی ۱۳۰ بلیون نجم«شمس»،و تحتل النجوم موقعا یبعد عن مرکز الأسطوانه،و بما أن المجره تدور حول نفسها،و کأن محورها مرکزها،فإن ناتج ذلک هو أن الشمس تدور حول نفس هذا المرکز فی مدار دائری...و الشمس تستغرق ۲۵۰ ملیون سنه تقریبا لتدور فی فلکها دوره واحده حول مرکز المجره،و تجری الشمس فی هذه الحرکه بسرعه تقریبیه قدرها ۲۵۰ کم/ثا،تلک هی الحرکه المداریه للشمس و التی صرح بها القرآن الکریم منذ أربعه عشر قرنا،و هی الآن علامه من مکتشفات العلم الحدیث و لاحظ التعبیر القرآنی الدقیق وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ فقد لوحظ أن لکل نجم فلکا خاصا به یجری فیه حول مرکز المجره،و یذکرنا الخالق سبحانه عده مرات فی القرآن الکریم بالحقیقه التالیه وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها و هذه الآیه تدل علی أن الشمس تتحرک حرکه انتقالیه بالإضافه إلی سباحتها فی فلک خاص بها) (۱).

الإعجاز:

هذا موجز للمفاهیم العلمیه التی تتوافق مع التصورات و الحقائق الإعجازیه فی القرآن الکریم و المتأمل فی قوله تعالی: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی و قوله جلّ جلاله: وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ یجد التطابق العلمی المدهش مع هذه النصوص القرآنیه،حول جری الشمس الحقیقی فی الفضاء و لیس الظاهری،و عن تعبیر القرآن علی الدوره المداریه للشمس حول مجرتنا،و بیان الحق المعجز هذا،فی التعبیر عن تحرکات الشمس و دورانها بیان یدهش أولی العقول و العلوم و الألباب،و یدفع المنصفین للإقرار بعظمه هذا الکتاب العظیم.

و أما بیانه تعالی: لاَ الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ (۲).

(فکل کوکب،و کل نجم،و کل مذنّب،یسبح فی فلکه الذی قدّر له،لا یتحول عنه و لا یحید،و فی نفس الوقت الکل فی وحده متماسکه مترابطه بفعل الجاذبیه،التی تنطق

۱- من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن و السنه،موسی الخطیب،القاهره،مؤسسه الخلیج العربی،الطبعه الأولی،۱۴۱۵ ه/۱۹۹۴ ص:۲۷۳.

۲- سوره یس،الآیه:۴۰.

بوحدانیه اللّه خالق هذا النظام و مبدعه،و لکی تحتفظ الأجرام السماویه بأبعاد ثابته فیما بینها دون صدام جعلها الخالق الأعظم تتجاذب فیما بینها تجاذبا صغیرا محدودا، بحجم کل منها و کتلته و بعده عن الشمس،و وفق هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فیما بینها ثابته،و الأجرام و شمسها علی مسافات و أبعاد تتحقق للجمیع سبحا و طوافا دون تماس أو صدام...إنه میزان اللّه الدقیق الذی أودعه فی قانونه الأعظم للکون) (۱)، وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِیزانَ (۲).

صوره تمثل اتزان المجموعه الشمسیه.

قال تعالی: وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِیزانَ ،و المیزان من الاتزان،و من الملاحظ أن الکواکب التسعه فی المجموعه الشمسیه علی مستوی واحد و کأنّها طبق موزون.۷.

۱- المنهج الإیمانی للدراسات الکونیه،عبد العلیم عبد الرحمن خضر،جده،الدار السعودیه، الطبعه الثالثه،۱۴۰۷ ه ۱۹۸۷/،ص:۳۳.

۲- سوره الرحمن،الآیه:۷.

صوره رقم:(۹)،تمثل جذب الشمس للمنظومه الشمسیه.

إن قانون الجاذبیه و قانون التوازن،یعملان بإحکام و إتقان فی النظام الشمسی،و فی النظام النجمی الذی یلف المجرات و الکون بأسره،و کذلک یعملان فی أدق و أصغر الأشیاء،فی الذره التی تحتوی علی نظام الدوران العجیب الموجود ذاته فی النظام الشمسی و النظام المجری و النظام الفلکی العام،إنها قدره اللّه التی خلقت کل شیء موزون،و بقدر...

ص: ۲۱۸

المبحث الثانی

اشاره

الشمس متوهجه ملتهبه

قال تعالی: تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً (۱).

و قال سبحانه: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (۲).

و قال سبحانه: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً (۳).

و قال تعالی: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً (۴).

تثبت هـذه الآیات المعجزه حقیقه علمیه رائعه،ألا و هی أن الشـمس جرم متوهـج ملتهب،و إذا ما رجعنا إلی أقوال المفسـرین فی صفات الشمس هذه،و إلی المعاجم اللغویه،فإننا سنجد ما یلی:

یقول الشوکانی: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً المراد به الشمس،و جعل هنا بمعنی خلق، و الوهّاج الوقّاد،و یقال:وهجت النار تهیج وهجا و و هجانا،قال مقاتل:جعل فیه نورا و حرا و الوهج یجمع النور و الحراره) (۵).

وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً :(أی کالمصباح لأهل الأرض لیتوصلوا بذلک إلی التصرف فی ما یحتاجون إلیه من المعاش) (۶).

و عند الرازی:(الوهج مجمع النور و الحراره،فبیّن اللّه سبحانه و تعالی أن الشمس

۱- سوره الفرقان،الآیه:۶۱.

۲- سوره نوح،الآیه:۱۶.

۳- سوره یونس،الآیه:۵.

۴- سوره النبأ،الآیه:۱۳.

۵- فتح القدیر،محمد بن علی الشوکانی،۳۶۴/۵.

۶- المصدر نفسه،۲۹۹/۵.

بالغه إلی أقسی الغایات فی هذین الوصفین،و هو المراد بکونها وهّاجا،و الوهج،حر النار و الشمس،و هذا یقتضی أن الوهاج هو البالغ فی الحر) (۱).

و یقول الزمخشری: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً :(أی متلألئا وقّادا،یعنی الشمس، و توهجت النار،إذا تلمظت فتوهجت بضوئها و حرها) (۲).

وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً هی(الشّمس لقوله تعالی: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً و قرئ، سرجا و هی الشّمس و الکواکب الکبار وَ قَمَراً مُنِیراً مضیئا باللیل،و قرئ قمرا أی ذات قمر،و هی جمع قمراء،و لما أنّ اللّیالی بالقمر تکون قمراء أضیف إلیها ثمّ حذف و أجری حکمه علی المضاف إلیه القائم مقامه) (۳).

و یفرّق الألوسی تفریقا نفیسا بین الضوء و النور هاهنا فیقول:(و قیل:و سمی بذلک لأنه یقمر ضوء الکواکب،و فی الصحاح لبیاضه،و فی وصفه ما یشعر بالاعتناء به، و علی الفرق المشهور بین الضوء و النور یکون فی وصفه بمنیر دون مضیء،إشاره إلی أن ما یشاهد فیه مستفاد من غیره و هو الشمس) (۴).

و یسبق الرازی الألوسی بهذه الحقیقه و هذا التفریق فیقول:(و نقول:النور اسم لأصل هذه الکیفیه،و أما الضوء،فهو اسم لهذه الکیفیه إذا کانت کامله تامه قویه،و الدلیل علیه أنه تعالی سمی الکیفیه القائمه بالشمس اَلشَّمْسَ ضِیاءً و الکیفیه القائمه بالقمر نُوراً و لا شک أن الکیفیه القائمه بالشمس أقوی و أکمل من الکیفیه القائمه بالقمر) (۵).

و لو بحثنا فی المعاجم عن معانی بعض المفردات الوارده فی الآیات القرآنیه،لنری أبعادها اللغویه من مثل«سراج،منیر،ضیاء»فلسوف نجد التالی:

فی لسان العرب:(السراج:المصباح الزاهر الذی یسرج باللیل،و الشمس سراج النهار،المسرجه بالفتح،التی توضع فیها الفتیله و الدهن،کما أنه بضوء السراج یهتدی الماشی،السراج:الشمس،و فی التنزیل: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً (۶).۲.

۱- التفسیر الکبیر،فخر الدین الرازی،۸/۳۱.

۲- الکشاف،للزمخشری،۲۰۷/۴.

۳- إرشاد العقل السلیم،أبو السعود العمادی،۲۲۲/۶.

۴- روح المعانی،للآلوسی،۱۹/۵۰.

۵- التفسیر الکبیر،فخر الدین الرازی،۲۱۰/۱۷.

۶- لسان العرب،لابن منظور،۲۹۷/۲.

(و السراج،الزاهر الذی یزهر باللیل،و المسرجه التی توضع فیها الفتیله،و أسرجت الدابه و الشمس،سراج النهار،و الهدی سراج المؤمنین) (۱).

و أما منیر،ففی لسان العرب:(النور ضد الظلمه،و فی المحکم النور:الضوء أیا کان،و قیل:هو شعاعه و سطوعه،و الجمع أنوار و نیران،و قد نار نورا و استنار) (۲).

و فی المصباح المنیر:(النور،الضوء و هو خلاف الظلمه،و الجمع أنوار،و أنار الصبح إناره أضاء و نور تنویرا و استنار استناره کلها لازمه،و نار الشیء ینور نیارا بالکسر،و به سمی أضاء أیضا فهو نیر) (۳).

و أما معنی الضیاء،فالضوء:(بالضم،الضیاء و ضاءت النار تضوء ضوءا و ضوءا، و أضاءت أیضا و أضاءت غیرها یتعدی) (۴).

من خلال هذا العرض یمکن لنا استخلاص معطیات الآیات القرآنیه کما یلی:

أولا:تبین لنا أن الشمس قد وصفت بأنها«سراج و مضیء»و القمر دائما یوصف بأنه منیر.

ثانیا:من المعلوم أن السراج تتقد فیه الحراره المتوهجه فیرسل معها ضیاء حراریا، و هذا هو شأن الشمس،أما الإناره،فهی التی تملأ الحیز نورا و ضیاء دونما حراره، و هذا هو شأن القمر،فالقرآن إذا عرض الشمس وصفها بأنها سراج مضیء،لأن حرارتها تنبعث من داخلها،و إذا عرض القمر وصفه بأنه منیر لأن إنارته و ضیاءه مستمد من الشمس لا من ذاته،لأن القمر جرم قد برد مع مرور الزمن بعد تکوینه من الغبار، کما سیؤکّده لنا علماء الفلک.

الحقائق العلمیه:

هذا البیان القرآنی المعجز،الذی وصف به حقیقه کلّ من الشمس و القمر،

۱- کتاب العین،الخلیل بن أحمد الفراهیدی،تحقیق،مهدی المخزومی و إبراهیم السامرائی، بیروت،دار الهلال،د.ت،۵۳/۶.

۲- لسان العرب،لابن منظور،۲۴۱/۵،و انظر:القاموس المحیط، للفیروزآبادی،۶۲۸/۱.

۳- المصباح المنیر،أحمد بن محمد بن علی المقری الفیومی،بیروت،المکتبه العلمیه،د.ت، ۶۲۹/۲.

۴- مختار الصحاح،أبو بکر الرازی،۱۴۴/۱.

و الخصائص و السمات التی ینطوی علیها کلّ منهما،قد کشف عنه العلم مؤخرا بعد إثبات القرآن له،و تحدث العلماء عن مصدر الطاقه الشمسیه و عن التفاعلات النوویه التی تحدث فی داخلها و عن النتائج التی تفرزها تلک التفاعلات.

ففی الوقت الذی جاء فیه«أنیشتاین»بنظریته(النسبیه الخاصه،التی أثبت فیها تحول الکتله إلی طاقه،فتحت أمام العلماء آفاقا جدیده أطلوا منها علی الشمس،و بدراسه الشمس توصلوا إلی أن مصدر حراره الشمس و نورها هو حدوث تفاعلات نوویه داخل جرم الشمس،تؤدی إلی دمج أربع نویات من الهیدروجین،أی أربع(بروتونات)مکونه نواه واحده من غاز(الهیلیوم)،و بما أن کتله نواه غاز(الهیلیوم)هی أصغر من الکتله التی ألفتها نویات غاز(الهیدروجین)الأربعه بمقدار ۰۰۷,۰ فإن هذه الکتله الفائضه، تتحول إلی طاقه من الحراره و النور،تطلقها الشمس نحو الفضاء المحیط بها و بمجموعتها الشمسیه) (۱).

و یحدثنا نفس الکتاب«الشمس»عن توهج الشمس و لهیبها:(...و سطح الشمس دائم الاضطراب و الصخب،إنما یلاحظ أن ذلک الاضطراب یزداد و یشتد خلال فتره الهیاج الشمسی،و من أهم مظاهر الاضطراب الشدید اندفاع ألسنه من اللهب،قاعده کل منها تزید مساحته علی عده ملایین الکیلومترات المربعه،و تبلغ تلک الألسنه ارتفاعات کبیره،إذ یتجاوز بعضها مسافه ۳۵۰ ألف کم کما أن اندفاعها یکون خاطفا...و قد تنطلق تلک الألسنه علی شکل فوّارات عمودیه من اللهب بینما یتخذ بعضها شکل أقواس ناریه،و تکون بعض الأقواس من الطول و الضخامه إلی درجه تنعطف معها باتجاه سطح الشمس حیث تتصل به مؤلفه قنطره مهیبه...و من مظاهر الهیاج الشمسی الشواظ الشمسی،و الذی یبدو علی شکل کتل غازیه مضیئه،تلاحظ فی الطبقه التاجیّه من الشمس و قد قذفت بعیدا عنها إلی مسافه تزید أحیانا علی ۵۰۰ ألف کیلومتر،لیتبدد بعضها فی الفضاء،بینما یرتد بعضها الآخر إلی سطح الشمس علی شکل همرات (۲)،أو کتل من الوهج) (۳).۳.

۱- الشمس،إبراهیم حلمی غوری،ص:۲۷،و انظر:دلیل فیلیب للنجوم و الکواکب،باتریک مور،ترجمه،عبد القوی عیاد،الریاض،النشر العلمی و المطابع،الطبعه الأولی،۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰،ص:۶۲.

۲- همرات:نوع من أنواع النشاط الشمسی.

۳- الشمس،إبراهیم حلمی غوری،ص:۳۲-۳۳.

صوره للشمس تظهر التفاعلات النوويه،و ألسنه اللهب تنطلق منها.

و ألسنه اللهب هذه تعتبر(من أبرز المظاهر الشمسيه،و هى كتل غازيه متوهجه يمكن رصدها بسهوله عند حافه الشمس،و توجد منها أصناف عديده،فمنها ألسنه اللهب الهادئه حيث تهبط الغازات ببطء على امتداد خطوط المجال المغناطيسى،و ألسنه اللهب الأنشوطيه،و منها الألسنه المتفجره و هى الأقل شيوعا و فيها يقذف الغاز بعنف بعيدا عن الشمس،أما الوميض الشمسى فهو من أعنف مظاهر النشاط الشمسى،و هى تظهر كومضات لامعه تمكث من ثانيه و حتى ما يقارب الساعه،و هى تنتج من التحرر المفاجئ لقدر كبير من الطاقه كان مختزنا فى المجال المغناطيسى) (1).۶.

۱- علم الفلك العام،مرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود،ص ۲۱۰،و انظر:علم الفلك، عبد السلام غيث،عمان،جامعه اليرموك،۱۹۹۲،ص:۹۶.

و لقد مكّنت الدراسات النظريه المعتمده على(تجارب مختبرات الفيزياء النوويه، من معرفه التفاعلات التى تتم فى داخل الشمس و ما ينجم من طاقه متولده عن تلك التفاعلات:تفاعلات الاندماج(الهيدروجينيه)و انتقال تلك الطاقه إلى السطح، و إشعاعها بعد ذلك فى الفضاء...و سطح الشمس فى حاله نشاط مستمر،إذ تكثر العواصف الشمسيه،و البقع الشمسيه،و(الفوتونات)،و ألسنه اللهب و الخيوط المنبثقه من السطح) (١).

كما يلاحظ(بالقرب من أطراف قرص الشمس مناطق فاتحه اللون«مشاعل»و تمثل هذه الظاهره مناطق الغازات الشديده التسخن،و المرتفعه إلى الطبقات العليا من الغلاف الجوى للشمس و تظهر هذه الظاهره فى أغلب الأحيان عند ما تحتل البقع الشمسيه أطراف القرص الشمسى،عندها نشاهد المشاعل محيطه بالقرص،و هى لهيب و ألسنه ناريه متوهجه) (٢).

و أما القمر فهو:(ثانى الأجرام سطوعا بعد الشمس،و لكنه لا ينبعث منه ضوء من تلقاء نفسه لأنه ليس ملتهبا متوهجا توهجا ذاتيا كالشمس،و لكنه بارد ينير كالمرآه يعكس جزءا من ضوء الشمس الساقط عليه) (٣).

و لقد ثبت للعلماء أن القمر:(يعكس الضوء كالمرايا،ذلك الضوء الذى يأتيه من الشمس و القمر ليس جسما ملتهبا كالشمس كى يكون مضيئا بنفسه،فقد نزل عليه رواد الفضاء من الأمريكيين و أثبتوا أنه جسم صخرى قليل الصلابه،و تتميز صخور القمر باللون الرمادى الغامق الداكن،و تشبه فى ذلك لدرجه كبيره لون الصخور الأرضيه،أما تربته التى تعكس ضوء الشمس فتتخذ درجات الأسود الغامق...و الدراسات كلها تؤكد أن قشره القمر أسمك كثيرا من قشره الأرض،بل يحتمل أن يكون القمر صلبا فى٢.

١- المنظومه الشمسيه،على موسى و مخلص الريس،دمشق،دار دمشق،الطبعه الأولى، ١۴٠٣ ه ١٩٨٣/،ص:۴٧،و انظر:مبادئ الطاقه الشمسيه و تطبيقاتها،سهيل فاضل و إلياس الكبه،بيروت،دار الحداثه،الطبعه الثالثه،١٩٨٧،ص:٣٢.

٢- الجغرافيه الفلكيه،أمين طربوش،دمشق،دار الفكر،الطبعه الأولى،١۴٠۶ ه ١٩٨۶/،ص: ٣١۴.

٣- المعارف الكونيه،إعداد نخبه من العلماء،القاهره،دار الفكر العربى،١۴١٨ ه ١٩٩٨/، ص:١۶٢.

جمیع طبقاته حتی المرکز،علی اعتبار أنه برد إلی درجه عظیمه بمعدل أسرع مما بردت به أرضنا نظرا لصغر کتلته،فما معنی هذا کله؟...هذا معناه وجود الأدله الماديه من صخور القمر قد حللها العلماء بالفعل علی الأرض،بما يؤکد أنه صخری و ليس نارا ملتهبه مثل الشمس و ينبنی علی ذلک أن القمر ليس مصدرا للضوء مثل الشمس و إنما هو عاکس فقط له) (۱).

الإعجاز:

سبحان اللّه،هذا ما وصل إليه علماء عصرنا بعد أکثر من أربعه عشر قرنا،غير أن الحق سبحانه و تعالی قد سجل هذه الحقيقه العلميه فی کتابه العظيم،لقد قرر القرآن منذ نزوله علی النبی الأمی صلی اللّه عليه و سلم أن الشمس جسم ملتهب،و کره ناريه تصدر عنها الحراره و الضوء،بخلاف القمر الذی يستمد نوره من ضوء الشمس،قال اللّه تبارک و تعالی: تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً (۲)،و قال سبحانه: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (۳)،و قال سبحانه: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً (۴).

فما ينبغی لذی عقل منصف أن يقول:هناک تعارض بين العلم و الدين،أو أن يقول:

الدين أفيون الشعوب أو سبب تخلفها،لأن القرآن الذی حفظه اللّه تعالی،حقائقه و قوانينه الکونيه تخرج هی و حقائق العلم من مصدر و مشکاه واحده ألا و هی علم العليم جل جلاله.

۱- المنهج الإيمانی للدراسات الکونيه،عبد العليم خضر،ص:۱۵۴.

۲- سوره الفرقان،الآيه:۶۱.

۳- سوره نوح،الآيه:۱۶.

۴- سوره يونس،الآيه:۵.

المبحث الثالث

اشاره

تعدد الشموس و الأقمار

قال تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ (۱).

تشير هذه الآيه الكريمه من خلال قوله تعالى: خَلَقَهُنَّ إلى تعدد الشموس و الأقمار فى هذا الكون،فالحق سبحانه و تعالى أتى بضمير الجمع المؤنث بدلا من ضمير المثنى،و كان مساق الآيه يقتضى حسب قواعد اللغه أن يقول:(خلقهما)إشاره إلى شمسنا و قمرنا،لكنه عدل عن المثنى إلى الجمع ليسطّر معجزه قرآنيه كونيه هنا، و هى أن اللّه سبحانه و تعالى خلق شموسا و أقمارا كثيره و هذا ما أثبته العلم و قرره الحق.

و بإلقاء نظره دقيقه فى تفاسير العلماء رحمهم اللّه تعالى،يتبين لنا إدراكهم لبعد هذه الإشاره القرآنيه المعجزه.

يعلق الإمام الطبرى على الآيه فيقول:(يقول تعالى ذكره:و من حجج اللّه تعالى على خلقه و دلالته على وحدانيته،و عظيم سلطانه،اختلاف الليل و النهار،و معاقبه كلّ واحد منهما صاحبه و الشمس و القمر،لا الشمس تدرك القمر و لا اللّيل سابق النّهار و كلّ فى فلك يسبحون،لا تسجدوا أيها الناس للشمس و لا للقمر،فإنهما و إن جريا فى الفلك بمنافعكم،فإنما يجريان به لكم بإجراء اللّه إياهما لكم طائعين له فى جريهما و مسيرهما،لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير و جرى دون إجراء اللّه إياهما و تسييرهما،أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرّا و إنما اللّه مسخرهما لكم لمنافعكم و مصالحكم،فله فاسجدوا،و إياه فاعبدوا دونها،فإنه إن شاء طمس ضوءهما،فترككم حيارى فى ظلمه لا تهتدون سبيلا،و لا تبصرون شيئا...و قيل:و اسجدوا للّه الّذى

۱- سوره فصلت،الآيه:۳۷.

خلقهنّ،فجمع بالهاء و النون،لأن المراد من الكلام،و اسجدوا للّه الذى خلق الليل و النهار و الشمس و القمر،و ذلك جمع،و أنث كنايتهن) (۱).

و عند القرطبى:(قوله تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ علاماته الداله على وحدانيته و قدرته اَللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ و قد مضى فى غير موضع،ثم نهى عن السجود لهما،لأنهما و إن كانا خلقين فليس ذلك لفضيله لهما فى أنفسهما فيستحقان بها العباده مع اللّه،لأن خالقهما هو اللّه و لو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما: وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ و صورهنّ و سخرهنّ،فالكنايه ترجع إلى الشمس و القمر و الليل و النهار، و قيل:للشمس و القمر خاصه،لأن الاثنين جمع،و قيل:الضمير عائد على معنى الآيات إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ و إنما أنث على جمع التكثير،و لم يجر على طريق التغليب للمذكر و المؤنث لأنه فيما لا يعقل) (۲).

و فى تفسير الرازى:(و لما بيّن أن الشمس و القمر محدثان،و هما دليلان على وجود الإله القادر قال: لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ يعنى أنهما عبدان دليلان على وجود الإله،و السجده عباره عن نهايه التعظيم فهى لا تليق إلا بمن كان أشرف الموجودات،فقال: لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ لأنهما عبدان مخلوقان وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الخالق القادر الحكيم،و الضمير فى قوله: خَلَقَهُنَّ لليل و النهار و القمر،لأن حكم جماعه ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث،يقال للأقلام بريتها و بريتهن،و لما قال: وَ مِنْ آياتِهِ كن فى معنى الإناث فقال: خَلَقَهُنَّ ،و إنما قال: كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ لأن ناسا كانوا يسجدون للشمس و القمر،كالصابئين فى عبادتهم الكواكب و يزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود للّه فنهوا عن هذه الواسطه،و أمروا أن لا يسجدوا إلا للّه الذى خلق الأشياء) (۳).

و فى تفسير«روح المعانى»: وَ مِنْ آياتِهِ الداله على شئونه الجليله جل شأنه تعالى: اَللَّيْلِ وَ النَّهارِ فى حدوثهما و تعاقبهما و إيلاج كل منهما فى الآخر وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ فى استنارتهما و اختلافهما فى قوه النور و العظم و الآثار و الحركات مثلا،۷.

۱- جامع البيان،للطبرى،۷۶/۲۴،و انظر:قبس من نور القرآن،محمد على الصابونى،بيروت، مؤسسه الريان،الطبعه الرابعه،۱۴۱۹، ۱۹۹۸م،۲۴۸/۱۱.

۲- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۳۶۳/۱۵.

۳- التفسير الكبير،للرازى،۵۷۰/۲۷.

و قدم ذكر الليل قيل:تنبيها على تقدمه مع كون الظلمه عدما،و ناسب ذكر الشمس بعد النهار لأنها آيته و سبب تنويره،و لأنها أصل لنور القمر بناء على ما قالوا من أنه مستفاد من ضياء الشمس،و أما ضياؤها فالمشهور أنه غير طارئ عليها من جرم آخر،و قيل:

هو من العرش،لأنها من جمله مخلوقاته سبحانه و تعالى المسخره على وفق إرادته تعالى مثلكم وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ الضمير قيل للأربعه المذكوره،و المقصود تعليق الفعل بالشمس و القمر،لكن نظم معهما الليل و النهار إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم و لا يختار ضروره أن الليل و النهار كذلك،و لو ثنى الضمير لم يكن فيه إشعار بذلك) (۱).

و فی«أنوار التنزيل»: وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ الضمير للأربعه المذكوره و المقصود تعليق الفعل بهما إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم و لا يختار، إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ فإن السجود أخص العبادات و هو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به) (۲).

رأينا كيف أن المفسرين رحمهم اللّه تعالى،حاولوا أن يعيدوا الضمير خَلَقَهُنَّ للأربعه«الليل و النهار و الشمس و القمر»،و الحق أن الضمير فی خَلَقَهُنَّ يرجع للشمس و القمر فقط،لأن المشركين كانوا يعبدون من جمله ما يعبدون الشمس و القمر، و لذلك وبخهم الحق فی كثير من الآيات و نهاهم أن يعبدوهما،و لم يرد قط أن المشركين عبدوا طبيعه الليل أو طبيعه النهار؟.

و على هذا فإن الجمع هنا خَلَقَهُنَّ جاء آيه معجزه كشف عنها علماء عصرنا، عند ما تحقّقوا بالدليل العملی و المرئی أن فی كوننا ملايين من الشموس،و الكثير من الأقمار.

الحقائق العلميّه:

أما عن تعدّد النجوم فقد وجد العلماء أن:(النجوم على أنواع مختلفه،و هی برغم ظهورها للعين نقاطا لامعه فی السماء،إلا أنها شموس مثل شمسنا،و تظهر هكذا

۱- روح المعانی،للآلوسی،۱۲۵/۲۴.

۲- أنوار التنزيل،للبيضاوی،۱۱۶/۵،و انظر:بحر العلوم،للسمرقندی،۲۲۴/۳.

لبعدها عنا،حيث أن أقرب نجم إلينا يبعد مسافه تزيد على أربع سنوات ضوئيه،و هو نجم(الشعرى)و لبعض النجوم كتله تقل عن كتله الشمس،و لبعضها الآخر كتله تزيد بمائه ضعف و أكثر على كتله الشمس) (۱).

ثم إن النجوم التى تتكشّف لنا ليلا(تكون جزءا من مجموعات نجميه هائله،و بطبيعه الحال فإن الشمس هى أقرب النجوم إلى الأرض،و إن كان ضوؤها يستغرق حوالى ۸,۵ دقائق ليصل إلينا و فيما عدا النجوم القريبه من الشمس،و هى التى تكون مضيئه،و يمكن رؤيتها بوضوح بالعين المجرده فهناك نجوم أخرى تبعد عنا مسافات بالغه،لدرجه أننا نشاهدها على هيئه سحب ضوئيه تختلف شدتها،و يمكن للراصد فى ليله صافيه أن يرى حوالى ۲۷۵۰ نجم فى الكره السماويه بالعين المجرده كما أن هناك العديد من النجوم التى لا نستطيع رؤيتها بسبب ما يفصل بيننا و بينها من السحب الغازيه) (۲).

و لقد اتضح أن شمسنا إحدى(نجوم مجره تدعى(سكه التبانه)و هى عباره عن تجمع نجمى هائل يحتوى على ۱۳۰ بليون نجم(شمس)و أن الكون يحتوى على أكثر من ۲ بليون مجره،أى أن عدد النجوم فى الكون أكثر من مائه بليون بليون نجم(شمس)،و أن هذه النجوم تتعدّد أنواعها حسب قوه إضاءتها و درجه حرارتها و كتلتها،إلى أنواع تتدرّج تنازليا فى هذه الصفات إلى النوع الأزرق-الأبيض المزرق-الأبيض-الأبيض المصفر-الأصفر-الأصفر البرتقالى-الأحمر،و أن شمسنا من النوع الأصفر فهى نجم متوسط،و هناك نجوم أخرى عملاقه تدعى العمالقه الحمراء،و نجوم أخرى أقزام تدعى الأقزام البيضاء) (۳).

و أما عن تعدد الأقمار فقد ثبت و تحقق وجود الكثير من الأقمار(و أغلب كواكب المجموعه الشمسيه لها توابع تدور حولها،كما يتبع القمر الأرض و يدور حولها، فالتوابع كالكواكب أجسام بارده غير ملتهبه و لكن تصغرها حجما،و ترتبط معها برباط۷.

۱- خلق الكون،محمد باسل الطائى،بيروت،دار النفائس،الطبعه الأولى،۱۴۱۸ ه۱۹۹۸/،ص:۶۲.

۲- الميكروكمبيوتر و علم الفلك،محمد رشاد الدين مصطفى،بيروت،دار الراتب،د.ت، ص:۲۲.

۳- الكون و الإعجاز العلمى فى القرآن،منصور حسب النبى،القاهره،دار الفكر العربى،الطبعه الثانيه،۱۹۹۱،ص:۱۵۷.

الجاذبیه فتدور حولها،فهی أقمارها و لکن لیست کل کواکب المجموعه الشمسیه فی مثل قناعه الأرض تکتفی بجذب تابع واحد و هو القمر،فکثیر من الکواکب الأخری لها أکثر من تابع،و المشتری علی ضخامته له«۱۲»تابعا یدور حوله) (۱).

و زیاده لتأکید القضیه و الفائده فی آن واحد،نورد أرقاما و جداول بالأقمار.

و للمریخ(قمران هما«فوبوس و دیموس»یدور الأول حوله ثلاث مرات فی الیوم الواحد،أما الثانی فإن دورته بحدود ۳۰ ساعه،و کلا القمرین صغیر جدا إذ یبلغ قطر الأول ۱۳ کیلومتر ،و قطر الثانی ۸ کیلومترات فقط) (۲).

(و أقمار المریخ مظلمه جدا،درجه القدره علی عکس نور الشمس هی ۵٪ و موادها التکوینیه یمکن أن تکون مشابهه للمواد الفحمیه و کل منها مغطّی بطبقه سطحیه من المواد الصخریه المفکّکه بسماکه عده ملیمترات) (۳).

و أما المشتری فعدد أقماره:(سته عشر قمرا،تقع ثمانیه منها علی أبعاد صغیره من الکوکب لا تتعدی ملیون کیلومتر،بینما تتزاید أبعاد أربعه منها ۱۲ ملیون کیلومتر،أما الأربعه الأخری فتدور علی مسافات بین ۲۱-۲۴ ملیون کیلومتر فی اتجاه عکسی و فی مستویات ذات میل کبیر،و قد اکتشفت حول المشتری حلقه رقیقه تدور حول الکوکب من حصوات صغیره الحجم) (۴).۳.

۱- أعماق الکون،سعد شعبان،ص ۷۹،و انظر:السماء فی اللیل،عبد القادر عابد و علی عبنده، عمان،دار الفرقان،الطبعه الأولی ۱۴۰۵ ه ۱۹۸۵م،ص:۲۲.

۲- خلق الکون،محمد باسل الطائی،ص:۴۹.

۳- موسوعه غینیس فی علم الفلک،باتریک موور،ص:۷۱.

۴- علم الفلک العام،مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود،ص:۱۵۳.

التسلسل\القمر\سنه الاكتشاف\قطره\بعده عن المشتری ۱- میتس ۴۹\۱۹۷۹\ Metis کلم\۶۰۰,۱۷۲ کلم ۲-ادراستیا ۳۵\۱۹۷۹\ Adrastea کلم\۰۰۰,۱۳۴ کلم ۳-امالثیا\ ۱۶۶\۱۸۹۲\ Amalthea کلم\۳۰۰,۱۸۱ کلم ۴-ثیبی\ Thebe ۷۵\۱۹۷۹\ کلم\۰۰۰,۲۲۲ کلم ۵- آیو ۳۶۳۲\۱۶۱۰\ Io کلم\۶۰۰,۴۲۱ کلم ۶- أوروبا ۳۱۲۶\۱۶۱۰\ Europa کلم\۹۰۰,۶۷۰ کلم ۷- غانیمید ۵۲۷۶\۱۶۱۰\ Ganymede کلم\۱,۱ ملیون کلم ۸- کالیستو ۴۸۲۰ ۱۶۱۰\ Callisto کلم\۹,۱ ملیون کلم ۹-لیدا ۱۶\۱۹۷۴\ Leda کلم\۱,۱۱ ملیون کلم ۱۰-هیمالیا ۱۸۶\۱۹۰۴\ Himalia کلم\۵,۱۱ ملیون کلم ۱۱-لایسثیا ۱۹ ۱۹۳۸\ Lysithea کلم\۷,۱۱ ملیون کلم ۱۲-إلارا ۸۰ ۱۹۰۵\ Elara کلم\۷,۱۱ ملیون کلم ۱۳-أنانکی ۳۰\۱۹۵۱\ Ananke کلم ۷,۲۰ ملیون کلم ۱۴-کارمی ۴۰\۱۹۳۸\ Carme کلم\۴,۲۲ ملیون کلم ۱۵-باسیفای ۵۰\۱۹۰۸\ Pasiphae کلم\۳,۲۳ ملیون کلم ۱۶-سینوب ۳۶\۱۹۱۴\ Sinope کلم\۷,۲۳ ملیون کلم جدول رقم:(۱)،یبین سنه اکتشاف القمر و قطره و بعده عن المشتری (۱).

أقمار زحل و حلقاته:(و یدور حول زحل ۱۸ قمرا و ۷ حلقات تری منها علی الأرض ۳ حلقات،و أکبر أقمار زحل هو القمر«تیتان»و هو ثانی أقمار المجموعه الشمسیه بعد «جانیمن»،ثم یلی تیتان فی الکتله ۸ أقمار متوسطه،و الباقیه أقمار صغیره أشکالها غیر۳.

۱- المصدر نفسه،ص:۱۵۳.

منتظمه،و أبعد أقمار زحل يسمى«فوب»يبعد تقريبا ۴ أمثال بقيه الأقمار و يتحرك حركه تقهقريه) (۱).

التسلسل\القمر\سنه الاكتشاف\قطره\بعده عن زحل ۱-بان ۲۰\۱۹۹۰\ Pan كلم\۵۷۰,۱۳۳ كلم ۲- أطلس Atlas ۳۰\۱۹۸۰\ كلم\۶۷۰,۱۳۷ كلم ۳- بروميثوس ۲۲۰\۱۹۸۰\ Prometheus كلم\۳۵۳,۱۳۹ كلم ۴- باندورا Pandora ۹۰\۱۹۸۰\ كلم\۷۰۰,۱۴۱ كلم ۵-ابيميثوس ۱۱۹\۱۹۶۶\ Epimetheus كلم\۴۲۲,۱۵۱ كلم ۶-جانوس Janus ۱۹۰\۱۹۶۶\ كلم\۴۷۲,۱۵۱ كلم ۷-ميماس ۳۹۰\۱۷۸۹\ Mimas كلم\۶۰۰,۱۸۵ كلم ۸-انسيلادوس Enceladus ۵۰۰\۱۷۸۹\ كلم\۱۰۰,۲۳۸ كلم ۹- تيثز ۱۰۵۰\۱۶۸۴\ Tethys كلم\۳۴۲,۲۹۲ كلم ۱۰- تيليستو ۲۲\۱۹۸۰\ Telesto كلم\۷۰۰,۲۹۴ كلم ۱۱-كاليبسو ۲۵\۱۹۸۰\ Calypso كلم\۶۷۰,۲۹۴ كلم ۱۲-ديون ۱۱۲۰\۱۶۸۴\ Dione كلم\۵۰۰,۳۷۷ كلم ۱۳-هيلينى ۳۲\۱۹۸۰\ Helene كلم\۰۶۰,۳۷۸ كلم ۱۴-ريا ۱۵۳۰\۱۶۷۲\ Rhea كلم\۲۰۰,۵۲۷ كلم ۱۵-تيتان ۵۱۵۰\۱۶۵۵\ Titan كلم\۲,۱ مليون كلم ۱۶- هيبريون ۲۵۰\۱۸۴۸\ Hyperion كلم\۵,۱ مليون كلم ۱۷- يابيتوس ۱۴۶۰\۱۶۷۱\ Iapetus كلم\۶،۳ مليون كلم جدول رقم:(۲)،يبين سنه اكتشاف القمر و قطره و بعده عن زحل (۲).۴.

۱- علم الفلك العام،مرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود،ص:۱۵۴.

۲- المصدر نفسه،ص:۱۵۴.

(أقمار أورانوس الخمسه عشر) (۱).

التسلسل\القمر\سنه الاكتشاف\قطره\بعده عن أورانوس ۱- كوريديليا ۴۰\۱۹۸۶\ Cordelia كلم\۷۰۰,۴۹ كلم ۲-اوفيليا ۵۰\۱۹۸۶\ Ophelia كلم ۸۰۰,۵۳ كلم ۳-بيانكا ۵۰\۱۹۸۶\ Bianca كلم\۲۰۰,۵۹ كلم ۴-جولييت ۶۰\۱۹۸۶\ Juliet كلم\۸۰۰,۶۴ كلم ۵-ديسديمونا ۶۰\۱۹۸۶\ Desdemona كلم\۷۰۰,۶۲ كلم ۶-روزالند ۸۰\۱۹۸۶\ Rosalind كلم\۹۰۰,۶۹ كلم ۷-بورتيا ۸۰\۱۹۸۶\ Portia كلم\۱۰۰,۶۶ كلم ۸-كريسيدا ۶۰\۱۹۸۶\ Cressida كلم\۹۰۰,۶۹ كلم ۹-بيلندا ۶۰ ۱۹۸۶\ Belinda كلم\۳۰۰,۷۵ كلم ۱۰-بوك ۱۷۰\۱۹۸۵\ Puck كلم\۰۰۰,۸۶ كلم ۱۱-ميراندا Miranda ۴۸۰\۱۹۴۸\ كلم\۲۸۲,۱۲۸ كلم ۱۲-آرييل ۱۱۶۰\۱۹۵۱\ Ariel كلم\۹۰۰,۱۹۰ كلم ۱۳-امبريال Umberial ۱۱۹۰\۱۹۵۱\ كلم\۰۰۰,۲۶۶ كلم ۱۴- تيتانيا ۱۶۱۰\۱۷۸۷\ Titania كلم\۳۰۰,۴۳۶ كلم ۱۵- أوبيرون Oberon ۱۵۵۰\۱۷۸۷\ كلم\۴۰۰,۵۸۳ كلم جدول رقم:(۳)،يبين سنه اكتشاف القمر و قطره و بعده عن أورانوس (۲).

(و هذه حلقات نبتون بالإضافه إلى منبسط ما يسمى فى بعض الأحيان الحلقه۸.

۱- علم الفلك العام،مرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود،ص:۱۵۸.

۲- المصدر نفسه،ص:۱۵۸.

«١٩٨٩ ٤ N»الحلقه التى تقع داخل حلقه(أدامز)تتحرك فى المـدار نفسه لمـدار القمر الصـغير«غالاتيا»الـذى تم اكتشافه حـديثا) (١).

اسم الحلقه\المسـافه من مركز نبتـون(كلم)\العرض غـال\٩٠٠,٤١\٥٠ لوفيرييه\٢٠٠,٥٣\٥٠ المنبسط\٢٠٠,٥٣-١٠٠,٥٩\٤٠٠٠ أدامز\٩٠٠,٦٢\٥٠ جدول رقم:(٤)،يبين اسم الحلقه،و المسافه من مركز نبتون،و العرض (٢).

أقمار نبتون الثمانيه

التسـلسل\القمر\سـنه الاكتشاف\قطره\بعده عن نبتون ١-نـاياد ١٩٨٩\٥٠ Naiad كلم\٤٨,٠٠٠ كلم ٢-ثالاسا Thalassa ١٩٨٩\٩٠ كلـم\٥٠,٠٠٠ كلـم ٣-دسـينيا ١٩٨٩\١٨٠ Despina كلم\٥٢,٥٠٠ كلـم ٤-غالاتيا ١٩٨٩\١٦٠ Galatea كلم\٦٢,٠٠٠ كلم ٥-لاريسا ١٩٨٩\٢٠٠ Larissa كلم\٧٣,١٠٠ كلم ٦-بروتيوس ١٩٨٩\٤٢٠ Proteus كلم\١١٧,٦٠٠ كلم ٧- ترايتون ١٨٤٦\٢٧٠٠ Triton كلم\٣٥٤,٧٦٠ مليـون كلـم ٨-نيريد ١٩٤٩\٣٤٠٠ Nereid كلم\٥,٥ مليـون كلم جدول رقم:(٥)،يبين سنه اكتشاف القمر و قطره و بعده عن نبتون (٣).

١- موسوعه غينيس فى علم الفلك،باتريك موور،ص:١١٦.

٢- المصدر نفسه،ص:١١٦.

٣- المصدر نفسه،ص:١١٦.

الإعجاز:

تلك هى أقمار المجموعه الشمسيه التى يتربع على عرشها نجم الشمس الكبير، و تطوف حوله تسعه كواكب سياره و مجموعه أقمار لها،إضافه إلى آلاف الكويكبات و ملايين المذنبات التى تحفها.

و رأينا أن لكل كوكب مداره الخاص،و فلكه الذى يطوف فيه بدقه و نظام قد حدده خالق الأكوان جل جلاله ف لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (۱).

و ما تلك النجوم المرصعه فى كبد السماء و التى تصل إلى المليارات المليارات ما هى إلا شموس كشمسنا و إن اختلفت فى الحجم و الإشعاع،لكن طبيعتها واحده،لأنّ خالقها سبحانه تعالى واحد إنها آيات اللّه فى الآفاق و فى الأكوان،و كلها ناطقه بالوحدانيه، فالجمع فى قوله: خَلَقَهُنَّ جاء ليترجم هذه الحقائق العلميه التى توصل إليها العلماء فى تعدد الشموس و الأقمار،و لكنها أسبقيه سطّرها القرآن الكريم قبل أربعه عشر قرنا.

و ما حدثنا عنه علم الفلك هو شىء يسير جدا،و يكاد لا يذكر أمام الكون العظيم المجهول و مهمه الإنسان أن يسير فى الأرض معتبرا،و ينظر فى السماء دارسا و باحثا عن آيات اللّه فى الآفاق قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (۲).

۱- سوره یس،الآیه: ۴۰.

۲- سوره فصلت،الآیه:۵۳.

صوره توضح بعض أقمار الكوكب العملاق المشترى (١)ml

١- أخذت هذه الصوره من موقع: http//:antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠٠١١١٨.html

المبحث الرابع

اشاره

موت الشمس و نهايتها بين القرآن و العلم

يقول مولانا تبارك و تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (۱).

و يقول سبحانه و تعالى: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (۲).

و يقول جل جلاله: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ (۳).

كثير ممن أعلنوا التمرد على الإيمان و التوحيد،و انغمسوا فى حمأه الإلحاد،ظنوا أن الحياه الدنيا هى خلود أبدى،و أن الذى يمسك بزمام الأحياء إنما هى الطبيعه و الدهر،و راحوا ينسجون تصورات باليه،و خيالات وهميه حول ذلك،و كان من جمله هذه المعتقدات أن الشمس لن تموت،بل إن بعضهم قد جعلها إلها و عبدها!.

و تدور حركه الزمان،و تتهاوى تلك الخرافات بل و حتى تلك النظريات التى تتحدث على استمراريه الشمس فى الحياه إلى اللانهايه،و يقتنع العلماء و يجمعون،كما سنرى على أن الشمس أمضت أكثر من نصف عمرها،و أن نهايتها محتومه،و انطفاؤها آت لا محاله.

و هناك نصوص قرآنيه كثيره تشير إلى أخطر الأحداث التى ستطرأ على الشمس و على الكون بأسره،إنها النهايه التى سيمتد سلطانها على المكونات جميعا،حيث ينفرط عقد الشمس المنتظم و تكور الشمس،و ينطفئ لهيبها،و تخمد و تقع واقعتها...

إنها نهايه رهيبه عبّر عنها القرآن بالفناء كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ (۴)،و لسيد قطب رحمه اللّه وصف و تعليق رائع على الآيه فيقول:(فى ظل هذا النص القرآنى تخفت الأنفاس،و تخشع

۱- سوره التكوير،الآيه:۱.

۲- سوره القيامه،الآيه:۹.

۳- سوره الرحمن،الآيه:۳۷.

۴- سوره الرحمن،الآيه:۲۶.

الأـصوات و تسـكن الجوارح،و ظـل الفنـاء يشـمل كل حى،و يطوى كل حركه،و يغمر آفاق السـموات و الأرض،و جلال الوجه الكريم البـاقى يظلـل النفوس و الجوارح، و الزمـان و المكـان،و لاـ يملك التعبير البشـرى أن يصور الموقف،و لا يملك أن يزيد شيئا على النص القرآنى الـذى يسـكب فى الجوانح السـكون الخاشع،و الجلال الغامر، و الصـمت الرهيب...الصـمت الذى يرسـم مشهد الفناء الخاوى) (۱).

و فى تفسـير القرطبى:(قوله تعـالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ قال ابن عباس:تكويرها، إدخالها فى العرش،و قال الحسن:ذهاب ضوئها،و قـال سـعيد بن جـبير:عوّرت،و أبو عبيـده:كورت مثـل تكوير العمـامه،تلف فتمحى،قلت:و أصـل التكوير:الجمع، مـأخوذ من كـار العمامه على رأسه يكورها أى لاثها و جمعها،فهى تكوّر و يمحى ضوؤها،ثم يرمى بها فى البحر،و اللّه أعلم) (۲).

و يقول الطبرى:(اختلف أهل التأويل فى قوله تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ فقال بعضـهم:معنى ذلك إذا الشمس ذهب ضوؤها،فعن أبىّ بن كعب،قـال:ستّ آيـات قبـل يـوم القيـامه:بينـا النـاس فى أسـواقهم،إذ ذهب ضوء الشـمس،فبينمـا هم كـذلك،إذ تنـاثرت النجوم،فبينما هم كذلك،إذ وقعت الجبال على وجه الأرض،فتحرّكت و اضـطربت و احترقت،و فزعت الجنّ إلى الإنس،و الإنس إلى الجنّ،و اختلطت الـدوابّ و الطير و الـوحش،و مـاجوا بعضـهم فى بعض،و وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، اختلطت و وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ ،قال:أهملها أهلها:و وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ ،قال:

قـالت الجنّ للإنس:نحن نـأتيكم بـالخبر قـال:فانطلقوا إلى البحار،فإذا هى نار تأجّج قال:فبينما هم كـذلك إذ تصـدّعت الأرض صـدعه واحـده،إلى الأرض السابعه السـفلى، و إلى السـماء السابعه العليا قال:فبينما هم كـذلك إذ جاءتهم الريـح فأماتتهم،و عن مجاهد: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ قال:اضمحلت و ذهبت،و عن قتاده،فى قوله تعالى:

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ قال:ذهب ضوؤها فلا ضوء لها) (۳).

و كـذلك قـال ابن كثير:(معنى قوله تعـالى: كُوِّرَتْ جمع بعضـها إلى بعض،ثم لفت فرمى بها و إذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها) (۴).۸.

۱- فى ظلال القرآن،سيد قطب،۳۴۵۴/۶.

۲- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۲۲۷/۱۹.

۳- جامع البيان،للطبرى، ۶۶/۳۰.

۴- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،۳۲۸/۸.

و یعلق الإمام الرازی علی النهایه تعلیقا جمیلا فیقول رحمه اللّه:(ما معنی قوله تعالی:

فَکانَتْ وَرْدَهً کَالدِّهانِ ؟نقول:المشهور أنها فی الحال تکون حمراء،یقال:فرس ورد إذا أثبت للفرس الحمره،و حجره ورده أی حمراء اللون،و قد ذکرنا أن لهیب النار یرتفع فی السماء فتذوب فتکون کالصفر الذائب حمراء،و یحتمل وجها آخر و هو أن یقال:ورده للمره من الورود،کالرکعه و السجده و الجلسه و القعده،من الرکوع و السجود و الجلوس و القعود،و حینئذ الضمیر فی فَکانَتْ وَرْدَهً واحده،أی الحرکه التی بها الانشقاق کانت ورده واحده،و تزلزل الکل و خرب دفعه و الحرکه معلومه بالانشقاق لأن المنشق یتحرک،و یتزلزل،و قوله تعالی: کَالدِّهانِ فیه وجهان أحدهما:جمع دهن،و ثانیهما:أن الدهان هو الأدیم الأحمر،فإن قیل:الأدیم الأحمر مناسب للورده فیکون معناه کانت السماء کالأدیم الأحمر،و لکن ما المناسبه بین الورده و بین الدهان؟نقول:الجواب عنه من وجوه الأول:المراد من الدهان ما هو المراد من قوله تعالی: یَوْمَ تَکُونُ السَّماءُ کَالْمُهْلِ (۱)،و هو عکر الزیت و بینهما مناسبه، فإن الورد یطلق علی الأسد فیقال:أسد ورد،فلیس الورد هو الأحمر القانی،و الثانی:

أن التشبیه بالدهن لیس فی اللون بل فی الذوبان،و الثالث:هو أن الدهن المذاب ینصب انصبابه واحده و یذوب دفعه،و الحدید و الرصاص لا یذوب غایه الذوبان، فتکون حرکه الدهن بعد الذوبان أسرع من حرکه غیره،فکأنه قال:حرکتها تکون ورده واحده کالدهان المصبوبه صبا،لا کالرصاص الذی یذوب منه ألطفه و ینتفع به و یبقی الباقی،و کذلک الحدید و النحاس،و جمع الدهان لعظمه السماء و کثره ما یحصل من ذوبانها لاختلاف أجزائها فإن الکواکب تخالف غیرها) (۲).

إذن،لا حاجه لمزید من الآیات التی تصف نهایه الشمس و الکون،و لا لأقوال العلماء و المفسرین التی ملأت آلاف المجلدات و هی تتحدث علی مشاهد الخراب و الدمار الذی سیلف الکون بأسره،فإن هذه القضیه من مسلّمات الإیمان لدی الإنسان المؤمن،و یتسنّی لنا الآن أن نصغی إلی نتائج أبحاث العلماء حول نهایه الشمس و موتها.۹.

۱- سوره المعارج،الآیه:۸.

۲- التفسیر الکبیر،للرازی،۳۶۸/۲۹.

الحقائق العلميه:

أفاض العلماء فی الحدیث عن نهایه الشمس،و عن الصوره الرهیبه التی ستنتقل إلیها و تتلوّن بها عند أنفاسها الأخیره،و اعتبروا الشمس:(مثل أی إنسان لها مولد و بدایه، ثم شباب،ثم شیخوخه،ثم موت...إن الشمس تتقلّص بتأثیر الجاذبیه،و هکذا تنقلب الطاقه إلی أشعه،و بناء علی ذلک ستصل الطاقه الشمسیه إلی نهایه محتومه، و حسب هذه الحقیقه ستتقلص الشمس،و بالتالی یترکز حقل الجاذبیه فی حجم أصغر، و بالتالی یزداد الترکیز أکثر،و یتسارع التقلص فیزداد إنتاج الطاقه،و یتناقص رصید الشمس منها بالتدریج،حتی تخمد و تتوقف عن التقلص حتی تموت،بعد أن ینفد مصدر طاقتها،و لا تجد إشعاعا ترسله إلی ما حولها...لقد قضت الشمس ۲۵ ملیون سنه حتی بلغت حجمها الحالی،و لا ندری کم ستحتاج من الوقت حتی تبلغ مرحله العدم،صحیح أن الطاقه النوویه تعطی القدره للشمس،و بما أنها معین هائل فإنها تؤخر حدوث الکارثه،و لکن تبقی الحقیقه المؤلمه و هی أن الشمس ستصل إلی نقطه ختام، حتی و لو بعد ملایین السنین) (۱).

(إن ضوء الشمس فی ازدیاد بشکل بطیء،و سیستمر الازدیاد دون توقف فی المستقبل،إلی أن ینتهی(الهیدروجین)الموجود فی مرکزها،و عند ما تأخذ عملیه نشوئها وقعا سریعا،و سیحدث ذلک بعد خمسه ملیارات من السنین،و هذا یفسّر علی أنه بمرور الزمن فإن الشمس تزداد حجما و سرعه إضاءه ثم تنتفخ عند جوانبها،و تأخذ فی البروده إلی أن تصبح عملاقه حمراء،و عندها سیکون فی مقدور طبقتها الجویه الرقیقه الهائله،أن تبتلع کوکب عطارد ثم الزهره،و من الممکن الأرض،و لکن عند نمو احمرارها،فإن بروزها یقارب وصوله إلی الأرض،و عندها سوف لن یکون فی إمکان الشمس التهام أکثر من شعبه صخریه ملتهبه،و بعد ذلک یأتی زمن اختفاء الشمس من المشهد المعلوم،حیث تنکمش و تصیر غیر مستقرّه،و فی النهایه لا یبقی منها إلا أطلالها،حیث تنکمش مادتها حول مرکزها،و تتحوّل بعد کل ذلک إلی قطعه قزمه بیضاء،و تکون نجمه الشمس عندها قد ماتت) (۲).

۱- الزلزال الکونی الأعظم،عبد العلیم عبد الرحمن خضر،جده،الدار السعودیه،الطبعه الأولی،۱۴۱۳ ه ۱۹۹۳/،ص:۳۲.

۲- الأجرام السماویه،غیدو روجیری،ترجمه،عبد اللطیف أبو عرقوب،طرابلس،الدار الجماهیریه،الطبعه الأولی،۱۹۸۴،ص:۲۳۹.

و يعتقد العلماء(أنه مع مرور الزمن ستحرق الشمس وقودها بسرعه أكبر،بسبب الانكماش المستمر للنجوم من فئتها و تعاظم حرارتها الداخليه،و بالتالى تسريع التفاعلات النوويه،لذلك لا يقدّر لها العيش أكثر من خمسه مليارات سنه أخرى، فعند ما تتعاظم الإشعاعات تسخن الشمس لدرجه تبدأ معها مياه البحار بالغليان،و يقدر أن الشمس فى طورها الأخير ستمر بحاله العملاق الأحمر،و لكن عندها قد تكون الحياه قد زالت عن الأرض منذ زمن طويل،عند ما ينفذ الوقود نهائيا تعود الشمس و تنكمش على نفسها بشكل نجم صغير جدا«قزم أبيض»،بعد ذلك تموت نهائيا بانطفاء كامل) (۱).

و أجواء الموت التى ستخيم على(المجموعه الشمسيه حتى فيما بعد كوكبنا الأرضى،و موت الشمس ذاتها،هى بلا شك أحداث بالغه الدراميه بالمقاييس الإنسانيه،أما على الصعيد الكونى فلا ترتدى تلك الأحداث أيه أهميه خاصه،ليس فقط لأن الشمس نجم من آلاف ملايين النجوم فى المجره،و وجوده أو موته لن ينقص أو يزيد فى محتويات تلك الحجره فى المجره،بل لأن موت الشمس ذاتها على الرغم من كل شىء،هو موت هادئ،و هو أشبه بالشمعه المحترقه إلى جانب التفجيرات النوويه،و ذلك بالمقارنه مع موت النجوم الأخرى...و إذا تابعنا حياه نجم من هذا الصنف نجد أنه يحرق وقوده النووى المركزى،و يستنفذه بسرعه خلال عده ملايين من السنين فقط،و يتحول من ثم إلى عملاق أحمر،و بدلا من أن يتبع بعد ذلك مسلكا متدرجا فى تحوله إلى قزم أبيض لا يعانى خلاله من أى اضطراب إلا فيما ندر،نجده يحرر طاقه ثقاليه هائله عبر انهياره الهادف لبدء دورات جديده من الاحتراق النووى، الذى ينتهى بتكوين الفحم فى باطنه...و عند ما يسود الفحم فى نواه النجم تتقلص الطبقات الداخليه للنجم بعد ذلك،بينما تتمدد طبقاته الخارجيه متحوله إلى غلاف جوى رقيق و دافعه بتيارات من الماده عبر الفضاء،يصبح النجم مره أخرى عملاقا أحمر،و لكنه يبقى حتى تلك المرحله قادرا على تجديد نفسه و الدخول فى دورات جديده من تفاعلات الاندماج النووى لتصنيع عناصر متدرجه فى الثقل،عبر أطوار١.

١- المنظومه الشمسيه،سمير عازار،بيروت،دار النهار،١٩٩١،ص:٣۴،و انظر:هل نحن وحدنا فى هذا الكون،محمد عبده يمانى،المنامه،بيت القرآن،الطبعه الأولى،١۴١٧ ه١٩٩۶/، ص:۶١.

متتابعه من النبض و الانهيار،حتى تتحول النواه برمتها إلى الحديـد،و إذ ذاك تتوقف كل نشاطات النجم،و لا يبقى من خيار أمام النواه بعد ذلك إلا التبرد و الانهيار) (۱).

الإعجاز:

رأينا أسـبقيه القرآن الكريم فى تدوين و تقرير موت الشـمس،لكن من المدهش حقا أن يأتى العلماء الفلكيون،و خاصه الغربيون منهم الـذين لاـ يؤمنون بهـذا القرآن العظيم، يقرروا نفس النتيجه لاـ من حيث موت الشـمس فحسب،بـل فى الكيفيه التى ستئول إليها الشمس عند الموت.

لقـد قـال الفلكيـون كمـا سـبق:إن الشـمس فى نهايتهـا سـتتحول إلى عملاـق أحمر،و لم يكتفوا بهـذا بـل زادوا على ذلـك بـأن قالوا:ستعود الشمس و تنكمش على نفسها بشكل نجم صغير جدا،و بعد ذلك تموت نهائيا بانطفاء كامل...

و هذا هو المعنى الدقيق للتكوير، إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ لأن تكوير الشمس يعنى انكماشها على نفسها و انطفاء لهيبها،فلا إله إلا اللّه ما أعظم هـذا القرآن و ما أدق بيانه، حقائق علميه يتوصل إليها العلماء بعـد أبحاث مضـنيه و سـهر ليالى،نجـد القرآن المعجز عبّر عنها بكلمه واحده.

۱- النجم الغريب مولد الشمس و موتها،جون غريبين،ترجمه:فائز فوق العاده،دمشق،دار الشيخ،الطبعه الأولى،۱۹۸۸،ص:۹۰.

الفصل السادس: الإعجاز القرآنی فی الأرض

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:کرویه الأرض.

المبحث الثانی:دوران الأرض.

المبحث الثالث:جاذبیه الأرض.

المبحث الرابع:الغلاف الجوی و منافذه للأرض.

تمهید

الأرض هی الکوکب الثالث من مجموعتنا الشمسیه،و فوق رحبها أوجدنا اللّه سبحانه و تعالی إلی حین معلوم،و منها خلقنا سبحانه و فیها یعیدنا و منها یخرجنا یوم القیامه تاره أخری،إلی دار الحساب و موطن الثواب و العقاب،و لقد بثّ الحق سبحانه فی الأرض دلائل و آیات تنبّه الإنسان إن هو ضلّ عن طریق الحق،و تنکّب مسلک الإیمان،علی وحدانیه اللّه و إفراده فی الخلق و الأمر،و فی هذا المعنی یقول اللّه سبحانه و تعالی: وَ فِی الْأَرْضِ آیاتٌ لِلْمُوقِنِینَ (۱).

و عطاء هذه الآیات مستمر لا ینقطع،و هذا العطاء یرفد العقل البشری فی کل زمان حسب طاقته فی استیعاب الحقائق التی تکشفت للإنسان،فأصبح بمقدوره أن یهضمها و یتفاعل معها،و بالتالی ینتقل إدراکه لهذه الحقائق من عالم الذهن النظری التجریدی، إلی إشراقات الیقین الذی استقر فی قلبه و شاهده فی الواقع.

و هذه الآیات التی ذکرتها الآیه الکریمه آنفا و التی تغذی عقل المؤمن و قلبه بالیقین، سیتحدث إن شاء اللّه عن طرف منها،قد أماط اللثام عنه العلم الحدیث،و أشار إلیه کتاب اللّه المعجز،و سیتمحور هذا البحث للحدیث عن کرویه الأرض،تلک المسأله التی دار حولها نقاش طویل عبر الأزمنه و الأحقاب،حتی توصل العلماء إلی الیقین الجازم بکرویتها،إلا أن القرآن الکریم حسم القضیه منذ نزوله علی قلب الحبیب صلی اللّه علیه و سلم و أشار إلی کرویتها،کما سیتطرق للحدیث عن دوران الکره الأرضیه و کیف أن الحق أشار فی القرآن الکریم أن الأرض تدور،ثم توصلت دراسات العلماء لهذه الحقیقه، و کذلک سیرکّز علی قضیه الجاذبیه الأرضیه،هذا القانون الربانی الذی یلف العالم بأسره من کبیره إلی صغیره،نجد أن الحق تبارک و تعالی أثبته فی صفحات قرآنه المجید ثم جاء العلماء فکشفوا عنه و قرروه،ثم یعرج للحدیث عن الغلاف الجوی للکره الأرضیه و إشارات القرآن لمسأله المنافذ فی الغلاف الجوی،هذه المسأله التی أصبح لها أهمیه کبیره فی وقتنا الحاضر.

۱- سوره الذاریات،الآیه:۲۰.

المبحث الأول

اشاره

كرويه الأرض

يقول اللّه تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفّارُ (۱).

و يقول جل جلاله: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲).

و يقول سبحانه: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (۳).

إن من نافله القول أن يشار هاهنا،إلى أن القرآن الكريم بلغ من الإعجاز فى شتى وجوهه درجه لا يمكن أن يصل إليها طوق أحد من الخلق أبدا،و تتجلى هذه الحقيقه فى شتّى أصعده الحياه و كذلك هنا،فلو أن القرآن الكريم إبان نزوله صرح تصريحا قاطعا بكرويه الأرض فقال:(و الأرض كوّرناها)لأحدث ذلك نزاعا و شقاقا شديدين فى المجتمع المسلم الوليد آنذاك،لأن مدارك الناس و قدراتهم العقليه لا يمكن أن تستوعب مسأله كهذه،لأنهم ينظرون فيرون الأرض أمامهم ممدوده مبسوطه ساكنه لا تتحرك، فكيف لهم أن يذعنوا لهذا الخبر و يعتقدوا بكرويه الأرض،بل لربما أدى ذلك لارتداد بعضهم عن الهدى و الإيمان،فلذلك كان من الحكمه الربانيه،و الإعجاز البيانى المتألق أن يشير الحق إلى كرويه الأرض إشاره،و يضمّن النصوص القرآنيه قضيه تكوير الأرض من ناحيه المعنى و ليس صراحه و قطعا،فإذا ما تقدم العلم و اتضحت غوامض الكون،و تبين للناس كرويه الأرض من خلال الأقمار الصناعيه و غيرها،عندها نجد فى

۱- سوره الزمر،الآيه:۵.

۲- سوره الرعد،الآيه:۳.

۳- سوره النازعات،الآيه:۳۰.

معانی النصوص القرآنیه ما یدل علی هذه الحقیقه العلمیه،فنحن تحققنا من کرویه الأرض بسبب التقنیه العلمیه المستجده،و هم فهموا المعنی العام للآیات القرآنیه، و بوقوفنا علی فهم المفسرین للنصوص الکریمه،یظهر لنا أنهم أدرکوا کرویه الأرض من حیث المعنی.

ففی«أنوار التنزیل»:(خلق السموات و الأرض بالحق یکور اللیل علی النهار و یکور النهار علی اللیل،یغشی کل واحد منهما الآخر،کأنه یلفه علیه لف اللباس باللابس، أو یغیبه به کما یغیب الملفوف باللفافه،أو یجعله کارا علیه کرورا متتابعا تتابع أکوار العمامه) (۱).

و عند القرطبی:(یکور اللیل علی النهار و یکور النهار علی اللیل،أی یلقی هذا علی هذا،و هذا علی هذا،و هذا علی معنی التکویر فی اللغه،و هو طرح الشیء بعضه علی بعض،یقال:کور المتاع أی بعضه علی بعض،و منه کور العمامه،و قد روی عن ابن عباس هذا فی معنی الآیه قال:ما نقص من اللیل دخل فی النهار و ما نقص من النهار دخل فی اللیل،و هو معنی قوله تعالی: یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ (۲)و قیل:تکویر اللیل علی النهار،تغشیته إیاه حتی یذهب ضوؤه و یغشی النهار علی اللیل فیذهب ظلمته) (۳).

و فی تفسیر«الجواهر الحسان»:(أی یعید من هذا علی هذا،و منه کور العمامه التی یلتوی بعضها علی بعض،فکان الذی یطول من النهار أو اللیل یصیر منه علی الآخر جزء فیستره،و کأن الآخر الذی یقصر یلج فی الذی یطول فیستتر فیه) (۴).

و فی«أضواء البیان»:(و التّکویر هو التدویر و منه قیل:کار العمامه و کورها،و لهذا یقال للأفلاک کرویه الشکل،لأن أصل الکره،کوره تحرکت الواو و انفتح ما قبلها فقلبت ألفا،و قال: اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ (۵)و هذا إنما یکون فیما یستدیر من أشکال الأجسام دون۳.

۱- أنوار التنزیل،للبیضاوی،۵۸/۵،و انظر:معانی القرآن،للنحاس،۱۵۱/۶.

۲- سوره فاطر،الآیه:۱۳.

۳- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۲۳۴/۱۵.

۴- الجواهر الحسان،عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبی،بیروت،مؤسسه الأعلمی، د.ت،۴۸/۴.

۵- سوره الملک،الآیه:۳.

المضلعات من المثلث أو المربع أو غيرهما،فإنه يتفاوت لأن زواياه مخالفه لقوائمه، و الجسم المستدير متشابه الجوانب و النواحى،ليس بعضه مخالفا لبعض...و لا خلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكره،و أنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدوره الكره على قطبين ثابتين غير متحركين،أحدهما فى الشمال،و الآخر فى ناحيه الجنوب،و يدل على ذلك أن الكواكب جميعها تدور من المشرق تقع قليلا على ترتيب واحد فى حركتها و مقادير أجزائها،إلى أن تتوسط السماء،ثم تنحدر على ذلك الترتيب،فكأنها ثابته فى كره تديرها جميعها دورا واحدا،و هذا محل القصد بالذات، و كذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر و البحر مثل الكره،و فكره الأرض مثبته فى وسط كره السماء،كالنقطه فى الدائره،يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى فى جميع نواحى السماء،على قدر واحد،فيدل ذلك على بعد ما بين السماء و الأرض من جميع الجهات بقدر واحد،فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء) (۱).

و أما قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً ،فيقول ابن كثير:

(أى جعلها متسعه ممتده فى الطول و العرض) (۲).

و نفس المعنى فى تفسير«الوجيز»:(و هو الذى مد الأرض،بسطها و وسعها،و جعل فيها رواسى أوتدها بالجبال...) (۳).

و صاحب تفسير«روح المعانى»يدلل على كرويه الأرض،و يزيل الإشكال الذى قد يخطر بالبال حول كونها كرويه و كونها ممدوده فيقول:(و أنت تعلم أن أرباب التعليم يكتفون بالكريه الحسيه فى السطح الظاهر،فلا يتجه عليهم السؤال عن المغمور،و لا يليق بهم الجواب بالرجوع إلى البساطه و الحق الذى لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل أن ما ظهر منها كرى حسا،و لذلك كريه الفلك تختلف أوقات الصلاه فى البلاد،فقد۲.

۱- أضواء البيان،للشنقيطى،۵۵۱/۹.

۲- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،۵۰۱/۲،و انظر:مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد ابن عمر نووى الجاوى،تحقيق،محمد أمين الضناوى،بيروت،دار الكتب العلميه، الطبعه الأولى،۱۴۱۷ ه/۱۹۹۷، ۵۷۸/۱.

۳- الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز،للواحدى،۵۶۵/۱،و انظر:مدارك التنزيل و حقائق التأويل،عبد اللّه بن أحمد بن محمود النسفى،بيروت،دار النفائس،د.ت،۲۰۹/۲.

یکون الزوال ببلد و لا یکون ببلد آخر،و هکذا الطلوع و الغروب و غیر ذلک،و کریه ما عدا ما ذکر لا یعلمها إلا اللّه تعالی،نعم إنها لعظم جرمها الظاهر یشاهد کل قطعه و قطر منها کأنه مسطح،و هکذا کل دائره عظیمه،و بذلک یعلم أنه لا تنافی بین المد و کونها کرویه) (۱).

و فی تفسیر«إرشاد العقل السلیم»:(أی فی تعاقبهما فی وجه الأرض،و کون کل منهما خلفه للآخر بحسب طلوع الشمس و غروبها التابعین لحرکات السموات و سکون الأرض،أو فی تفاوتهما بازدیاد کل منهما بانتقاص الآخر و انتقاصه بازدیاده،باختلاف حال الشمس بالنسبه إلینا قربا و بعدا بحسب الأزمنه أو فی اختلافهما و تفاوتهما بحسب الأمکنه،أما فی الطول و القصر فإن البلاد القریبه من القطب الشمالیّ أیامها الصیفیه أطول و لیالیها الصیفیه أقصر من أیام البلاد البعیده منه و لیالیها،و أما فی أنفسها فإن کرویه الأرض تقتضی أن یکون بعض الأماکن لیلا و فی مقابله نهارا،و فی بعضها صباحا و فی بعضها ظهرا أو عصرا أو غیر ذلک) (۲).

و نجد الأمر ذاته فی تفسیر«التحریر و التنویر»مع زیاده تأکید یقول:(و اللیل اسم لعرض الظلمه و السواد الذی یعمّ مقدار نصف من کره الأرض الذی یکون غیر مقابل للشمس،فإذا حجب قرص الشمس عن مقدار نصف الکره الأرضیه بسبب التقابل الکروی،تقلّص شعاع الشمس عن ذلک المقدار من الکره الأرضیه،فأخذ النور فی الضعف و عادت إلیه الظلمه الأصلیه التی ما أزالها إلّا شعاع الشمس،و یکون تقلص النور مدرجا من وقت مغیب قرص الشمس عن مقابله الأفق ابتداء من وقت الغروب، ثم وقت الشفق الأحمر ثم الشفق الأبیض إلی أن یحلک السواد فی وقت العشاء حین بعد قرص الشمس عن الأفق الذی ابتدأ منه المغیب،و کلّما اقترب قرص الشمس من الأفق الآخر أکسبه ضیاء من شعاعها ابتداء من وقت الفجر إلی الإسفار إلی الشروق إلی الضحی،حیث یتم نور أشعه الشمس المتجهه إلی نصف الکره تدریجا،و ذلک الضیاء هو المسمی بالنهار و هو النور التام المنتظم علی سطح الکره الأرضیه،و إن کان قد یستنیر سطح الکره بالقمر فی معظم لیالیه استناره غیر تامه و بضوء بعض النجوم استناره۲.

۱- روح المعانی،للآلوسی،۹۰/۱۳.

۲- إرشاد العقل السلیم،لأبی السعود،۱۲۷/۲.

ضعیفه لا تکاد تعتبر،فهذا هو المراد باختلاف اللیل و النهار أی تعاقبهما و خلف أحدهما الآخر) (۱).

و أما قوله تعالی: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها فقد بسطنا الحدیث عن هذه الآیه فی مراحل خلق الکون سابقا،و لکن نأخذ تفسیرا واحدا لها: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها (أی بسطها،و العرب تقول:دحوت الشیء أدحوه دحوا،إذا بسطته،و یقال لعش النعامه أدحیّ،لأنه مبسوط علی وجه الأرض) (۲).

و یمکن لنا أن نأخذ بعض المفردات الوارده فی هذه الآیات القرآنیه،لنری أبعادها اللغویه و التی تساعدنا علی الإلمام بالمعنی المراد،و نأخذ معنی:کور،و مدّ،و دحی.

ففی«مختار الصحاح»:(کار العمامه علی رأسه أی لاثها،و کل دور کور،و الکور بالضم الرحل بأداته و الجمع أکوار و کیران...و تکویر المتاع،جمعه و شده،و تکویر العمامه،کورها و تکویر اللیل علی النهار تغشیته إیاه،و قیل:زیادته فی هذا من ذاک) (۳).

و فی«لسان العرب»:(الکور،لوث العمامه،یعنی إدارتها علی الرأس،و قد کورتها تکویرا،و کل داره من العمامه کور و کل دور کور،و تکویر العمامه،کورها و کار العمامه علی الرأس یکورها کورا،لاثها علیه و أدارها) (۴).

و فی«المغرب فی ترتیب المعرب»:(و کار العمامه و کورها،أدارها علی رأسه، و هذه العمامه عشره أکوار و عشرون کورا) (۵).

و أما المد،فمعناه البسط:(مد الأرض یمدها مدا،بسطها و سواها،و فی التنزیل العزیز: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۶).۳.

۱- التحریر و التنویر،محمد الطاهر ابن عاشور،بیروت،مؤسسه التاریخ،الطبعه الأولی، ۱۲۴۰ ه ۲۰۰۰/۲،/۷۸/۲.

۲- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۲۰۳/۱۹.

۳- مختار الصحاح،أبو بکر الرازی،۲۴۲/۱.

۴- لسان العرب،لابن منظور،۱۵۶/۵.

۵- المغرب فی ترتیب المعرب،ناصر الدین بن علی المطرز،تحقیق،محمد فاخوری و عبد المجید مختار،حلب،مکتبه أسامه بن زید،الطبعه الأولی،۲۳۵/۲،۱۹۷۹.

۶- لسان العرب،لابن منظور،۳۹۷/۳.

و أما الدحو،فیعنی کذلک البسط:(دحا الأرض یدحوها،بسطها...و الأدحوّه:

مبیض النعام فی الرمل،و مدحی النعام،موضع بیضها) (۱).

و أما الطحو:(فالطحو کالدحو،و هو بسط الشیء و الذهاب به،قال تعالی:

وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها (۲)) (۳).

و فی«لسان العرب»:(طحاه طحوا و طحوا،بسطه،و طحی الشیء یطحیه طحیا، بسطه أیضا و الطحو کالدحو و هو البسط،و الطاحی المنبسط) (۴).

و فی«معجم البلدان»:(طحا بالفتح و الکسر،الطحو و الدحو بمعنی و هو البسط و فیه لغتان طحا یطحو و یطحی،و منه قوله تعالی: وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها (۵).

هذا عرض موجز للنصوص القرآنیه،و لآراء المفسرین،و ما ورد فی المعاجم حول الکلمات القرآنیه التی تشیر إلی کرویه الأرض،و لنا أن نتساءل الآن لما ذا استخدم الحق سبحانه و تعالی کلمه یکوّر،و لم یقل یبسط اللیل و النهار ما دامت الأرض منبسطه ظاهریا،أو یغیر اللیل و النهار،أو أی لفظ آخر؟و الجواب هو(إنک لو جئت بشیء و لففته حول کره فتقول:أنک کورت هذا الشیء و حیث إن الغلاف الجوی للأرض یحیط بالأرض،و حیث إن ضوء النهار ینشأ بالتشتت علی ذرات و جسیمات هذا الغلاف،فإن النهار و اللیل متکوران علی الأرض،و بهذا فإن الآیه الکریمه تشیر إلی کرویه الأرض بدلیل کرویه غلافها الجوی بنهاره و لیله،و کذلک تشیر إلی عملیه التبادل بین النهار و اللیل نتیجه دوران الأرض حول نفسها،و أن النهار و اللیل موجدان فی نفس الوقت حول الکره الأرضیه،فنصف الأرض المواجه للشمس یکون نهارا و النصف الآخر یکون لیلا،و لن یسبق أحدهما الآخر،فعند ما تدور الأرض حول نفسها یصبح النهار لیلا و یصبح اللیل نهارا) (۶)،و هکذا یتعاقبان کما فی قوله تعالی: لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ (۷). ۰.

۱- المصدر نفسه،۲۵۱/۱۴.

۲- سوره الشمس،الآیه:۶.

۳- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،ص ۵۱۷.

۴- لسان العرب،لابن منظور،۴/۱۵.

۵- معجم البلدان،یاقوت الحموی،۲۲/۴.

۶- الکون و الإعجاز العلمی فی القرآن،منصور حسب النبی،ص ۱۵۰.

۷- سوره یس،الآیه:۴۰.

و یمکن لنا أن نستخلص من معطیات الآیات القرآنیه ما یلی:

۱-الآیات القرآنیه تضمنت معنی کرویه الأرض،و لکن عن طریق الإشاره و المعنی دون التصریح.

۲-الکلمات التی یدور بحثنا حولها و هی«کوّر،و دحی،و طحی،و مدّ»تدل علی کرویه الأرض من خلال المد و الانبساط،لأن الإنسان أینما کان یری الأرض أمامه مبسوطه و ممدوده،فی أی قاره من القارات،و فی أی دوله من الدول نری الأرض ممدوده،و لا یمکن أن یحدث هذا إلا إذا کان شکل الأرض کرویا،إذ لو کانت الأرض علی شکل مضلع أو مثلث أو مسدس أو غیرها من الأشکال لوصل الإنسان یقینا إلی حدود و حافه للأرض،و بما أننا لا نصل إلی حافه للأرض،فالوضع الأکید للأرض الذی نراه مبسوطا أمامنا هو الشکل الکروی،و فی هذا دلیل قاطع علی کرویه الأرض من خلال الکلمات القرآنیه.

إذن من هنا یفسّر الإشکال عند البعض حول هذه الحقیقه العلمیه القرآنیه الرائعه، التی سبقت العلم فی إثبات کرویه الأرض،هذا الإشکال الذی لربما یطوف فی ساحه الإدراک الذهنی لدی واحد منا فیتساءل قائلا:إذا کان القرآن الکریم قد أثبت کرویه الأرض بصریح قوله تعالی:(و یکوّر)ثم جاء العلم فکشف عن هذه الحقیقه و أثبتها، إذن،ما معنی قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ (۱)و قوله سبحانه: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها (۲)؟أ لا یدل قوله تعالی: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها علی انبساط الأرض و هو فی نفس الوقت یدل علی کرویه الأرض؟.

و عند ما یقرأ الإنسان المؤمن الآیه الکریمه: وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالاً وَ عَلی کُلِّ ضامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ (۳)،یدهش عند کلمه عمیق!.

(إن کلمه عمیق هذه تشهد بعظمه القرآن الکریم و هی من الإعجاز العلمی فیه فلو کانت الأرض مستویه مسطحه لقال القرآن:«یأتین من کل فج بعید»تفید المسافه بین شیئین علی مستوی واحد...و لکن الأرض کرویه فالقادمون إلی مکه المکرمه یأتون۷.

۱- سوره الرعد،الآیه:۳.

۲- سوره الحجر،الآیه:۱۹.

۳- سوره الحج،الآیه:۲۷.

من بقاع عميقه بالنسبه لها،و ذلك بحسب انحناء الأرض الكروى لذا جاءت مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (۱).

الحقائق العلميه:

سبق و أن أشرنا أن كرويه الأرض أصبحت من الحقائق العلميه القطعيه،و التى لا يمكن أن يستريب بها أحد من الناس أبدا،ذلك لأنها قد صورت عبر الأقمار الصناعيه و شاهدها الناس و رأوها رأى عين،و لكن لا حرج إن أوردنا بعضا من أبحاث العلماء التى تحتوى على طائفه من الأدله العلميه التى تثبت كرويه الأرض.

ففى«موسوعه الكون و الفضاء و الأرض»:(اعتقد الأقدمون بأن الأرض مسطحه، رغم أن كثيرا من الشعوب القديمه عرفت كرويتها،و حاولت إثباتها بأدله علميه مثل شعوب بلاد ما بين النهرين،ثم اليونان و بعدهم العرب،لكن كرويه الأرض لم تثبت بالشكل العلمى القاطع إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادى...فقد أصبحت كرويتها أكيده و لا مجال للشك فيها،إذ يكفى أن رواد الفضاء رأوها بأم أعينهم و زودونا بالصور و المعلومات الثابته عن هذه الناحيه،إذا شكل الأرض كروى مفلطح عند القطبين مع انتفاخ عند خط الاستواء،و ذلك نتيجه لقياس قطرى و محيطى الأرض) (۲).

(و فى يوم ۲۲ ديسمبر ۱۹۶۸،أظهرت شاشات الإذاعات المرئيه صورا تركت أثارا عميقه فى نفوس المشاهدين،حيث كانت سفينه الفضاء(أبولو ۸)فى طريقها نحو القمر،و آلات تصويرها موجهه نحو الأرض،لقد ظهر كوكبنا الأرضى على جميع شاشات الأجهزه العامله،كما يبدو من بعيد تبعا لكبر حجمه،و كما شاهده الناس بمظهره الجديد،دائره مضيئه مرتسمه فى نهايه الظلمه كان يبدو كالنجم،و قد وصلت فيما بعد الصور التى التقطت بواسطه الأجهزه و الآلات،و التى عملت على إبراز الحقيقه المظهريه ذات الوضوح العظيم،و بذلك أمكن تحويل الدائره الأرضيه، و ظروف هيكلها السماوى إلى حقيقه نابضه،بعد ما عاشت تغلفها التأكيدات العائده لآلاف السنين) (۳).

۱- الإنسان بين العلم و الدين،شوقى أبو خليل،بيروت/دمشق،دار الفكر،الطبعه الرابعه، ۱۴۲۰ ه‍/۱۹۹۹م،ص ۱۱۴.

۲- موسوعه الكون و الفضاء و الأرض،موريس شربل و رشيد فرحات،ص ۱۰۶.

۳- الأجرام السماويه،غيدو روجيرى،ترجمه عبد اللطيف أبو عرقوب،ص ۷-۸.

(ثم أخذت الأدله و البراهين،التى تثبت كرويه الأرض تتعدد و منها:

أولا:إننا عند ما نكون فى مرفإ،فإننا أول ما نشاهده من السفن القادمه من عباب البحر نحو ذلك المرفأ أعلاها،و مع تزايد اقترابها منا نرى القسم الأوسط منها،ثم نراها بكاملها،و عند إقلاع البواخر من ذلك المرفأ فإن أول ما يغيب عن عيوننا بعد ابتعادها الأقسام السفلى منها،ثم وسطها و عند ابتعادها كثيرا يختفى أعلاها.

ثانيا:رؤيه ظل الأرض على شكل دائره،على صفحه البدر صيف الكسوف (۱).

ثالثا:اختفاء بعض كوكبات السماء كلما اتجهنا جنوبا أو شمالا على سطح الأرض،و ظهور كوكبات جديده لم نكن نراها بسبب تحدب سطح الأرض.

رابعا:استداره الأفق من حولنا عند ما نكون فى عرض البحر،أو فى صحراء أو فى باديه مترامیه الأطراف.

خامسا:اختلاف التوقيت الزمنى بين بلدان العالم الذى يكشفه لنا المذياع أو الاتصال الهاتفى و كيف أنه عند ما يكون الوقت لدينا نهارا،يكون فى نفس اللحظه فى دوله أخرى ليلا،و لو كانت الأرض منبسطه لغمرت كلها بالنور دفعه واحده عند شروق الشمس فعمّها النور،و لغمرت كلها بالظلمه دفعه واحده بعد غياب الشمس فعمّها الليل.

سادسا:و أنه إذا قدر لنا أن نرتفع فى الجو حتى علو ۳۰ ألف كلم،لاستطعنا أن نرى الأرض عندها دفعه واحده،بشكلها الكروى،علما بأن بلوغ هذا الارتفاع لا تحققه لنا إلا المركبات الفضائيه التى يمتطيها رواد الفضاء اليوم) (۲).

الإعجاز:

و لا أرى حاجه فى إيراد المزيد من الأدله العلميه على كرويه الأرضيه،لأن العلماء و الذين قد اخترقوا أجواء السماء بسفنهم الفضائيه،قد صوروا الأرض و اتضحت كرويتها لكل ذى لب.

تلك هى الحقيقه التى أثبتها العلم،و كشفتها سفن الفضاء و قررها كتاب اللّه قبل أكثر من أربعه عشر قرنا،فهل بعد هذه الحقائق العلميه الساطعه يقال بأن القرآن من تأليف

۱- تعنى كسوف الشمس الذى يقع فى فصل الصيف.

۲- انظر:الأرض،إبراهيم حلمى غورى،بيروت،دار الشرق العربى،د.ت،ص ۵۰-۵۱.

محمد صلی اللّه علیه و سلم؟!هل کان صلی اللّه علیه و سلم یمتلک أقمارا صناعیه أو أجهزه تصویر ضخمه لیری کرویه الأرض،ثم یعرضها علی الناس أو یثبتها فی القرآن الکریم؟،إنه کلام السماء و وحی السماء الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه.

صوره تظهر کرویه الأرض کما صوّرتها رحله أبولو ۱۷،فی عام ۱۹۷۲، و تظهر فیها شبه الجزیره العربیه و قاره افریقیا.

ص: ۲۵۵

المبحث الثانی

اشاره

حرکه الأرض و دورانها

قال تعالی: أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَیْهِ دَلِیلاً ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَیْنا قَبْضاً یَسِیراً (۱).و قال سبحانه: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ (۲).

و قال جل جلاله: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ(۱۵) اَلْجَوارِ الْکُنَّسِ (۱۶) (۳).

و قال سبحانه و تعالی: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَ (۴).

و قال تعالی: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَی النَّهارِ وَ یُکَوِّرُ النَّهارَ عَلَی اللَّیْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی (۵).

تشیر هذه الآیات القرآنیه إلی أن الکون و ما رصّع فی سماءه من نجوم،و ما بثّ فی آفاقه الواسعه و القاصیه من مجرات و شموس و کواکب...کلها تتحرک و تسبح فی ملکوت اللّه،لا کما ظن القدامی أن الأرض جامده لا حراک یعتریها فقوله تعالی:

یُسَبِّحُونَ صریح الدلاله علی حرکه و دوران النجوم و الکواکب فی أفلاکها و سبلها المنظمه الدقیقه،لأن السبح هو المرّ السریع فی الماء أو الهواء،ثم إنه استعیر لمر النجوم فی الفلک نحو: کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ و التنوین فی کُلٍّ کما هو معلوم عند علماء اللغه هو تنوین عوض عن کلمه،و التقدیر:کل جسم أو جرم فی فلک السماء

۱- سوره الفرقان،الآیتان ۴۵،۴۶.

۲- سوره الأنبیاء،الآیه:۳۳.

۳- سوره التکویر،الآیتان ۱۵،۱۶.

۴- سوره النمل،الآیه:۸۸.

۵- سوره الزمر،الآیه:۵.

يسبح و يتحرک حرکه دائبه مستمره،و نظره فی تفاسیر العلماء حول هذه الآیات لنری الاستنباطات أو الفهم الذی استلهموه منها.

یقول الإمام الرازی:(إذا کان کُلٌّ بمعنی کل واحد منهم،و المذکور الشمس و القمر فکیف قال: یُسَبِّحُونَ ؟نقول الجواب عنه من وجوه أحدها:ما بینا أن قوله:

کُلٌّ للعموم،فکأنه أخبر عن کل کوکب فی السماء سیار،ثانیها:أن لفظ: کُلٌّ یجوز أن یوحد نظرا إلی کونه لفظا موحدا غیر مثنی و لا مجموع،و یجوز أن یجمع لکون معناه جمعا،و أما التثنیه فلا یدل علیها اللفظ و لا المعنی،ثالثها:لمّا قال: وَ لاَ اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ و المراد ما فی اللیل من الکواکب قال: یُسَبِّحُونَ ،و المسأله الثالثه:

الفلک ما ذا؟نقول:الجسم المستدیر أو السطح المستدیر أو الدائره،لأن أهل اللغه اتفقوا علی أن فلکه المغزل سمیت فلکه لاستدارتها...و لکل کوکب فلک لاختلاف سیرها بالسرعه و البطء و الممر،فإن بعضها یمر فی دائره و بعضها فی دائره أخری،حتی فی بعض الأوقات یمر بعضها ببعض و لا یکسفه و فی بعض الأوقات یکسفه،فلکل کوکب فلک،ثم إن أهل الهیئه قالوا:کل فلک هو جسم کره،و ذلک غیر لازم،بل اللازم أن نقول:لکل فلک هو کره أو صفحه أو دائره یفعلها الکوکب بحرکته،و هذا هو المفهوم من قوله تعالی: کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ و الظاهر أن حرکه الکواکب علی هذا الوجه،و أرباب الهیئه أنکروا ذلک و قالوا:لا تجوز الحرکه علی هذا الوجه،لأن الکوکب له جرم فإذا شق السماء و تحرک فإما أن یکون موضع دورانه ینشق و یلتئم، کالماء تحرکه السمکه أو لا ینشق و لا یلتئم،بل هناک خلاء یدور الکوکب فیه،لکن الخلاء محال و السماء لا تقبل الشق و الالتئام) (۱).

و فی«روح المعانی»:(جعل اللّه تعالی السموات ساکنه،و خلق فیها سبحانه نجوما، و جعل لها فی عالم سیرها و سباحتها فی هذه السموات حرکات مقدره لا تزید و لا تنقص،و جعلها عاقله سامعه مطیعه،و أوحی فی کل سماء أمرها،ثم أنه عز و جلّ لما جعل السباحه للنجوم فی هذه السموات حدثت لسیرها طرق لکل کوکب طریق،و هو قوله تعالی: وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُکِ (۲)فسمیت تلک الطرق أفلاکا،فالأفلاک تحدث بحدوث سیر الکواکب،و هی سریعه السیر فی جرم السماء الذی هو مساحتها،فتخرق الهواء۷.

۱- التفسیر الکبیر،فخر الدین الرازی،۲۸۵/۲۶.

۲- سوره الذاریات،الآیه:۷.

المماس لها فيحدث لسيرها أصوات و نغمات مطربه لكون سيرها على وزن معلوم، فتلك نغمات الأفلاك الحادثه من قطع الكواكب المسافات السماويّه،فهى تجرى فى هذه الطرق بعاده مستمره،قد علم بالرصد مقادير و دخول بعضها على بعض فى السير، و جعل سيرها للناظرين بين بطء و سرعه،و جعل سبحانه لها تقدما و تأخرا فى أماكن معلومه من السماء،تعينها أجرام الكواكب لإضاءتها) (۱).

و فى تفسير«التحرير و التنوير»:(و قد جمعت الآيه استدلالا و امتنانا،فهى دليل على عظم قدره الخالق،و هى أيضا تذكير بنعمه،فإن فى اختلاف الليل و النهار آيات جمّه لما يدل عليه حصول الظلمه من دقه نظام دوران الأرض حول الشمس،و من دقه نظام خلق الشمس،و لما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض و من فوائد نور الشمس...) (۲).

و يقول سيد قطب رحمه اللّه:(و الخنس الجوار الكنس،هى الكواكب التى تخنس أى ترجع فى دورتها الفلكيه و تجرى و تختفى،و التعبير يخلع عليها حياه رشيقه كحياه الظباء،و هى تجرى و تختبئ فى كناسها و ترجع من ناحيه أخرى،فهناك حياه تنبض من خلال التعبير الرشيق الأنيق عن هذه الكواكب،و هناك إيماء شعورى بالجمال فى حركتها،فى اختفائها و فى ظهورها،فى تواريها و فى سفورها،فى جريانها و فى عودتها) (۳).

و أما قوله تعالى: وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ (حال من ضمير الجبال فى تحسبها،أو فى جامده أى تراها رأى العين ساكنه،و الحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التى تسيرها الرّياح سيرا حثيثا،و ذلك أنّ الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها) (۴).

(أى و ترى الجبال رأى العين ساكنه،و الحال أنها تمر فى الجو مرّ السحاب التى۴.

۱- روح المعانى،للآلوسى،۳۱/۲۳،و انظر:بحر العلوم،للسمرقندى،۱۲۰/۳.

۲- التحرير و التنوير،لابن عاشور،۶۷/۱۹.

۳- فى ظلال القرآن،سيد قطب،۳۸۴۱/۶.

۴- إرشاد العقل السليم،لأبى السعود،۲۹۳/۶،و انظر:أنوار التنزيل،للبيضاوى،۲۷۹/۴.

تسیرها الریاح سیرا حثیثا،و ذلک أن الأجرام المجتمعه المتکاثره العدد علی وجه الالتصاق،إذا تحرکت نحو سمت لا تکاد تبین حرکتها) (۱).

و یعلّق الإمام الرازی علی آیه الظل فی سوره الفرقان فیقول:(و هو أنه سبحانه و تعالی لما خلق الأرض و السماء و خلق الکواکب و الشمس و القمر وقع الظل علی الأرض،ثم إنه سبحانه خلق الشمس دلیلا علیه،و ذلک لأن بحسب حرکات الأضواء تتحرّک الأظلال فإنهما متعاقبان متلازمان لا واسطه بینهما،فبمقدار ما یزداد أحدهما ینقص الآخر،و کما أن المهتدی یهتدی بالهادی و الدلیل و یلازمه،فکذا الأظلال کأنها مهتدیه و ملازمه للأضواء فلهذا جعل الشمس دلیلا علیها،و أما قوله تعالی: ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَیْنا قَبْضاً یَسِیراً فأما أن یکون المراد منه انتهاء الأظلال یسیرا یسیرا إلی غایه نقصاناتها،فسمی إزاله الأظلال قبضا لها،أو یکون المراد من قبضها یسیرا قبضها عند قیام الساعه و ذلک بقبض أسبابها و هی الأجرام التی تلقی الأظلال،فهذا هو التأویل المخلص) (۲).

و فی«بدائع التفسیر»:(أخبر تعالی أنه بسط الظل و مدّه،و أنه جعله متحرکا تبعا لحرکه الشمس و لو شاء لجعله ساکنا لا یتحرک،إما بسکون المظهر له و الدلیل علیه، و إما بسبب آخر،ثم أخبر أنه قبضه بعد بسطه قبضا یسیرا...و فی الآیه وجه آخر و هو أنه سبحانه و تعالی مدّ الظل حین بنی السماء کالقبه المضروبه،و دحی الأرض تحتها، فألقت القبه ظلها علیها،فلو شاء سبحانه لجعله ساکنا مستقرا فی تلک الحال،ثم خلق الشمس و نصبها دلیلا علی ذلک الظل) (۳).

هذه الآیات توضح أن جمیع الکواکب سیاره متحرکه،و من ضمن هذه الکواکب کوکبنا الأرض،و هو بالتالی متحرک سابح فی الفضاء مع إخوانه الکواکب فی۳.

۱- روح المعانی،للآلوسی،۴۳/۲۰،و انظر:تفسیر القرآن،لأبی مظفر السمعانی،تحقیق، یاسر ابن إبراهیم و غنیم بن عباس غنیم،الریاض،دار الوطن،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه/ ۱۱۷/۴،۱۹۹۷.

۲- التفسیر الکبیر،للفخر الرازی،۴۷۴/۲۴،و انظر:تفسیر القرآن الکریم،محمد علی الدره، دمشق،دار الحکمه،۳۶/۱۰،۱۹۸۲.

۳- بدائع التفسیر،ابن قیم الجوزیه،تحقیق،یسری السید أحمد،الریاض،دار ابن الجوزی،الطبعه الأولی،۱۴۱۴ ه/۱۹۹۳،۲۹۶/۳.

المجموعه الشمسیه التی هی جزء من مجرتنا درب التبانه،و هذا الذی وقف علیه المفسرون من دوران الأرض و حرکتها،إنما هو نابع عن فهم معانی النصوص القرآنیه و دلالاتها اللغویه،و لنا أن نستخلص من معطیات الآیات ما یلی:

أولا:تشیر الآیات القرآنیه إلی حرکه الأرض و دورانها،لأن تعاقب اللیل و النهار من أبرز الأدله علی دوران الأرض حول نفسها.

ثانیا:وصف الحق الجبال بأنها تمر مر السحاب،و هذا لا یکون إلا إذا کان شأن الأرض کذلک لأن الجبال تبع للأرض،فهذا دلیل علی سرعه الأرض الهائله فی دورانها.

و هذه الآیه الکریمه: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ (۱)تکاد تکون صریحه فی دلالتها علی حرکه الأرض حول الشمس،و لیس من المستغرب أن یغیب هذا المعنی العلمی علی أصحاب العلم و الفضل من المفسرین القدامی،لأنهم ما عاشوا عصر الثوره العلمیه و التقنیه العجیبه التی نعیشها الیوم، فراحوا یخضعون دلالات هذه الآیه العلمیه و عطاءاتها الإعجازیه لعوالم القیامه و مشاهد النکبه و الهلع التی ستخیم علی الکون،فجعلوا هذه الآیه من نصیب یوم القیامه و أهوالها و أحداثها الجسام،التی ستنسف خلالها الجبال و تتواری عن عالم المشاهده بل و الحیاه.

و المتأمل فی هذه الآیه الکریمه یری أن خطاب اللّه لرسوله و لکل تال لکتاب اللّه، یستثیر بواعث التفکیر و التأمل فی کینونتنا،و یخلق فی ساحه العقل و مواطن الإدراک البشری،دوافع التمحیص لکشف أسرار هذه الآیه،أ لا تری فی نهایه الآیه کیف أنه یسترعی انتباهنا و یحفّز ملکاتنا العقلیه إلی التدقیق و التأمل فی صنعه المتقن المحکم فی خلقه،و کأنّ اللّه سبحانه و تعالی یقول لنا:انظروا إلی الجبال من حولکم و أمعنوا فی تصمیمها الدقیق فستظنون أنها جاثمه جامده لا تتحرک،إلا أن الحقیقه غیر ذلک،فهی تمرّ مرّ السحاب،و هذا من بدیع صنع اللّه و إتقانه فی ربط قوانین الحیاه و نوامیس الکون بعضها مع بعض،لیتکامل تنسیق الکون،و یتألق جماله البدیع فالجبال التی یظنها الإنسان ثابته هی فی الواقع متحرکه،لأنها محموله و راسیه علی الأرض،و الأرض تتحرک و تدور حول الشمس کذلکم الجبال و کل ما حوته الأرض یتحرک معها بحکم الجاذبیه.۸.

۱- سوره النمل،الآیه:۸۸.

و أما قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً ،ففى هاتين الآيتين برهان قوى على دوران الأرض حول نفسها ذلك لأن(الأرض لو كانت غير متحركه لسكن الظل و لم يتغير طولا أو قصرا،و هذا الدوران رحمه من عند اللّه و لولاه لظلت الشمس مسلطه على نصف الأرض،بينما يظل النصف الآخر ليلا دائما مما يؤدى إلى هلاك البشر من شده الحر أو البرد،كما تشير الآيه إلى دور ضوء الشمس كمؤشر للظل نظرا لاختلاف نفاذيه الضوء خلال الأوساط الماديه المختلفه،و لاختلاف الموقع الظاهرى للشمس خلال النهار،بسبب دوران الأرض حول نفسها بمعدل يؤدى إلى نسخ الظل تدريجيا،بمقدار متناسب مع مرور الزمن و ليس دفعه واحده،و هذا هو المقصود بقوله تعالى: قَبْضاً يَسِيراً و بهذا يتّضح كيفيه مد الظل و ارتباطه بدوران الأرض،و لو شاء اللّه لجعل الظل ساكنا بإيقاف دوران الأرض حول نفسها أو بجعلها تدور حول محورها بنفس معدل دورانها حول الشمس،أى يجعل اليوم يساوى سنه أرضيه،و هذه أمور لا يقدر عليها إلا اللّه سبحانه و تعالى) (١).

الحقائق العلميه:

أفاضت كتب الفلك و كتب و موسوعات الجغرافيا،الحديث عن دوران الأرض حول نفسها و حول الشمس،و أسهبوا عما تنتجه هذه الدورات من تعاقب الليل و النهار و الفصول الأربعه و غير ذلك،و سنقف عند بعض ما قاله العلماء المختصون فى هذا الشأن.

(الفصول الأربعه سخّرت من حركه الأرض أمام الشمس مع ميل المحور لمنفعه الإنسان حتى يتمكن من القيام بمهمه الخلافه فى الأرض،فالأرض تقطع أثناء دورتها حول الشمس مره كل سنه«٣٦٥ يوما»مسافه ٩٦٠٠ مليون ك.م،و هذه الحركه هى السبب فى حدوث ظاهره الفصول الأربعه و يلاحظ أن هذا المدار بيضوى الشكل و بذلك يتغير متوسط بعد الأرض عن الشمس البالغ ٦,١٤٦ مليون ك.م بمقدار ٠٠٠,٩٩١,٤ ك.م على مدار السنه،و معنى هذا تغير فى زاويه سقوط الأشعه الشمسيه على مناطق الأرض بعدا مختلفا منها على مدار السنه،حين سلكوها هذا المدار البيضوى الشكل حول الشمس،و هذا هو سبب حدوث الفصول الأربعه) (٢).

١- الكون و الإعجاز العلمى للقرآن،منصور حسب النبى،ص ١٥۴.

٢- المنهج الإيمانى للدراسات الكونيه،عبد العليم خضر،ص ٢٩١.

و هناک نوعان من الحرکات للأرض(حرکه ظاهریه و حرکه حقیقیه،الحرکه الحقیقیه هی مدار الأجرام فی أفلاکها فی دورات موقوته منتظمه،و الحرکه الظاهریه ما نشاهده من حرکات نسبیه بین الأجرام علی القبه السماویه بالنسبه لبعضها البعض،و الدوره الیومیه المحوریه،حیث تدور الأرض حول محورها دوره واحده خلال فتره زمنیه قدرها ۲۳ ساعه و ۵۶ دقیقه،و ۴ ثوان أمام النجم البعید و ینتج عن هذه الدوره ما یسمی بالیوم النجمی،بینما تتم الأرض دورتها حول الشمس خلال ۲۴ ساعه،و هو ما یسمی بالیوم الشمسی،و من أهم نتائج الدوره المحوریه لکوکب الأرض تعاقب اللیل و النهار،و أما الدوره الانتقالیه،فتدور الأرض حول الشمس بمدار إهلیلجی،تحتل الشمس إحدی بؤرتیه بسرعه مداریه قدرها ۷۹,۲۹ کم/ث،و یمیل محور الأرض علی مستوی دورانها حول الشمس بزاویه ثابته مقدارها ۴-۲۳،و تتم الأرض دورتها خلال فتره زمنیه قدّرها العلماء ۳۶۵ یوما و ۶ ساعات و ۹ دقائق و ۴۵,۹ ثانیه،و ینتج عن هذه الدوره تعاقب الفصول الأربعه،حیث یبقی محورها متجها نحو النجم القطبی خلال تلک الدوره) (۱).

و فی کتاب«العالم الذی نقطنه»:(الأرض وحدها هی التی تتم دوره کامله علی ذاتها بیوم واحد فتکشف عن القبه السماویه قلیلا فقلیلا،و تمر أمام الشمس التی تنیرنا و من ثم تعیدنا إلی اللیل و عند ما تغمر الشمس السماء بنیرانها طیله النهار،فإنها تحجب عنا رؤیه النجوم التی تکمل مع ذلک دورتها) (۲).

و فی«موسوعه الجیولوجیا»تعرف الأرض بأنها دائمه الحرکه:(الأرض هی عباره عن کوکب دائم الحرکه،فلو استطعنا أن نعود ملیون سنه إلی الوراء أو أکثر،لوجدنا أن سطح الأرض مختلف تماما عما هو علیه الیوم،و لوجدنا أنه کان للقارات أشکال مختلفه أو أنها تقع فی مواقع مختلفه عما هی علیه الآن) (۳).

و یقول مجموعه من البحاث فی علم(الجیولوجیا):(یولد دوران الأرض علی۷.

۱- آفاق فلکیه،فوزیه الرویح،۷۵.

۲- العالم الذی نقطنه،رینیه غویر،ترجمه،خلیل الفریجات،دمشق،منشورات وزاره الثقافه، ۱۹۸۱،ص:۱۶.

۳- الأرض،مقدمه للجیولوجیا الطبیعیه،تاربون لوتجنز،ترجمه،عمر سلیمان حموده و آخرون، مطبعه مالطا،مالطا،۱۹۸۴،ص:۳۷.

محورها قوه مرکزیه طارده هی عند خط الاستواء أقوی منها فی أی مکان آخر،فیسبب ذلک انتفاخا بسیطا عند خط الاستواء،و تسطح عند القطبین و هذا ما یجعل قطر الأرض عند خط الاستواء أطول مما هو علیه بین القطبین) (۱).

و تجدر الإشاره إلی أن کلا من«کوبرنیکوس» (۲)،و«جوهانس کیبلر» (۳)،و«جالیلیو جالیلی» (۴)کان لهم الفضل فی التحقق من دوران الأرض بشکل علمی.

الإعجاز:

سبحان الذی خلق فسوّی و قدر فهدی،إنها آیات اللّه الناطقه بالحقائق العلمیه الناصعه،فکرویه الأرض و دورانها و حرکتها،حقائق قرآنیه أثبتها القرآن قبل دهر سحیق مضی،و فی هذا الزمان کشف عنها الإنسان الضعیف،فقررها«کیبلر»فی قانونه الأول الذی یتحدث فیه عن دوران الکواکب و الأرض حول الشمس،و«نیوتن»فی حدیثه عن قانون الجاذبیه،و من بعدهما أثبتوا ذلک کذلک،قوانینهم هذه کلها ما هی إلا توضیح و تفسیر لبعض الآیات القرآنیه.

۱- بهجه المعرفه،موسوعه علمیه مصوره،الأرض،لیبیا،الشرکه العامه للنشر،۱۹۸۳،ص:۵۱.

۲- کوبر نیکوس،۱۴۷۳-۱۵۴۳،فلکی بولندی من أصل ألمانی،درس الطب و اللاهوت و الریاضیات،وضع مبادئ النظام الشمسی و دوران الأرض حول الشمس،کما قال ببعد النجوم عن أرضنا بعدا سحیقا،فساهمت نظریته فی شرح کیفیه تعاقب الفصول و بیان أزمنه الاعتدال الشمسی.انظر:موسوعه الکون و الفضاء و الأرض،موریس شربل و رشید فرحات،ص:۱۰۸.

۳- جوهانس کیبلر ۱۵۷۱-۱۶۳۰،عالم و مکتشف ألمانی،اهتم بعلم الفلک و علم البصریات الهندسی،و قد وضع القانون المعروف باسمه،و الذی یتناول حرکه الکواکب حول الشمس. المصدر نفسه،ص:۱۰۸.

۴- جالیلیو جالیلی ۱۵۶۴-۱۶۴۲،عالم إیطالی من فلورنسا،درس فی جامعه بیزا،أید نظریه کوبر نیکوس القائله بدوران الأرض حول الشمس،مما جعله فی حرم کنسی أظلم حیاته،لکن إنجازاته فی المنفی حول دراسه الآلیات و القوی المتحرکه،و تطبیقه التحلیل الریاضی علی المعضلات الطبیعیه کانت استکمالا للثوره التی بدأت مع کوبر نیکوس.المصدر نفسه، ص:۱۰۸.

المبحث الثالث

اشاره

جاذبيه الأرض

قال تعالى: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً (۱).

و قال تعالى: اَللّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَ السَّماءَ بِناءً (۲).

و قال تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً(۲۵) أَحْياءً وَ أَمْواتاً(۲۶) وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً(۲۷) (۳).

يبرز اللّه سبحانه تعالى فى هذه الآيات طرفا من الآلاء و النعم التى قد أرفدها علينا و نعمنا بها،و من بين هذه النعم التى يشير إليها القرآن الكريم نعمه الجاذبيه،الجاذبيه الأرضيه التى من شأنها أن تقر الأشياء على الأرض،و يكون هذا الاستقرار مناسبا و منسجما مع حجم هذه الأجسام التى تقلها الأرض،و بذلك تتحقق الحياه عليها، و تثبت توابعها و تكون ملازمه لها دائما فى دورانها حول نفسها و حول أمّها الشمس.

فقانون الجاذبيه قانون عام شامل يعمل فى الكون كله،حيث إن الكائنات كلها تتجاذب و إن لم نر نحن القوه الرابطه بين المتجاذبين،إلا أننا تعرفنا عليها من نتيجه أثر الجسم الكبير فى الصغير،و رأينا فيما مضى كيف أن الشمس تجذب منظومتها كلها، و الأرض كذلك تجذب كل من عليها بما فى ذلك القمر،و الغلاف الجوى خاضع لقانون الجاذبيه و لو لا الجاذبيه لفرّ و لتلاشت الأحياء،و هكذا فإن هذا القانون عام و شامل،و سيحدثنا عنه العلماء و عن هذه القضايا التى أومأنا إليها،غير أن هذا القانون

۱- سوره النمل،الآيه:۶۱.

۲- سوره غافر،الآيه:۶۴.

۳- سوره المرسلات،الآيات ۲۵-۲۷.

الذی اکتشفه«نیوتن» (۱)و أماط اللثام عنه،قد قرره الحق تبارک و تعالی فی کثیر من آیات القرآن المجید،و لسوف نقف الآن عند ما قاله المفسرون و اللغویون حول هذه النصوص القرآنیه.

یقول ابن کثیر:(یقول تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً أی قاره ساکنه ثابته لا تمید و لا تتحرک بأهلها و لا ترجف بهم،فإنها لو کانت کذلک لما طاب علیها العیش و الحیاه،بل جعلها من فضله و رحمته مهادا بساطا ثابته لا تتزلزل و لا تتحرک) (۲).

و عند الطبری یقول رحمه اللّه:(اللّه الذی له الألوهیه خالصه أیها الناس،الّذی جعل لکم الأرض التی أنتم علی ظهرها سکان قرارا تستقرون علیها،و تسکنون فوقها،و السّماء بناء،بناها فرفعها فوقکم بغیر عمد ترونها لمصالحکم،و قوام دنیاکم إلی بلوغ آجالکم) (۳).

و فی«التفسیر الکبیر»یقول الرازی:(کونها قرارا و ذلک لوجوه،الأول:أنه دحاها و سواها للاستقرار،الثانی:أنه تعالی جعلها متوسطه فی الصلابه و الرخاوه،فلیست فی الصلابه کالحجر الذی یتألم الإنسان بالاضطجاع علیه،و لیست فی الرخاوه کالماء الذی یغوص فیه،الثالث:أنه تعالی جعلها کثیفه غبراء لیستقر علیها النور،و لو کانت لطیفه لما استقر النور علیها،و لو لم یستقر النور علیها لصارت من شده بردها بحیث تموت الحیوانات،الرابع:أنه سبحانه جعل الشمس بسبب میل مدارها عن مدار منطقه الکل،بحیث تبعد تاره و تقرب أخری من سمت الرأس،و لو لا ذلک لما اختلفت الفصول،و لما حصلت المنافع) (۴).۴.

۱- إسحاق نیوتن،۱۶۴۲-۱۷۲۷،فلکی بریطانی،اکتشف قانون الجاذبیه و وضع لها ثلاثه قوانین،کان لها أثر کبیر فی دراسه علم الفلک،و التنبیه إلی اهتزاز حرکه الکواکب و عدم انتظامها،کما اکتشف طریقه الحصول علی طبیعه الأجسام المضیئه عن طریق تحلیل الضوء إلی طیف بواسطه الموشور الزجاجی.انظر:الأطلس الفلکی،محمد عصام المیدانی،ص ۸۷، و انظر:الأوائل،علی جمعه الخویلد،بیروت،الدار العربیه للعلوم،الطبعه الأولی، ۱۴۱۸ ه۱۹۹۸/،ص ۱۳۸.

۲- تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۱۸۳/۶.

۳- جامع البیان،للطبری،۵۲/۲۴.

۴- التفسیر الکبیر،للفخر الرازی،۵۶۶/۲۴.

و فی«روح المعانی»:(أی جعلها بحیث یستقر علیها الإنسان و الدواب،بإبداء بعضها من الماء و دحوها و تسویتها حسبما یدور علیه منافعهم،فقرارا بمعنی مستقرا لا بمعنی قاره غیر مضطربه) (۱).

و أما قوله تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً ،(فالکفات اسم جنس أو اسم آله،لما یکفت أی یضم و یجمع،من کفت الشیء إذا ضمه و جمعه کالضمام و الجماع لما یضم و یجمع) (۲).

(و إنما معنی الکلام،أ لم نجعل الأرض کفات أحیائکم و أمواتکم،تکفت أحیاءکم فی المساکن و المنازل،فتضمهم فیها و تجمعهم،و أمواتکم فی بطونها فی القبور، فیدفنون فیها،و جائز أن یکون عنی بقوله: کِفاتاً أَحْیاءً وَ أَمْواتاً تکفت أذاهم فی حال حیاتهم،و جیفهم بعد مماتهم) (۳).

و لو رجعنا إلی معنی: قَراراً فی اللغه لوجدناها تعطینا معنی الثبات و الاستقرار، یقول ابن منظور:(قرارا،بطون الأرض قرارها،لأن الماء یستقر فیها،و یقال:

القرار،مستقر الماء فی الروضه و قراره و مستقرّه،تناهی و ثبت) (۴).

و نجد فی«مفردات ألفاظ القرآن»:(قرّ فی مکانه یقرّ قرارا،إذا ثبت ثبوتا جامدا، و أصله من القرّ...قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً (۵).

و أما معنی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً ،(فالکفات،الموضع الذی یضمّ فیه الشیء و یقبض،و الکفت،القبض و الجمع) (۶).

(أی تجمع الناس أحیاءهم و أمواتهم،و قیل:معناه تضم الأحیاء التی هی الإنسان و الحیوانات و النبات،و الأموات التی هی الجمادات من الأرض و الماء و غیر ذلک) (۷).۴.

۱- روح المعانی،للآلوسی،۱۶/۲۰،و انظر:التفسیر الواضح،محمد محمود حجازی، القاهره،مطبعه الاستقلال،الطبعه السادسه ۱۹۶۹،۸۰۳/۲۹.

۲- المصدر نفسه،۲۸/۲۵.

۳- جامع البیان،للطبری،۲۲۵/۲۹.

۴- لسان العرب،ابن منظور،۱۲۴/۱۱.

۵- مفردات ألفاظ القرآن،الراغب الأصفهانی،ص ۶۶۲.

۶- لسان العرب،ابن منظور،۱۱۷/۱۲.

۷- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،ص ۷۱۴.

إذن،یتضح من معطیات ما سبق أن قَراراً و کِفاتاً کلمتان تدلان علی الضمّ و الجمع و هذا هو المعنی العلمی الدقیق للجاذبیه،إذ الجاذبیه من شأنها أن تضم و تجمع إلیها ما أحاط بها من أجسام...

فأیّ تعبیر أدق من تعبیر القرآن الکریم،و هو یصف حال الکره الأرضیه و هی تسیر فی فلکها الذی رسم لها من قبل الخالق العظیم،و فی آن واحد تضم المخلوقات التی أوجدها اللّه سبحانه و تعالی علیها ضمّا قد حشی بالرحمه و الحنان و العطف،و کأنها أمّ رءوم بأبنائها،فلا تؤذیهم حال دورانها حول نفسها و الشمس،و لا تقذف بهم فی دوّامه التیه و الفوضی،بل إنها تقلّهم بین حنایاها و تکفتهم بذراعیها بعامل الجاذبیه الذی أشار اللّه إلیه بقوله: قَراراً و کِفاتاً .

فما أرحمک یا خالقنا و ما أعظم لطفک و حنانک بنا،فالأرض تدور و تجری بسرعه کبیره و نحن نعیش بین تضاعیفها و ننعم بأرزاقها و ظلالها الوارف،و لا یصیبنا أیّ أذیً و لا نشعر بأیّ خوف أو قلق،فسبحان الذی خلق کلّ شیء بقدر،ثم إن قوه الجاذبیه لا تقتصر علی کوکب الأرض و ما حوی،بل إنها تلف الأجرام و حتی المجرات السماویه بأسرها،ذلک أن الجزر النجمیه الضخمه العظیمه فی الکون،مهما کانت متباعده إلا أنها متماسکه فیما بینها بسبب قوه الجاذبیه التی تربط أجرامها ببعض، و تمنعها من التفکک و التناثر،کما مرّ فیما مضی،و کیف أن قوه الجاذبیه علی عظمها لا یمکن أن تری أبدا،و لقد أشار ربنا سبحانه و تعالی إلی الجاذبیه الکونیه،و أن السماء مبنیه بناء دقیقا و متماسکا علی أعمده غیر مرئیه،و لنتأمل فی هذا قول اللّه تعالی: خَلَقَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّهٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیم (۱)،کما أن الحق عز و جلّ أمرنا أن نجیل النظر فی السماء،لنری کیف بنیت و کیف رفعت،و فی هذا یقول ربنا جل جلاله: أَ فَلَمْ یَنْظُرُوا إِلَی السَّماءِ فَوْقَهُمْ کَیْفَ بَنَیْناها وَ زَیَّنّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ (۲)و قوله سبحانه: وَ إِلَی السَّماءِ کَیْفَ رُفِعَتْ (۳)،و قوله سبحانه: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ وَ الْفُلْکَ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ یُمْسِکُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ (۴).۵.

۱- سوره لقمان،الآیه:۱۰.

۲- سوره ق،الآیه:۶.

۳- سوره الغاشیه،الآیه:۱۸.

۴- سوره الحج،الآیه:۶۵.

هذه الآيات تشير بكل وضوح إلى أن هناك أعمده منتشره فى السماء،و أن السماء بنيت عليها إلا أن هذه الأعمده لا ترى،و هذه الأعمده هى قوه الجاذبيه التى لا تخضع للرؤيه كما سنرى بعد قليل من أقوال العلماء.

يقول القرطبى:(لها عمد و لكنا لا نراه،قال ابن عباس:لها عمد على جبل قاف و يمكن أن يقال على هذا القول:العمد قدرته التى يمسك بها السموات و الأرض و هى غير مرئيه لنا) (۱).

و فى«التفسير الشامل»:(خلق السموات العلى على غايه ما يكون عليه الاتساع و الامتداد و الفخامه،و على أكمل ما يكون عليه الاتساق و التوازن و الانتظام،خلائق كبيره و كثيره،و أجرام هائله مبثوثه فى أجواء الفضاء،يضمها نظام دقيق و منضبط لا يعرف الخلل أو العشوائيه أو الفوضى تلك هى السموات الشامخات الكبريات،قد رفع اللّه بناءها،و جعلها منسجمه رفيعه لا تستند إلى ما يمسكهن من الأعمده المنظوره، و لكن اللّه قدر لها من النظام الكونى الوثيق ما يكفل لها تمام الدوران و الحركه و الاستمرار) (۲).

الحقائق العلميه:

حقيقه الجاذبيه التى قررها القرآن،و أنزل الآيات التى تتحدث عنها على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم كشف عنها روّاد العلم بعد عصور طويله فحدثونا عنها،و يرجع الفضل فى اكتشاف قانون الجاذبيه إلى(إسحاق نيوتن)،و الذى يعرف الجاذبيه فيقول: (إن جميع الأجسام و الأجرام فى هذا الكون تجذب بعضها البعض،بقوه يتوقف مقدارها على كميه الكتلتين المتجاذبتين،و على بعد المسافه بينهما و تزداد القوه،أى تتناسب طرديا مع مقدار حاصل ضرب الكتلتين،و تقل،أى تتناسب عكسيا مع مربع المسافه بينهما، و يمكن أن نقول ببساطه:إن القوه تزداد مع مقدار الكتلتين و تقل كلما بعد المسافه بينهما،و القانون أو الناموس الحاكم فى حاله التفاحه و الأرض هو:

۱- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۲۱۸/۹،و انظر:زاد المسير،لابن الجوزى،۳۰۲/۴، و انظر:معالم التنزيل،للبغوى،۶/۳ و انظر:حاشيه محى الدين شيخ زاده على تفسير الإمام البيضاوى،تحقيق،محمد شاهين،بيروت،دار الكتب العلميه،الطبعه الأولى ۱۴۱۹ ه/ ۹۰/۵،۱۹۹۹.

۲- التفسير الشامل،أمير عبد العزيز،القاهره،دار السلام،الطبعه الأولى،۱۴۲۰ ه/۲۰۰۰ ۳/ ۱۷۷۸.

قوه الجاذبيه الأرضيه ثابت X كتله الأرض X كتله التفاحه\مربع المسافه و الثابت هو:ثابت الجذب الكونى،و أما المسافه،فهى المسافه بين مركز أو وسط التفاحه و مركز الأرض،و يسرى القانون على جميع الكائنات و الأشياء فوق الأرض، بل على جميع الأجرام الكونيه فهناك قوه جذب بين الشمس و التسعه كواكب السياره التى تدور حولها بما فى ذلك كوكب الأرض و الكواكب تجذب بعضها البعض، و الأرض و القمر يتجاذبان) (۱).

و فى موسوعه«بهجه المعرفه»:(الجاذبيه هى التجاذب بين جسمين،و تتوقف قوتها على كتلتى الجسمين و على المسافه بينهما،تتوقف إذن قوه مجال الجاذبيه الأرضيه على كتله الأرض،الجاذبيه سبب جميع عوامل التعريه الرئيسيه تقريبا،فالمطر المتساقط تحت تأثير الجاذبيه و كذلك التيارات و الأنهار) (۲).

و الجاذبيه العامه(قانون كونى موجود فى طبيعه الأشياء كلها،و يعمل فى صمت فى الأرض و السماء،و لقد كان«لنيوتن»الفضل فى اكتشاف قانون الجاذبيه و لقد قال «نيوتن»نفسه:إنه لأمر غير مفهوم أن نجد ماده لا حياه فيها و لا إحساس،و هى تشد، أى تجذب ماده أخرى دون أى رباط بينها و تعمل الجاذبيه فى كل الأشياء كبيرها و صغيرها،فالكل يتجاذب و إن لم يظهر إلّا أثر الكبير فى الصغير،فالشمس تجذب الأرض،و الأرض تجذب القمر،بل و تجذب كل شىء قريب منها بقوه نشعر بها جميعا و أنت نفسك سجين الجاذبيه،لأنك لا تستطيع أن ترتفع عن الأرض لأنها تجذبك إليها و أنت أيضا تجذب الأرض لك،و لكن شتان ما بين كتلتك و كتله الأرض،و رغم هذا الجذب فإنك تستطيع التحرك على الأرض نظرا لضئله قوه الجذب بينك و بين الأرض...و الطائر عند ما يموت يقع على الأرض،و رفع الحجر عن الأرض يتطلب مجهودا و الصعود على الجبل أشق من النزول منه بسبب الجاذبيه،و من فضل اللّه علينا أن الجاذبيه الأرضيه قد احتفظت لنا بغلاف جوى يحيط بأرضنا و لو لا هذه الجاذبيه لهرب الهواء و انعدمت الحياه على كوكبنا) (۳).۱.

۱- المجموعه الشمسيه و مجال الجاذبيه الكونيه،أمين محمد كعوره،ص ۱۵-۱۶.

۲- بهجه المعرفه،الأرض،ص ۵۰،و انظر:دائره معارف القرن الواحد و العشرين،القوى الفيزيائيه،بيروت،دار الكتاب اللبنانى،د.ت ۲۴/۳.

۳- الكون و الإعجاز العلمى فى القرآن،منصور حسب النبى،ص ۶۱.

إذا يمكن القول:إن جاذبيه الأرض هى التى(تقدم لنا نقط الاستهداء فيما نقوم به من أعمال المساحه و الهندسه،فإذا ربطنا جسما ثقيل الوزن بسلك ليّن تحمله نقطه ثابته،نجد أن ليونه السلك تدفع به فى اتجاه الخط الذى يتبعه الجسم مدفوعا إليه نحو الأرض بقوه الجاذبيه،و هو ما يستعمله البنّاءون للتأكد من استقامه البناء،و يسمى الفادم،كما أنه يجسد خطوط جاذبيه الأرض،و هذه الجاذبيه التى تدفع الأجسام للسقوط نحو سطح الأرض،ليست قوه خاصه بل هى حاله خاصه من حالات الجاذبيه العامه،و الجاذبيه التى يمارسها جسمان تخضع لمبدأ الجاذبيه المعروف و هو:أن الأجسام تتجاذب بالنسبه إلى مقدار ماده كل منها،و بمقدار معاكس لمربع أبعادها، و لما كان كوكب الأرض كروى الشكل تقريبا،و هو خاضع لقانون الجاذبيه،و تفوق مواده مواد الأجسام المحيطه به،فإن الجسم الذى يخضع لجاذبيه الأرض يندفع نحو سطحها باتجاه مركزها الوسطى،و هو ما يمكن مشاهدته فى كل حين تأكيدا لصحه مبدأ الجاذبيه المذكوره آنفا المسيطر على تحركات الفضاء) (١).

الإعجاز:

رأينا كيف أن قانون الجاذبيه يشمل الكون بأسره،و يعمل بخفاء و لطف لتعود منافعه على الخلائق كلها،فسبحان الذى بحكمته رتب قوانين الحياه على هذا النسق،و يسرها كلها للإنسان و سجلها آيات معجزه فى قرآنه ببيان واضح قبل أن يكتشفها العلماء،ليظل الإنسان شاكرا و معترفا بفضل ذى الجلال و الإنعام.

١- الأرض فى رحاب الكون،يمنى زهار،بيروت،دار الآفاق،الطبعه الأولى،١۴٠٩ ه/ ١٩٨٨،ص ۶٢.

المبحث الرابع

اشاره

الغلاف الجوی و منافذه للأرض

قال تعالی: وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آیاتِها مُعْرِضُونَ (۱).

و قال سبحانه و تعالی: وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِیهِ یَعْرُجُونَ(۱۴) لَقالُوا إِنَّما سُکِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ(۱۵) (۲).

فی الآیه الأولی وصف الحق تبارک و تعالی السماء بأنها بمثابه السقف للأرض، و تتجلّی قمه البلاغه القرآنیه،و الإعجاز العلمی عند ما زاد هذا الوصف للسقف بأنه محفوظ،و هذا هو شأن الغلاف الجوی للأرض(atmosphere)فلقد جعله اللّه سقفا محیطا و حامیا للأرض من کل أسباب الهلاک و الخراب کما سیأتی،و فی الآیه الثانیه إعجاز علمی رائع،حیث أوضح ربنا أن للسماء أبوابا و منافذ یمکن أن ینفذ من خلالها البشر،و الطریق إلیها لیس مستقیما إنما فیه انحناءات و تعرجات للخروج من إطار الأرض و جاذبیتها،و هناک تختل موازین الرؤیا البصریه...و لنبدأ مع المفسرین لنری فهمهم لهاتین الآیتین.

ففی«أنوار التنزیل»: (وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً عن الوقوع بقدرته أو الفساد و الإخلال إلی الوقت المعلوم بمشیئته،أو استراق السمع بالشهب، وَ هُمْ عَنْ آیاتِها عن أحوالها الداله علی وجود الصانع و وحدته و کمال قدرته و تناهی حکمته،التی یحس ببعضها و یبحث عن بعضها فی علمی الطبیعه و الهیئه مُعْرِضُونَ غیر متفکرین) (۳).

۱- سوره الأنبیاء،الآیه:۳۲.

۲- سوره الحجر،الآیتان ۱۴-۱۵.

۳- أنوار التنزیل،للبیضاوی،۹۰/۴،و انظر:فتح البیان فی مقاصد القرآن،صدیق بن حسن القنوجی،صیدا،المکتبه العصریه ،۱۹۹۲، ۳۲۳/۸.

و عند القرطبی:(قوله تعالی: وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً أی محفوظا من أن یقع و یسقط علی الأرض) (۱).

و عند الطبری:(أی،سقفا مرفوعا،و موجا مکفوفا) (۲).

و یقول الرازی:(فیها مسألتان،المسأله الأولی:سمی السماء سقفا لأنها للأرض کالسقف للبیت،المسأله الثانیه:فی المحفوظ قولان،أحدهما،أن محفوظ من الوقوع و السقوط الذین یجری مثلهما علی سائر السقوف) (۳).

و أما بالنسبه للآیه الثانیه،ففی«إرشاد العقل السلیم»: وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ أی علی هؤلاء المقترحین المعاندین باباً مِنَ السَّماءِ أی بابا ما،لا بابا من أبوابها المعهوده کما قیل،و یسرنا لهم الرّقیّ و الصعود إلیه فَظَلُّوا فِیهِ فی ذلک الباب یَعْرُجُونَ بآله أو بغیرها،و یرون ما فیها من العجائب عیانا کما یفیده الظلول،أو فظل الملائکه الذین اقترحوا إتیانهم یعرجون فی ذلک الباب و هم یرونه عیانا مستوضحین طول نهارهم لَقالُوا لفرط عنادهم و غلوّهم فی المکابره و تفادیهم عن قبول الحق إِنَّما سُکِّرَتْ أَبْصارُنا أی سدّت من الإحساس من السکر، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ قد سحرنا محمد صلی اللّه علیه و سلم کما قالوه عند ظهور سائر الآیات الباهره) (۴).

و فی«بحر العلوم»: (وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِیهِ یَعْرُجُونَ أی فصاروا یصعدون فیه و ینزلون،یعنی:الملائکه،و یراهم المشرکون،و هم أهل مکه لَقالُوا إِنَّما سُکِّرَتْ أَبْصارُنا یقول:أخذت و غشیت أبصارنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ أی،و لقالوا:

سحرنا فلا نبصر،و سُکِّرَتْ بالتشدید أی،غشّیت،و منه یقال:سکّر النهر إذا سدّ، و منه یقال:سکر الشراب و هو الغطاء علی العقل،و من قرأ سُکِّرَتْ بالتخفیف یعنی، سحرت یعنی،إنهم لا یعتبرون به کما لم یعتبروا بانشقاق القمر حین رأوه معاینه) (۵).۲.

۱- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۲۸۲/۱۱.

۲- جامع البیان،للطبری،۱۶/۱۷.

۳- التفسیر الکبیر،للرازی،۱۴۲/۲۲.

۴- إرشاد العقل السلیم،لأبی السعود،۶۵/۳،و انظر:تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۴/ ۴۵۳.

۵- بحر العلوم،للسمرقندی،۲۶۱/۲،و انظر:تفسیر القرآن،لعز الدین بن عبد السلام الدمشقی، بیروت،دار ابن حزم،الطبعه الأولی، ۱۴۱۶ ه ۱۹۹۶م،۱۷۱/۲.

يمكن لنا أن نستخلص من معطيات ما سلف ما يلى:

أولا-أن اللّه سبحانه و تعالى جعل للكره الأرضيه سقفا يحيط بها،و يكون سببا فى حمايتها من كل سوء،و حافظا لها من كل مكروه.

ثانيا:أن هذا الغلاف الجوى للأرض قد جعل اللّه فيه أبوابا و منافذ يتسنى للإنسان أن يعبرها و يخرج من محيط الأرض،و لقد أكد الحق تبارك و تعالى وجود أبواب للسماء فى العديد من الآيات القرآنيه من ذلك قوله سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ (۱)و قوله: فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ (۲).

ثالثا:منافذ الغلاف الجوى للأرض،الطريق إليها ليست مستقيمه إنما هى طرق مستوعره متعرجه.

و لقد وصف ربنا سبحانه السماء بأنها ذات طرق،قال تعالى: وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ (۳)أى إن فى السماء طرقا كثيره،(و لكل طريق أبواب عده،و لم ينفذ علماء الفلك من الغلاف الجوى الأرضى و يسبروا شيئا من أقطار السموات و الأرض،إلا من خلال الأبواب و الطرائق الموجوده فى الغلاف الجوى للأرض و الفضاء الخارجى،فكل مركبه فضائيه يجب أن تنطلق فى زاويه معينه و فى مسار معين كى تستطيع النفاذ من نطاق جاذبيه الأرض إلى الفضاء الخارجى،و هناك آلاف الأدمغه الألكترونيه التى تصحح سير المركبه كلما ضلت عن مسارها،كما أن على المركبات الفضائيه خلال عودتها إلى الأرض من الفضاء الخارجى،الدخول و السلوك من فتحات و طرائق معينه فى الغلاف الجوى الأرضى و إلا بقيت فى الفضاء الخارجى أو احترقت قبل وصولها إلى الأرض) (۴).۲.

۱- سوره الأعراف،الآيه:۴۰.

۲- سوره القمر،الآيه:۱۱.

۳- سوره الذاريات،الآيه:۷.

۴- من علم الفلك القرآنى،عدنان الشريف،بيروت،دار العلم للملايين،الطبعه الثالثه،۱۹۹۷، ص:۱۳۲.

الحقائق العلميه:

لقد قرر ربنا تبارك و تعالى أنه أحاط الأرض بسقف يحفظها من كل سوء،و هذه الحقيقه القرآنيه أثبتها العلم الحديث و قرر أن للأرض غلافا جويا يحيط بها،و له من المنافع و الفوائد الشيء الكثير.

ففى موسوعه«عالم المعرفه»:(الغلاف الجوى:هو مزيج من الغازات،و يتألف بالدرجه الأولى من(النيتروجين)٧٨٪و(الأوكسجين)٢١٪و كميه قليله من (الأرغون)،و بعض(ثانى أكسيد الكربون)،و قد يحتوى أيضا على بعض من بخار الماء،أما الهواء الجاف فلا يحتوى على بخار مياه،كما يحتوى الغلاف الجوى على ثلاث طبقات أساسيه.

الطبقه السفلى:و هى(التروبوسفير troposphere).

و الطبقه الوسطى:و هى(الستراتوسفير stratosphere)و تتراوح سماكه طبقه (التروبوسفير)ما بين ١٨,٨ كلم و الغيوم تطفو فيها،و كثير من الطائرات تطير فى أسفل(الستراتوسفير)فوق الغيوم.

أما الطبقه الثالثه الموجوده فوق(الستراتوسفير)فتدعى الغلاف(الأيّونى)،و هى مهمه للناس لأنها تعكس الموجات اللاسلكيه إلى الأرض ما يسمح للموجات بالدوران حول سطح الأرض المقوس) (١).

و حتى يتجسّد الإعجاز فى قوله تعالى: سَقْفاً مَحْفُوظاً نورد بعض فوائد الغلاف الجوى للأرض لنرى كيف جعله الحق سبحانه حافظا لها.

(هذا الغلاف الجوى يعدّل و يلطف مستويات الحراره القصوى من ساخنه أو بارده، فيعمل كسقف دفيئه،و يقلل من تغيرات مستوى الحراره بين الليل و النهار،أو بين الصيف و الشتاء،عند النهار تسخن الشمس سطح الأرض و تنقل هذه الحراره إلى الجو،حيث تخزن و تقى من البرد الشديد عند ما تغيب الشمس،و بالعكس يقى الغلاف الجوى عند النهار من الحراره الشديده بامتصاصه قسما من أشعه الشمس،و يقى الجو سطح الأرض من قصف النيازك،إذ يقدر أن الأرض تتلقى كل يوم ما يقارب المائه

١- موسوعه عالم المعرفه،الأرض،نوبليس،ص:٣۴۶.

رسم يوضح طبقات الغلاف الغازى للأرض

ص: ٢٧٥

ألف مليون نيزك من مختلف الأحجام،إنما لا تدرك سطحها لأنها تحترق فی الجو بسبب الحراره التی یولدها احتکاک النیزک بالغلاف الجوی) (۱).

کذلک لو قدّر اللّه سبحانه و تعالی انعدام الغلاف الجوی للأرض لانعدمت(الحیاه علی سطحها لیس فقط لعدم وجود الأکسجین اللازم للتنفس،و لکن لسقوط النیازک بکمیات هائله،و بکتل کبیره تهشم رءوس الأحیاء،و تنهی بذلک علی جمیع صور الحیاه علی سطح الکره الأرضیه،هذا بخلاف امتصاص الجو العلوی للأشعه الضاره بل القاتله للأحیاء،مثل الأشعه فوق البنفسجیه(ultraviolet rays)و الذی نود أن ننوه إلیه أنه بدون الغلاف الجوی لا ینتقل الصوت من مکان إلی آخر و یکون بذلک قد فقدت الأحیاء التی منحها اللّه حاسه السمع) (۲).

کما تتغیر الغازات فی الغلاف الغازی للکره الأرضیه(مع ازدیاد الارتفاع فی ذلک الغلاف حیث تأخذ الغازات الثقیله بالاضمحلال شیئا فشیئا لتحلّ محلها غازات خفیفه،فبدءا من سطح الأرض و حتی ارتفاع ۱۱۰ کیلومترات تکون السیاده لجزئیات (الآزوت)،أی(النیتروجین)و لجزئیات(الأوکسجین)،و بعد ارتفاع ۱۱۰ کیلومترات، و حتی ارتفاع ۱۶۰ کیلومترا تسود جزئیات(الأوزون)،(الأوکسجین الثقیل و الأوکسجین)،و بین ارتفاع ۹۶۰ کیلومتر،و حتی ارتفاع ۲۴۰۰ کیلومتر تسود ذرات(الهلیوم)،و بین ارتفاع ۲۴۰۰ کیلومتر،و حتی ارتفاع ۹۶۰۰ کیلومتر تسود جزئیات(الهیدروجین)،و بین ارتفاع ۹۶۰۰ کیلومتر،و حتی ارتفاع ۶۵۰۰۰ کیلومتر تسود جزئیات شدیده التخلخل و الخفه،و یتصل أعلی هذه الطبقه مع الفضاء الخارجی المسمی فضاء ما بین الکواکب حیث تسود غازات شدیده التخلخل،لدرجه تقرب من الفراغ) (۳).

و علی هذا فإننا نشعر بالاختناق التدریجی(کلما ارتفعنا عن سطح البحر إلی عنان السماء و ذلک بسبب نقص الضغط الجوی و نقص(الأوکسجین)،و لقد ثبت فعلا أن الإنسان یمکن أن یختنق عند ما یرتفع إلی ۱۰ کیلومترات،إذا لم یکن محاطا بغرفه أو۹.

۱- المنظومه الشمسیه،سمیر عازار،ص:۶۲.

۲- المجموعه الشمسیه و احتمالات الحیاه علیها،زین العابدین متولی،القاهره،مرکز جامعه القاهره،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷ ص:۴۲.

۳- الأرض،إبراهیم حلمی غوری،ص:۱۳۸-۱۳۹.

حله مکیفه الضغط و الهواء،کما أن الدم یندفع من مسام أجسامنا لو خف الضغط علیها،و لهذا یستخدم رواد الفضاء بدله مکیفه الضغط و أنبوبه(أکسجین)للتنفس) (۱).

و تغیرات الغلاف الجوی هذه،و الشعور بالاختناق کلما ارتفعنا إلی السماء،بسبب نقص الضغط الجوی و نقص(الأوکسجین)،حقیقه صرح بها کتاب اللّه تعالی قبل أکثر من أربعه عشر قرنا،یقول مولانا عز و جلّ: فَمَنْ یُرِدِ اللّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ کَذلِکَ یَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ (۲).

و نحن نلحظ تشبیه القرآن الدقیق للذی یصعد فی السماء،کیف یکون صدره ضیقا حرجا بسبب هذا الصعود.

کما أن الحق قد أشار إلی ترقی الإنسان فی طبقات السماء فقال اللّه سبحانه تعالی:

فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ(۱۶) وَ اللَّیْلِ وَ ما وَسَقَ(۱۷) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ(۱۸) لَتَرْکَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ(۱۹) فَما لَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ(۲۰) وَ إِذا قُرِئَ عَلَیْهِمُ الْقُرْآنُ لا یَسْجُدُونَ(۲۱) (۳) .

حقا،لقد رکب الإنسان طبقا عن طبق...

(ففی ۲۱ یولیو عام ۱۹۶۹ تمت رحله سفینه الفضاء(أبوللو ۱۱)الأمریکیه و التی حملت الرواد«نیل أرمسترنج»و«ألدرین»و«کولنینر»إلی القمر حیث هبط«آرمسترنج» و«ألدرین»علی سطح القمر لأول مره فی تاریخ البشریه بواسطه المرکبه القمریه،بینما ظل«کولنینر»ینتظرهما فی مرکبه أخری تدعی(کولومبیا)کانت تدور حول القمر،حتی التحمت بهما المرکبه القمریه بعد أداء مهمتها علی سطح القمر و عادوا جمیعا سالمین إلی الأرض،و قد رکبوا فعلا طبقا عن طبق.

و لقد تتابعت رحلات(أبوللو ۱۲)،۱۴،۱۵،۱۶،۱۷،و انتهت فی عام ۱۹۷۲، أ لیس هذا أیضا طبقا عن طبق فی سبیل الوصول إلی القمر) (۴).

و لقد أشار القرآن الکریم إلی غزو الفضاء،و أن الثقلین الإنس و الجن إن ترقّوا فی ۰.

۱- الکون،منصور حسب النبی،ص:۱۸۱.

۲- سوره الأنعام،الآیه:۱۲۵.

۳- سوره الانشقاق،الآیات ۱۶-۲۱.

۴- الکون،منصور حسب النبی،ص:۲۳۰.

مدارج العلم و اخترعوا الوسائل التقنيه المتطوره،فإنهم سينفذون من أقطار السموات و الأرض و سيغزون الفضاء و يركبون أطباقا...و لقد عبر القرآن الكريم عن هذه الوسائل التقنيه بقوله: بِسُلْطانٍ أى العلم،و لقد استطاع الإنسان فى عصرنا أن يصنع المركبات الفضائيه التى توصله إلى القمر،و لن يتوقف الأمر عند هذا الحد-أى القمر -بل سيتعداه إلى المريخ و غيره.

قال تعالى يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلّا بِسُلْطانٍ (۱).

الإعجاز:

رأينا منافع الغلاف الغازى الذى يعتبر درعا متينا،و سياجا قد حصّن الأرض من العناصر الأجنبيه التى لو لا وجود هذا الغلاف،لأحرقت الأرض و لأضرمت نيرانا كثيره بين جنباتها و انتهت عليها الحياه،كما رأينا الدور الفعّال لهذا الغلاف،فى المحافظه على موقع الأرض بالنسبه للشمس مقارنه مع الكواكب الأخرى،و هذا يساعد فى إيصال حراره الشمس إلى الأرض بدرجه معتدله تنسجم و تتوافق مع الكائنات الحيه كالإنسان و الحيوان و النبات فسبحان من قال: وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ (۲).

نعم سبحان من أحاط الكره الأرضيه بهذا الغلاف الغازى،و كأنه سقف فوقنا ليحفظنا من العوامل المدمره كالشهب و النيازك.

و كذلك فقد أشار القرآن الكريم إلى منافذ هذا الغلاف الغازى،فقال تعالى: وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ(۱۴) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ(۱۵) (۳).

و الإعجاز القرآنى فى قوله تعالى: باباً و روّاد الفضاء كما مرّ معنا عند ما تقلع مركباتهم الفضائيه فى السماء،فإنها تحلّق ضمن خطوط مرسومه لها قبل إقلاعها و عند وصولها إلى الغلاف الغازى،فإنه ليس بمقدورها الخروج منه إلا عبر هذه الأبواب، و التى اصطلح على تسميتها علماء الفلك بمنافذ الغلاف الجوى.

۱- سوره الرحمن،الآيه:۳۳.

۲- سوره الأنبياء،الآيه:۳۲.

۳- سوره الحجر،الآيتان ۱۴،۱۵.

مکوک فضائی ینطلق لیخترق منافذ الغلاف الجوی للأرض و ذلک بفضل التطور العلمی و التکنولوجی،و صدق اللّه العظیم: یا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ (۱).۳.

۱- سوره الرحمن،الآیه:۳۳.

الفصل السابع: الإعجاز القرآنی فی القمر

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:القمر منیر.

المبحث الثانی:انشقاق القمر.

المبحث الثالث:منازل القمر.

المبحث الرابع:و جمع الشمس و القمر.

ص: ۲۸۱

تمهید

للقمر مکانه سامیه فی قلوب الناس منذ أحقاب سحیقه مضت من الزمن،و ذلک لاعتباره أقرب الأجرام السماویه إلی الأرض،و لما ینطوی علی سرّ الروعه و البهاء عند ما یرسل أشعته الفضیه إلی الأرض،فتنفلق ظلمات اللیل بضیائه المنیر الذی یضفی علی الأرض رونقا متألقا من النور الهادئ الأخّاذ،و لذلکم فإن طائفه کبیره من البشر قدیما اعتبرت القمر إلها یلجأ إلیه عند نزول الکوارث و الأزمات،و بذلک صبئوا فکانوا من الوثنین الذین أتی القرآن لیحررهم من معتقداتهم التی ارتبطت بالأجرام و بالشمس و القمر،حیث یقول: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ کُنْتُمْ إِیّاهُ تَعْبُدُونَ (۱).

و لقد اضمحلت تلک الوثنیات التی یترنّم بها الشعراء،و یشبه بها المحب حبیبه بوجه القمر و جماله،و ذابت عند ما وطئ رواد الفضاء القمر بأقدامهم و سفنهم الفضائیه، و صوّروه لنا و إذا به صخور جرداء،و فوهات مخیفه،و تضاریس داکنه سوداء،و بهذا یکون قد خف سحر القمر و جماله البرّاق،و سطعت معالم التقنیه البشریه الحدیثه، لتسطّر التحوّل التاریخی فی دنیا البشر،و تمکنها من النزول علی سطح القمر.

و سوف یتناول فی هذا الفصل الحدیث عن السبق القرآنی یوم أثبت أن القمر جسم بارد یکتسب نوره من الشمس،و لیس متوهجا مثلها،کما أن القرآن قرر أن القمر کان مشتعلا فی فتره من الفترات ثم انطفأ،و سنتحدث عن معجزه عظیمه خلدها القرآن الکریم فی صفحاته،ألا و هی معجزه انشقاق القمر،التی وقعت للنبی صلی اللّه علیه و سلم و یأتی العلم الیوم لیؤکد انشقاق القمر،و نتحدث عن قرار القرآن بإمکانیه غزو الفضاء،و الصعود فی طبقاته،کما سنتطرق للحدیث عن الإعجاز القرآنی فی السنه الشمسیه و القمریه، و نذیّلها بالحدیث عن منازل القمر،و یختم الفصل بالحدیث عن نهایه القمر و عن الصوره الدقیقه التی وضعها القرآن الکریم لنهایته،و التی أکدها العلماء بشکل دقیق.

۱- سوره فصلت،الآیه:۳۷.

المبحث الأول

اشاره

القمر منير

قال تعالی: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (۱).

و قال تعالی: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً (۲).

و قال تعالی: وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَهَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً (۳).

قبل أن نشرع فی الحدیث عن أوجه الإعجاز القرآنی فی هذه الآیات،نسوق بعض المعلومات العامه و الظروف الفیزیائیه للقمر،لتکون الصوره واضحه و دقیقه فی بحثنا، و هذه بعض الخواص و المعلومات عن القمر و التی أفادنا بها العلماء.

(کتله القمر ۱:۸۱,۳ من کتله الأرض.

حجم القمر ۱:۵۰ من حجم الأرض.

نصف قطره ۲۷:۱۰۰ من نصف قطر الأرض.

المجال المغناطیسی ۱:۱۰ ملیون من مجال الأرض.

طول الیوم ۲۷,۳ یوم أرضی.

و لیس للقمر غلاف هوائی بسبب قربه من الأرض،مع ضعف جاذبیته و الارتفاع الکبیر فی درجات الحراره علیه أثناء النهار،و لا یزید قدر الغازات التی قد تتراکم منسابه من باطنه فی أی وقت عن جزء من الملیون من کتله جو الأرض،کذلک لا یوجد علی القمر ماء سائل و لا ـ ثلوج،و لم یجد رواد الفضاء الذین هبطوا علی القمر أثرا لمیاه جوفیه تحت سطحه،و لکن الصخور التی جلبوها لتحلیلها علی الأرض ثبت احتوائها

۱- سوره نوح،الآیه:۱۶.

۲- سوره یونس،الآیه:۵.

۳- سوره الإسراء،الآیه:۱۲.

القمر على شكل بدر و ذلك بفعل أشعه الشمس التى تنير سطحه على الماء فى تركيبها الكيميائى،و كان رواد الفضاء على سفن أوبللو الأمريكيه قد جلبوا ۲۰۰۰ عينه كتلتها ۳۸۲ كجم) (۱).

بعد هذه المعلومات العامه الموجزه عن القمر،نبدأ فى الحديث عن الإعجاز القرآنى فى الآيات التى صدرنا بها هذا المبحث،حيث تدل هذه الآيات دلالات علميه مدهشه،أخبر عنها القرآن الكريم فكان سبّاقا فى ميدان إثبات الحقائق العلميه التى عرفها الناس حديثا.۷.

۱- علم الفلك العام،ميرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود،ص ۱۲۶-۱۲۷.

أما عن الآيتين الأولى و الثانيه،فهما تخبرانا أن للشمس صفتين سِراجاً ، و ضِياءً ،و قد حللنا هاتين الصفتين عند حديثنا عن الشمس،و عرفنا أن الشمس نجم ينتج بتفاعلاته النوويه و احتراقه الداخلى حراره قويه شديده و ضوءا،و تلك هى صفه السراج،فالضوء الذى تصدره الشمس يكون مشحونا بالحراره على خلاف صفه الإناره،فالنور من صفات القمر،و الإناره هى ما يستنير به المكان بدون حراره،إذا فالقمر ليس مضيئا بذاته،و لكنه يعكس الضوء الذى يستقبله من الشمس.

و هذا المعنى أكده العلماء و المفسرون،يقول الإمام ابن كثير رحمه اللّه:(يخبر اللّه تعالى عما خلق من الآيات الداله على كمال قدرته و عظيم سلطانه،و أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء و جعل شعاع القمر نورا،هذا فن و هذا فن آخر،ففاوت بينهما لئلا يشتبها،و جعل سلطان الشمس بالنهار و سلطان القمر بالليل) (۱).

أما الإمام الرازى فيقول:(النور اسم لأصل هذه الكيفيه،و أما الضوء فهو اسم لهذه الكيفيه إذا كانت كامله تامه قويه،و الدليل عليه أنه تعالى سمى الكيفيه القائمه بالشمس ضِياءً و الكيفيه القائمه بالقمر نُوراً و لا شك أن الكيفيه القائمه بالشمس أقوى و أكمل من الكيفيه القائمه بالقمر) (۲).

و أما الآيه الثالثه فهى تخبرنا أن اللّه سبحانه و تعالى قد محا آيه الليل،التى هى القمر بعد أن كانت ملتهبه،محاها و طمسها،و ترك آيه النهار مبصره مضيئه التى هى الشمس.

يقول الفخر الرازى: فَمَحَوْنا آيَهَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً أن يكون المراد و جعلنا نيّرى الليل و النهار آيتين،يريد الشمس و القمر، فَمَحَوْنا آيَهَ اللَّيْلِ و هى القمر و المراد من محو القمر الكلف الذى يظهر فى وجهه...و معنى المحو فى اللغه إذهاب الأثر،تقول:محوته أمحوه و انمحى و امتحى إذا ذهب أثره... وَ جَعَلْنا آيَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً و معنى كونها مبصره،أى مضيئه و ذلك لأن الإضاءه سبب لحصول الإبصار، فأطلق سبحانه اسم الإبصار على الإضاءه إطلاقا لاسم السبب على المسبب) (۳).۵.

۱- تفسير القرآن العظيم،ابن كثير،۱۸۱/۳.

۲- التفسير الكبير،للفخر الرازى،۳۵/۹،و انظر:حاشيه الشهاب على البيضاوى،لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجى،تحقيق،عبد الرزاق المهدى،بيروت،دار الكتب العلميه،الطبعه الأولى،۱۳۱۷ ه ۱۹۹۷/،۱۸۴/۹.

۳- التفسير الكبير،للفخر الرازى،۱۶۵/۱۰،و انظر:الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۱۴۹/۵.

(و الليل فی نفسه آيه،و فيه آيات،و أظهر آياته هو القمر،فيقال فی القمر:آيه الليل، و النهار فی نفسه آيه،و فيه آيات،و أظهر آياته هی الشمس،فيقال فی الشمس:آيه النهار...ثم إن المراد من لفظ الآيه فی الموضعين واحد:

۱-فإما أن يراد بها نفس الليل و النهار،و الإضافه فی آيه الليل و آيه النهار للتبيين كإضافه العدد للمعدود،أو يراد بها الشمس و القمر فيكون وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ على تقدير مضاف فی الأول تقديره هكذا،و جعلنا نيرى الليل و النهار ذوى آيتين.

۲-و إما على تقديرنا المتقدم فإن لفظ آيَتَيْنِ صادق على الليل و النهار،و لفظ آيه الليل و آيه النهار صادق على الشمس و القمر،و عليه يكون تقدير الآيه هكذا:و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا قمر الليل،و جعلنا شمس النهار مبصره،و هو تقدير صحيح لا- معارض له من جهه اللفظ و لا- من جهه المعنى،و سالم من دعوى تقدير محذوف، و مفيد لكثره المعنى بأربع آيات،بالليل و قمره،و النهار و شمسه،فالتقدير به أولى، و لذلك فسرنا الآيه عليه) (۱).

و أما الجعل فهو(إيجاد ما به يكون الشیء على صفه لم يكن عليها،و المضاف محذوف،تقديره جعل الشمس ذات ضياء،و القمر ذا نور،و الضياء أبلغ فی كشف الظلمات من النور،و فيه صفه زائده على النور) (۲).

و فی تفسير«غرائب القرآن»:(و المضاف محذوف،و التقدير:و جعلنا نيّرى الليل و النهار آيتين فمحونا آيه الليل التی هی القمر،حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس، فترى به الأشياء رؤيه غير بينه،و جعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فی ضوئها كل شیء) (۳).

هذه بعض أقوال المفسرين القدامى رحمهم اللّه تعالى،و التی فرقوا كما رأينا بين ضوء الشمس الذی يحوى الحراره و النور،و بين نور القمر الذی هو انعكاس عن ضوء۴.

۱- تفسير ابن باديس،عبد الحميد بن باديس،بيروت،دار الفكر،الطبعه الثالثه،۱۳۹۹ ه/ ۱۹۷۹،ص:۶۰.

۲- مجمع البيان فی تفسير القرآن،الفضل بن الحسن الطبرسی،تحقيق هاشم المحلاتی،طهران، المكتبه العلميه،د.ت،۶۱/۳.

۳- تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان،نظام الدين الحسن بن محمد القمی النيسابوری، تحقيق،زكريا عميرات،بيروت،دار الكتب العلميه،۱۴۱۶ ه/۱۹۹۶،۳۲۹/۴.

الشمس و شعاعها،و هذا ما قاله العلماء المعاصرون،و منهم الشيخ عبد المجيد الزندانی (۱)إذ يقول:(القمر كان مشتعلا ثم انطفأ،قال تعالی: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً فآيه الليل القمر،و آيه النهار الشمس، و محونا آيه الليل أی طمسناها و أزلنا ضوءها،و المحو:الطمس،و لا يكون إلا بعد الإناره،فمن هنا عرفنا أن القمر كان مشتعلا ثم محی ضوؤه و الله أعلم،و هذا السر لم يعرف إلا قريبا بعد أن تيسّرت الآلات للباحثين،و هذا يشهد أن محمدا صلی اللّه عليه و سلم قد جاءه الوحی بهذا من عند اللّه) (۲).

إذن نستطيع أن نستخلص من معطيات الآيات القرآنيه ما يلی:

أولا:أن القمر جسم منير يكتسب نوره من الشمس،و لا يوجد فيه إضاءه ذاتيه.

ثانيا:القمر كان جسما مشتعلا ثم انطفأ.

الحقائق العلميه:

هذا ما أثبته العلم،فقد أصبح اليوم من المسلّم به أن القمر كان كتله ناريه ملتهبه ثم انطفأ بعد ذلك و خمد لهيبه.

(القمر جسم مظلم أساسا،و ضوؤه انعكاس لضوء الشمس،و يتغير الجزء المضیء من القمر من يوم لآخر فی الحجم و الشكل،فأول ما نراه يكون خطا رفيعا منحنيا مستنيرا،ثم يزداد حجمه شيئا فشيئا،حتی يصبح دائره تامه،ثم يأخذ فی التناقص حتی يصبح خطا فی أول ظهوره،و يطلق علی هذه الأشكال أوجه القمر) (۳).

و نجد نفس المعنی فی كتاب«المحيط الكونی و أسراره»:(و كما هو معروف فالقمر جسم معتم مظلم بذاته،يأخذ نوره من الشمس كما تأخذه الكواكب الأخری و يعكسه

۱- الشيخ عبد المجيد الزندانی،داعيه يمنی شهير،و تربطنی به صله شخصيه و حوارات حول قضايا الإعجاز فی القرآن و السنه،و هو يشغل منصب رئيس جامعه الإيمان فی اليمن حاليا،و يعتبر من الرواد فی هذا العصر فی قضايا الإعجاز فی الإسلام.

۲- كتاب التوحيد،عبد المجيد الزندانی،دمشق،دار الخير،الطبعه الأولی،۱۴۱۱ ه ۱۹۹۰/، ص ۷۲.

۳- المنظومه الشمسيه،عبد الأمير المرتضی المؤمن،دبی،الإمارات العربيه المتحده،الطبعه الأولی،۱۹۹۷،ص ۱۷۱.

علينا،كما تفعل المرآه المعلقه فى الفضاء،كما أن الأرض نفسها تأخذ نورها من الشمس و تعكسه على القمر،فيبدو جميلا متألقا ببهائه و لمعانه) (۱).

و فى كتاب«القمر»:(و يعتقد كثير من العلماء فى الوقت الحالى،أن قمرنا نشأ بنفس الطريقه التى نشأت بها المجموعه الشمسيه،أى إن القمر انفصل على هيئه لسان نارى أيضا فى العصور الأولى للكره الأرضيه عند ما كانت فى حاله شبه سائله) (۲).

و يستنتج الفلكيون هذه الحقيقه(من العمر المديد لصخور النجود القمريه،أن السطوح الوعره و المرتفعه على القمر،تكونت بعد زمن قصير من ولادته،و ربما كان القمر عندها كتله منصهره،الأمر الذى يسمح للماده الكثيفه الغنيه بالحديد بالغوص إلى داخل القمر،فى حين تطفو الماده الأقل كثافه على السطح،و لدى بلوغ هذه الماده الصخريه الأخيره السطح،فقد تبردت و انعقدت مكونه بذلك القشره القمريه،و تلا ذلك قصف النجود القمريه بأجرام صلبه من الفضاء،و نشأ عن ذلك العديد من الفوهات البركانيه التى نراها منتشره هناك،و فيما كان القمر يتبرد،كانت قشرته تزداد ثخانه و نظرا لهبوط الماده الأكثف إلى باطن القمر عند ما كان فى حاله منصهره،فإن الحمم البركانيه المندفعه من الأعماق،كانت أكثف من الصخور السطحيه التى انغمرت بها) (۳).

الإعجاز:

إن هذه الحقائق العلميه الحديثه تتفق تماما مع النصوص القرآنيه الكريمه،و التى استعرضناها فى صدر المبحث،فالقرآن قد قرر منذ نزوله على النبى صلى اللّه عليه و سلم أن القمر جسم منير،و لا يوجد فيه إضاءه ذاتيه،كما قرر أن القمر كان مشتعلا يوما ما ثم خمد نوره و انطفأ،و مع مرور الأيام و تطور أدوات البحث العلمى الحديثه،ثبت للعلماء مصداقيه هذه الحقائق القرآنيه المعجزه،فسبحان اللّه العليم الخبير.

۱- المحيط الكونى و أسراره،نجيب زبيب،ص:۶۷،و انظر:فى أعماق الفضاء،عبد الحميد سماحه،بيروت،دار الشروق،الطبعه الثالثه ۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰/،ص:۴۳،و انظر:الفلك و الأنواء فى التراث،على عبنده،۱۹۹۱،ص:۵۵.

۲- القمر،محمد على المغربى،القاهره،دار المعارف،الطبعه الثانيه،۱۹۶۶،ص:۱۰۹.

۳- استكشافات و مقدمه علم الفلك،توماست آرنى،ص:۲۳۳.

صوره تظهر القمر و فيه بعض الفوهات و الوديان السحيقه.

ص: ۲۹۰

المبحث الثانی

اشاره

انشقاق القمر

قال تعالی: اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (۱).

و قال سبحانه: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ(۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ(۱۹) (۲).

انشقاق القمر معجزه من أعظم المعجزات الحسیه التی خلّدها القرآن الکریم و ثبتت فی الصحاح و هی مکرمه إلهیه لرسوله صلی اللّه علیه و سلم،و لم ینشقّ القمر لأحد من قبله من أنبیاء اللّه و مرسلیه،و قد رآها الناس رأی العین،و شاهدوا انفلاق القمر إلی فلقتین فی کبد السماء،و سألوا أهل البوادی و القوافل الرّحاله عن ذلک فما أنکر منهم أحد،إلا- من رکب رأسه،و آثر الجحود السافر علی دلائل الحق و براهین الهدی.

روی الطبری بسنده فی تفسیره،عن أبی عبد الرحمن السلمی قال:(نزلنا المدائن فکنّا منها علی فرسخ،فجاءت الجمعه،فحضر أبیّ،و حضرت معه،فخطبنا حذیفه فقال ألا إن اللّه یقول: اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ألا و إن الساعه قد اقتربت،ألا و إن القمر قد انشق،ألا و إن الدنیا قد أذنت بفراق و إن الیوم مضمار و غدا السباق...) (۳).

و فی تفسیر الإمام القرطبی:(...و قال قوم:لم یقع انشقاق القمر بعد و هو منتظر، أی اقترب قیام الساعه و انشقاق القمر،و أن الساعه إذا قامت انشقت السماء بما فیها من القمر و غیره،و کذا قال القشیری،و ذکر الماوردیّ:أن هذا قول الجمهور،و قال:لأنه إذا انشق ما بقی أحد إلا رآه،لأنه آیه و الناس فی الآیات سواء) (۴).

۱- سوره القمر،الآیه:۱.

۲- سوره الانشقاق،الآیتان ۱۸،۱۹.

۳- جامع البیان،للطبری،۵۱/۱۲،و انظر:معانی القرآن،یحیی بن زیاد الفراء،بیروت،عالم الکتب،الطبعه الثالثه،۱۴۰۳ ه،۱۰۴/۳.

۴- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۸۲/۱۷.

و فی تفسیر«البحر المحیط»:(و الأمّه مجمعه علی خلاف من زعم أن قوله: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ معناه:أنه ینشق یوم القیامه،و یرده من الآیه قوله: وَ إِنْ یَرَوْا آیَهً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ(۱) فلا یناسب هذا الکلام أن یأتی إلا بعد ظهور ما سألوه معینا من انشقاق القمر،و قیل:سألوا آیه فی الجمله فأراهم هذه الآیه السماویه،و هی من أعظم الآیات،و ذلک التأثیر فی العالم العلوی) (۲).

و یقول الحافظ ابن کثیر: (وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ قد کان هذا فی زمان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کما ورد ذلک فی الأحادیث المتواتره بالأسانید الصحیحه...و هذا أمر متفق علیه بین العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فی زمان النبی صلی اللّه علیه و سلم و أنه کان إحدی معجزاته الباهرات) (۲).

و کما ذکر ابن کثیر بأن الأحادیث فی هذه المعجزه ثابته و کثیره،و منها ما ورد فی صحیح البخاری من حدیث ابن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال:(انشق القمر و نحن مع النبی صلی اللّه علیه و سلم، بمنی فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم:«اشهدوا»،و ذهبت فرقه نحو الجبل) (۳).

اختلف المفسرون کما رأینا إزاء هذه القضیه إلی فریقین،فریق یری بأن معجزه انشقاق القمر قد وقعت فی عهد النبی صلی اللّه علیه و سلم و آمن من آمن یومذاک،و کفر من کفر.

و فریق یری الأمر علی العکس من هذا تماما،حیث إن انشقاق القمر لم یقع بعد، و سوف ینشق القمر قبل قیام الساعه،و کما نقل القرطبی فی تفسیره عن الماوردی أن هذا قول الجمهور،لأنه إذا انشق ما بقی أحد إلا رآه،لأنه آیه و الناس فی الآیات سواء.

و لحسن الحظ،و لکی تتأکد هذه المعجزه القرآنیه،فإن علماء الفلک هم کذلک قد ذهبوا من المسأله مذهبین،و اختلفوا إلی رأیین،فمنهم من یری أن القمر قد انشق یوما من الأیام،و هذا الرأی هو رأی العلماء الأمریکان الذین هبطوا علی سطح القمر، و منهم من یری أن القمر سینشق فی المستقبل،و هذا رأی معظم الفلکیین.۱.

۱- تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۴۲۷/۴.

۲- البحر المحیط،محمد بن علی ابن حیان الأندلسی،القاهره،دار الفکر العربی،الطبعه الثانیه، ۱۹۸۳،۲۱۵/۷.

۳- رواه البخاری،فی فضائل الصحابه،باب انشقاق القمر،رقم(۳۶۵۶)،۱۴۰۴/۳،و أحمد فی مسنده،رقم(۴۳۵۷)،۴۵۶/۱.

الحقائق العلميه:

أما بالنسبه لمن رأى أن القمر قد انشق يوما ما،و هم علماء الفضاء الأمريكان،فإنى أنقل رأيهم و أثبته هنا عن الأستاذ الدكتور زغلول النجار (۱)و الذى ألقى محاضره حول الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم،و تطرق إلى قضيه انشقاق القمر،و أكد أن القمر قد انشق و دلل على ذلك من خلال سؤال طرح على علماء الفلك فى ناسا الأمريكيه و هو:

ما ذا استفدتم من رحلتكم إلى القمر و التى قد كلفتكم أكثر من مائه مليون دولار،و لو أنكم قدمتم هذه الأموال كمساعده إنسانيه إلى الفقراء أما كان هذا بأفضل؟.

و كان الجواب:إن أعظم شىء اكتشفناه خلال رحلتنا إلى القمر،أننا قمنا بتثبيت المراجف على سطح القمر لرصد الزلازل التى تحدث فيه،و للكشف عن بنيته،و بنتيجه ما قدمته تلك المراجف من معلومات،تبين لنا أن القمر يحوى حزاما حجريا متحركا على عرضه،مما يدل بوضوح على أن القمر قد انقسم إلى قسمين يوما ما ثم التحم.

و لقد كتب الدكتور زغلول مقالا فى جريده«البيان»الإماراتيه بعنوان«انشقاق القمر» و كان مما قال فيه:(لقد دوّن كل من التاريخ الهندى و الصينى القديم حادثه انشقاق القمر،و أرخوا بها،و فى محاضره لى بكليه الطب(جامعه كارديف)فى مقاطعه(ويلز) غربى بريطانيا،منذ عده سنوات مضت وجّه إلى أحد الحضور من المسلمين سؤالا عن الآيات فى مطلع سوره القمر،و هل تمثل ومضه من ومضات الإعجاز العلمى فى كتاب الله؟،فأجبت بأن هذه الواقعه تمثل إحدى المعجزات الحسيه التى وقعت تأييدا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى مواجهه كفار و مشركى قريش،و إنكارهم لنبوته صلى اللّه عليه و سلم،و أن المعجزات خوارق للسنن،و على ذلك فإن السنن الدنيويه لا يمكن لها تفسير كيفيه حدوث المعجزه،و لو لا ورودها فى كتاب اللّه،و فى سيره رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ما كان علينا نحن مسلمى اليوم أن نؤمن بها،و لكننا نقر بها،و نؤمن بوقوعها لورودها فى كتاب اللّه بالنص الإلهى الذى يقول فيه

۱- الدكتور زغلول النجار،مصرى الجنسيه،حاصل على الدكتوراه من جامعه ويلز البريطانيه فى علم الجيولوجيا عام ۱۹۶۳،حاضر فى العديد من الجامعات العربيه و الغربيه،و يرأس مركز البحوث القرآنيه فى لندن حاليا،و يعتبر الدكتور زغلول من أبرز من تكلم فى قضايا الإعجاز الجيولوجى فى القرآن الكريم باعتدال،و تربطنى به صله بحثيه علميه فى الإعجاز القرآنى،و هذا الكلام الذى أثبته هنا إنما هو نقل عن الدكتور زغلول فى محاضره ألقاها و حضرتها فى المركز التجارى فى إماره دبى،بتاريخ ۱۲ رمضان ۲۰۰۱.

ربنا: (اقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ(۱) وَ إِنْ یَرَوْا آیَهً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ(۲) وَ کَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَ کُلَّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ(۳) وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِیهِ مُزْدَجَرٌ(۴) حِکْمَهٌ بالِغَهٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ(۵) (۱)و بعد انتهاء حدیثی،وقف رجل بریطانی من الحضور و استأذن فی أن یضیف شیئا إلی إجابتی فأذنت له،ثم بدأ بتعریف نفسه علی أن اسمه داود موسی بیدکول،و أنه مسلم،و یرأس الحزب الإسلامی البریطانی،ثم أضاف أن هذه الآیات فی مطلع سوره القمر کانت هی السبب فی إسلامه فی أواخر السبعینات من القرن العشرین،لأنه ببحث مستفیض فی الأدیان أهداه أحد المسلمین ترجمه لمعانی القرآن الکریم،و أنه عند فتح هذه الترجمه لأول مره فوجئ بسوره القمر،فقرأ الآیات فی مطلعها،و لم یکد یصدق أن القمر قد انشق ثم التحم فأغلق الترجمه و انصرف عنها،ثم شاء اللّه سبحانه و تعالی أن یشاهد علی شاشه التلفاز البریطانی(. C.B.B)برنامجا عن رحلات الفضاء،استضاف فیه المذیع البریطانی جیمس بیرک (James Burke) ثلاثه من علماء الفضاء الأمریکیین،و ذلک فی سنه ۱۹۷۸،و فی أثناء الحوار کان المذیع ینتقد الإسراف علی رحلات الفضاء بإنفاق بلایین الدولارات، و الأرض یتضور فیها ملایین البشر من الجوع،و المرض،و الجهل،و التخلف،و کان جواب العلماء أنه بفضل هذه الرحلات تم تطویر عدد من التقنیات الهامه التی تطبق فی مجالات التشخیص و العلاج الطبی،و الصناعه،و الزراعه و غیرها،و فی أثناء هذا الحوار جاء ذکر أول رحله إنزال رجل علی سطح القمر،و قد تکلفت أکثر من مائه ملیار دولار،و جلس المذیع یتابع عتابه علی هذا الإسراف،فرد العلماء بأن هذه الرحله قد أثبتت لهم حقیقه لو أنفقوا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقهم أحد،فسأل المذیع:ما هی هذه الحقیقه؟فأجابوا:أن هذا القمر قد سبق له أن انشق ثم التحم، و أن آثار محسوسه تؤید ذلک الحدث قد وجدت علی سطح القمر و امتدت إلی داخله، فقال السید بیدکول:حینما سمعت ذلک قفزت من الکرسی الذی کنت أجلس علیه أمام التلفاز،و قلت:معجزه تحدث لمحمد قبل ألف و أربعمائه سنه و یرویها القرآن بهذا التفصیل العجیب،یسخّر اللّه من یثبتها للمسلمین فی عصر العلوم و التقنیه الذی نعیشه، و ینفق هذا المبلغ الکبیر،لا بد و أن یکون هذا الدین حقا،و عدت إلی ترجمه معانی۵.

۱- سوره القمر،الآیات ۱-۵.

القرآن الكريم أقرأها بشغف شديد،و كانت آيات سوره القمر هى السبب المباشر لقبولى الإسلام دينا) (۱).

و أما بالنسبه للفريق الثانى و الذى يرى بأن القمر سينشق فى المستقبل،فهم كثر بل إن معظم من كتب من الفلكيين حول القمر تحدث عن انقسام القمر و انشقاقه فى المستقبل، و سأسوق هنا ما ورد فى«موسوعه المعارف الكونيه»حول هذا الموضوع:(كان القمر قريبا من الأرض عقب الانفصال منذ بلايين السنين،و أخذ يبتعد عنها تدريجيا للدوران حولها فى مدار ظلّ يتسع تدريجيا لزياده السرعه المداريه للقمر،تعويضا عن الإبطاء الحادث فى سرعه الدوران المغزلى للأرض بتأثير ظاهره المد و الجزر و هذا التعويض لا بد أن يحدث تلقائيا للحفاظ على كميه تحرك مجموعه الأرض و القمر معا،كنظام مغلق مرتبط ببعضه البعض،و لقد ثبت علميا و عمليا أن الأرض تبطئ بمقدار ۰۰۲،۰ من الثانيه فى زمن اليوم الواحد كل مائه سنه،لذلك يسرع القمر فى مداره فيزداد الطرد المركزى،لدرجه أن القمر يرتد عنّا حاليا بمعدل مسافه ۴ سم سنويا،و هذا الارتداد رغم ضآلته بالنسبه لنصف مدار قطر القمر حول الأرض حوالى«۳۸۴۰۰۰ كم»فإن الإزاحات الضئيله الناتجه عنه تراكمت عبر ملايين السنين حتى وضعت القمر فى مداره الحالى،و يعتقد العلماء أن هذه الظاهره و عوامل أخرى تؤثر على سرعه دوران الأرض حول نفسها،مما يؤثر بدوره على اختلال توازن القمر فى مداره فى المستقبل،لأن زياده سرعته حول نفسه أو حول الأرض ستؤدى حتما إلى انشقاق القمر تماما،كما يتفتت الشىء عند ما يتسارع دائرا فى خلاط كهربائى،أو عند ما تختل الجاذبيه على نصفيه و عندئذ سيرى الناس القمر منشقا) (۲).

و هكذا فإن ما توصل إليه العلماء من دراسات و أبحاث،تدل بمجملها دلاله واضحه على أن القمر قد انشق أو بالتأكيد سينشق،و فى هذا تأكيد على عظمه هذا القرآن و على سبقه فى إثبات الحقائق العلميه و الكونيه.

و أما بالنسبه للشق الثانى من هذا المبحث،و هو قوله سبحانه و تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا۴.

۱- أخذ هذا الكلام من موقع: http//:www.albayan.co.ae/albayan/۳۰/۱۱/۲۲۰/mnw.ll/htm

۲- المعارف الكونيه،مجموعه من العلماء،ص ۱۸۴.

اِتَّسَقَ(۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ(۱۹) ،فإن الواقع فسّر هذه الآيه الكريمه و ركب الإنسان حقا طبقا عن طبق عند ما نزل على سطح القمر،و اخترق طبقات السماء المتعدده.

(ففى ۲۰ تموز سنه ۱۹۶۹ نزل الرائدان الأمريكيان«نيل أرمسترنغ»و«أدوين ألدرين» على سطح القمر،كأول إنسانين يطئان جرما خارجا عن الأرض،و تلت هذه الرحله التاريخيه الناجحه ست رحلات من طراز«أوبللو»أنزلت روادا على سطح القمر...

و كان تاريخ نزول«أرمسترنغ»و«ألدرين»فى ۲۰ تموز ۱۹۶۹،و قد بقى الرائدان على سطح القمر مده ۲۲ ساعه و ۴۰ دقيقه وضعا خلالها أجهزه علميه متنوعه،كمقياس الزلازل لقياس الهزات القمريه،و قياس البراكين و غيرها إضافه إلى بعض الرموز التذكاريه كعلم أمريكا و غيره...و قد بدأت الرحله فى ۱۶ تموز ۱۹۶۹ و استمرت ۱۹۵ ساعه و ۲۰ دقيقه،و أنهت أعمالها فى ۲۴ تموز) (۱).

الإعجاز:

مما سبق يتّضح لنا أن المفسرين رحمهم اللّه تعالى،و علماء الفلك كذلك قد اختلفوا فى وقت وقوع حادثه انشقاق القمر،فمنهم من ذهب إلى أن القمر قد انشق زمن النبى صلى اللّه عليه و سلم،و منهم من رأى بأن القمر من دلائل الساعه و أن انشقاقه سيتزامن مع الأحداث التى تواكب قيام الساعه،كما أن علماء الفلك قد اختلفوا بين مؤكد على أن القمر قد انشق،و بين مؤكد على أنه سينشق فى المستقبل و تبقى الآيه القرآنيه معجزه فوق هذا و ذاك،و أنها أثبتت أن القمر قد انشق،لتكون سباقه إلى إثبات هذه الحقيقه العلميه التى توصل إليها باحثو اليوم.

كما أنّ الناحيه العلميه فى قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ(۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) قد اتضحت و أصبحت جليّه للعالم كله،فلقد اخترق الإنسان عده طباق و وصل إلى القمر،و ما كان أحد يتصور يوم نزول القرآن و لا يصدق بأن الإنسان سيصعد إلى السماء،و لا حتى قبل مائتى سنه،إلا أن القرآن قد أشار إلى إمكانيه غزو الفضاء إن ترقّى الإنسان فى مدارج العلم،و ملك زمام العلم و سلطانه،قال تعالى: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ (۲).

۱- المنظومه الشمسيه،عبد الأمير المرتضى المؤمن،ص:۱۷۳.

۲- سوره الرحمن،الآيه:۳۳.

صوره توضح رائد فضاء يسير على سطح القمر

ص: ٢٩٧

المبحث الثالث

اشاره

منازل القمر

قال تعالى: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ (۱).

و قال تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّی عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ (۲).

یشیر قوله تعالى: قَدَّرْناهُ مَنازِلَ إلى تنقلات القمر فی منازله التی ینزلها فی کل یوم من الشهر،و فی الآیه إشاره إعجازیه رائعه و هی أن القمر خلال تنقله فی منازله،إنما هو فی واقع الحال یدور حول الکره الأرضیه،و من من الناس قبل التقنیه الحدیثه کان یعلم أن القمر یدور حول الأرض،کما أن فی الآیه تقریر واضح إلى أن هذه المنازل إنما جعلها الحق عز و جلّ لتقویم حساب الأیام و السنین.

یقول الحافظ ابن کثیر:(و قدر القمر منازل،فأول ما یبدو صغیرا ثم یتزاید نوره و جرمه حتی یستوسق و یکمل إبداره،ثم یشرع فی النقص حتی یرجع إلى حالته الأولى فی تمام شهر...و قوله سبحانه و تعالى: وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ فبالشمس تعرف الأیام،و بسیر القمر تعرف الشهور و الأعوام) (۳).

و یصف القرطبی رحمه اللّه منازل القمر هذه فیقول:

(قَدَّرْناهُ مَنازِلَ ففی هذا جوابان،أحدهما قدرناه ذا منازل،و التقدیر الآخر قدّرنا له منازل...و المنازل«ثمانیه و عشرون منزلا»ینزل القمر کل لیله منها بمنزل،و هی:

الشرطان البطین،الثریا،الدبران،الهقعه،الذراع،النشره،الطرف،الجبهه، الخراتان،الصرفه،العواء السماک الفغر،الزبانیان،الإکلیل،القلب،الشوله، النسائم،البلده،سعد الذابح،سعد بلع،المفرغ المؤخر،بطن الحوت.

۱- سوره یونس،الآیه:۵.

۲- سوره یس،الآیه:۳۹.

۳- تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۱۸۱/۳.

فإذا صار القمر فی آخرها عاد إلی أولها،فیقطع الفلک فی ثمان و عشرین لیله،ثم یستتر ثم یطلع هلالا،فیعود فی قطع الفلک علی المنازل،و هی منقسمه علی البروج لکل برج منزلان و ثلث فللحمل الشرطان و البطین و ثلث الثریا،و للثور ثلثا الثریا و الدبران و ثلثا الهقعه،ثم کذلک إلی سائرها (۱).

و أما العرجون: حَتّی عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ فهو(عود العذق الذی علیه الشماریخ، و هو فعلون من الانفراج و هو الانعطاف،أی سار فی منازله،فإذا کان فی آخرها دقّ و استقوس و ضاق حتی صار کالعرجون القدیم،و«العرجون»الذی یبقی من الکباسه فی النخله إذا قطعت و«القدیم»البالی) (۲).

و فی تفسیر«الکشاف»: عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ و هو عود العذق ما بین شماریخه إلی منبته من النخله...و القدیم المحلول،إذ قدم و دق و انحنی و اصفرّ فشبه به من ثلاث أوجه) (۳).

بعد هذا التطواف الموجز عن منازل القمر فی کتب المفسرین،نأتی إلی حدیث علماء الفلک عن منازل القمر و تحرکاته،و لا شک أن علماء الفلک قد أسهبوا فی الحدیث عن منازل القمر،و عن أوجهه إلا أننا سنقتصر علی دراسه واحده لمنازل القمر.

الحقائق العلمیه:

ففی کتاب«القمر»:(یتخذ القمر خلال دورته الشهریه،أی الانتقالیه حول الأرض مواقع محدده بالنسبه لها و للشمس،و له فی کل من تلک المواقع مظهر خاص راجع إلی مقدار المساحه التی یغمرها النور من وجهه،و الشکل الذی یتخذه ذلک الجزء المغمور بالنور،و تدعی تلک المظاهر باسم«منازل القمر»أو«وجوهه»علما بأن شروق القمر، یتأخر کل یوم عن الیوم السابق بمقدار ۵۰ دقیقه وسطیا و أول تلک الوجوه:

اولا:الهلال هو أول منزل من منازل القمر،إذ یکون القمر یومها قد ابتعد قلیلا عن نقطه

۱- الجامع لأحکام القرآن،القرطبی،۲۱/۸.

۲- المصدر نفسه،۲۲/۸.

۳- الکشاف،للزمخشری،۳۲۳/۳.

الصعود،و هو فی طریقه إلی سماء نصف الکره الشمالی،فیری یومها فی الأفق الغربی،بعد غروب الشمس بقلیل و قرب المکان الذی تغرب فیه الشمس،و قد أنارت الشمس أقصی الطرف الأیسر من السطح المعتم المتجه نحونا،و لا یتمکن من رؤیه ذلک الهلال النحیل إلا أصحاب البصر الحاد،و خلال فتره قصیره،إذ لا یلبث أن یغیب بعدها تحت الأفق،و یزداد عرض ذلک الهلال یوما بعد یوم حتی إذا ما انقضت مده ۶ أیام و ۱۶ ساعه و ۱۱ دقیقه علی بدایه الشهر القمری،فإن القمر یدخل منزلا جدیدا،إذ یتخذ شکلا مغایرا للشکل السابق حیث یقال إنه فی التربیع الأول.

التربیع الثانی:

فی الیوم السابع من الشهر القمری، یلاحظ القمر بعد غروب الشمس بقلیل، فی وسط السماء و قد غمر النور نصفه الأیسر،و عندها یقال:إنه فی التربیع الأول،إذ یکون قد أمضی ربع دورته الانتقالیه الشهریه حول الأرض،و ذاک هو المنزل الثانی من منازل القمر.

الأحدب الأول:

و فی الیوم الثامن من الشهر القمری و ما بعده،یزداد القسم المنار من سطح القمر،کما یری بعد غروب الشمس و هو أقرب إلی الأفق الشرقی،حیث یصبح القسم الأکبر منه منارا،و ذلک بعد مضی ۱۱ یوما علی بدء الشهر القمری،و یکون صوره القمر فی شکل هلال تحدبه نحو یمینه،أی باتجاه الشرق و یدعی القمر عندها الأحدب الأول،و هو ثالث منزل من منازل القمر،أی وجوهه.

البدر:

و فی لیله النصف من الشهر القمری یکون القمر قد بلغ نقطه النزول،و قد غمر النور کامل وجهه،و یتفق إشراقه من الأفق الشرقی مع غیاب الشمس فی الأفق الغربی،

و يقال يومها:إن القمر فی حاله تقابل مع الشمس،إذ يكون هو و الشمس و بينهما الأرض على استقامه واحده،و يدعى القمر عندها بدرا،و ذاك هو رابع منزل من المنازل التی يبلغها القمر بعد مضی ۱۴ يوما على بدايه الشهر القمری.

الأحدب الثانی:

و يأخذ القمر يوما بعد يوم بالتأخّر فی الشروق بمقدار ۵۰ دقيقه وسطيا،كما يأخذ النور بالانحسار عن الجزء الأيسر منه،حتی إذا ما انقضت أربعه أيام على الحاله التی كان القمر فيها بدرا،رسم الخط الفاصل بين القسم المنار منه و القسم المظلم،خطا منحنيا تحدبه نحو الطرف الأيسر منه و يدعى القمر عندها الأحدب الثانی،و هو المنزل الخامس من منازل القمر،كما يلاحظ أنه بدءا من اليوم السادس عشر من الشهر القمری،يأخذ القمر بالاقتراب من الأفق الجنوبی،يوما بعد يوم إذ يكون قد انتقل إلی سماء نصف الكره الجنوبی.

التربيع الثانی:

و عند ما يمضی من الشهر القمری ۲۲ يوما،نجد أن النور لم يعد يغطی إلا النصف الأيمن فقط من سطح القمر،و ذلك هو المنزل السادس من منازل القمر الذی يدعى التربيع الثانی،و يلاحظ أن شروقه يومها يتأخر حوالی ۵ ساعات تقريبا بعد غروب الشمس،كما يری نهارا و هو يتحرك شيئا فشيئا باتجاه الأفق الغربی،حيث يقترب منه ظهيره ذلك اليوم.

الهلال الثانی:

و فی الأيام الثلاثه التی تلی التربيع الثانی،يلاحظ أن النور لم يعد يغطی إلا قسما صغيرا من طرفه الأيمن،متخذا شكل هلال يری فی النهار،و يكون تحدبه مساء عند اقترابه من الأفق الغربی نحو يمين القمر،و ذاك هو المنزل السابع من منازل القمر.

المحاق:

و فی آخر يوم من الشهر القمری،يكون القمر قد بلغ نقطه الصعود،و أصبح بين الأرض و الشمس على استقامه واحده،و قد غمر الظلام كامل وجهه المتجه نحونا، و يكون قد غاب تحت الأفق مع مغيب الشمس،فلا يری،و يقال لحالته تلك:«حاله الاقتران»أما منزله و هو المنزل الثامن فيدعى المحاق،إذ يقال للقمر يومها:إنه محاق، لأنه محق لا تمكن رؤيته.

القمر الرمادی:

فی بدایه الشهر القمری،حین یکون الهلال نحیلا،نجده و قد احتضن القسم المظلم الباقی من القمر و الذی یبدو لأعیننا علی شکل دائره سوداء،و لو نظرنا لتلک الدائره بالمرقب،لرأینا غشاء خفیفا من نور رمادی اللون یغطیها،و ما مصدر ذلک النور إلا الأرض التی تعکس نورها نحوه،مما یجعل ذلک القسم المظلم من القمر یری بالعین المجرده.

بدایه الشهر القمری و أول وجوه منازل القمر:

یبدأ الیوم عند المسلمین من بعد غروب شمس الیوم السابق،بینما یبدأ الیوم عند بقیه الشعوب فی منتصف اللیله التی تلی نهار الیوم السابق،و هذا مما جعل أول وجه من وجوه القمر لدی المسلمین الهلال،بینما تعتبر بقیه شعوب العالم وجه القمر المسمی محاقا،أول وجوهه أی منازله) (۱).

و نحن المسلمین نستخدم فی دولنا الإسلامیه التقویم الهجری،و السنه القمریه التی ترتکز أساسا علی رصد الأهله الاثنی عشر شهرا،أی ۳۵۴ یوما،بینما السنه المیلادیه أو الشمسیه ترتکز علی زمن دوره الأرض حول الشمس و التی تقدر ۳۶۵،یوما أرضیا و ربع،و هنا إعجاز قرآنی عجیب،إذ أن کل ۳۰۰ سنه میلادیه یعادلها ۳۰۹ سنه قمریه، و هذا تحقیق للمعجزه القرآنیه فی قوله تعالی: وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَهٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً (۲).

(و لبثوا فی کهفهم،و لبث الفتیه فی کهفهم أحیاء نائمین،فمنذ أن أنامهم اللّه إلی أن أیقظهم ثلاثمائه سنه و تسعا،و ذکر بعض المفسرین أن المده ثلاثمائه سنه شمسیه، و ثلاثمائه و تسع قمریه) (۳).

(تبلغ السنه الشمسیه،و هی التی تسمی الانقلابیه،لأنها عباره عن مده تنقضی بین مرورین متتالیین للشمس بنقطه اعتدال واحد ۲۱۷،۲۴۲،۳۶۵ یوما شمسیا،ینتج بمرورها الصیف و الخریف و الشتاء و الربیع،و السنه القمریه تتکون من۴.

۱- انظر:القمر،إبراهیم حلمی غوری،ص ۱۴۸.

۲- سوره الکهف،الآیه:۲۵.

۳- غایه البیان فی تفسیر القرآن،حسن علوان و آخرون،الدوحه،مطابع قطر الوطنیه،د.ت،۳/ ۹۴.

۰۶۷،۳۶۷،۳۴۵ یوما،و هی المده بین کسوفین متوالیین مقسومه علی عدد حرکات القمر الدائریه،فالفرق بین السنه الشمسیه و السنه القمریه أی الهجریه ۱۰،۱۴۹،۸۷۵ یوما،و بذلک یکون فی کل ۳۳ سنه فرق قدره ۹۱۷،۸۷۹،۳۵۸ یوما،أی ما یقرب من السنه،و علیه تزید کل مائه سنه ثلاث سنوات،و تکون ۳۰۰ سنه شمسیه یقابلها ۳۰۹ سنه قمریه و لقد تم أیضا حساب الشهر القمری حدیثا فوجد أنه ۵۳۰۵۹،۲۹ و تکون السنه القمریه مساویه ۵۳۰۵۹،۲۹ ۳۶،۳۴۵ X ۱۲ یوما.و بهذا فإن ۳۰۰ سنه شمسیه تقابل ۳۰۹ سنه قمریه(هجریه)و هذه العلاقه الریاضیه واضحه فی الآیه السابقه التی تبین أیضا نسبیه الزمن،سواء قسمناه بالتقویم الشمسی أو القمری) (۱).

و من المعلوم أن العرب یستعملون السنه القمریه لحساب شهورهم و سنواتهم،و لکن أصحاب الکهف و أهل زمانهم کانوا یستخدمون السنه الشمسیه،فلقد لبث أهل الکهف ۳۰۰ سنه شمسیه لأنهم یستخدمون التقویم الشمسی فی زمانهم، وَ ازْدَادُوا تِسْعاً حسب استعمال العرب و المسلمون للسنه القمریه.

الإعجاز:

یتجلّی الإعجاز القرآنی فی القمر هاهنا،أن اللّه عز و جل قد جعل للقمر منازل ینزلها فی کل شهر،و هذا دلیل قطعی علی دورانه حول الأرض،و هذا ما اکتشفه العلم و أثبته، و التعبیر القرآنی المعجز دقیق: مَنازِلَ إذ فیه دلاله قطعیه علی دوران القمر حول الکره الأرضیه،تلک الحقیقه التی لم یکن أحد یعرفها إبان نزول القرآن و بعده بقرون.

کما أن الإعجاز القرآنی الحسابی الدقیق یتضح فی السنه الشمسیه و القمریه،فکل ۳۰۰ سنه شمسیه تساوی ۳۰۹ سنه قمریه،فسبحان اللّه العظیم.

۱- من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم و السنه النبویه،موسی الخطیب،ص:۲۷۴.

المبحث الرابع

اشاره

و جمع الشمس و القمر

قال تعالى: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (۱).

تتحدث هذه الآيه الكريمه عن حدث من الأحداث التى ستتزامن مع قيام الساعه، و تتساور مع خراب الكون و دماره،فالشمس و القمر-كما تنص الآيه القرآنيه-سوف يجتمعان،و هذه الصوره القرآنيه أسهب علماء الفلك بالحديث عنها،من أن الشمس سيكبر حجمها و تجتمع مع القمر،و لا شك أنهم لا يعرفون الآيه القرآنيه و لم يقرءوها، بحكم توغّلهم فى العلوم الماديه التطبيقيه و بعدهم عن القرآن،كما أنهم تحدثوا عن دوران القمر حول الأرض،و أنه خلال دورانه يبتعد شيئا فشيئا عن الأرض،و لو بنسبه قليله إلا أن هذا الابتعاد سيوقعه فى جاذبيه الشمس و يجتمع معها يوما ما،و قبل أن نصغى لهذه النتائج العلميه الفلكيه،نسوق بعض أقوال المفسرين فى الآيه الكريمه.

يقول الإمام الرازى:(قوله: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ فيه مسائل:المسأله الأولى،ذكروا فى كيفيه الجمع وجوها أحدها:أنه تعالى قال: لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ (۲)فإذا جاء وقت القيامه أدرك كل واحد منهما صاحبه و اجتمعا،و ثانيها:جمعا فى ذهاب الضوء،فهو كما يقال مثلا:الشافعى يجمع ما بين كذا و كذا فى حكم كذا، و ثالثها:يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار،و قيل:يجمعان ثم يقذفان فى البحر،فهناك نار اللّه الكبرى) (۳).

۱- سوره القيامه،الآيه:۹.

۲- سوره يس،الآيه:۴۰.

۳- التفسير الكبير،للفخر الرازى،۷۲۵/۳۰،و انظر:تفسير ابن عباس،إعداد،عبد العزيز بن عبد اللّه الحميدى،مكه المكرمه،مركز البحث العلمى،د.ت،ص ۹۴۹.

و فی تفسیر«غایه البیان»:(و جمع الشمس و القمر،یخسف القمر و یذهب ضوؤه، و یصطدم بالشمس لضعف ما کان بینهما من تماسک،فتکون نهایه العالم) (۱).

و فی تفسیر«بحر العلوم»:(و یقال:جمع الشمس و القمر،یعنی،سوی بینهما فی ذهاب نورهما،و إنما قال:و جمع الشمس و القمر،و لم یقل و جمعت،لأن المؤنث و المذکر إذا اجتمعا،فالغلبه للمذکر) (۲).

و قال الإمام القرطبی:(أی جمع بینهما فی ذهاب ضوئهما،فلا ضوء للشمس کما لا ضوء للقمر بعد خسوفه...و قال ابن عباس و ابن مسعود:جمع بینهما،أی قرن بینهما فی طلوعهما من المغرب أسودین مکوّرین مظلمین مقرنین کأنهما ثوران عقیران، و قال عطاء:یجمع بینهما یوم القیامه ثم یقذفان فی البحر،فیکونان نار اللّه الکبری، و قال علی و ابن عباس:یجعلان فی نور الحجب،و قد یجمعان فی نار جهنم،لأنهما قد عبدا من دون اللّه و لا تکون النار عذابا لهما لأنهما جماد،و إنما یفعل ذلک بهما زیاده فی تبکیت الکافرین و حسرتهم،و قیل:یجمع الشمس و القمر فلا یکون ثمّ تعاقب لیل و لا نهار) (۳).

هذا هو النبأ القرآنی حول مصیر القمر الذی سیجتمع مع الشمس،و هذه هی معطیات النصوص القرآنیه الکونیه،و لقد توصل علماء الفلک إلی هذه الحقیقه بعد بحث و دراسه مضنیین.

الحقائق العلمیه:

ففی کتاب«النهایه»و الذی یتحدث عن نهایه الکون و الأفلاک،یشیر إلی أن کوکب الشمس سیصبح عملاقا أحمر و یلتقم بعض کواکبه بما فیهم القمر:(...و ستبدو الأرض لمن ینظر إلیها من خارجها محجوبه بغطاء مثلما یبدو لنا الزهره الآن،و یسود منظر السحاب حمره شدیده حتی تؤدی الحراره إلی غلیان المحیطات تماما،و تتبخر السحب و الجو إلی الفضاء،و یصبح الکوکب العاری بلا وسیله دفاع فی وجه العملاق الأحمر الذی یملأ کل سماء وقت النهار،و لا یوجد أی أمل بالنسبه لعطارد و الزهره،

۱- غایه البیان،حسن علون و آخرون،۱۱۴/۶،و انظر:التفسیر المنیر،وهبه الزحیلی،بیروت، دار الفکر المعاصر،الطبعه الأولی ۱۴۱۱ ه،۱۹۹۱/۲۹،۲۵۴.

۲- بحر العلوم،للسمرقندی،۵۲۰/۳.

۳- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۹۵/۱۹.

فهذان الكوكبان سيتم التهامهما داخل الشمس المتضخمه،و إذا ظلت الأرض تقبع فى الخارج،فإنها ستصبح ملفوحه و قفراء،بلا حياه) (۱).

(و هذا الأمر حاصل،عند ما تتضخم الشمس لتبتلع الكواكب الثلاثه الأولى،عطارد و الزهره و الأرض و معها القمر،فهاهنا يجتمع الشمس و القمر،حين تصير الشمس عملاقا أحمر قبل تكويرها إلى قزم أبيض،و هذا ما سيحصل لمستقبل النظام الشمسى) (۲).

و نجد نفس الحقيقه فى«المعارف الكونيه»:(فالشمس سوف تنتفخ عند شيخوختها لتصبح عملاقا أحمر،أكبر ملايين المرات من الحجم الذى هى عليه الآن،و بذلك سوف يتحول لونها من الأصفر إلى الأحمر،أى تقل درجه حرارتها السطحيه ۶۰۰۰ إلى ۳۰۰۰ لاتساع مساحه سطحها المنتفخ لتبلع عندئذ الكوكبين القريبين عطارد و الزهره و تلتهمهما التهاما،و يتحولان بذلك إلى دخان فى باطن العملاق،و تستمر الشمس العملاقه الحمراء فى الانتفاخ فتبتلع قمر الأرض،ثم يصل سطحها بلونه الوردى إلى السحاب فوق رءوسنا،فيخطف أبصارنا لشده الالتماع و البرق،و عندئذ تشتعل البحار و المحيطات على سطح الكره الأرضيه،لتحلّل مائها فى هذه الحراره المرتفعه إلى أيدروجين يشتعل و أكسجين يساعد على الاشتعال) (۳).

و فى لقاء مع الدكتور زغلول النجار،سألته عن هذه القضيه فأجابنى نفس الحقائق العلميه التى أثبتناها هنا،إلا أنه زاد و أشار إلى لطيفه هامه حول جمع الشمس و القمر فقال:إن القمر خلال دورانه حول الأرض يبتعد عن مساره كل فتره زمنيه شيئا من الثانيه،و بمرور السنوات و الأحقاب سوف ينفلت من جاذبيه الأرض ليقع فى جاذبيه الشمس و عندها يجمع مع الشمس،و هذا مصداق لقوله تعالى: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ .

الإعجاز:

سبحان اللّه العظيم هذا الذى توصل إليه العلماء من حقائق كونيه،و أثبتوا أن القمر سيجمع مع الشمس،إلا أن كتاب اللّه قد سبقهم إلى تقرير هذه الحقيقه العلميه العظيمه، مما يحتم على الناس أجمع أن يعلنوا الخضوع و الولاء لهذا الكتاب العظيم.

۱- عالم المعرفه،النهايه،فرانك كلوز،ص ۲۹۲.

۲- خلق الكون،محمد باسل الطائى،ص ۴۲.

۳- المعارف الكونيه،مجموعه من العلماء،ص ۵۷.

الفصل الثامن: الإعجاز القرآنی فی الریاح

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:أنواع الریاح بین القرآن و العلم.

المبحث الثانی:تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم.

المبحث الثالث:البرق و البرد بین القرآن و العلم.

ص: ۳۰۷

تمهید

الریاح هو هواء متحرک،و فیه الحیاه فوق هذه البسیطه،و لم یستأثره أحد دون الآخر،و ما ملّکها اللّه سبحانه و تعالی و وکل بها أحدا من الناس،بل زمام أمورها و تصاریف حرکاتها و شئونها بید الخالق الرحیم جل جلاله.

قال تعالی: وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۱).

و قال سبحانه: وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ آیاتٌ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۲).

و للریاح وظائف کثیره،سخرها الحق سبحانه و تعالی خدمه لمخلوقاته،فالریاح تنقل الطاقه من المناطق المداریه إلی المناطق القطبیه الشحیحه بالطاقه،کما أن لها دورا فعالا فی تکاثف بخار الماء و تکوین السحب و الغیوم...

کما أنها تنقل بعض عناصر الجو من أمکنتها إلی مناطق أخری،و تنقل الأوبئه و التلوث الجوی من مکانها إلی مکان آخر،و تنقل الضباب المتنقل و الصقیع،و غیر ذلک من الظواهر الطبیعیه التی یعرفها دارسو المناخ و الغلاف الجوی.

و سیعرض موجز لأهم أنواع الریاح و أشکالها،و ذلک من منظور القرآن و العلم،ثم یوقف بعد ذلک علی وجوه الرحمه و العظمه فی هذا المخلوق العجیب،لأن الریاح إما أن تکون ریاح خیر و بشری،أو ریح دمار و عذاب،کما سیرکز علی السحب و أنواعها و طرق تشکلها،و یشار إلی وصف القرآن لهذا التشکل،ثم یثبت ما وصل إلیه العلماء

۱- سوره البقره،الآیه:۱۶۴.

۲- سوره الجاثیه،الآیه:۵.

بأحدث الأجهزه التقنيه إلى ذلك،كما سيعرج للحديث عن البرق و الرعد بين العلم و القرآن،و أهم ما توصل إليه علماء المناخ بشأن البرد و ارتباطه بالشحنات الكهربائيه، و دلاله ذلك من كتاب اللّه تعالى،ليتضح أن كثيرا من حقائق العلم التى أصبحت اليوم قطعيه ثابته،قد أشار بل صرح بها كتاب اللّه تعالى إبان نزوله على قلب الحبيب صلى اللّه عليه و سلم، و الله سبحانه الموفق.

ص: ٣١٠

المبحث الأول

اشاره

أنواع الرياح بين القرآن و العلم

بادئ ذى بدء يشار إلى أن الرياح وردت فى كتاب اللّه تعالى بمعنى الخير و البشرى، و ذلك عند ما تجمع(رياح)و إذا أفردت(ريح)فإنها تدل على الخراب و الدمار و الهلاك،و قد عرفها صاحب«مفردات ألفاظ القرآن»فقال:(الريح معروف،فهو فيما قيل:الهواء المحرك،و عامه المواضيع التى ذكر اللّه تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعباره عن العذاب،و كل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فهو عباره عن الرحمه، أمثله لذلك:

فمن الريح قوله تعالى فى شأن عاد: إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (۱).

و فى الحديث عن غزوه الأحزاب قال تعالى: فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها (۲).

و شبه الحق أعمال الكفره بالرماد التى تشتد به الريح فقال: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ (۳).

و كذلك قوله تعالى: كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ (۴).

و أورد أمثله بصيغه الجمع«الرياح»التى يدل على رحمته،من ذلك قوله تعالى:

وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ (۵) .

و قوله سبحانه: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ (۶).

۱- سوره القمر،الآيه:۱۹.

۲- سوره الأحزاب،الآيه:۹.

۳- سوره إبراهيم،الآيه:۱۸.

۴- سوره آل عمران،الآيه:۱۱۷.

۵- سوره الحجر،الآيه:۲۲.

۶- سوره الروم،الآيه:۴۶.

و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ (۱).

و قوله تعالى: اَللّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً (۲).

فالأظهر فيه الرحمه،و قرئ بلفظ الجمع) (۳).

و يعلّل القرطبى و يعلق على هذه القضيه بكلام نفيس رائع فيقول:(فمن وحّد مع الريح فلأنه اسم للجنس و يدل على القليل و الكثير،و من جمع فلاختلاف الجهات التى تهب منها الرياح،و من جمع مع الرحمه و وحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب فى القرآن نحو:الرياح مبشرات،و الريح العقيم،فجاءت فى القرآن مجموعه مع الرحمه،مفرده مع العذاب إلا فى يونس وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ (۴).

و روى أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم كان يقول إذا هبت الريح:«اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا» (۵)و ذلك لأن ريح العذاب شديده ملتئمه الأجزاء كأنها جسم واحد،و ريح الرحمه لينه متقطعه فلذلك هى رياح،فأفردت مع الفلك فى يونس،لأن ريح إجراء السفن إنما هى ريح واحده متصله ثم وصفت بالطيب بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ فزال الاشتراك بينها و بين ريح العذاب) (۶).

و إنها دقه عاليه فى التعليل لدى القرطبى رحمه اللّه،فالريح هى التى تحمل الدمار و الخراب و الشر و لشده قوتها و اتصال أجزائها لا يشعر بها الناس،حتى إذا ما وصلت إليهم و نسفت قواعدهم و دمرت منازلهم،تراهم قد أصيبوا بالهلع و الذعر و ربما الزوال،أما الرياح فهى النسيم العليل الحافل بالخير و البركه و الهدوء و المطر و الراحه النفسيه و الطمأنينه القلبيه،فتبارك اللّه الذى جعل للهواء جناحين جناح رحمه و الآخر عذاب.۱.

۱- سوره الأعراف،۵۷.

۲- سوره الروم،الآيه:۴۸.

۳- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانى،ص:۳۷۰.

۴- سوره يونس،الآيه:۲۲.

۵- مسند الشافعى،۱۸/۱،و أبو يعلى،رقم:(۲۴۵۶)،۲۴۳/۴،و المعجم الكبير،سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبرانى،تحقيق،حمدى السلفى،الموصل،مكتبه العلوم و الحكم،الطبعه الثانيه،۱۴۰۴ ه ۱۹۸۳/،رقم:(۱۱۵۳۱)،۲۱۳/۱۱.

۶- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۱۹۸/۱.

بعد هذا الإيضاح و التعريفين الهامين،نأتی للحديث عن أنواع الرياح بين العلم و القرآن،و سنتعرض الآن للقسم الأول من الرياح التی بسط الحديث عنها ربنا فی كتابه العزيز،و هی المختصه بالرحمه و الخير،الرياح.

أولا:اللواقح:

قال تعالی: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ (۱).

تعلق هذه الآيه الكريمه إنزال الماء من السماء بتلقيح الرياح للسحب،و تزويد السحب بقطرات الماء،و هذه حقيقه مشاهده أثبتها علماء المناخ و أفاضوا الحديث عنها،و لكن لنجول فی تفاسير العلماء و المعاجم حتی نری كيف فهموا هذه الآيه.

يقول القرطبی:(معنی لواقح،حوامل لأنها تحمل الماء و التراب و السحاب و الخير و النفع...و جعل الريح لاقحا لأنها تحمل السحاب،أی تقله و تصرفه ثم تمر به فتستدرّه أی تنزله) (۲).

و قال الزمخشری عن اللواقح:(فيه قولان:أحدهما أن الريح لاقح،إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتی لا تأتی بخير ريح عقيم،و الثانی:أن اللواقح بمعنی الملاقح) (۳).

و قال الطبری:(اختلف أهل العربيه فی وجه وصف الرياح باللقح،و إنما هی ملقحه لا-لاقحه و ذلك أنها تلقح السحاب و الشجر،و إنما توصف باللقح الملقوحه لا الملقح،كما يقال:ناقه لاقح،كان بعض نحويی البصره يقول:قيل:الرياح لواقح، فجعلها علی لاقح،كأن الرياح لقحت،لأن فيها خيرا فقد لقحت بخير،قال:و قال بعضهم:الرياح تلقح السحاب،فهذا يدلّ علی ذلك المعنی لأنها إذا أنشأته و فيها خير وصل ذلك إليه،و كان بعض نحويی الكوفه يقول:فی ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هی التی تلقح بمرورها علی التراب و الماء فيكون فيها اللقاح،فيقال:ريح لاقح،كما يقال:ناقه لاقح...و الصواب من القول فی ذلك عندی:أن الرياح لواقح۲.

۱- سوره الحجر،الآيه:۲۲.

۲- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبی،۱۵/۵،و انظر:تفسير البشائر،علی الشربجی،دمشق،دار البشائر،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه ۲۲۴/۲.

۳- الكشاف،للزمخشری،۳۸۹/۲.

كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها،و إن كانت قد تلقح السحاب و الأشجار،فهى لاقحه ملقحه،و لقحها:حملها الماء،و إلقاحها السحاب و الشجر عملها فيه،و ذلك كما قال عبد اللّه بن مسعود) (۱).

و ذهب طائفه من المفسرين إلى أن المقصود باللواقح هو تلقيح الرياح للشجر، و منهم من قرن تلقيح الشجر و تلقيح الرياح للسحب،و على رأسهم ابن كثير إذ يقول:

(أى تلقح السحاب فتدر ماء و تلقح الشجر فتفتح عن أوراقها و أكمامها،و ذكرها بصيغه الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها و وصفها بالعقيم و هو عدم الإنتاج) (۲).

و معنى لواقح فى اللغه:(اللقح اسم ما أخذ من الفحال ليدس فى الآخر،و جاءنا زمن اللقاح أى التلقيح،و قد لقحت النخيل،و يقال للنخله الواحده:لقحت بالتخفيف و استلقحت النخله،أى آن لها أن تلقح،و ألقحت الريح السحابه و الشجره و نحو ذلك فى كل شىء يحمل،و اللواقح من الرياح التى تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب فإذا اجتمع فى السحاب صار مطرا،و قيل:إنما هى ملاقح،فأما قولهم:لواقح فعلى حذف الزائد،قال اللّه سبحانه: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ) (۳).

يمكن لنا أن نستخلص من معطيات الآيه القرآنيه ما يلى:

أولا:أن اللّه سبحانه و تعالى أرسل الرياح و سخرها لمنافع العباد،و صوره المنفعه فى هذه الآيه أنها تعمل على التلقيح«لواقح».

ثانيا:و التلقيح يكون للأشجار و السحب معا،إلا أن الآيه هنا تتحدث عن تلقيح الرياح للسحب فقط.

و لقد حمل هذه الآيه عدد من المفسرين القدامى و المعاصرين،و صرفوا وجه الإعجاز فيها على أن المقصود باللواقح تلقيح الزرع و الشجر،و الذى يتمعن فى قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ يجد أنها تستوعب كلا المعنيين،لكن ما ينبغى أن نغفل الجزء الثانى من الآيه،و هو قوله تعالى: فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ فلو أن ما۱.

۱- جامع البيان،للطبرى،۱۴/۱۴.

۲- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ۳۹۶/۳.

۳- لسان العرب،لابن منظور،۵۹۷/۲،و انظر:القاموس المحيط، للفيروزآبادى،۳۰۶/۱.

ذهبوا إليه من أن الرياح تلقح الأشجار فقط،لاستلزم المعنى و اقتضى السياق القرآنى أن ينبنى عليه إخراج الزرع و الثمار بدل إنزال الماء،أما و أن القرآن قد رتب و أعقب إرسال الرياح اللواقح إنزال الماء من السماء ليسقيه الناس،فقد تحتّم أن يكون المقصود باللواقح تلقيح الرياح للسحب لإنزال المطر،و يتضح الربط هذا من الفاء، التى ربطت بين السبب و المسبب،و أقامت العلاقه المتينه بين العله و المعلول ليكون المعنى فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً و هذا هو وجه الإعجاز القرآنى فى هذا الصدد و هذا ما أثبته علماء المناخ.

الحقائق العلميه:

جاء فى موسوعه«المعارف الكونيه»:(لقد اكتشف العلماء حديثا أن الرياح علاوه على حملها لبخار الماء،فإنها تحمل معها أنويه التكثف على اختلاف أنواعها،من جسميات صغيره تنتشر فى الهواء بكميات و فيره أشبه ما تكون بالذرات،أو حطام المواد الذى نراه يسبح فى حزمه من أشعه الشمس،قوامه جسيمات من التربه و أتربه المصانع و دخان الأفران...و بطبيعه الحال يزداد تلوث الهواء بمثل هذه الجسيمات داخل المدن و يقل فى الأرياف،و هذه الجسيمات تعمل على تماسك أو تجمع جزيئات الماء العالقه فى الهواء مع بعضها البعض لتكون نقط الماء أو بلورات الثلج،و لهذا تدعى نوى التكاثف(Condensation nuclei)و بهذا فإن قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ يشير إلى فضل اللّه تعالى على عباده بجعل الرياح تقوم بهذه الوظيفه) (۱).

و هذه الحقيقه وردت فى كتب علماء المناخ،و من هذه الكتب كتاب«الغلاف و الطقس و المناخ»و مما جاء فيه:(تكوين أو تشكيل السحب يعتمد على حاله عدم استقرار الغلاف الجوى،و الحركه الراسيه كما إنه متحكم بواسطه العمليات على المقياس الصغير و هذه سوف يتم شرحها...

نواه التكاثف(Condensation nuclei):إنه من الأهميه بمكان ملاحظه أن التكاثف يحدث بصعوبه قصوى فى الهواء الصافى،و الخالى نسبيا من الغبار الذرى المتساقط، هذا فضلا عن أن الرطوبه يجب أن تجد السطح المناسب الذى يمكن أن تتكاثف عليه، و إذا تدنت درجه حراره الهواء الصافى إلى أقل من نقطه الندى(point Condensation)

۱- المعارف الكونيه،إعداد نخبه من العلماء،ص:۳۵۸.

تصبح مشبعه بإفراط،و هذه النوايات يمكن أن تكون ذرات غبار أو دخان أو ملح أو أكسيد الكبريتات،فتدخل هذه الذرات الغلاف الجوى عن طريق اندفاع فقّاعات الهواء ذرات الملح،و ذرات التربه الناعمه،و ناتج الاحتراق الكيميائى،فترتفع بواسطه الرياح و تعتبر كلا منها مصدرا هاما للنويات متساويا فى المعدل،و فى المراحل المبكره تنمو القطيرات الصغيره بسرعه كبيره بالمقارنه بالقطيرات الكبيره،كما أن بزياده حجم القطيرات يزداد معدل نموها بواسطه تناقص التكاثف،و يستمر هذا التدرج فى عمليات التكاثف لتشكيل قطرات المطر،و ينمو التساقط فى معظم السحب) (١).

ثانيا:المبشرات:

قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢).

تصف هذه الآيه الكريمه الرياح بأنها بشرى و رحمه،لأنها تحمل السحاب المثقل بالماء،و الذى يساق بتدبير الحكيم العليم إلى الأرض الميته لتحيا بعد ذلك،و تزهو بالخضار و تثقل الأشجار بالثمار و ينعم الإنسان بفضل اللّه و رحمته.

قال القرطبى:(حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً السحاب يذكّر و يؤنّث...و المعنى حملت الريح سحابا ثقالا بالماء،أى أثقلت بحمله... فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ أى بالبلد،و قيل:

أنزلنا بالسحاب آله لإنزال الماء) (٣).

و رياح المبشرات هذه،تحمل البشرى بالخير و البركه للخلائق ساكنى الأرض،و لها وظائف أخرى سخّرها اللّه سبحانه و تعالى لمصلحه عباده،و من تلك الوظائف ما ذكره٤.

١- الغلاف و الطقس و المناخ،بيرى شورى،ترجمه،عبد القادر على،طبع الهيئه العامه لشئون المطابع الأميريه،القاهره،١٩٩٣،ص ١٠٨.

٢- سوره الأعراف،الآيه:٥٧.

٣- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،٢٣٠/٤،و انظر:حاشيه الصاوى على الجلالين،تحقيق، على الصباغ،بيروت،دار الجيل،د.ت ٧٤/٢،و انظر:تنوير الأذهان من تفسير روح البيان،اختصار محمد على الصابونى،القاهره،دار الصابونى،الطبعه الأولى،١٩٨٨، ١/ ٥٤٤.

الحق سبحانه و تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱).

و لسيد قطب رحمه اللّه،تعليق جميل على هذه الآيه الكريمه نثبته هنا يقول:(تبشر بالمطر،و هم يعرفون الريح الممطره بالخبره و التجربه،فيستبشرون بها وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بآثار هذه البشرى من الخصب و النماء وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ سواء بدفع الرياح لها،أو بتكوين الأنهار من الأمطار فتجرى السفن فيها،و هى تجرى مع هذا بأمر اللّه و وفق سنته التى فطر عليها الكون،و حسب تقديره سبحانه،فقد أودع كل شيء خاصيته و وظيفته و جعل من شأن هذا أن تحف الفلك على سطح الماء فتسير،و أن تدفعها الرياح فتجرى مع التيار أو ضد التيار و كل شيء عنده بمقدار) (۲).

و هذا ما كشفه علماء الطبيعه فى الآونه الأخيره(من خاصيه دفع الماء للأجسام إلى أعلى مما يجعلها تطفو جميعا،أو قد يطفو جزء منها و يغمر باقيها حسب قانون الطفو الفيزيائى (۳)المعروف،و الذى تنسب أبحاثه الأولى إلى عالم الطبيعه المشهور المدعو «أرخميدس» (۴)و قد سميت تلك الظاهره الكونيه ظاهره دفع الماء الأجسام إلى الأعلى،الواصفه لبعض خصائص الماء باسمه فقيل غفله و تجاهلا-دافعه «أرخميدس»،و أجريت لها حسابات و تطبيقات عمليه،و إنما هى فى الواقع سنه من سنن اللّه البارى سبحانه،سخر بها البحار و الأنهار و ما فيها من الماء،للناس لتجرى الفلك و المراكب البحريه بأمره جل ثناؤه...و إنما كان«لأرخميدس»الفضل حقا فى أنه أول من كشف عن هذا القانون العام،و أماط اللثام عن هذه الحقيقه الكونيه القائمه منذ القديم) (۵).۷.

۱- سوره الروم،الآيه:۴۶.

۲- فى ظلال القرآن،سيد قطب،۲۷۷۴/۵،و انظر:تفسير الشعراوى،القاهره،أخبار اليوم، د.ت،۴۱۸۲/۷.

۳- و هو خاص بالأجسام التى يحملها الماء على متنه.

۴- أرخميدس،۲۸۷-۲۱۲ ق.م،عالم رياضى يونانى برهن أن كل جسم إذا انغمس فى سائل، يتلقى دفعه عموديه من أسفل إلى أعلى توازى ثقل ما شغل مكانه من السائل.انظر:صانعو التاريخ،سمير شيخانى،بيروت،مؤسسه عز الدين،۱۴۱۶ ه/۱۹۹۶م،۵۴/۱.

۵- مشهد الرياح و تصريفها،عبد الكريم العثمان،الرياض،الدار العالميه للكتاب الإسلامى، الطبعه الأولى،۱۴۱۸ ه/۱۹۹۷م،ص:۴۷.

من هذا العرض السريع و من هذه الزاويه،اتضح معنى الاستبشار بالرياح،و كيف أنها حفلت بالبشرى للناس و بالأمطار و الخواص الأخرى التى ذكرناها.

ثالثا:الذاريات:

قال تعالى: وَ الذّارِياتِ ذَرْواً(۱) فَالْحامِلاتِ وِقْراً(۲) فَالْجارِياتِ يُسْراً(۳) فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً(۴) (۱).

لقد أقسم اللّه سبحانه و تعالى بوصف عمل الرياح الذاريه،و له جل جلاله أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس لنا أن نقسم إلا بالله أو صفاته.

يقول الزمخشرى:(وَ الذّارِياتِ هى الرياح لأنها تذر التراب و غيره،كما قال اللّه سبحانه و تعالى: تَذْرُوهُ الرِّياحُ (۲).

و يقول صاحب«الظلال»:(وَ الـذّارِياتِ من عملها حمل حبوب اللقاح النباتيه من أعضاء التذكير فى الأزهار الأسديه أو المآبر،إلى أعضـاء التـأنيث فى مواقعهـا المتنوعه،و هى المـدقه أو المتـاع الحـاوى على البيوض،و بالتـالى تقوم الرياح بعمل التأبير لإخصاب أزهار النباتات،و إنجاز تكون البذور) (۳).

و فى«لسان العرب»:(ذرت الريح التراب و غيره تذروه و تذريه ذروا و ذريا و أذرته أطارته و سفته و أذهبته) (۴).

يتّضـح ممـا أسـلفنا من أقوال العلمـاء أن عمـل الرياح«الـذاريات»متنوع،فللـذاريات وظيفه فى حمل التراب و الرمال و غيرهما من مكان لآخر،و حمل غبار الطلع من أعضاء التـذكير الزهريه لتلقيح البويضه و ذلك فى عمليه التأبير المعروفه علميا،و ذلك إعجاز علمى حوته كلمه الذاريات لأنها تدل على هذه الوظائف التى سخرها اللّه لخدمه الناس.

و فى الصـحارى يظهر أثر الريـاح الـذاريه فى(تشـكيل سـطح الأـرض كعامـل إرساب بالصـحارى الحاره الجافه،و ذلك لتكوين الكثبان الرمليه التى هى عباره عن تلال رمليه۴.

۱- سوره الذاريات،الآيات ۱-۴.

۲- الكشاف،للزمخشرى،۱۳/۴،و انظر:التفسير الوسيط،و هبه الزحيلى،بيروت،دار الفكر المعاصر،۹۲/۳، ۲۰۰۰.

۳- فى ظلال القرآن،سيد قطب،۳۳۷۵/۶.

۴- لسان العرب،لابن منظور،۲۸۲/۱۴.

حبيباتها مستديره يتراوح الارتفاع فيها بين بضعه أقدام إلى عشرات الأمتار...و من فوائدها أنها تنقل هذه البذور من أماكن إنتاجها إلى مناطق أخرى بعيده عن الوطن الأم، مما يوسع انتشارها و ينوّع الغطاء النباتى فى المنطقه الزراعيه،فإن الرياح التى تذر ذلك الهشيم تنتقل إلى مسافات بعيده،و هى تحمل معها تلك الثمار أو البذور،فإذا هدأت سرعتها و عجزت عن الاستمرار فى الإمساك بحمولتها النباتيه،وقعت تلك البذور فى تربه جديده،فإذا ما استقرت فيها و استوفت حاجتها من الماء و المساحه و الضوء و غير ذلك من العوامل اللازمه للإنتاج،فإنها تنمو دون تنافس و تنوع الغطاء النباتى فى الأرض الجديده،و لهذا أهميته المعتبره عند الأخصائى الزراعى) (۱).

كما أنها تحمل(بعض النباتات أو أجزاء منها من مكان إلى آخر،حامله البذور تنثرها أينما ذهبت و مثل هذه النباتات يقال لها:(tumble weeds)و من هذه النباتات،كف مريم و هو نبات صحراوى يحمل أفرعا تحمل الثمار،و فى الجو الجاف تنحنى الأفرع نحو الداخل و يتكور النبات كالكره،التى تحملها الرياح إلى مسافات بعيده،و إذا ما وصلت الكره إلى منطقه رطبه تستقيم الأفرع و فى نفس الوقت تتفتح الثمار و تنتشر البذور) (۲).

و إلى هذا المعنى أشار الحق سبحانه و تعالى فى سوره الكهف: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ (۳).

الإعجاز:

لقد قرر القرآن الكريم أن الرياح من أبرز مهماتها أنها تلقح السحب،و تثير الغيوم لتنزل الأمطار و تنهمر المياه،و لم يكن أحد من الناس يعرف هذه الحقيقه قبل عصرنا هذا،عصر الكشوفات العلميه و ما ذكره المفسرون من تلقيح الرياح للسحب،ليس بسبب تقنيه علميه اعتمدوا عليها،إنما هو استمداد من كلام اللّه المعجز،الذى آمنوا بما جاء فيه،و الذى تتجدد حقائقه على مرّ الأيام و كرّ العصور،و الذى يسجل الحقائق العلميه،ثم يكتشفها الناس لتكون لهم آيه و معجزه.

۱- مشهد الرياح و تصريفها،عبد الكريم بن حسن العثمان،ص:۱۱۶،و ما بعدها.

۲- النباتات الزهريه،شكرى إبراهيم سعد،ص:۱۷۰.

۳- سوره الكهف،الآيه:۴۵.

المبحث الثانی

اشاره

تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم

قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ (۱).

و قال سبحانه: اَللّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ (۲).

تعرض هاتان الآیتان الکریمتان التسلسل الواضح فی عملیه تکوین السحاب و إثارته،ثم تصاعده عن طریق الهواء المتحرک اَلرِّیاحِ إلی السماء،ثم نشره فی جو المعموره،حسب تقدیر العلیم الخبیر جل جلاله و من ثم توزیعه علی خلقه لیستبشروا بنعمته تعالی و رحمته،کما أنها تشیر إلی نوع من أنواع السحب،ألا ـ و هو السحب البساطیه، و بنظره فی تفاسیر العلماء یزداد الأمر وضوحا و جلاء.

یقول الإمام الرازی:(بین دلائل الریاح علی التفصیل الأول فی إرسالها قدره و حکمه،أما القدره فظاهره،فإن الهواء اللطیف الذی یشقه الودق یصیر بحیث یقلع الشجر،و هو لیس بذاته کذلک فهو بفعل فاعل مختار،و أما الحکمه ففی نفس الهبوب فیما یفضی إلیه من إثاره السحب،ثم ذکر أنواع السحب فمنه ما یکون متصلا و منه ما یکون منقطعا،ثم المطر یخرج منه و الماء فی الهواء أعجب علامه للقدره،و ما یفضی إلیه من إنبات الزرع و إدرار الضرع حکمه بالغه،ثم إنه لا یعم بل یختص به قوم دون قوم و هو علامه المشیئه) (۳).

و فی تفسیر«بحر العلوم»:(قال اللّه عز و جل: اَللّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً یعنی

۱- سوره الأعراف،الآیه:۵۷.

۲- سوره الروم،الآیه:۴۸.

۳- التفسیر الکبیر،للرازی،۱۱۱/۲۵.

تدفعه و تهیجه،یقال:ثار الغبار إذا ارتفع: فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ یعنی کیف یشاء اللّه عز و جلّ إن شاء بسطه مسیره یوم أو أکثر وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً یعنی قطعا فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ یعنی المطر یخرج من خلاله،من وسط السحاب فَإِذا أَصابَ بِهِ یعنی بالمطر مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ یعنی یفرحون بنزول المطر) (۱).

و یعلق علی الآیه ابن کثیر فیقول:(یبین تعالی کیف یخلق السحاب الذی ینزل منه الماء،فقال تعالی: اَللّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً إما من البحر کما ذکره غیر واحد،أو مما یشاء اللّه عز و جلّ: فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ أی یمدّه فیکثره و ینمیه، و یجعل من القلیل کثیر،ینشئ سحابه تری فی رأی العین مثل الترس،ثم یبسطها حتی تملأ أرجاء الأفق،و تاره یأتی السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءه) (۲).

و نحتاج للوقوف علی وجه الإعجاز أن نحلل بعض المفردات الوارده هنا:تثیر، سحب،ودق،أما معنی تثیر،ففی«لسان العرب»:(ثار الدخان و الغبار و غیرهما یثور ثورا و ثؤورا و ثورانا،ظهر و سطع،و ثار القطا من مجثمه،و ثار الجراد ثورا و انثار، ظهر) (۳).

و أما معنی السحب،ففی کتاب«العین»:(السحب،جرک الشیء،کسحب المرأه ذیلها و کسحب الریح التراب،و سمی السحاب لانسحابه فی الهواء) (۴).

و فی«لسان العرب»:(جرک الشیء علی وجه الأرض،کالثوب و غیره،سحبه یسحبه سحبا فانسحب،جرّه فانجر،و المرأه تسحب ذیلها،و الریح تسحب التراب، و السحابه:الغیم،السحابه التی یکون عنها المطر سمیت بذلک لانسحابها فی الهواء) (۵).

و أما الودق،فمعناها:(الودق:المطر،ودق،کوعد،قطر و إلیه ودوقا و ودقا،دنا منه و أمکنه و به استأنس،و بطنه اتسع أو استطلق،و السماء أمطرت،کأودقت) (۶).۰.

۱- بحر العلوم،للسمرقندی،۱۶/۳.

۲- تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۲۸۹/۶.

۳- لسان العرب،لابن منظور،۱۰۹/۴.

۴- کتاب العین،للفراهیدی،۱۵۱/۳.

۵- لسان العرب،لابن منظور،۴۶۱/۱.

۶- القاموس المحیط، للفیروزآبادی،۱۱۹۷/۱،و انظر:لسان العرب،لابن منظور،۳۷۲/۱۰.

و یتسنّی لنا الآن أن نستخلص من معطیات ما سبق،أن الإثاره معناها الإظهار، و لیس کما ظن المفسرون جزاهم اللّه خیرا و رحمهم الله،أن الإثاره هی تقلیب الریاح و تحریکها،لا- بل إن المقصود بالإثاره هنا الإظهار کما رأینا فی المعاجم،ذلک لأن الریاح تحمل بخار الماء و نوی التکاثف لتکوین السحاب،ثم بعد ذلک تتم إثارته أی إظهاره لیکون مرئیا للعیان،ثم تحریکه و توزیعه بحکمه العلیم الحکیم جل جلاله،و هذه حقیقه کشف عنها العلماء.

الحقائق العلمیه:

ففی موسوعه«المعارف الکونیه»:(الإثاره هی تحریک السحاب،و العلم أوضح لنا أن الریاح تحمل بخار الماء و نوی التکاثف لکی یتکوّن السحاب و تتم إثارته و یظهر للأعین،و بعد ذلک یتم تحویله و تحریکه بتوجیه إلهی،و بهذا یجب علینا أن نستبعد حرکه السحاب ضمن معانی الإثاره،فالآیه هنا رتبت السوق علی الإثاره و لیس العکس،و لهذا فإن الإثاره هی بالتأکید إظهار و تکوین السحب أولا-و ذلک بالتکثیف، فکلنا یعرف الآن أن السحاب بخار کان کامنا فی الهواء غیر المشبع أو فی الهواء فوق المشبع الخالی من نوی التکاثف،ثم ظهر بالتکثیف بفعل الریاح سواء کان ذلک بحملها البخار إلی المناطق البارده العلویه،أو بحملها نوی التکاثف،و بذلک یتضح لنا المعنی العلمی للآیه الکریمه المراد من إثاره الریاح للسحاب،أی أثر الریاح فی تکوین السحاب و إظهاره و لیس نقله کما اعتقد المفسرون) (۱).

و فی کتاب«الطقس»:(یتکوّن بخار الماء فی الجو عن طریق تبخّر میاه المحیطات و البحیرات و الأنهار،و تقوم النباتات بعد امتصاص جذورها لسوائل التربه،بإطلاق کمیات کبیره من بخار الماء من خلال أوراقها،و تدعی العملیه«بالنقع»و یجری تبخر المیاه بشکل رئیسی من الأجزاء الأکثر دفئا من المحیطات،و من الغابات الاستوائیه، ثم تنتقل بعد ذلک باتجاه علوی حیث تحملها الریاح حتی تنفذ إلی کافه أجواء الغلاف السفلی...و عند ما یتکثف الماء فی الجو فإنه یبدو أولا بشکل سحب،إذا کان فی طبقه هوائیه عالیه،و بشکل ضباب إذا کان قریبا من الأرض،و تتألف السحب من

۱- المعارف الکونیه،إعداد نخبه من العلماء،ص:۳۵۷،و انظر:الاستمطار،محمد فیاض و أحمد خلیل،الکویت،دار سعاد الصباح،الطبعه الأولی،۱۹۹۹،ص:۱۵،و انظر: الطقس و المناخ،محمد عیاد مقیلی،لیبیا،نشر الجامعه المفتوحه،۱۹۹۲،ص:۱۳۸.

قطرات مائیه بالغه فی الصغر،بحیث یمکنها العوم فی الهواء و الانجراف بواسطه تیاراته،و لن یکون فی وسع بخار الماء التکثف و التحول إلی قطیرات مرئیه،إذا کان یحتویه هواء غایه فی الصفاء و النقاء،إلا أن الهواء لا یخلو فی الواقع من جزیئات الغبار و الدخان و الملح الناجم عن رذاذ میاه البحر،بحیث یقدر محتوی الأنش المکعب منه بالآلاف من هذه الجزیئات،التی تقوم بدورها بإحاطه نفسها بقطیرات من الماء تدعی هذه القطیرات«بنوی التکاثف» (۱).

و لقد ذکر علماء المناخ العدید من أنواع السحب،و بسطوا الحدیث عن طبائعها و أشکالها و لسوف نقتصر هنا علی نوعین، البساطی(etirement)و الرکامی (cumulonimbus)،و لکن بعد أن نعرض لأهم أنواعها کما ذکر ذلک العلماء.

أنواع السحب من حیث النشأه:

اشاره

(یمکن تصنیف السحب من حیث النشأه إلی أربع فئات و هی:

۱-الارتفاع التدریجی للهواء فوق مساحات واسعه مع الارتباط بنظام الضغط المنخفض.

۲-الحمل الحراری،بحیث تنتقل الحراره من طبقه إلی الطبقه المجاوره علی المقیاس الرکامی المحلی.

۳-الارتفاع بواسطه الاضطرابات الجویه المیکانیکیه(قوه الحمل الحراری).

۴-الصعود فوق الحواجز الجبلیه) (۲).

و لقد صنف(مجموعه من العلماء المختصین السحب إلی نوعین:

أولا:السحب البساطیه(etirement).

ثانیا:السحب الرکامیه(۳) (cumulonimbus).

۱- الطقس،فورس إیک،ترجمه،نبیله منسی،بیروت،معهد الإنماء العربی،۱۹۸۱،ص:۴۹ - ۵۰،و انظر:أسرار الأرصاد الجویه الموسوعه العلمیه المبسطه،ترجمه،عیسی طنوس، بیروت،دار الحقائق،الطبعه الأولی،۱۹۸۷،ص:۳۰.

۲- الغلاف و الطقس و المناخ،بیری شوری،ص:۱۱۱.

۳- المعارف الکونیه،إعداد نخبه من العلماء،ص:۳۵۶،و انظر:معجم المصطلحات الجغرافیه،بیار جورج،ترجمه:الدکتور حمد الطفیلی،بیروت،المؤسسه الجامعیه للدراسات و النشر و التوزیع،الطبعه الأولی،۱۴۱۴ ه ۱۹۹۴/.

و ليشرع بالنوع الأول:

السحب البساطيه.

قال تعالى: اَللّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ (۱).

وقفنا قبل قليل مع هذه الآيه الكريمه من جهه تكوين السحب،و عرفنا أن معنى أثار أى أظهر و ليس حرّك،و هذا المعنى يوافق تماما حال إثاره الرياح للسحب و إظهارها، كما أن الآيه تشير إلى نوع من أنواع السحب و هو السحب البساطى،كذلك أشرنا إليه، و عرفنا رأى المفسرين حول هذه الآيه،و تأكيدا على هذا النوع من السحب،نورد بعض دراسات العلماء و الباحثين حوله.

السحب البساطيه أو الطبقيه:(و هى كما يفهم من اسمها تظهر بشكل طبقات تحجب السماء بأكملها،و لا توجد لها حدود واضحه،و يمكن تشبيهها بالضباب المرتفع، و هى من السحب المنخفضه،و قد تصل قاعدتها فى بعض الأحيان إلى سطح الأرض فتظهر بشكل ضباب،و قد يحدث أن تتكون من الضباب نفسه عند ما يرتفع بتأثير حراره الشمس أو الرياح أو كليهما،و هى من السحب التى قد يصاحبها هطول خفيف من الرذاذ أو حبيبات الثلج،و يكون الهطول عاده متصلا أو متقطعا...و منها ما يكون رقيقا شفافا لا يحجب الشمس،و منها ما يكون سميكا معتما،و النوع السميك منها يصاحبه فى المعتاد هطول من المطر أو الثلج أو خليط منهما) (۲).

و فى كتاب«السحب»ذكر أن السحب تنقسم إلى أربعه عشر نوعا،حسب الشكل الذى تبدو به فى السماء،و جعل السحب البساطيه فى المرتبه السادسه:(السحب المنبسطه:و هى سحب منتشره أفقيا بشكل طبقه أو صحيفه،نجدها ممثله فى سحب الركام المتوسط،و الركام الطبقى) (۳).

ثانيا:السحب الركاميه

قال تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ

۱- سوره الروم،الآيه:۴۸.

۲- الجغرافيه المناخيه و النباتيه،عبد العزيز شرف،الإسكندريه،دار الجامعات المصريه،الطبعه الحاديه عشر،۱۹۸۵،ص:۲۰۴-۲۰۵،و انظر:مدخل إلى علم المناخ،ضارى العجمى و محمود صفر،الكويت،مكتبه الكويت،الطبعه الأولى،۱۴۰۸ ه‍/۱۹۸۷م،ص:۱۹۰.

۳- السحب،على حسن موسى،دمشق،دار الفكر،۱۹۸۸،ص:۷۵.

خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ (۱) .

تمثّل هذه الآيه الكريمه إعجازا علميا رائعا فى علم المناخ و الرياح،و تكوين السحب الركاميه،فهى تتحدّث عن مراحل تكون السحب الركاميه،و التى تبدأ بدفع الرياح للسحاب رويدا رويدا،ثم تأتى المرحله الثانيه و التى تتمثل بتأليف و جمع قطع السحاب،ثم تصبح هذه القطع مركومه فوق بعضها البعض،و عمليه الركم هذه تنتج نزول المطر،و بسبب التراكم التصاعدى تنشأ جبال سياره فى السماء من البرد،و نويات البرد هذه محصوره فى السحب الركاميه،و لم نقرأ فى السحب البساطيه أنها تحتوى البرد أو البرق و الرعد،ثم إن الآيه تخبر أن هذا البرد له برق،و البرق هو نتيجه حتميه للبرد و غير هذه الحقائق و الأسرار تحتويها هذه الآيه،و سوف نرى أن العلم وصل بشكل دقيق إلى ما أوضحتها الآيه القرآنيه،بعد ما تطور علم الأرصاد الجويه، و استعمل العلماء أجهزه الاستشعار عن بعد و الرادارات و الأقمار الصناعيه و غيرها، و لكن نقف عند تفسير الآيه مع علماء التفسير،و شرح مفرداتها مع اللغويين.

يقول ابن كثير:(يذكر تعالى أنه بقدرته يسوق السحاب أول ما ينشئها و هى ضعيفه، و هو الإزجاء ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ أى يجمعه بعد تفرقه ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً أى متراكما،أى يركب بعضه بعضا فَتَرَى الْوَدْقَ أى المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ أى من خلله... وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ معناه أن فى السماء جبال برد ينزل اللّه منها البرد...

فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ يحتمل أن يكون المراد بقوله: فَيُصِيبُ بِهِ أى بما ينزل من السماء من نوعى المطر و البرد،فيكون قوله: فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ رحمه لهم وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ أى يؤخر عنهم الغيث،و يحتمل أن يكون المراد بقوله سبحانه: فَيُصِيبُ بِهِ أى بالبرد نقمه على من يشاء،لما فيه من نثر ثمارهم و إتلاف زروعهم و أشجارهم و يصرفه عمن يشاء أى رحمه بهم،و قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أى يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته و تراءته) (۲).

و فى تفسير«روح المعانى»:(أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِى سَحاباً الإزجاء سوق الشىء برفق۷.

۱- سوره النور،الآيه:۴۳.

۲- تفسير القرآن العظيم،ابن كثير،۶۶/۶،و انظر:الأساس فى التفسير،سعيد حوى،القاهره،دار السلام،الطبعه الثانيه،۱۹۸۹،۳۷۹۲/۷.

و سهوله و قيل:سوق الثقيل برفق و غلب على ما ذكر بعض الأجله فى سوق شىء يسير أو غير معتد به،و منه البضاعه المزجاه أى المسوقه شيئا بعد شىء على قله و ضعف، و قيل:أى التى تزجى أى تدفع للرغبه عنها، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ بأن يوصل سحابه بسحابه،و قال غير واحد:السحاب واحد كالعماء و المراد يؤلف بين أجزائه و قطعه، و هذا لأن بَيْنَه لا تضاف لغير متعدد،و بهذا التأويل يحصل التعدد... ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً أى متراكما بعضه فوق بعض فَتَرَى الْوَدْقَ أى المطر شديدا كان أو ضعيفا إثر تراكمه و تكاثفه، يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ أى من فتوقه و مخارجه التى حدثت بالتراكم و الانعصار،و هو جمع خلل كجبال و جبل... وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ أى من السحاب،فإن كل ما علاك سماء،و كأن العدول عنه إلى السماء للإيماء إلى أن للسمو مدخلا فيما ينزل،بناء على المشهور فى سبب تكون البرد،و جوز أن يراد بها جهه العلو و للإيماء المذكور ذكرت مع التنزيل مِنْ جِبالٍ أى من قطع عظام تشبه الجبال فى العظم على التشبيه البليغ...لأن اللّه تعالى خلق فى السماء جبالا من برد كما خلق فى الأرض جبالا من حجر،و ليس فى العقل ما ينفيه من قاطع فيجوز إبقاء الآيه على ظاهرها كما قيل... فَيُصِيبُ بِهِ أى بما ينزل من البرد مَنْ يَشاءُ أى يصيبه فيناله ما يناله من ضرر فى ماله و نفسه وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ أن يصرفه عنه فينجو من غائلته،و رجوع الضميرين إلى البرد هو الظاهر... يَكادُ سَنا بَرْقِهِ أى ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء و التأليف و غيرهما،و إضافه البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه، للإيذان بظهور أمره و استغنائه على التصريح به و رجوع الضمير إلى البرد أى برق البرد الذى يكون معه ليس بشىء،و تقدم الكلام فى حقيقه البرق فتذكر، سَنا ممدودا سَنا بَرْقِهِ بضم الباء و فتح الراء جمع برقه بضم الباء و هى المقدار من البرق كالغرفه و اللقمه...و هو هنا كنايه عن قوه الضوء، يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أى يخطفها من فرط الإضاءه و سرعه ورودها،و فى إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره و بيان لشده تأثيره فيها،كأنه يكاد يذهب بها و لو عند الإغماض،و هذا من أقوى الدلائل على كمال القدره،لأنه توليد للضد من الضد) (۱).

و هناك بعض المفردات الوارده فى الآيه الكريمه،ستأخذ معانيها من المعاجم، مثل:يزجى،و يؤلف و سنا،و ركام،أما معنى يزجى،ففى«لسان العرب»:(التزجيه، ۰.

۱- روح المعانى،للآلوسى،۱۹۹/۱۸-۲۰۰.

دفع الشیء کما تزجی البقره ولدها أی تسوقه،و یقال:أزجیت الشیء إزجاء،أی دافعت بقلیله،و یقال:أزجیت أیامی زجیتها أی دافعتها بقوت قلیل...و الریح تزجی السحاب أی تسوقه سوقا رفیقا) (۱).

و أما معنی یؤلف،ففی«مفردات ألفاظ القرآن»:(الإلف،اجتماع مع التئام، و المؤلّف،ما جمع من أجزاء مختلفه) (۲).

و معنی الرکام:(رکم الرکم،جمعک شیئا فوق شیء حتی تجعله رکاما مرکوما، کرکام الرمل و السحاب و نحو ذلک،من الشیء المرتکم بعضه علی بعض،رکم الشیء یرکمه إذا جمعه و ألقی بعضه علی بعض،و هو مرکوم بعضه علی بعض...و فی التنزیل العزیز ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً یعنی السحاب) (۳).

و أما معنی سنا:(سنا،سنت النار تسنو سناء،علا ضوؤها،السنا مقصور ضوء النار و البرق و قد أسنی البرق،إذا دخل سناه علیک بیتک،أو وقع علی الأرض،أو طار فی السحاب) (۴).

هذا معنی الآیه کما ورد فی کتب المفسرین،و معاجم اللغویین،و هذا هو الوصف العلمی للسحب و خصائصها و نتائجها،و لقد أوضح القرآن الکریم هذه الحقائق فی آیه سوره النور هذه،و لدی عرضنا للآیه و تمعننا فیها بشکل دقیق،سنلحظ هذه القراءه العلمیه فی الآیه الکریمه،و هی تتحدث عن تکوین السحب،و عملیه تراکمه،ثم کیف یخرج المطر منه و ینزل البرد علی من یرسله من عباده و یصرفه عمن یشاء من عباده سبحانه و تعالی،و إنه حقا لوصف قرآنی عجیب و دقیق للسحب الرکامیه التی أشیر إلیها آنفا،و بنظره دقیقه فی الآیه الکریمه تتّحد معطیاتها کما یلی:

أولا:تقرر الآیه الکریمه أن أوّل مرحله من مراحل تکوین السحاب الرکامی،إنما تکون بدفع الهواء للسحاب بشکل هادئ، أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ یُزْجِی سَحاباً أی یسوق السحاب إلی حیث یشاء فالإزجاء هو السوق کما قرر ذلک علماء اللغه و التفسیر.۷.

۱- لسان العرب،لابن منظور،۲۶۲/۱۲.

۲- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،ص ۸۱.

۳- لسان العرب،لابن منظور،۲۵۱/۱۲.

۴- المصدر نفسه،۴۰۳/۱۴،و انظر:کتاب العین،للفراهیدی،۳۰۲/۷.

ثانیا:بعد سوقه و تجمیع أجزائه ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ أی یجمعه،فالتألیف هو الجمع، و تلک هی المرحله الثانیه من تکوین السحابه الرکامیه،فالحق عز و جل یجمع بین السحب المتوزعه لتکون سحابه واحده،و ثُمَّ للترتیب مع التراخی،أی تحتاج عملیه تألیف السحب و جمعها إلی شیء من الوقت،و الإشاره العجیبه هنا فی التألیف،و هل یکون التألیف إلا بین المتنافرین،فکذلک یکون التألیف فی السحابه بین الشحنات الکهربائیه السالبه و الموجبه.

ثالثا:ثم تأنی عملیه رکم السحاب بعضه علی بعض، ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً أی متجمعا، یرکب بعضه فوق بعض،و تلک هی المرحله الثالثه فی تکوین السحاب الرکامی بالنمو الرأسی کما أثبت العلم.

رابعا:کما أن الآیه تشیر إلی نزول المطر عند تکامل الرکم، فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ الودق،المطر مِنْ خِلالِهِ بمعنی من فتوقه و مخارجه،و هذا الذی أشارت إلیه أبحاث الأرصاد من مراحل نزول المطر فی السحاب الرکامی بعد تمام مرحله الرکم، أی بعد أن یضعف الرفع فی السحاب،أو ینعدم فینزل المطر علی الفور،فیخرج المطر من مناطق الخلل فی جسم السحابه.

خامسا:ثم إن الآیه تتحدّث عن نشوء جبال من البرد فی السماء،جراء هذا الرکام الهائل من السحاب، وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ ،و قد یصل حجم حبات البرد إلی حجم البرتقاله و بذلک یکون المعنی،و ینزل من السماء بردا أی من جبال لا بد و أن یکون فیها شیء من برد،و الجبال هی السحب الرکامیه التی فی شکل الجبال.

سادسا: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ ففی الآیه إشاره علمیه واضحه إلی أن البرد یولد البرق،و هذا ما أثبته العلم،حیث یقوم البرد بتوزیع الشحنات الکهربائیه فی جسم السحابه أثناء صعوده و هبوطه،ثم یقوم بالتوصیل بین الشحنات الکهربائیه المختلفه، فیحدث تفریغا کهربیا هائلا و لهذا نسب اللّه البرق إلی البرد.

الحقائق العلمیه:

تحدّث علماء المناخ عن السحاب الرکامی بشکل مستفیض،خاصه و أن الأجهزه الحدیثه سهلت علیهم الکثیر من العقبات،کما أنها وفّرت لهم کمّا هائلا من المعلومات التی کانت فی عالم المجهول بالنسبه لهم،و لسوف نستعرض بعضا مما قدمه العلماء

من خلال تجاربهم و أبحاثهم فی الحدیث عن السحاب الرکامی،لنری أن ما وصلوا إلیه هو ذاته الذی حدثتنا عنه آیه النور المعجزه.

أنواع الغیوم:

(جرت العاده علی تقسیم أنواع الغیوم إلی أربعه أنواع رئیسیه،کل منها یقسم إلی عده أقسام فرعیه،و تشمل الأصناف التالیه:

۱-الغیوم العالیه:و تتکون من بلورات جلیدیه،و یتراوح ارتفاع قاعدتها ما بین أکثر من ۶ کم فی المناطق المداریه،إلی أکثر من ۳ کم فی العروض العلیا.

۲-الغیوم المتوسطه:و یتراوح ارتفاع قاعدتها ما بین ۳,۵ کم فی العروض المداریه إلی حوالی ۲ کم فی العروض العلیا.

۳-الغیوم المنخفضه:و یتراوح ارتفاع قاعدتها من سطح الأرض إلی حوالی ۲ کم فی العروض المختلفه.

۴-الغیوم التراکمیه:و تشمل غیوم ذات امتداد عمودی،مثل الغیوم التراکمیه الصغیره الحجم التی تظهر أثناء الطقس المعتدل،أو الغیوم السمحاقیه التی یتجاوز امتدادها العمودی فی المناطق المداریه ۱۳ کم،و یصاحب هذه الغیوم العواصف الرعدیه و الأمطار الغزیره) (۱).

و نجد فی موسوعه المعارف الکونیه الحدیث عن السحب الرکامیه،و مما جاء فیها:

(و منها السحب الرکامیه العادیه فی الطقس الصباحی،و السحب الرکامیه الضخمه الماطره،و یتشکل هذان النوعان فی الطبقه السفلی فی الجو علی ارتفاع حوالی ۱ کم، و قمّتها فی الطبقه العلیا بحدود ۵-۸ کم...و أما مقدارها الأفقی فیتراوح من ۱-۱۰ کم للنوع الأول،و بضع عشرات الکیلومترات للنوع الثانی و یلعب الانتقال الرأسی إلی أعلی للکتل الهوائیه بسرعه ۱۰ متر/ثانیه،دورا ضخما فی تکوینها و خلافا للسحب البساطیه،فإن فتره انتقالها محدوده و تقاس بالساعات أو بعشرات الدقائق،و السحب الرکامیه الضخمه الماطره التی تتمیز أبعادها الکبیره و ارتفاعها الزائد

۱- مبادئ المناخ الطبیعی،إبراهیم العرود،عمان،دار الشروق،الطبعه الأولی،۱۹۹۷، ص ۱۴۷،و انظر:العلوم الجویه و تطبیقاتها،محمد أحمد الشهاوی،القاهره،دار الفکر العربی،الطبعه الأولی،۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰/،ص:۵۱.

كالجبال...تسبب هطولات قويه و بردا لمده قصيره تقدّر بعشرات الدقائق لكنها غزيره...و السحاب الركامى الضخم الممطر يشبه الجبال،و قد يجود بالبرد فى العواصف الصيفيه...و هطولات البرد محليه لدرجه أنها قد تصيب حقلا و تترك حقلا مجاورا،و تسبب أضرارا جسيمه للمزروعات و المبانى و الكائنات الحيه،حيث يصل قطرها أحيانا إلى قطر البرتقاله أو الرمان) (۱).

كما أن العلماء تحدّثوا عن تشكل البرد،و أوضحوا أن البرد إنما يتم تكوينه داخل السحب الركاميه،و هذا ما صرحت به الآيه الكريمه،ففى كتاب«أسرار الأرصاد الجويه»نجد هذا المعنى بكل جلاء:(يتكون المطر داخل الغيوم،و تتحول قطرات الماء إلى جليد إذا انخفضت درجه حراره الغيمه إلى أقل من الصفر،و يمكن أن يؤدى ذلك إلى تساقط البرد،و ينشأ البرد عاده فى الغيوم الكبيره التى تشبه زهره القنبيط(غيوم الركام)حيث تحدث داخل الغيمه تيارات عموديه قويه،فتتجمد قطرات الماء و تبدأ بالسقوط،لكن التيار الصاعد يرفعها ثم تهبط قليلا و تصعد،مما يؤدى إلى تضخمها و تحولها إلى جليد،و هكذا فإن لقطعه البرد نواه صغيره مؤلفه من عده طبقات،و عند ما يغلب وزنها قوه التيارات الصاعده،يتساقط البرد على الأرض،و كل كتله من الجليد نسميها حبه برد،يتفاوت حجمها،منها الكبير و الصغير،و بلغ وزن بعض حبات البرد ۳۰۰ غرام،و هى قادره على تحطيم النوافذ و إتلاف المحاصيل) (۲).

و أكد العلماء أن السحب الركامى فقط يحتوى على البرق و الرعد،و هذا ما قررته الآيه الكريمه المعجزه،جاء فى كتاب«العواصف و الأعاصير»:(العاصفه الرعديه هى ظاهره جويه كهربائيه،و هى من التفريغات الكهربائيه الفجائيه التى تظاهرها ومضه ضوئيه(البرق)و صوت حاد(الرعد)و تتمثل غيوم العواصف الرعديه،بغيوم الركام المزنى فقط،لما تتّصف به من نمو رأسى كبير،و فعاليه كهربائيه شديده،فهى إن دلت فإنها تدل على حاله اضطراب عنيفه فى الجو،و عدم استقرار شديد فى أعماق كبيره من ۰.

۱- المعارف الكونيه،إعداد نخبه من العلماء،ص ۳۶۰،و انظر:الأرصاد الجويه،محمد الهونى و إبراهيم سويدان،ليبيا،نشر القوات البحريه،۱۹۷۹،ص:۲۸.

۲- أسرار الأرصاد الجويه،موسوعه علميه مبسطه،ص:۵۲،و انظر:الطبيعه الجويه،محمد جمال الدين الفندى،الكويت،مكتبه الفلاح الطبعه الثانيه،۱۹۷۷،ص:۲۰۰.

الجو،و توفّر رطوبه عاليه،و لذا لا بد لتشكّل غيوم العواصف الرعديه من وجود قوه رفع شديده للهواء الرطب) (۱).

الإعجاز:

من الذى أخبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بهذه المراحل المتعدده فى تكوين السحب،و فى هذا الوصف الدقيق من تراكم السحب،و نزول المطر من خلالها،و كيف تتخذ شكلا جبليا الذى ينزل منه البرد،ثم تفرز برقا يكاد أن يذهب بالأبصار...إن وسائل علم الأرصاد الجوى لم تكن موجوده فى البيئه الرمليه القاحله التى بعث فيها محمد صلى اللّه عليه و سلم،إنه وحى السماء،أنزله الذى يعلم السر و أخفى.

صوره تظهر السحاب الركامى (۲)

۱- العواصف و الأعاصير،على حسن موسى،دمشق،دار الفكر،۱۹۸۹،ص:۷۹.

۲- http//:zizooo.ws/z.php?name Gallery do showpic pid ۱۲۷۱ orderby date D .

صوره یتضح فیها السحاب البساطی و الذی یحمل الأمطار (۱). .

ص: ۳۳۲

۱- http/:zizooo.ws/z.php?name Gallery do showpic pid-۱۷۲۱ orderby-date D .

المبحث الثالث

اشاره

البرق و البرد بین القرآن و العلم

قال سبحانه و تعالی: هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ یُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ(۱۲) وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِکَهُ مِنْ خِیفَتِهِ وَ یُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ وَ هُمْ یُجادِلُونَ فِی اللّهِ وَ هُوَ شَدِیدُ الْمِحالِ(۱۳) (۱).

تبرز الآیه الکریمه مظهرا من مظاهر قدره اللّه سبحانه و تعالی،و هذا مظهر یتمثّل فی آیه من آیات الله،إنه البرق.

(و البرق:الذی هو لمعان السحاب) (۲)،و هو ذو جناحین،جناح فاض بالبشری و الحبور،لأنه یبشّر بهطول المطر و درّ الغیث من السماء لتنتشر الرحمه علی العباد، و جناح یحمل الإنذار،و یدخل الهلع و القلق علی النفوس،فترتعد الفرائص،و تصفرّ الوجوه و تنزوی القوی.

البرق الشدید و الصواعق قد تکون سببا فی إحداث الضرر

۱- سوره الرعد،الآیتان:۱۳،۱۲.

۲- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،ص ۱۱۸.

فالله سبحان تعالى يرينا البرق الذى يحمل هذين المعنيين-الخوف و الطمع-لتلهج ألسنتنا بذكر اللّه و تسبيحه و تحميده،لأن الكون كله يسبح اللّه من ملائكه و رعد و برق و شجر و حجر،لكننا نحن معاشر البشر لا ندرك كنه هذا التسبيح حقيقه،و يرسل العزيز الجبار الصواعق فيصيب بها من يشاء من عباده و يعذب بها من يريد،ليعلم الذين غفلوا عن اللّه أن اللّه شديد المحال،شديد البطش و القوه يحكم ما يريد و يفعل ما يشاء.

و لقد أشار الحق سبحانه و تعالى إلى أن البرق و الصواعق التى يرسلها تسبب الهلاك و الموت.

قال تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ (۱).

فالصواعق قاتله،و مهلكه للممتلكات و مزهقه للأرواح،و مدمره لقواعد البشر المعمريه و العمليه و البريه و البحريه...زد على ذلك فإن الشحنات الكهربائيه التى تصدر عن البرق،تؤدّى إلى العمى قال تعالى فى ذلك: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ .

إن هذه الحقائق التى ذكرها القرآن الكريم عن الصواعق و البرق و الرعد،معجزه كشف العلم عنها يوم توفّرت له أجهزه البحث المتطوره...و الآيه الكريمه أخذت معنا مبحثا كاملا،و كنا قد استعرضنا آراء المفسرين و اللغويين فيها،إلا أننا نورد هنا قولا واحدا فيما يتعلق بالبرد و البرق فى هذه الآيه الكريمه،يقول ابن كثير:(وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ معناه أن فى السماء جبال برد ينزل اللّه منها البرد... يَشاءُ يحتمل أن يكون المراد بقوله:

فَيُصِيبُ بِهِ أى بما ينزل من السماء من نوعى المطر و البرد،فيكون قوله: فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ رحمه لهم وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ أى يؤخر عنهم الغيث،و يحتمل أن يكون المراد بقوله سبحانه: فَيُصِيبُ بِهِ أى بالبرد نقمه على من يشاء،لما فيه من نثر ثمارهم و إتلاف زروعهم و أشجارهم و يصرفه عمن يشاء أى رحمه بهم،و قوله سبحانه: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أى يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته و تراءته) (۲).۴.

۱- سوره النور،الآيه:۴۳.

۲- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،۶۶/۶،و انظر:التفسير الكاشف،محمد جواد مغنيه، بيروت،دار العلم للملايين،الطبعه الرابعه ۱۹۹۰،۳۸۶/۴.

و لنأخذ مفردتين من الآيه و نرى معناهما اللغوى،برق،و رعد.

أما البرق،فهو:(البرق،واحد بروق السحاب،و البرق الذى يلمع فى الغيم، و جمعه بروق و برقت السماء تبرق برقا،و أبرقت جاءت ببرق،و البرقه،المقدار من البرق و قرئ:يكاد سنا برقه فهذا لا محاله جمع برقه،و مرت بنا الليله سحابه براقه و بارقه،أى سحابه ذات برق) (۱).

و أما الرعد،فمعناه:(الصوت الذى يسمع من السحاب،و أرعد القوم و أبرقوا، أصابهم رعد و برق،و رعدت السماء ترعد و ترعد رعدا و رعودا و أرعدت،صوتت للإمطار) (۲).

و من الممكن أن نستخلص بعض المعطيات من الآيه القرآنيه،ثم سنرى أن ما حددته الآيه من حقائق علميه،جاء العلم ليثبته و يكتشفه فى عصرنا.

أولا:تحدد الآيه الكريمه وجود البرد فى السحب الركاميه على وجه الخصوص.

ثانيا:أثبتت الآيه أن للبرد برقا،و أن البرد هو الذى يسبب حصول البرق،و ذلك فى قوله سبحان و تعالى: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ ،فالضمير فى بَرْقِهِ يعود إلى أقرب مذكور،ألا و هو البرد،و العجب أن جلّ المفسرين رضى اللّه عنهم،أرجعوا الضمير إلى السحاب،و ليس إلى أقرب مذكور«البرد».

ثالثا:أشارت الآيه الكريمه إلى أن لمعان البرق يؤدى إلى العمى، يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ و هذا ما أكّده العلماء على ما سنرى.

الحقائق العلميه:

تحدّث العلماء و بإسهاب شديد عن البرد و البرق،و أوضحوا أن السحب الركاميه هى وحدها التى يكون فيها البرد،و الذى بسببه يحصل البرق،ففى«موسوعه المعارف الكونيه»:(لقد ثبت علميا أن جميع السحب مشحونه كهربائيا،و تبلغ الشحنات أقصاها فى السحب الركاميه العاصفيه...و تبعد الواحده عن الأخرى من ۱ إلى ۱۰ كم، و الصاعقه مؤلفه من بروق متعدده،تم تصويرها بآن واحد تشكل معظمها بين السحب و سطح الأرض،و لكن يوجد منها ما يتشكل بين السحب نفسها و تسمى هذه بالبروق

۱- لسان العرب،لابن منظور، ۱۴/۱۰.

۲- المصدر نفسه، ۱۷۹/۳،و انظر:كتاب العين،للفراهيدى، ۳۳/۲.

الخطيه و التى يصل فيها طول الخط الواحد بضعه كيلومترات ،و قد تتمحض العاصفه عن عده آلاف عمليه من عمليات التفريغ الكهربى(البرق)و قد يصل طول الشراره الواحده ١,٥ كم،عند ما يتم التفريغ بين السحابه و الأرض(صاعقه)،أما طولها عند ما يحدث التفريغ بين السحب فهو يزيد عن ذلك كثيرا،و عند ما تكون الصاعقه قريبه منا لا يصعب تمييز تفرغ الشرارات و تعددها فى كل اتجاه،و قد تستغرق الواحده منها زهاء ثانيه كامله قبل أن يتلاشى وميضها،و قد يتعذر علينا رؤيه الشراره نفسها حيث تضىء السحب و السماء فجأه بنور ساطع يطلق عليه أحيانا اسم صحائف البرق) (١).

و نفس الحقائق فى كتاب«أسرار الأرصاد الجويه»:(العواصف ظواهر عنيفه من حالات الطقس مصحوبه بالبروق و الصواعق و سقوط البرد و الأمطار الغزيره،تنشأ العواصف داخل الكتل السحب الضخمه من نوع الركام،التى يصل ارتفاعها من ١٠- ١٦ كم،و تبلغ حراره قمه الغيمه-٥٠ درجه فى أوربا،و-٧٢ درجه فى خط الاستواء،تحدث داخل الغيمه حركات صعود و هبوط و تتشكل عندها قطرات البرد، و إن عدم التوازن داخل الغيمه يعود إلى الشحن الكهربائيه الموجبه و السالبه،تكون قمه الغيمه مشحونه إيجابيا،و قاعدتها مشحونه سلبيا كمدخره،و أحيانا يكون شحن الغيمه معكوسا،و عند ما يحدث خلل فى التوازن على السطح الخارجى للغيمه،أى بين القاعده المشحونه سلبيا و الأرض المشحونه إيجابيا،أو بين قاعده الغيمه السالبه و الأرض الموجبه،و اعتبارا من اللحظه التى يحصل فيها تصادم مباشر بين منطقتين سالبه و موجبه يحدث التفريغ الكهربائى و ينطلق البرق) (٢).

و عند ما يتحدث العلماء عن نشأه الشحنات الكهربائيه فى الغيوم الرعديه،فإنهم يجعلونها تعتمد على مفهومين أساسيين،أولهما: (إن قطرات الماء فوق المبرده أثناء تجمدها،تأخذ بالتجمد باتجاه الداخل بدءا من سطحها،و هذا يؤدى إلى إبقاء داخلها (لبها)أدفأ من سطحها،و يكون داخلها الأدفأ مشحونا بشحنه سالبه،شوارد OH ،فى حين يكون سطحها الأبرد موجب الشحنه بسبب هجره شوارد الهيدروجين H +مع انخفاض تدرج الحراره.۴.

١- المعارف الكونيه،إعداد نخبه من العلماء،ص:٣٧٠.

٢- أسرار الأرصاد الجويه،موسوعه علميه مبسّطه،ص:۵۴.

ثانيهما:أنه عند ما تتفتت حبات البرد الهشّه أثناء عمليه التجمد،فإن شظايا الجليد الصغيره الحامله لشحنات موجبه،تنطلق مندفعه إلى أعلى حجيره الحملان مع التيارات الصاعده،و هذا ما يفسر كون الجزء الأعلى من الغيمه الرعديه،الذى درجه حرارته دون-٢٠ درجه ذو شحنه إيجابيه،و بالمثل فإن كريات البرد الأثقل المشحونه سلبيا تسقط باتجاه قاعده الغيمه لتكسبها شحنتها الكهربائيه السالبه و هناك عمليه أخرى يمكن بفعلها أن تتولد الشحنات الكهربائيه فى الغيمه الرعديه،تقوم على ما ينتج من التصادم الحاصل بين بلورات الجليد البارده،و كريات البرد الهش الأحرّ،إذ ينجم عن التراكم الجارى لقطرات الماء فوق المبرد على كريات البرد،نشوء سطوح غير منتظمه تتسخن نتيجه انطلاق الحراره الكامنه فى قطرات الماء عند تجمدها،و يتولد من جراء صدمات بلورات الجليد البارده لهذه السطوح غير المنتظمه تولد شحنات سالبه تكتسبها تلك السطوح،بينما تكتسب البلورات الجليديه الأبرد شحنه موجبه،و مره أخرى تأخذ تأثيرات ظاهره الفعل الجاذبى الثقالى دورها فى توزع الشحنات الكهربائيه فى داخل الغيمه) (١).

و نفس المعنى فى كتاب«الأرصاد الجويه»:(تتكون العاصفه الرعديه بصفه عامه من برق و رعد و رياح قويه مصحوبه بأمطار غزيره و برد و كرات من الثلج،و تحدث السحب الركام المزنى السوداء الضخمه،و تستمد العاصفه الرعديه الجزء الأكبر من طاقتها من الحراره الكامنه الناتجه من تكثف بخار الماء فى الغلاف الجوى،و العوامل المساعده لتكوينها هى:

١-وجود كميات من بخار الماء فى الغلاف الجوى.

٢-تكثف بخار الماء و انطلاق الحراره الكامنه منه.

٣-حاله عدم استقرار فى الغلاف الجوى.

٤-وجود تيارات صاعده قويه) (٢).١.

١- العواصف الرعديه،على موسى،ص ٩٠-٩١،و انظر:الجو و تقلباته،على حسن موسى، دمشق،دار الفكر،١٩٨٨،ص ١١٤.

٢- الأرصاد الجويه،محمد أحمد النطاح،ليبيا،الدار الجماهيريه،الطبعه الأولى،١٩٩٠، ص:٣٧١.

الإعجاز:

هذه بعض أقوال علماء المناخ،و لا داعی لسرد المزید مما توصل إلیه العلماء فی هذا المجال من نتائج حول السحب الرکامیه،و ما تتضمن من برد و برق و رعد،و لکن لنتساءل هل کان فی عهد محمد صلی اللّه علیه و سلم أجهزه الاستشعار عن بعد حتی قرر هذه الحقائق، أم هل کان لدیه مکوک فضائی و أقمار اصطناعیه لیرسل تلامذته إلی الفضاء کی یصور له هذه الحقائق عن السحب و ما حوت؟

إن هذا التوافق المدهش بین ما سجلته الآیه الکریمه حول السحب الرکامیه و خصائصها،و بین ما وصل إلیه العلم لیدل دلاله قاطعه علی صدق نبوه محمد صلی اللّه علیه و سلم من جهه،و علی أن ما جاء به هو من عند اللّه تعالی،أ فلا ینبغی علی رواد العلوم و المعارف أن یحنوا رءوسهم إجلالا لهذه المعجزات القرآنیه العظیمه.

إنها ومضات سریعه تعرفنا من خلالها علی الریاح و أنواعها و الریح و عواقبها، و السحب و أشکالها و علی البرق و الرعد و الصواعق،فکل هذه من جنود اللّه العظیم، لینبه بها عباده لیتقوه و یخافوه.

صوره تظهر الصواعق و البرق و الرعد (۱)

۱- أخذت هذه الصوره من کتاب المعارف الکونیه،إعداد مجموعه من العلماء،ص ۳۷۳.

الفصل التاسع: الإعجاز القرآنی فی الجبال

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:تکوین الجبال.

المبحث الثانی:الجبال تحافظ علی توازن الأرض.

المبحث الثالث:الرواسی الشامخات و الماء الفرات.

المبحث الرابع:حرکه الجبال و تعدد صخورها.

تمهید

الجبال کلمه تدل علی الشموخ و الکبریاء،و وصف یخیب من حاول الاتصاف به إلا الجبال،فهی التی تنزوی أمامها رقاب الجبابره،و تنقطع لدیها الأعناق المشرئبه التی تحاول أن تطیل شموخها،و فی ذلک یخاطب الحق تبارک و تعالی أولئک الذین یمشون فی الأرض متبخترین متکبرین قائلا: وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً (۱).

و مع تلک العظمه التی اتصفت بها الجبال فإن الحق ساقها فی معرض المدح و الثناء، و معرض ضرب الأمثال فی العبودیه و الخشوع لسلطان القرآن و أنوار البیان،قال تعالی: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَهِ اللّهِ وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ (۲).

إلا أن الجبال لم تغترّ بعظمتها،و لم تتباه بمظاهر الرفعه و الإباء التی أودعها اللّه فیها،فلما عرض الحق جل جلاله الأمانه علیها،تسرّب إلیها الرعب و داخلها الخوف،لشدّه تحمل الأمانه و المسئولیه و التکالیف السماویه،فآثرت أن تنقاد للحق طواعیه دون اختیار أو عزم،لأنها أدرکت بصدق ثقل الأمانه،و هو موقف الحساب و موطن الجزاء یوم الدین،قال اللّه سبحانه و تعالی: إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولاً (۳).

إذن،جدیر بالباحثین أن یحرکوا الطاقه العقلیه و العلمیه فی دراسه هذه الآیه الداله علی بدیع صنع اللّه،و تألق مخلوقاته،لیصلوا إلی مقام التفکر الذی أمروا به،و من ثمّ إلی مقام الخشوع و الولاء المطلق للخالق العظیم سبحانه و تعالی.

۱- سوره الإسراء،الآیه:۳۷.

۲- سوره الحشر،الآیه:۲۱.

۳- سوره الأحزاب،الآیه:۷۲.

و سوف يتناول فى هـذا المبحث بعونه تعالى،الحـديث عن تكوين الجبال و كيفيه نشأتها،و ما توصل إليه الباحثون فى ذلك و ما قد قرره كتاب اللّه عز و جل،و من ثم يتحدث عن أبرز و أهم فوائد الجبال ألا و هى محافظتها على توازن الكره الأرضيه،و كيف أن الحق تبارك و تعالى جعلها سببا فى تثبيت الأرض و اتزانها،ثم ينتقل لتحلل العلاقه الوثيقه بين الجبال الشامخات الشاهقات و بين الماء العذب الفرات،و السـر فى أن القرآن يقرن بينهما،فى حين إذا ذكر الجبال دون وصف الشامخات لا يأتى بهذا الربط، و يختم الحديث عن الجبال بالإشاره إلى حركتها و تعدد صخورها و ألوانها،بين القرآن و العلم.

ص: ٣۴٢

المبحث الأول

اشاره

تكوين الجبال

قال تعالى: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ (۱).

و قال سبحانه: وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ (۲).

و قال جل ثناؤه: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً (۳).

تتحدّث هذه الآيات عن نشأه الجبال و تكوينها،فبعد أن مدّ اللّه سبحانه و تعالى الأرض و بسطها جعلت تميد،فألقى فيها رواسى شامخات ليثبتها من حركتها المضطربه،ليتسنّى للمخلوقات التى أودعها اللّه فيها العيش الهادئ الهانئ.

و الإعجاز العلمى فى قوله تعالى: وَ الْقِيَ و الإلقاء كما نعلم يكون من أسفل إلى أعلى،كما فى قوله تعالى: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ(۳) وَ أَلْقَتْ ما فِيها وَ تَخَلَّتْ(۴) (۴)،و من الأعلى إلى الأسفل،و من النوعين كانت نشأه الجبال،و فى نظره لما قاله المفسرون تزداد الصوره بيانا و وضوحا.

يقول الطبرى:(و جعل فى الأرض جبالا ثابته،و الرواسى،جمع راسيه و هى الثابته،يقال:منه أرسيت الوتد فى الأرض،إذا أثبته) (۵).

و فى«روح المعانى»:(و جعل فيها رواسى،أى جبالا ثوابت،من الرسو،و هو ثبات الأجسام الثقيله،و لم يذكر الموصوف لإغناء غلبه الوصف بها عن ذلك...و أما الارتفاع فله سبب بالذات و سبب بالعرض،أما الأول:فكما إذا نقلت الريح الفاعله

۱- سوره ق،الآيه:۷.

۲- سوره النحل،الآيه:۱۵.

۳- سوره الرعد،الآيه:۳.

۴- سوره الانشقاق،الآيتان ۳،۴.

۵- جامع البيان،للطبرى،۶۳/۳۱،و انظر:تفسير غريب القرآن،عبد اللّه بن مسلم بن قتيبه، بيروت،دار الهلال،۱۹۹۱،ص:۲۴۲.

للزلزله طائفه من الأرض و جعلتها تلا- من التلال،و أما الثانی:فأن یکون الطین بعد تحجره مختلف الأجزاء فی الرخاوه و الصلابه،و تتفق میاه قویه الجری أو ریاح عظیمه الهبوب،فتحفر الأجزاء الرخوه و تبقی الصلبه ثم لا تزال السیول و الریاح تؤثر فی تلک الحفر إلی أن تغور غورا شدیدا،و یبقی ما تنحرف عنه شاهقا،و الأشبه أن هذه المعموره قد کانت فی سالف الدهر مغموره فی البحار،فحصل هناک الطین اللزج الکثیر ثم حصل بعد الانکشاف و تکونت الجبال) (۱).

و یقول الرازی:(و الاستدلال بأحوال الجبال و إلیه الإشاره بقوله سبحانه: وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ من فوقها ثابته باقیه فی أحیازها،غیر منتقله عن أماکنها،یقال:رسا هذا الوتد و أرسیته و المراد ما ذکرنا) (۲).

و فی تفسیر«السراج المنیر»:(و ألقینا فیها رواسی،أی جبالا ثوابت کانت سببا لثباتها، و خالفت عاده المراسی فی أنها من فوق،و المراسی التی تعالجونها أنتم من تحت) (۳).

رسم بیانی لامتداد القارات و الجبال فی النطاق الأرضی إضعاف الأجزاء البارزه منها علی السطح۴.

۱- روح المعانی،للآلوسی،۱۱۳/۱۳،و انظر:الفتوحات الإلهیه،سلیمان بن عمر العجیلی، بیروت،دار الفکر،۱۴۱۵ ه۱۹۹۴/ ۳۱۵/۴.

۲- التفسیر الکبیر،للرازی،۸/۱۹.

۳- السراج المنیر،للخطیب الشربینی،بیروت،دار المعرفه،الطبعه الثانیه،د.ت،۸۰/۴.

و نجد المعنى ذاته فى المعاجم لو بحثنا عن الرواسى،ففى لسان العرب:(رسا الشىء يرسو رسوا و أرسى ثبت،و أرساه هو،و رسا الجبل يرسو إذا ثبت أصله فى الأرض،و جبال راسيات و الرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ...راسيه و رست قدمه ثبتت فى الحرب،و رست السفينه ترسو رسوا بلغ أسفلها القعر و انتهى إلى قرار الماء فثبتت و بقيت لا تسير) (۱).

و فى«المصباح المنير»:(رسا الشىء يرسو رسوا و رسوا،ثبت فهو راس،و جبال راسيه و راسيات و رواس،و أرسيته بالألف للتعديه،و رست أقدامهم فى الحرب، و رسوت بين القوم أصلحت،و ألقت السحابه مراسيها،دامت) (۲).

يتسنّى لنا الآن و قد عرضت طائفه من أقوال المفسرين و أصحاب المعاجم،أن يستخلص من معطيات النصوص القرآنيه ما يلى:

أولا:عبّر القرآن الكريم عن عمليه نشأه و تكوين الجبال بالفعل«ألقى»،و الإلقاء يكون من أعلى إلى أسفل،كقوله تعالى: وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتى (۳)،و كقوله سبحانه: وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (۴).

و كذلك يكون الإلقاء من أسفل إلى أعلى كقوله تعالى: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ(۳) وَ أَلْقَتْ ما فِيها وَ تَخَلَّتْ(۴) (۵)،و تعتبر هاتان الطريقتان من أبرز الطرق التى تتم من خلالها تشكيل الجبال،و هذا ما سنتعرف عليه بعد قليل.

ثانيا:يستخدم القرآن الكريم أحيانا لفظ(رواسى)عوضا عن(جبال)،و فى ذلك تصريح واضح بأن الجبال هى بمثابه الرواسى للأرض،و التى تثبتها و تقرها.

الحقائق العلميه:

سيساق طائفه من أقوال و دراسات علماء الجيولوجيا،و التى سنرى من خلال عرضها أن نشأه و تكوين الجبال إنما تتم بفعل الإلقاء من الأعلى إلى الأسفل،كتكوين

۱- لسان العرب،لابن منظور،۳۲۱/۱۴.

۲- المصباح المنير،للمقرى،۲۲۷/۱.

۳- سوره طه،الآيه:۶۹.

۴- سوره النمل،الآيه:۱۰.

۵- سوره الانشقاق،الآيتان ۳،۴.

الجبال الرسوبيه،و التى تتكوّن بفعل التعريه بسبب الرياح أو ماء الأنهار و غيرها،أو كتكوين الجبال البركانيه،و التى تتكون بسبب النشاط البركانى الذى يقذف و يلقى من داخله إلى الأعلى الحمم و الفوهات و التى تتحول بعد ملايين السنين إلى جبال.

بركان نشط يقذف الحمم من داخله،و يلقى بالأحجار و الصهاره و التى تكوّن الجبال البركانيه

و سنرى أن هذا هو الذى أثبته العلم فى القرن العشرين،بعد اعتقاد ساد القرون الماضيه أن الجبال هى ما نرى فوق البسيطه لا غير،فكشف العلم عن نشأه الجبال و أطوار تكونها،و قد قرر ذلك كتاب ربنا منذ أربعه عشر قرنا،و إليك ما توصل إليه الجيولوجيون فى ذلك:

-بالنسبه لتكوين الجبال الرسوبيه،أى الإلقاء من أعلى إلى أسفل،فيقول الدكتور محمد جمال الدين الفندى:(إن المياه تجرى إلى المنخفضات التى تسمى بالبحار الجيولوجيا و تغمرها،و هذه تكون عاده بحارا ضحله متّسعه ممتده فى وسط القارات أو أعلى حوافها و تصير قيعانها بمرور الزمن الجيولوجى مأوى لأثقال عظيمه جدا من الرسوبيات،تأتى بها عوامل التعريه من مناطق الارتفاع كالجبال و الهضاب،و كلما عظمت تلك الأحمال هبطت تحت وطأتها قيعان البحار،و تظل هذه الرسوبيات تتراكم هكذا حتى تكون جذور الجبال مستقبله نتيجه للضغط الشديد،فتلتوى و تنثنى و ترتفع رويدا رويدا طافيه فوق مواد المنطقه،التى تحمل القشره و تفصلها عن باطن الأرض،و أخيرا تطل من سطح الماء،و ينحسر الماء عنها إلى أماكن أخرى مكونا بحارا جيولوجيه جديده،و تلك هى الثورات الجيولوجيه أو حركات بناء الجبال) (١).

و يصف العالم الجيولوجى ليون موريه (٢)تكوين الجبال بكلا الطريقتين المذكورتين فيقول:(من السلاسل الجبليه،سلاسل المقعرات الأرضيه،و التى تنجم عن انضغاط حفر الترسب الكبرى بفعل حركات تماسيه،و التى دعيناها المقعرات الأرضيه،و التى تراكمت فيها خلال حقب طويله ثخانات كبيره من روسوبات بحريه عميقه،و يكون توافق المظاهر البحريه العميقه مع المناطق الملتويه هو قاعده عامه،بحيث أمكن القول:أن السلاسل الجبليه تتشكل دوما فوق موقع المقعرات الأرضيه،كما يمكننا اعتبار طيات القاع كرد فعل للحركات التماسيه التى تبقى لوحدها فى الأصل،ففى حين الانضغاط الأقصى على مقعر أرض ما،فإن مشارف المنطقه تتحدب بتأثير الجهد٩.

١- اللّه و الكون،محمد جمال الدين الفندى،القاهره،الهيئه المصريه العامه للكتب،الطبعه الثانيه، ١٩٨٧،ص ٢٢٣،و انظر:ما هى الجيولوجيا، وليم ماثيوز،ترجمه مختار رسمى ناشد، القاهره،الهيئه المصريه العامه للكتب،١٩٩٥،ص ٢٢٠،و انظر:الجيولوجيا و الكائنات الحيه، دولت عبد الرحيم إبراهيم،القاهره،الهيئه المصريه العامه للكتب،١٩٩٥،ص:١٨.

٢- ليون موريه:يحتل مكانه مرموقه بين علماء الجيولوجيا،بل يعد صاحب مدرسه جيولوجيه قائمه بذاتها،و هو عضو المجمع،و عميد فخرى لكليه العلوم،و أستاذ فى المعهد العالى الوطنى للهيدروليك فى غرينوبل.انظر:مقدمه المترجم،ص:٩.

و تعطی معقدا من طیات قاع،یؤدی کما تؤدی موجه قاع بحریه إلی نهوض قاره برمتها، و تأتی اندفاعات برکانیه تؤدی إلی نشوء الجبال) (۱).

کذلک فإن(الأحواض البحریه تتکون بسبب انخفاض بسیط علی سطح الأرض نتیجه الحرکات الأرضیه،ثم یمتلئ هذا المنخفض بالمیاه و تعیش فیه الکائنات البحریه،و تترسب فیه المواد الرسوبیه إلی أن یمتلئ بالرسوبیات،و أخیرا تضغط جوانبه مسببه تکوّن الثنیات و الجبال،و علیه یجب عدم الاستغراب إذا ما تسلّقنا قمه جبل ما، و لاحظنا وجود القواقع البحریه المتحجره،أو آثار الأسماک المطبوعه علی صخور الجبل،لأن تلک الجبال کانت فی یوم ما رسوبیات مترسبه فی قیعان البحار) (۲).

و قد أسهب العلماء فی ذکر أنواع الجبال و طرق تکوینها،من ذلک ما ورد فی کتاب «أساسیات علم الجیولوجیا»إذ نجد فیه:(و هناک ثلاثه أنواع أساسیه من الجبال:

۱-جبال جیوسنکلینیه:و یطلق علیها أحیانا اسم أحزمه الطیات،لکثره وجود الطیات فی داخلها و هی تتکون نتیجه لرفع و طیّ الرسوبیات المتراکمه فی الأحواض البحریه،و تعرف الحرکات الأرضیه التی تتحکم فی تکوین مثل هذه الجبال باسم:

الحرکات الأرضیه البانیه للجبال.

۲-جبال برکانیه:و التی تکون سلاسل جبلیه مغموره فی قیعان المحیطات،علی طول الحدود البناءه و تتکون هذه الجبال من الانبثاقات البازلتیه،و التی تکوّن قیعان المحیطات أثناء عملیه انتشار قاع البحار.

۳-جبال تصدّعیه:و توجد فی وسط ألواح قاریه ثابته،و أحیانا تتکون الرسوبیات التی تؤدی إلی تکوین مثل هذه الجبال فی أحواض ترسیبیه) (۳).:-

---

۱- الوجیز فی الجیولوجیا،لیون موریه،ترجمه،یوسف خوری و عبد الرحمن حمیده،دمشق،دار طلاس،الطبعه الأولی،۱۹۸۷،ص ۵۷۲ و انظر:علوم الأرض و البیئه،فتحی أبو ناصر، عمان،دار الیازوری،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه ۱۹۹۹/،ص ۶۰.

۲- الجیولوجیا للجمیع،عادل حاتم جوزی،بغداد،دار الرشید، ۱۹۸۰،ص ۷۵.

۳- أساسیات علم الجیولوجیا،محمد حسن و آخرون،عمان،مرکز الکتب الأردنی، ۱۹۹۰، ص:۱۸۶،و انظر:کوکب اسمه الأرض،جورج جامو،ترجمه،الدکتوره هذاره،القاهره، مؤسسه سجل العرب،۱۹۷۴،ص:۱۱۰،و انظر:الأرض و أسرارها،جورجیت بارتلمی، ترجمه،میشیل خوری،دمشق،منشورات وزاره الثقافه،۱۹۹۱،ص:۴۰،و انظر:-

و فی الکتاب القیم«الأرض مقدمه للجیولوجیا الطبیعیه»:(لقد حدثت عملیات نشوء الجبال فی التاریخ الجیولوجی الحدیث بعده مواقع حول العالم،و تشمل هذه الأحزمه الجبلیه الحدیثه الکوردیلیر الأمریکیه،و التی تمتد علی طول الحافه الغربیه للأمریکیتین...و معظم هذه الأحزمه الجبلیه قد تکونت خلال المائه ملیون سنه الماضیه،و قد ابتدأ بعضها فی التکون،بما فی ذلک الهیمالایا فی مده لا تزید عن ۴۰ ملیون سنه مضت...و تتألف أحزمه بناء الجبال عاده من مرتفعات متوازیه من الصخور الرسوبیه و البرکانیه المطویه و المتصدّعه،التی تکون بعض أجزائها قد تحولت تحولا شدیدا،و اقتحمت بأجسام ناریه حدیثه نوعا،و فی معظم الحالات تکون الصخور الرسوبیه قد تراکمت فی بحار عمیقه و قد زاد سمکها عن ۱۵۰۰۰ متر،و کذلک من صخور أقل سمکا تراکمت فی بحار ضحله،و علاوه علی ذلک فلا بد أن تکون هذه الصخور المشکّله أکبر عمرا فی معظمها من حادثه بناء الجبال التی تضمنتها،مما یشیر بالضروره إلی فتره غیر قصیره من التراکم الهادئ المتبوع بحادثه مفاجأه من الطی و التصدّع) (۱).

الإعجاز:

هذا طرف من الحدیث عن نشأه الجبال الرسوبیه و الجبال و البرکانیه...و رأینا کیف أن الجبال الرسوبیه تتکون مما تلقیه الأنهار و الریاح بعد عملیه الحت و التعریه فی الیابسه،و ثوران البراکین فی قاعات البحار و المحیطات،لتکوّن بعد ذلک الجبال، أ لیس هذا إلقاء؟،و دلیلا علی عظمه القرآن الکریم و هو یثبت هذه الحقیقه الجیولوجیه الرائعه، وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ ،و ما الجبال البرکانیه إلا أجسام ضخمه مؤلفه من صخور،و فتات برکانی قذفتها فوهات البراکین بشدّه،ثم تساقطت علی أطرافها و تراکمت فکانت الجبال،أ لیس هذا کذلک إلقاء؟،ألقاه اللّه من البحار و البراکین لتتکون الجبال،فسبحان من أشار إلی هذه الحقیقه الرائعه و سجلها فی کتابه لتکون سابقه فی مضمار إثبات الحقائق العلمیه،فقال تقدست أسماؤه: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ .

۱- الأرض مقدمه للجیولوجیا الطبیعیه،تاربوک و لو تجنز،ص:۵۰۹.

المبحث الثانی

اشاره

الجبال تحافظ علی توازن الأرض

قال تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً(۶) وَ الْجِبالَ أَوْتاداً(۷) (۱).

و قال تعالی: وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ (۲).

و قال تعالی: وَ الْجِبالَ أَرْساها (۳).

تسجّل هذه الآیات قاعده جیولوجیه فی القرآن الکریم،و هذه القاعده هی:وتدیّه الجبال،فالحق سبحانه و تعالی فی معرض الامتنان علی عباده،و فی سیاق الرحمه التی غمرهم بها یذکّرهم بأنه هو الذی جعل الجبال أوتادا،و وزعها بدقه و حکمه فائقه، مما یساعد علی توازن الأرض،بحیث لا تمید و لا تضطرب،فکما أن الأوتاد تثبت الخیمه و تعمل علی استقرارها،فکذلک الجبال جعلها اللّه للأرض کالأوتاد للخیمه.

یقول الإمام القرطبی رحمه اللّه:(أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ أی لئلا تمید عند الکوفیین،و کراهیه أن تمید علی قول البصریین،و المید:الاضطراب یمینا و شمالا،ماد الشیء یمید میدا إذا تحرک،و مادت الأغصان تمایلت و ماد الرجل تبختر،قال وهب بن منبه:لما خلق اللّه الأرض فجعلت تمید و تمور،فقالت الملائکه:إن هذه غیر مقرّه أحدا علی ظهرها فأصبحت و قد أرسیت بالجبال،و لم تدر الملائکه مما خلقت الجبال) (۴).

و فی«روح المعانی»:(وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أی کالأوتاد،ففیه تشبیه بلیغ أیضا،و المراد أرسینا الأرض بالجبال کما یرسی البیت بالأوتاد) (۵).

۱- سوره النبأ،الآیتان ۶،۷.

۲- سوره الأنبیاء،الآیه:۳۱.

۳- سوره النازعات،الآیه:۳۲.

۴- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۶۰/۵.

۵- روح المعانی،للآلوسی،۱۴/۲۹،و انظر:التسهیل لعلوم التنزیل،محمد بن أحمد الغرناطی،بیروت،دار الأرقم،د.ت،۴۴۴/۲.

و عند ابن كثير(وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أى جعل لها أوتادا أرساها بها و ثبتها و قررها،حتى سكنت و لم تضطرب بمن عليها) (۱).

و فى«التفسير البيانى»:(و الجبال أرساها،الإرساء،التثبت و الترسيخ،و قالوا:

ألقت السفينه مراسيها إذا استقرت،على أن الماده يكثر مجيئها فى الجبال،لوضوح الثبات و الرسوخ فيها،و القرآن يستغنى أحيانا بالرواسى عن الجبال،فيشهد هذا بأن صفه الرسو تبدو أوضح ما تبدو فى الجبال) (۲).

و فى«البحر المحيط»:(وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أى ثبتنا الأرض بالجبال،كما ثبت البيت بالأوتاد) (۳).

و فى الحديث الذى رواه الترمذى و غيره،عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال:«لما خلق اللّه الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت،فعجبت الملائكه من شده الجبال قالوا:يا رب هل من خلقك شىء أشد من الجبال قال:نعم، الحديد،قالوا:يا رب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد،قال:نعم،النار،فقالوا:

يا رب فهل من شىء أشد من النار،قال:نعم،الماء قالوا:يا رب فهل من شىء أشد من الماء،قال:نعم،الريح،فقالوا:يا رب فهل من خلقك شىء أشد من الريح،قال:

نعم،ابن آدم تصدق بصدقه بيمينه يخفيها من شماله» (۴).

و معنى الوتد فى اللغه:(الوتد بالكسر و الوتد،ما رز فى الحائط أو الأرض من الخشب،و الجمع أوتاد،قال اللّه تعالى: وَ الْجِبالَ أَوْتاداً ...و وتدته أنا أتده وتدا وتده و وتدته،أثبته) (۵).۳.

۱- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،۳۰۶/۸.

۲- التفسير البيانى للقرآن،عائشه بنت الشاطئ،القاهره،دار المعارف،الطبعه الثانيه،۱۳۸۸ ه/ ۱۹۶۸،ص:۱۵۲.

۳- البحر المحيط،لأبى حيان الأندلسى،۵۴۱/۹،و انظر:تبصير الرحمن و تيسير المنان،على ابن أحمد المهائى،بيروت،عالم الكتب ۱۹۸۳،۳۱/۲.

۴- رواه الترمذى فى سننه،رقم:(۳۳۶۹)،۴۵۴/۵،و قال أبو عيسى:هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه،و رواه أبو يعلى،أحمد بن على أبو يعلى الموصلى،تحقيق،حسن سليم أسد،دمشق،دار المأمون للتراث،الطبعه الأولى،۱۴۰۴ ه ۱۹۸۴/ رقم: (۴۳۱۰)، ۲۸۶/۷.

۵- لسان العرب،لابن منظور،۴۴۵/۳.

و فی القاموس المحیط:(الوتـد بالفتح و بالتحریک و ککتف،ما رز فی الأرض أو الحائط من خشب و أوتاد الأرض جبالها،و من البلاد رؤساؤها) (۱).

یتبیّن لنـا من خلالـ هـذا العرض،و من معطیات الآیات القرآنیه و ما قاله المفسـرون و أصـحاب المعاجم،أن اللّه سـبحانه و تعالی خلق الجبال و جعلها بمثابه الوتد الذی یشد الخیمه،و الجبال هی بدورها تقوم علی تثبیت الأرض کی لا تمید و تضـطرب،و هذه الحقیقه الجیولوجیه تحدث عنها علماء الجیولوجیا تحت مسمی(وتدیه الجبال).

الحقائق العلمیه:

ففی کتاب«من الآیات العلمیه»:(أثبتت الدراسات أن کل قاره بها جبالها التی تتمیز بها،و أن هناک سلسـله من الجبال موزّعه علی سطـح الأـرض توزعـا دقیقـا محکمـا،و أن ارتفاع الجبال یتناسب و مکانه من الکره الأرضـیه،و نوع الصـخور المکونه له،و طبیعه الأـرض من حوله،و أنه بما توجـد بعض الجبال التی لا یزیـد ارتفاعها علی ألف متر، فهناک مثلا(جبل إفرست)فی سلسـله جبال الهمالایا الذی یقرب ارتفاعها من تسـعه آلاف متر،و وجد کذلک أن الجبال الثقیله دائما أسـفلها مواد هشه و ضعیفه،و أن تحت المیاه توجـد المواد الثقیله الوزن،و ذلک حتی تتوزّع الأوزان فی المناطق المختلفه للکره الأرضـیه،و وجد العلماء أن هذا التوزیع یتمشّی مع مرونه القشره الأرضیه و درجه حرارتها،ثم کانت الحقیقه العلمیه القاطعه التی وصل إلیها العلماء و التی تقرر:أن توزیع الجبال علی الکره الأرضـیه إنما قصد به حفظها من أن تمید إلی الشمس أو تحید عنها،و أنها فعلا السبب الأول و الرئیسی لحفظ توازن الأرض،فکأن الجبال هی أوتاد للأرض تحفظها فی مکانها و تحفظ علیها حرکتها) (۲).

و فی کتاب«أساسیات علم الأرض»:(إن التوزیعات فی کثافات القشـره الأرضـیه علی أجزاء مختلفه منها یحرز وضـعا متوازنا بین أجزاء القشره الأرضیه فی المناطق المختلفه و هو ما یطلق علیه مصطلح اتزان القشره الأرضیه lsostasy .

إن الاتزان النظری لکتل القشره الأرضیه الشاهقه الارتفاع لکلا الجبال و القارات

۱- قاموس المحیط، للفیروزآبادی،۴۱۳/۱.

۲- من الآیات العلمیه،عبد الرزاق نوفل،القاهره،مکتبه الأنجلو المصریه،الطبعه الأولی، ۱۹۶۶،ص:۵۷.

التی تکون طافیه علی قاعده صخریه عالیه الکثافه و تخضع لضغط عظیم و فی وضع تجاوز حاله المرونه تکون فیها الأجزاء المرتفعه من سطح القشره الأرضیه فی حاله توازن مع صخر الطبقه السفلیه الکثیفه،و لکن یجب أن ندرک أن الأحداث الجیولوجیه من وقت لآخر تفسر لنا نظام الاتزان فی القشره الأرضیه...) (۱).

و یقول الشیخ عبد المجید الزندانی:(لقد تأکد الباحثون عام ۱۹۵۶،أن تحت کل جبل عرقا لهذا الجبل و امتداد له قد غرس فی الطبقه العجینیه أو اللزجه التی تحت طبقه الصخور،و قد جعل اللّه هذا الامتداد تحت کل جبل ماسکا للقارات من أن تطوف أثناء دوران الأرض،فهذه الأوتاد المغروسه فی الطبقه اللزجه التی تحت القارات تثبت القارات کما یثبت الوتد الخیمه إذا غرس بین التراب،و لکن هذا السرّ الذی لم یتأکد منه الباحثون إلا عام ۱۹۵۶،کما ذکر ذلک الدکتور فاروق الباز المختص فی علم الجیولوجیا و الفضاء،و مدیر معهد سمیس سونیان لعلوم الأرض و الفضاء،إن هذا السر قد ذکره القرآن قبل ألف و أربع مائه عام،فقال تعالی: وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أی جعلها اللّه أوتادا فی هذه الأرض) (۲).

الإعجاز:

حقیقه وتدیّه الجبال تحدث عنها القرآن الکریم فی العدید من الآیات المبارکه،ثم یأتی العلماء لیکتشفوا أن اللّه سبحانه و تعالی جعل الجبال مغروسه فی طبقات الأرض لیتسنّی للعباد أن یعیشوا علی ظهرها،إنه السبق القرآنی فی إثبات الحقائق العلمیه، فسبحان من ثبّت لنا الأرض بالجبال لننعم بوافر السعاده،و نتفیأ ظلال الرحمه الربانیه، إنه إعجاز القرآن الرائع،و صدق ربّ العزه القائل: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (۳).

۱- أساسیات علم الأرض،الجیولوجیا الفیزیائیه،محمد بن عبد الغنی عثمان مشرف، ص:۵۱۶.

۲- کتاب التوحید،عبد المجید الزندانی،ص:۷۲.

۳- سوره فصلت،الآیه:۵۳.

صوره رقم:(۲۴)،توضح وتديه الجبال،و دورها فی تثبیت و حفظ توازن الأرض.

ص: ۳۵۴

صوره رقم:(٢٥)،سبحان من جعل هذه الراسيات أوتادا للأرض(١).

ص: ٣٥٥

المبحث الثالث

اشاره

الرواسی الشامخات و الماء الفرات

قال اللّه تعالی: وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً (۱).

فی هذه الآیه الکریمه معجزه قرآنیه کبیره،و إشاره علمیه جیولوجیه فریده،فالآیه تشیر إلی علاقه متینه بین الجبال الشامخات و الماء الفرات،و الذی یتأمل قوله تعالی:

شامِخاتٍ یدرک روعه الإعجاز فی بیان القرآن هذا،فاللّه سبحانه و تعالی یلفت انتباهنا إلی حقیقه علمیه مرئیه فی عالم الشهاده،فکلما کانت الجبال ذات شموخ و ارتفاع و علو کان نصیب الماء فیها أغزر،و استأهلت لتکون محطه لواردات الثلوج المتراکمه،و ذاک الماء الذی ینساب من قممها و سفوحها یکون عذبا فراتا سائغا للشاربین...

و بجوله فی تفاسیر العلماء،نری دقه هذا الارتباط الوثیق بین شموخ الجبال و غزاره المیاه.

یقول ابن کثیر: وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ یعنی الجبال أرسی بها الأرض لئلا تمید و تضطرب وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً أی عذبا زلالا من السحاب،أو مما أنبعه من عیون الأرض) (۲).

و عند القرطبی:(رَواسِیَ شامِخاتٍ یعنی الجبال،و الرواسی الثوابت،و الشامخات الطوال،و منه یقال:شمخ بأنفه إذا رفعه کبرا،قال:

وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً أی و جعلنا لکم سقیا،و الفرات،الماء العذب یشرب و یسقی منه الزرع،أی خلقنا الجبال و أنزلنا الماء الفرات) (۳).

۱- سوره المرسلات،الآیه ۲۷.

۲- تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۳۰۳/۸،و انظر:لباب التأویل فی معانی التنزیل،علاء الدین علی بن محمد الخازن،بغداد مکتبه المثنی،د.ت،۳۶۹/۴.

۳- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۱۶۰/۱۹،و انظر:تفسیر القرآن،منصور بن محمد السمعانی،تحقیق،یاسر إبراهیم و غنیم عباس الریاض،دار الوطن،۱۳۰/۶،۱۹۹۷.

و فی«روح المعانی»:(شامِخاتٍ مرتفعات،و منه شمخ بأنفه،و وصف جمع المذکر بجمع المؤنث فی غیر العقلاء مطرد،کأشهر معلومات و تنکیرها للتفخیم،أو للإشعار بأن فی الأرض جبالا لم تعرف و لم یوقف علیها،فأرض اللّه تعالی واسعه و فیها ما لم یعلمه إلا اللّه عز و جل،و قیل:للإشعار بأن فی الجبال ما لم یعرف و هو الجبال السماویه،و هو مما یوافق أهل الفلسفه الجدیده إذ قالوا بوجود جبال کثیره فی القمر، و ظنّوا وجودها فی غیره،و تعقب بأنه تفسیر بما لم یعرف وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً أی عذبا، و ذلک بأن خلقناه فی أصولها،و أجریناه لکم منها فی أنهار،و أنبعناه فی منابع تستمد مما استودعناه فیها،و قد یفسر بما هو أعم من ذلک،و الماء المنزل من السماء) (۱).

و فی تفسیر«أنوار التنزیل»:(وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ جبالا ثوابت طوالا و التنکیر للتفخیم،أو الإشعار بأن فیها ما لم یعرف و لم یر،و قوله تعالی: وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً بخلق الأنهار و المنابع فیها) (۲).

و یقول الإمام الرازی:(من الاستدلال بأحوال الجبال،أن بسببها تتولد الأنهار علی وجه الأرض و ذلک أن الحجر جسم صلب،فإذا تصاعدت الأبخره من قعر الأرض و وصلت إلی الجبل احتبست هناک فلا تزال تتکامل،فیحصل تحت الجبل میاه عظیمه، ثم إنها لکثرتها و قوتها تثقب و تخرج و تسیل علی وجه الأرض،فمنفعه الجبال فی تولد الأنهار هو من هذا الوجه،و لهذا السبب ففی أکثر الأمر أینما ذکر اللّه الجبال قرن بها ذکر الأنهار مثل ما فی هذه الآیه) (۳).

إن الإنسان لیصاب بالدهشه عند ما یقرأ تفسیر هؤلاء العلماء رضی اللّه عنهم،و هم یتحدثون عن هذه الحقائق العلمیه الجیولوجیه منذ قرون مضت،و لم یکن فی عصرهم و لا حتی بعدهم بقرون الآلیات و المعدات التقنیه المتطوره،التی من شأنها أن تکشف عن أسرار المیاه و ارتباطها بالجبال الشامخات،و لکنهم یستلهمون هذه المعطیات العلمیه من وحی القرآن العظیم،الذی حوی علم الأولین و علم الآخرین.۲.

۱- روح المعانی،للآلوسی،۱۷۸/۲۸،و انظر:فتح الرحمن فی تفسیر القرآن،عبد المنعم تعلیب،القاهره،دار السلام،الطبعه الأولی ۱۴۱۶ ه ۱۹۹۵/۷/۳۸۳۶.

۲- أنوار التنزیل،للبیضاوی،۴۳۳/۵.

۳- التفسیر الکبیر،للرازی،۸/۱۹،و انظر:تفسیر مجاهد،مجاهد بن جبر المخزومی،تحقیق، عبد الرحمن السورتی،بیروت،المنشورات العلمیه،د.ت،۷۱۶/۲.

إذن،نـدرک من معطيات النص القرآنی أن الجبال کلما کانت شامخه عاليه،کان الماء أوفر من جهه،و من جهه أخری کان عذبا فراتا،و ليس ملحا أجاجا،فما ذا قال العلم فی هذا؟.

الحقائق العلميه:

إن هذا التصور القرآنی الدقيق،و هذه الإشاره العلميه الربانيه،قد کشف عنها العلم،و أثبتها علماء الجيولوجيا...

(فهـذه الآيه القرآنيه معجزه تربط بين ارتفاع الجبال و تکون الجليد الذی يکلل هاماتها،لانخفاض حرارتها تحت الصـفر،فالبروده تکثف بخار الماء الموجود بالجو علی قمم هـذه الجبال،إذا زاد ارتفاعها عنـد حد خاص يتوقف علی موقعها قدره ۲,۱، ۷,۲،۵,۵ کم،بالنسـبه لجبـال النرويـج و الألـب و الکليمنجـارو علی الترتيب،لأـن هـذه الارتفاعـات هی الحـد الأـدنی لتکوّن الثلـج الـدائم لانخفـاض حرارتهـا بالـدرجه اللاـزمه لتکثيف البخـار من الهواء الرطب المحيـط بهـا فی هـذه المناطق علی الترتيب،و هـذا الماء يتجمّـد علی هيئه ثلـج يغطی القمم و السـفوح الشـامخه البـارده،و ينصـهر هـذا الثلـج تحت ضـغط الجليـد العلوی المـتراکم فوقه باسـتمرار،فيسـيل الماء العذب علی سـفوح هذه الجبال بتأثير الجاذبيه إلی أسـفل،و لن تنفذ هذه الثلوج علی قمم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها السـفلی،لأنها کما تسـيل باسـتمرار تتجدد أيضا باستمرار عمليه التکثف لبخار الماء من الجو المحيط بهذه القمم،و لو لاـ هـذه الظاهره العجيبه لجفت الأنهار إذا انقضت فصول الأمطار عنـد منابعها،و تنکير الماء فی هـذه الآيه يفيـد العموم،بحيث يشمل کلا من ماء الأمطار و الماء المنحدر من جليد شوامخ الجبال التی تعمل کالإسفنج،لتجميع و ترشيح الماء العذب النقی من بخار الجو المحيط) (۱).

و فی«دائره المعارف الثقافيه»نجـد حول هـذه الحقيقه ما يلی:(عند ما تدفع الرياح کتله هوائيه حاره مشـبعه ببخار الماء،و تصادف فی طريقها منطقه جبليه،تصـطدم الکتله الهوائيه بالجبال فتوقف مسـيرتها،لکن الريح تسـتمر فی دفعها،مما يجبرها علی الارتفاع،و کلما ارتفعت هذه الکتله انخفضت درجات الحراره المحيطه،مما يؤدی

۱- المعارف الکونيه،إعداد نخبه من العلماء،ص ۲۹۹.

قمم الجبال التى تغطيها الثلوج هى من نعم اللّه لتخزين المياه على سطح الأرض.

إلى تكثف قسم كبير من رطوبتها،و تشكيل تراكم غيمى يكلل القمه فى النهايه على شكل ضباب) (۱).

(...إن الارتفاعات العاليه،تؤدى إلى انخفاض درجه حراره هذه القمم،التى تستطيع بذلك تكثيف بخار الماء فى الهواء الرطب المحيط بها،و هذا الماء المتكثف يتجمد على هيئه ثلج،يغطى هذه القمم الشامخه و ينصهر هذا الثلج تحت ضغط الطبقات الثلجيه المتراكمه فوقه،و يتحول إلى ماء عذب يسيل على سفوح الجبال منحدرا بتأثير الجاذبيه إلى أسفل) (۲).۴.

۱- دائره المعارف الثقافيه،الأرض،بيروت،المركز الثقافى الحديث،الطبعه الأولى،۲۰۰۰،۳/ ۴۸.

۲- من دلائل الإعجاز العلمى،موسى الخطيب،ص ۲۵۴.

الإعجاز:

إن هذه الحقائق العلميه التى سلفت،جمعها كتاب اللّه بجمله واحده: وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً ،و ليس من المستغرب أن يكشفها العلم الحديث لأنها تنزيل من لدن العليم الخبير،ثم إن هذه الآيات تلفت انتباهنا إلى أن نسبر أغوار الكون،و نكشف عن أسراره و خفاياه لينعم الإنسان بها،فكم هى آلاء اللّه و نعمه الوافره كثيره علينا،فالجبال الشاهقات منابع لسيلان الأنهار العذبه النقيه،و جمال الحياه و زهوتها بهذه الأنهار التى تملأ الوديان و السهول و شق التربه القاحله فتحيلها إلى جنه خضراء زاهيه...إنه جمال الكون و بهاؤه المنعكس عن جلال اللّه و جماله...

أما ينبغى أن نطأطئ الرأس إجلالا لإعجاز القرآن فى هذه الآيات الباهرات، و اعترافا بنعم اللّه و آلائه التى أرفدها علينا و أغدقنا بها.

صوره رقم:(۲۷)،مشهد رائع يوضح الماء الفرات المنساب من قمم الجبال على سفوحها فسبحان اللّه العظيم (۱).

۱- أخذت هذه الصوره من موقع: ۴۰۷۴ http://zizooo.ws/z.php?name Gallery do showpic pid orderby date D

صوره رقم:(۲۸)،مشـهد آخر يبين الثلوج التى تكلل هامات الجبال،و ترشح الماء ليكون عذبا فراتا، و صدق اللّه العظيم إذ يقول: وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً ،هذا خلق اللّه (۱). D

۱- أخـذت هـذه الصوره مـن موقـع: ۸۴۷۰۴ http://zizooo.ws/z.php?name Gallery do showpic pid orderby date D

المبحث الرابع

اشاره

حرکه الجبال و تعدّد صخورها

قال تعالی: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَ (۱).

و قال سبحانه: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِیبُ سُودٌ(۲۷) وَ مِنَ النّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ کَذلِکَ إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللّهَ عَزِیزٌ غَفُورٌ(۲۸) (۲).

تشیر الآیه الکریمه الأولی إلی أن للجبال حرکه سریعه،و هی لیست ثابته جامده کما یتخیّل أو یظن،و هذه حقیقه قرآنیه سجلها کتاب اللّه تعالی،ثم کشف عنها علماء الجیولوجیا بعد قرون،کما تشیر الآیه الثانیه إلی تعدد صخور الجبال و تعدد ألوانها کذلک،و فی الآیه إشاره إلی إمکانیه تغیر ألوان الصخور مع الزمن،و لنبدأ فی بحث هاتین الآیتین من کتب التفاسیر.

یقول ابن کثیر:(وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ أی تراها کأنها ثابته باقیه علی ما کانت علیه،و هی تمر مر السحاب أی تزول عن أماکنها) (۳).

و فی«تفسیر بحر العلوم»:(أی تحسبها واقفه مکانها و یقال:مستقره وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ حتی تقع علی الأرض فتستوی،أی فی أعین الناظرین کأنها واقفه) (۴).

و فی«إرشاد العقل السلیم»:(وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ حال من ضمیر الجبال فی تحسبها،أو فی جامده،أی تراها رأی العین ساکنه،و الحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التی

۱- سوره النمل،الآیه:۸۸.

۲- سوره فاطر،الآیتان،۲۸،۲۷.

۳- تفسیر القرآن العظیم،لابن کثیر،۱۹۴/۶.

۴- بحر العلوم،للسمرقندی،۶۱۸/۲.

تسیرها الرّیاح سیرا حثیثا،و ذلک أنّ الأجرام العظام إذا تحرکت نحو سمت لا تکاد تتبین حرکتها،و قد أدمج فی هذا التشبیه تشبیه حال الجبال بحال السّحاب فی تخلخل الأجزاء و انتفاشها) (۱).

و أما الآیه الثانیه،فیقول القرطبی:(و الجدد،جمع جده،و هی الطرائق المختلفه الألوان،و حمر مختلف ألونها،و غرابیب سود،الغربیب الشدید السواد ففی الکلام تقدیم و تأخیر و المعنی،و من الجبال سود غرابیب،و العرب تقول للشدید السواد الذی لونه کلون الغراب،أسود غربیب) (۲).

و فی«أنوار التنزیل»:(وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ أی ذو جدد أی خطط و طرائق، یقال:جده الحمار للخطه السوداء علی ظهره،و قرئ جُدَدٌ بالضم جمع جدیده، بمعنی الجده جُدَدٌ بفتحتین و هو الطریق الواضح، بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها بالشده و الضعف، وَ غَرابِیبُ سُودٌ عطف علی بِیضٌ أو علی جُدَدٌ کأنه قیل:

و من الجبال ذو جدد مختلفه اللون،و منها،أی من الجبال، وَ غَرابِیبُ متحده اللون، و هو تأکید مضمر یفسره ما بعده،فإن الغربیب تأکید للأسود و من حق التأکید أن یتبع المؤکد) (۳).

و معنی جدد فی اللغه،ففی«مفردات ألفاظ القرآن»:(جدد،جمع جده،أی طریق ظاهره،من قولهم:طریق مجدود،أی مسلوک مقطوع،و منه جاده الطریق) (۴).

و أما غرابیب فمعناها:(جمع غربیب،و هو المشبه للغراب فی السواد،کقولک:

أسود کحلک الغراب) (۵).

و لعل من المفید أن نشیر إلی أن عددا لیس بالقلیل ممن تناول تفسیر الآیه الأولی، أخضعها إلی عوالم الآخره و مشاهد النکبه و الخراب التی ستسیطر علی الکون إبان قیام۵.

۱- إرشاد العقل السلیم،لأبی السعود،۲۷۶/۴.

۲- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۲۱۹/۷،و انظر:تفسیر القرآن الکریم إعرابه و بیانه،محمد طه الدره،دمشق،دار الحکمه،۱۹۸۲ ۵۹۷/۱۱.

۳- أنوار التنزیل،للبیضاوی،۴۱۷/۴.

۴- مفردات ألفاظ القرآن،للأصفهانی،ص:۱۸۸.

۵- المصدر نفسه،ص:۶۰۵.

الساعه،و اعتبر مرور الجبال كالسحاب كنايه على نسفها و زوالها،و كان منطلق هذا التفسير وقوع الآيه فى سياق نصوص قرآنيه تتحدث عن مشاهد يوم القيامه.

و الحق فى هذه القضيه،أن الآيه تتحدث عن مرور الجبال و حركتها فى الدنيا و ليس فى أهوال الآخره،و لسبب بسيط ألا و هو أن اللّه عز و جل قال: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً... و الرؤيا هنا رؤيا بصريه،و الحسبان أبدا لا يكون فى الآخره،إذ إن الآخره كلها يقين و كلها حق و كلها وقائع مرئيه،لا تخضع إلا لليقينيات،أما الحسبان و الشك و الظن،فهى حالات تعترى الناس فى الدنيا،و لا مكان لها يوم الدين،و بناء على هذا فالآيه تشير إلى أن الإنسان إذا نظر إلى الجبال،حسبها جامده لكنها فى واقع الأمر ليست كذلك،إنما هى متحركه حركه سريعه،و هذه الحقيقه كانت غامضه لمن سلف من الناس،و لكن مع التقدم العلمى و الثوره التقنيه التى نعيشها اليوم،تأكد للعلماء أن الجبال تتحرك حركه سريعه،ذلك أن الجبال جزء أساسى من الأرض،و لقد ثبت لنا أن الأرض تدور دورانا سريعا،و عليه فإن الجبال مسرعه بسرعه الأرض،و هناك أدله أخرى على حركه الجبال نقف مع العلماء ليحدثونا عنها.

الحقائق العلميه:

(لقد شبه الحق الجبال بالسحاب المتحرك تشبيها بليغا،نعرف سره من الحقائق التاليه:

١-حركه الأرض:السحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته،و لكنه يتحرك محمولا على الرياح،و إرسال الرياح يتم بحركتها لتهب من مكان لآخر فتساعد على تكوين و إظهار السحب،ثم تحريك هذا السحاب محمولا على الرياح،و بهذا فالسحاب متحرك راكب الرياح،و بالمثل فالجبال تجرى لأنها تمتطى كوكب الأرض المنطلق فى الفضاء أى بحركه غير ذاتيه،و لهذا فالجبال تمر مرّ السحاب،فما أروع التشبيه و ما أعمق الإشاره إلى حركه الأرض و هى تحمل معها الجبال،بينما الناس كانوا يحسبون حتى أن كليهما ساكن و جامد.

٢-إزاحه القارات:لقد ثبت علميا أن القشره الأرضيه تتحرك باستمرار حركه بطيئه،و نستطيع أن نتخيل القارات بجبالها و كأننا معها ركاب مسافرون على ظهر ألواح قاريه ضخمه،لطبقه أرضيه تدعى(الليثوسفير)بسمك متوسط قدره ٦٠ ميلا تحت أقدامنا،و هذه الألواح تنزلق ببطء،طافيه على طبقه الرداء البلاستيكيه المنصهره

تقريبا،و التى تدعى(الأثينوسفير)،كما أن الجبال قد تصل بجذورها إلى هذه الطبقه لتطفو كما تفعل القشره،فالقارات بجبالها الطافيه فوق الرداء تشبه السفن العملاقه الطافيه فوق البحار فى رسوها بل و فى حركتها...و على هذا فالجبال مع قاراتها تمر طافيه على ألواح(الليثوسفير)مرورا بطيئا،لا تستطيع إدراكه فتحسبها جامده و هى تمر مر السحاب) (١).

و لقد كشف علم الجيولوجيا حديثا عن الحقيقه العلميه(التى تؤكد التغير المستمر لما يبدو لنا ثابتا و خالدا كالصخور و الجبال،و هذا التغير قد يحدث تدريجيا عبر ملايين السنين،و قد يحدث فجائيا عند حدوث الكوارث الطبيعيه كما حدث فى زلزال (ألاسكا)عام ١٩٦٤،الذى هزّ جبلا عاليا هزا عنيفا لدرجه أن جزءا كبيرا من قمه الجبل تحطم...إن كل ظواهر التعريه تتم بتقدير إلهى ينظم كل شىء فى ترتيب متقن محكم،فالجبال ليست ساكنه أو دائمه و لكنها تمرّ مرّ السحاب،فهى تتشكل و تزول تدريجيا عبر ملايين السنين،أو تزول بصوره مفاجأه كما فى حاله الكوارث الطبيعيه) (٢).

و أما قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ(٢٧) وَ مِنَ النّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(٢٨) (٣).

فإن هذه الآيه تخلق مثيرا فى كيان العلماء لتنبههم إلى حقيقه جيولوجيه،قد أشار إليها كتاب الله،و هذه الحقيقه تتمثل فى اختلاف و تنوع صخور الجبال و ألوانها،و إنما يعود اختلاف ألوانها إلى اختلاف تركيبها و تكوينها،و لكن منشأها واحد و هو الأرض، و عليه فإن هذا الاختلاف و التنوع وراءه أصل واحد،و فى هذا تأكيد على وحدانيه الخالق سبحانه و تعالى.٨.

١- المعارف الكونيه،نخبه من العلماء،ص ٣٢٢-٣٢٣،و انظر:كوكب الأرض،حسن أبو العينين،الإسكندريه،مؤسسه الثقافه الجامعيه،الطبعه الحاديه عشر،١٩٩٦،ص:٣٧٦ و ما بعدها،و انظر:قواعد الجيومورفولوجيا العامه،جودت حسنين جودت،الإسكندريه،دار المعرفه الجامعيه،١٩٩٦،ص:١٠٥-١٠٦.

٢- من دلائل الإعجاز العلمى،موسى الخطيب،ص ٢٥١.

٣- سوره فاطر،الآيتان ٢٧،٢٨.

و لقد قسم العلماء الصخور إلى(ثلاثه أنواع رئيسيه:

١-صخور ناريه: (Igneous) ،و هذه الصخور هى صهير السائل الساخن(الماجما) المنبعث من تحت سطح الأرض و هى عده أنواع:

أ-الصخور الجرانيتيه.

ب-الصخور الأنديسيتيه.

ت-الصخور البازلتيه.

د-الصخور الفلزبركانيه.

و هذه الصخور المتبرده من الصهير الذى تقترب الأيونات من بعضها و تفقد حريه الحركه،و عند ما يصل التبريد حدا كافيا تحد قوه الترابط الكيميائى من حركه الذرات و تجبرها على الانتظام فى بنيه بلوريه...ثم تتصلب تباعا،و تختلف ألوان هذه الصخور فمنها الأخضر و الأبيض و الأحمر هذه من ألوان الجرانيت و يكون البازلت أسودا أو رماديا قاتما) (١).

(٢-الصخور الرسوبيه: (Sedimentary) ،و قد تجمعت هذه الصخور فى الأحقاب المنصرمه فى البحار و هى عده أنواع:

أ-الصخور الرسوبيه الحتاتيه.

ب-الصخور الرسوبيه الكيميائيه.

ت-الصخور الرسوبيه العضويه.

إن للصخور الرسوبيه أهميه خاصه فى استنباط تاريخ الأرض،فهى تتكون عند سطح الأرض فى طبقات،و كل طبقه تسجل طبيعه البيئه التى ترسبت فيها وقت ترسبها،و هذه التراكمات التى تسمى طبقات تمثل الخاصيه الوحيده المميزه للصخور الرسوبيه) (٢).

(٣-صخور متحوله: (Metamorphic) ،و هذه الصخور فى أصلها كانت رسوبيه أو ناريه بشتى أنواعها ثم تحولت بعد ذلك بسبب الضغط الشديد و الحراره القويه فى أعماق الأرض إلى صخور متنوعه،و أثناء عمليات التحول الشديد يمكن أن يكون انتقال الأيونات كافيا ليسبب فصل المعادن عن بعضها...٣.

١- الأرض مقدمه للجيولوجيا الطبيعيه،تاربوك و لوتجنز،ص ٧٥.

٢- المصدر نفسه،ص ١٧٣.

و يتحول صخر(الجرانيت)إلى صخر(النايس)،و يتحول الحجر الطينى إلى (اردواز)و عمليات التحول تسبب كثيرا من التغيرات فى الصخور بما فى ذلك الزياده فى كثافه الصخور و نمو البلورات الكبيره و تغير اتجاه الحبيبات المعدنيه،الذى ينشأ عنه مظهر محزم يسمى بالتورّق،و استبدال المعادن المتكونه فى درجه حراره منخفضه بأخرى متكونه فى درجات حراره مرتفعه) (۱).

الإعجاز:

و هكذا فإن الحق سبحانه و تعالى يسجل فى كتابه المجيد الحقائق العلميه المتواليه، فلقد قرر أن الجبال ليست ثابته و لا جامده،إنما تمر مرّ السحاب،و يأتى علماء الجيولوجيا ليكتشفوا هذا القانون الربانى فى حركه الجبال،ثم إن هذه الحقائق العلميه،عن الصخور و تشكلها و تلونها و تباينها جمعتها آيه قرآنيه: وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ ،و فى الآيه إشاره إلى ضروره البحث فى علوم الجيولوجيا و الفيزياء و الكيمياء،التى تتشابك هذه العلوم مع بعضها لتصل إلى الكشف عن أسرار و حقائق الكون،الذى أرسى الحق تبارك و تعالى قواعدها بين دفّتى كتابه العظيم.

۱- الأرض مقدمه للجيولوجيا الطبيعيه،تاربوك و لوتجنز،ص:۱۹۳.

الفصل العاشر: الإعجاز القرآنی فی البحار

اشاره

تمهید.

المبحث الأول:ظلمات البحار و تنوع الأمواج.

المبحث الثانی:مرج البحرین یلتقیان.

المبحث الثالث:و البحر المسجور.

المبحث الرابع:اهتزاز الأرض بماء السماء.

تمهید

الماء آیه من آیات اللّه البدیعه،و شاره ناطقه علی عظمه الخالق،فی بث روح الحیاه فی الکائنات کلها،و الحیاه هی سر من أسرار اللّه فی الکون،و بین الماء و الحیاه تلازم وثیق،فلا حیاه بدون ماء و لقد جعل العلیم الخبیر جل جلاله الماء سببا لاستمرار الحیاه و بقائها،فمقوّمات الحیاه و عناصر تکوینها المختلفه،لا- یکتب لها البقاء و لا یمکن أن تستنشق روح الحیاه إلا بالماء،فمن الماء الدافق خلق الإنسان و تکوّن،و من الماء مع التراب تزهو دنیا النباتات،و تتکاثر بقیه المخلوقات و تسعد بنعمه الماء الزلال،قال تعالی: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ (۱).

و لقد جعل الحق عز و جل للماء دوره متکامله لاستمرار الحیاه،بدءا من حراره الشمس فبخار الماء فتکوین السحب ثم إمطار الماء من السماء،لتتفجر البراعم الخضراء الحیه من أکمامها،و ترتوی الأنعام،و ینعم الإنسان،و تزهو الدنیا،قال تعالی: إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دَابَّهٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۲).

و لقد ورد فی القرآن الکریم الحدیث عن الماء العذب و الماء الأجاج المالح،و أخذ الحدیث عن البحار شوطا و مساحه لیست بالقلیله فی کتاب اللّه تعالی،و ذلک للأهمیه الآنفه،و لسوف یتناول فی هذا الفصل قضایا بحریه عرضها الحق عرضا غایه فی البیان الإعجاز،من ذلک الحدیث عن مرج البحار و التقائها دون امتزاج أو بغی،و ما فیها من دلالات علمیه و قرآنیه،و کذلک الحدیث عن ظلمات البحار المتنوعه،و ما حوت من

۱- سوره الأنبیاء،الآیه: ۳۰.

۲- سوره البقره،الآیه:۱۶۴.

عجائب كثيره كوجود أمواج داخليه تم الكشف عنها فى زماننا،و قد ذكرها ربنا فى كتابه المجيد بكل وضوح،ثم نعرج للحديث عن قسم القرآن بـالبحر المسـجور،و الـذى تعرف عليه إنسان عصـرنا و اكتشف وجود الحمم و البراكين الثائره الملتهبه فى قيعان البحار، ثم نعرض قضيه اهتزاز التربه بماء السماء و ما رافق هذه العمليه من إعجازات ربانيه.

ص: ٣٧٢

المبحث الأول

اشاره

ظلمات البحار و تنوع الأمواج

قال تعالى: أَوْ كَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ (۱).

تشیر هذه الآیه الکریمه إلی حقیقه علمیه رائعه فی علم البحار،فهی تحدثنا عن بعض مزایا البحر العجیب،و تکشف لنا طرفا من مشاهده المدهشه،ألا و هو وجود أمواج داخلیه للبحر،و ظلمات متعدده فیه،و قبل سوق الحقائق العلمیه التی تفسر هذه الآیه و تؤکد حقائقها الثابته،نستعرض بعض أقوال أهل العلم من المفسرین لنقف عند رؤیتهم العلمیه لهذه الآیه،و لنری ذلک من خلال کلامهم عن معانی المصطلحات القرآنیه من الناحیه اللغویه.

ففی تفسیر«فتح البیان»:(فی بحر لجی،معظم الماء،و الجمع لجج،و هو الذی لا یدرک عمقه،ثم وصف سبحانه و تعالی هذا البحر بصفه أخری فقال: یَغْشاهُ أی یعلو هذا البحر مَوْجٌ فیستره و یغطیه بالکلیه،و الموج:ما ارتفع من الماء،ثم وصف هذا الموج بقوله: مِنْ فَوْقِهِ أی من فوق هذا الموج مَوْجٌ ثان متراکم فیه إشاره إلی کثره الأمواج و تراکم بعضها فوق بعض،ثم وصف الموج الثانی فقال:

مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ فیجتمع حینئذ جوف البحر و أمواجه و السحاب المرتفع فوقه) (۲).

و یقول القرطبی رحمه اللّه:(فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ قیل:هو منسوب اللجه،و هو الذی لا یدرک قعره و اللجه معظم الماء،و الجمع لجج،و اللج البحر إذا تلاطمت أمواجه...

یَغْشاهُ مَوْجٌ أی یعلو ذلک البحر اللجی: مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ أی من فوق الموج موج،و من فوق هذا الموج الثانی،سحاب سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ و المراد

۱- سوره النور،الآیه:۴۰.

۲- فتح البیان فی مقاصد القرآن،للقنوجی،۲۳۸/۹.

بهذه الظلمات ظلمه السحاب و ظلمه الموج و ظلمه الليل و ظلمه البحر،فلا يبصر من كان فى هذه الظلمات شيئا و لا كوكبا...

إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ أى الناظر لَمْ يَكَدْ يَراها أى من شده الظلمات) (۱).

و فى تفسير«بحر العلوم»:(أَوْ كَظُلُماتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّىٍّ يعنى:مثل الكافر كمثل رجل يكون فى بحر عميق فى الليل،كثير الماء يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ يعنى يكون فى ظلمه البحر،و ظلمه الليل،و ظلمه السحاب،فكذلك الكافر فى ظلمه الكفر،و ظلمه الجهل و ظلمه الجور و الظلم،و يقال: يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ يعنى المعاصى،و من فوقه العداوه و الحسد و البغضاء،و مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ يعنى الخذلان من اللّه تعالى.

ثم قال: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ كما قال للمؤمن: نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ فيكون للكافر ظلمه على ظلمه،قوله ظلمه،و عمله ظلمه،و اعتقاده ظلمه،و مدخله ظلمه، و مخرجه ظلمه و مصيره إلى الظلمه،و هو النار،و يقال:شبه قلب الكافر بالبحر العميق،و شبه أعضاءه بالأمواج الثلاث،طبع اللّه على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم، فهذه الظلمات الثلاث تمنعه عن الحق،ثم قال:(إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها يعنى لم يكن أقرب إليه من نفسه،فإذا أبرز يده لم يكد يراها من شده الظلمه،و مع ذلك لم ير نفسه) (۲).

و عند الطبرى:(و مثل أعمال هؤلاء الكفار فى أنها عملت على خطأ و فساد و ضلاله و حيره من عمالها فيها و على غير هدى،مثل ظلمات فى بحر لجّىّ،و نسب البحر إلى اللّجه،وصفا له بأنه عميق كثير الماء،و لجه البحر معظمه،يغشاه موج يقول:يغشى البحر موج،من فوقه موج يقول:من فوق الموج موج آخر يغشاه،من فوقه سحاب يقول:من فوق الموج الثانى الذى يغشى الموج الأوّل سحاب،فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم،و البحر اللجى مثلا لقلب الكافر،يقول:عمل بنيه قلب قد غمره الجهل و تغشّته الضلال و الحيره كما يغشى هذا البحر اللّجىّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب،فكذلك قلب هذا الكافر الذى مثل عمله مثل هذه الظلمات،يغشاه الجهل ۲.

۱- الجامع لأحكام القرآن،للإمام القرطبى،۱۸۸/۶،و انظر:تفسير روح البيان،إسماعيل حقى البروسوى،بيروت،دار الفكر،د.ت ۱۶۲/۶.

۲- بحر العلوم،للسمرقندى،۵۳۸/۲.

باللّه بأن اللّه ختم عليه فلا يعقل عن اللّه،و على سمعه فلا يسمع مواعظ اللّه،و جعل على بصره غشاوه فلا يبصر به حجج الله،فتلك ظلمات بعضها فوق بعض) (۱).

و لو فتشنا عن معنى لُجِّيٍّ فى المعاجم،فسنجد:(لجه البحر حيث لا يدرك قعره، و لج الوادى جانبه،و لج البحر عرضه،و لج البحر الماء الكثير الذى لا يرى طرفاه...و لجه الأمر،معظمه،و لجه الماء بالضم معظمه،و خص بعضهم به معظم البحر،و كذلك لجه الظلام،و جمعه لج و لجج و لجاج) (۲).

و فى«العين»:(و لجه البحر حيث لا ترى أرض و لا جبل،و لجج القوم،دخلوا فى لجه،و بحر لجى أى واسع اللجه) (۳).

سبحان اللّه،ما هذا الوصف الدقيق لأمواج البحار و طبائعها،و الذى يتأمل الآيه الكريمه،و يدقق بأقوال المفسرين ثم يربط ذلك فى الزمن الذى نزلت فيه هذه الآيه، و بالعصر الذى قال فيه المفسرون هذا الكلام،يقف مشدوها مستغربا من ذلك،لأنهم يتحدثون عن حقائق العلم التى وصل إليها إنسان القرن العشرين،و ما يدريهم هم بهذه الأمواج السطحيه و الداخليه و الظلمات الدامسه فى أعماق البحر،هل سبروا أغوار البحار و رأوها،هل التقطوا صورا فضائيه و شاهدوها؟نعم إنهم شاهدوها بمنظار العقيده و اليقين،و رأوها من خلال مرآه القرآن المعجز الكريم.

بوسعنا الآن أن نستنبط من الآيه الكريمه ثلاث حقائق و هى:

۱-هناك أمواج داخليه فى أعماق البحر تحت الأمواج السطحيه.

۲-و هذه الأمواج غير موجوده فى أىّ بحر،و إنما يجب أن يكون عميقا. لُجِّيٍّ .

۳-المناخ الذى يحيط فى تلك المنطقه ملبد بالسحب و الغيوم.

تلك هى التصورات القرآنيه حول قضيتنا هذه،و قبل أن نثبت الحقائق العلميه التى وصل إليها البحاث،نشير إلى لفته لطيفه فى هذا الصدد،و هى قوله تعالى: أَوْ كَظُلُماتٍ ففى الآيه إعجاز لأنها تتحدث عن ظلمات فى أعماق البحر،و لقد تكررت مرتين لتوكيد هذه الظلمات،و لم يقل الحق:ظلام،إنما قال: كظُلُماتٍ و هذه۶.

۱- جامع البيان،للطبرى،۱۱۵/۱۸.

۲- لسان العرب،لابن منظور،۳۵۵/۲.

۳- العين،للفراهيدى،۱۹/۶.

الظلمات بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ فما هو المقصود من هذه الظلمات،لقد كشف العلم عن السر الكامن من وراء هذه الكلمه و إليك بيانه.

الحقائق العلميه:

(طيف النور،لو طبقت المنشور سينعكس إلى سبعه ألوان،و وجد العلماء أنه إذا وصل إلى عشره أمتار سيختفى اللون الأحمر قبل تحوله إلى ظلمه،فيصبح لون الدم بعد عشره أمتار أسودا،فإذا وصل إلى ثلاثين مترا،يبدأ ظلام آخر حيث يختفى اللون البرتقالى و يتحول إلى ظلمه ثانيه،فإذا وصل إلى خمسين مترا،يبدأ ظلام جديد ثالث فيختفى اللون الأصفر،فيصبح ظلام اللون الأحمر فوق ظلام اللون البرتقالى و فوق ظلام اللون الأصفر،ظلمات متراكمه،ثم إذا ما وصل إلى مسافه ١٠٠ مترا يختفى اللون الأخضر،و إلى عمق خمس مائه متر،تختفى الألوان كلها إلا الأسود،فيبقى مميزا و كأنه ظل يتحرك أمام الرائى هناك،و على عمق ١٠٠٠ متر تنعدم الرؤيا تماما، أ ليست هذه ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها لشده الظلام أو الظلمات المطبقه) (١).

و حول هذه الحقيقه يتحدث كبار علماء البحار فى كتاب كتبه ثلاثون عالما من العلماء المتخصصين فى الملاحه البحريه،و جمع أبحاثهم ريتشارد فيتر (٢)و عنون هذا الكتاب ب«علم المحيطات»و فى تأكيد هذه الحقيقه و توضيحها،يقول الكابتن جاك كوستو (٣)فى مبحث من مباحث هذا الكتاب:(عند ما يخترق ضوء النهار البحر فإن اللونين الدافئين الأحمر و البرتقالى يزولان بسرعه و على عمق ٥٠ مترا لا يبقى غير الألوان الخضراء و الزرقاء و الأرجوانيه من ألوان الطيف،و مع ذلك إذا أدخلنا الضوء

١- مقتبسه من محاضره عن البحار للداعيه طارق سويدان،شريط كاسيت.

٢- ريتشارد فيتر،كان منسقا لبرامج ندوات صوت أمريكا لعلم وصف المحيطات،و هو يشغل الآن منصب السكرتير التنفيذى لمجلس شئون المحيطات بالأكاديميه القوميه للعلوم و المجلس القومى للبحث العلمى.انظر:مقدمه المترجم ص:۶.

٣- جاك كوستو،مدير متحف المحيطات فى موناكو عام ١٩۴٣،أثناء خدمته فى البحريه الفرنسيه اخترع الكابتن كوستو الرئه المائيه و منذ عام ١٩٥٠ و هو يشغل منصب قبطان سفينه كاليبسو لبعثات مسح المحيطات،و كاليبسو هو الاسم الذى اختاره لمركبته التى تغوص تحت الماء. انظر:المترجم ص:١۴.

صناعیا تحت الماء،فإن الأصقاع و حیوانات البحر العمیقه سرعان ما تدب فیها الحیاه بصبغه زاهیه لم یکن فی الحسبان أن تکشف عن نفسها،و علی عمق ثلاثمائه متر یشع ضوء أحادی بلون کاف نستطیع به أن نری أشکال الصخور أو حرکه الأسماک،و علی عمق ألف متر و حتی فی أفضل الظروف و أنسبها،فاللیل أبدی للعین البشریه،فالرؤیه تکون أحیانا سیئه فی مصبات الخلجان و الموانئ أو المدن،و لکن الماء یکون صافیا بصفه عامه أو شدید الصفاء فی المحیط المفتوح أو العمق الأخضر،و عند ما یبدو الماء صافیا کالبلور فإن الرؤیه لا تزید عاده علی ثلاثین مترا للغواصین شأنها فی ذلک شأن ضباب مدینه مثل لندن) (۱).

سبحان اللّه،من أخبر محمدا صلی اللّه علیه و سلم بهذه الظلمات فی البحر؟.

إن الذی أخبره عن الظلمات البحریه هو الذی أنبأه عن الأمواج الداخلیه،و عن العلاقه بین السحب الجویه و الأمواج.

قال تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ الآیه تتحدث عن وجود أمواج داخلیه فی أعماق البحر،و أخری سطحیه من فوقها سحاب، فما ذا قال العلم فی ذلک؟.

فی کتاب«علم المحیطات»عقد فصل بعنوان«الأمواج»و تحدث عن الأمواج بنوعیهما الخارجیه و الداخلیه،أما عن الأمواج الداخلیه فقال:(لقد تکلمنا لحد الآن عن الأمواج التی تقع فی المنطقه الواقعه بین سطح الماء و الهواء،و لکن یمکن للأمواج أن تمتد بین أی سائلین مختلفی الکثافه،فمثلا- بین الزئبق و الهواء،و بین النفط و الماء، و بین طبقات ماء المحیط ذات درجات الکثافه المختلفه،و کلما کان الاختلاف کبیرا فی الکثافه بین السائلین،کلما انتقلت الأمواج بصوره أسرع،فمثلا لکون الزئبق کثیف جدا بالمقارنه مع الهواء فإن الأمواج فوق الزئبق ستنتقل بسرعه کبیره،و من جهه أخری فالماء أکثف من الزیت بکثیر لذلک سوف تتحرک الأمواج بین السائلین بصوره بطیئه،و عند تواجد طبقتین من ماء المحیط ذات درجات کثافه مختلفه قلیلا،یمکن أن تتکون الأمواج بین هاتین الطبقتین و تدعی هذه الأمواج الداخلیه (internal wave) و تنتشر ببطء متناه) (۲).۳.

۱- علم المحیطات،ریتشارد فیتر،ترجمه،میشیل تکلا،القاهره،مطبوعات کتابی،د.ت،ص:۲۰.

۲- علم المحیطات،کیث ستو،ترجمه،تلفان عناد أحمد،البصره،نشر جامعه البصره،۱۹۸۶، ص:۵۲۳.

(و لقد تحدث العلماء عن صنف من الأمواج الداخليه و يدعى أمواج التسونامى (tsunami) و هى نوع من الأمواج التى تسير بسرعه هائله تبلغ ۶۰۰ قدم فى الثانيه، و تحدث فى الطبقات العميقه من المحيطات نتيجه الزلازل و البراكين و أحيانا الانفجارات الذريه،و هذه الأمواج قليله الحدوث،إلا أنها خطيره جدا،و ينشأ عنها خسائر فادحه،علاوه على أنه لا يمكن التنبؤ بها) (۱).

و فى كتاب«الماء و الحياه بين العلم و القرآن»:(و نحن نعلم بأن هناك أمواجا على سطح البحر تعرفها جميعا،و هى صغيره الحجم بالنسبه لما كشفه العلم سنه ألف و تسعمائه بواسطه علماء(إسكندينافه)و هى الأمواج الداخليه فى أعماق البحر المحيط،و دعم ذلك ما قامت به الأقمار الصناعيه من استشعار عن بعد،و تصوير لهذا النوع الجديد من الأمواج سنه ألف و تسعمائه و ثلاث و سبعين و الذى ما عرفه إنسان قبل التاريخ و لا بعده إلا منذ سبع سنوات فقط،و طول هذه الأمواج السحيقه العملاقه يبلغ عشره كيلومترات،و سمكها آلاف الأمتار...و المسافه بين الموجه السحيقه و الأخرى المجاوره لها فى الأعماق تبلغ ۳-۴ ك.م،و هذا نوع كبير جدا إذا قورن بالأمواج السطحيه التى توجد فوق سطح المحيط،و التى ما كنا نعرف غيرها من أنواع الأمواج إلا أخيرا،و هذا النوع السحيق يسود فى البحار المظلمه،مثل المحيط الهادى و الأطلنطى،فالمحيط الهادى سحيق الغور و أعمق مناطق العالم تقع فيه،و هو أخدود (الماريانا‌ز)الذى يصل عمقه إلى ۳۶۰۵۶ قدما،و هذه المناطق المظلمه هى التى يستحيل وصول ضوء الشمس إليها،لعمقها الشديد،و تراكم طبقات المياه الكثيفه، و قيام الطبقه السطحيه من المحيط بإعكاس ضوء الشمس...و لذلك فقد صمم الخالق الأعظم أنواع الأسماك هناك بلا عيون،لأنها لا تستخدمها فى الرؤيه،و تعيش هذه الأسماك هناك بسمعها و لكن لا تبصر،و هذا الظلام لا يكون كما رأينا فى كل بحار الدنيا،و إنما البحار العميقه فقط،و الغريب أن محمدا صلى اللّه عليه و سلم قال بذلك رغم أن ما يحيط بالجزيره العربيه من الشرق هو الخليج العربى و هو ليس بحرا لجيا،و البحر الأحمر من الغرب،و هو بحر داخلى قليل العمق،و بحر العرب من الجنوب و هو الآخر ليس بحرا لجيا...

إنه لإعجاز حقا أن يخبرنا القرآن منذ ألف و أربعمائه عام بتلك الظاهره،فالظلمات۷.

۱- علم البحار و المحيطات،ميلاد سعيد الرماح،ليبيا،نشر القوات البحريه،۱۹۷۹،ص:۶۷.

التی ذکرها القرآن لا- توجد فی البحار المحیطه بمهبط رأس الرسول صلی اللّه علیه و سلم و موطنه،فمن کشف لمحمد هذه الأسرار؟و من کشف له عن ظلمات السحب فی هذه المناطق التی یتمیز مناخها بالاضطرابات و الأعاصیر و تراکم السحب السوداء فی سماءها؟إنه اللّه سبحانه و تعالی الذی أخبره عن طریق الوحی بکل ذلک و جعله سهل الفهم علی حسب مدارک ابن الصحراء،و ابن عصر الفضاء علی حد سواء) (۱).

الإعجاز:

لقد أثبت القرآن الکریم أن هناک أمواجا داخلیه غیر الأمواج السطحیه،و هذه الأمواج تتواجد فی المحیطات العمیقه اللجیه،و التی تتلبد سماؤها بالغیوم،أما البحار التی قعرها قریب و سماؤها صافیه،فلا یوجد فیها أمواج داخلیه،و هذا ما أکده العلم و قرره،فالأمواج الداخلیه تتواجد فی المحیط الهادی و الأطلنطی...فهل ملک محمد صلی اللّه علیه و سلم الأقمار الصناعیه لتصویر هذه الأمواج أم أنه وحی السماء.

۱- انظر:الماء و الحیاه بین العلم و القرآن،عبد العلیم عبد الرحمن خضر،جده،الدار السعودیه، الطبعه الأولی،۱۹۸۵،ص ۱۹۶.

المبحث الثانی

اشاره

مرج البحرین یلتقیان

قال تعالی:« مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ(۱۹) بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ(۲۰) فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ(۲۱) یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ(۲۲) » (۱).

و قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِیَ وَ جَعَلَ بَیْنَ الْبَحْرَیْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۲).

و قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۳).

فی هذه الآیات إعجاز علمی رائع فی عالم البحار،حیث إنها تتحدث عن بحرین یختلطان لکن دون امتزاج،بسبب وجود برزخ بینهما،و قبل أن نثبت الحقائق العلمیه التی تفسر هذه الآیات،نورد أقوال المفسرین لنری کیف فهموا هذه الآیات القرآنیه التی تتضمن بعض الظواهر الکونیه،و لنقف عند التحلیل اللغوی لبعض المصطلحات القرآنیه هنا.

قال الطبری رحمه اللّه:(و اللّه الذی خلط البحرین،فأمرج أحدهما فی الآخر،و أفاضه فیه،و أصل المرج الخلط،ثم یقال للتخلیه:مرج،لأن الرجل إذا خلی الشیء حتی اختلط بغیره،فکأنه قد مرجه...و إنما قیل للمرج مرج من ذلک،لأنه یکون فیه أخلاط من الدوابّ،و یقال:مرجت دابتک:أی خلیتها تذهب حیث شاءت) (۴).

۱- سوره الرحمن،الآیات:۱۹-۲۲.

۲- سوره النمل،الآیه:۶۱.

۳- سوره الفرقان،الآیه:۵۳.

۴- جامع البیان،للطبری،۱۵/۱۸،و انظر:معانی القرآن،لأبی إسحاق إبراهیم بن الری الزجاج،تحقیق،عبد الجلیل شلبی،بیروت عالم الکتب،الطبعه الأولی،۱۴۰۸ ه/۱۹۸۸ م، ۱۰۰/۵.

و قال الزمخشری:(مرج البحرین،أرسل البحر المالح و البحر العذب،متجاورین متلاقیین لا فصل بین الماءین فی مرأی العین، بَیْنَهُما بَرْزَخٌ حاجز من قدره اللّه تعالی لا یَبْغِیانِ لا یتجاوزان حدّیهما و لا یبغی أحدهما علی الآخر بالممازجه) (۱).

و عند الرازی:(مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ أی خلاهما و أرسلهما یقال:مرجت الدابه إذا خلیتها ترعی و أصل المرج الإرسال و الخلط،سمی الماءین الکبیرین الواسعین بحرین،قال ابن عباس:مرج البحرین أی أرسلهما فی مجاریهما کما ترسل الخیل فی المرج و هما یلتقیان،و قوله: هذا عَذْبٌ فُراتٌ و المقصود من الفرات البلیغ فی العذوبه حتی یصیر إلی الحلاوه،و الأجاج نقیضه،و أنه سبحانه بقدرته یفصل بینهما و یمنعهما التمازج، و جعل من عظیم اقتداره برزخا حائلا من قدرته،و هاهنا سؤالات:

السؤال الأول:ما معنی قوله: وَ حِجْراً مَحْجُوراً ؟الجواب:هی الکلمه التی یقولها المتعوذ و قد فسرناها،و هی هاهنا واقعه علی سبیل المجاز،کأن کل واحد من البحرین یتعوذ من صاحبه و یقول له حجرا محجورا،کما قال: لا یَبْغِیانِ أی لا یبغی أحدهما علی صاحبه بالممازجه،فانتفاء البغی ثمه کالتعوذ،و هاهنا جعل کل واحد منهما فی صوره الباغی علی صاحبه،فهو یتعوذ منه و هی من أحسن الاستعارات) (۲).

و فی«أنوار التنزیل»:(خلاهما متجاورین متلاصقین بحیث لا یتمازجان،من مرج دابته إذا خلاها، هذا عَذْبٌ فُراتٌ قامع للعطش،من فرط عذوبته وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ بلیغ الملوحه و قرئ مِلْحٌ علی فعل،و لعل أصله مالح فخفف کبرد فی بارد، وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً حاجزا من قدرته، وَ حِجْراً مَحْجُوراً و تنافرا بلیغا،کأن کلا منهما یقول للآخر ما یقوله المتعوذ للمتعوذ عنه،و قیل:حدا محدودا،و ذلک کدجله تدخل البحر فتشقه فتجری فی خلاله فراسخ لا یتغیر طعمها و قیل:المراد بالبحر العذب،النهر العظیم مثل النیل و بالبحر الملح البحر الکبیر،و بالبرزخ ما یحول بینهما من الأرض فتکون القدره فی الفصل و اختلاف الصفه،مع أن مقتضی طبیعه أجزاء کل عنصر أن تضامت و تلاصقت و تشابهت فی الکیفیه) (۳).۴.

۱- الکشاف،للزمخشری،۴۵/۴،و انظر:معرض الإبریز من الکلام الوجیز عن القرآن العزیز، عبد الکریم الأسعد،الریاض،دار المعراج،الطبعه الأولی،۱۴۱۹ ه/۱۹۹۸،۹۳۵/۳.

۲- التفسیر الکبیر،للرازی،۴۷۵/۲۴.

۳- أنوار التنزیل،للبیضاوی،۲۲۱/۴.

و نفس المعنی فی«تفسیر القرآن»:(وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ أی خلط البحرین، و قیل:أرسل البحرین،و قوله: هذا عَذْبٌ فُراتٌ العذب،یسمی کل ماء عذب فراتا، و یسمی کل ماء ملح بحرا،و أُجاجٌ أی شدید الملوحه،و قیل:مرّ،و قوله: وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً الیبس بین البحرین و البرزخ هو الحاجز،و قوله: وَ حِجْراً مَحْجُوراً أی مانعا ممنوعا) (۱).

و نحلل بعض المصطلحات القرآنیه الوارده هنا مثل:مرج،و أجاج،و برزخ من المعاجم:

ففی«لسان العرب»:(مرج،مرج الدین و الأمر اختلط و اضطرب،و منه الهرج و المرج،و یقال إنما یسکن المرج لأجل الهرج،ازدواجا للکلام...و المرج الخلط و مرج اللّه البحرین العذب و الملح:خلطهما حتی التقیا) (۲).

و معنی الأجاج،من الأجه(و الأجه الاختلاط و شده الحر،و قد ائتج النهار و تأج و تأجج،و ماء أجاج،ملح مر) (۳).

و فی«مختار الصحاح»:(الأجیج تلهب النار،و قد أجت تؤج أجیجا،و أججها غیرها فتأججت و ائتجت،و ماء أجاج أی ملح مر) (۴).

و أما البرزخ فهو:(البرزخ ما بین کل شیئین،و فی الصحاح،الحاجز بین الشیئین، و البرزخ ما بین الدنیا و الآخره قبل الحشر من وقت الموت إلی البعث،فمن مات فقد دخل البرزخ...و البرزخ ما بین کل شیئین،و منه قیل للمیت:هو فی برزخ لأنه بین الدنیا و الآخره...و البرازخ جمع برزخ،و قوله تعالی: بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ یعنی حاجزا من قدره اللّه سبحانه و تعالی،و قیل:أی حاجز خفی) (۵).

یتّضح لنا من هذا العرض أن المقصود من قوله تعالی: مَرَجَ أی خلط،و بَرْزَخ أی حاجزا،و لزیاده الإیضاح نقول:إن کلمه البحر إذا أطلقت فی لغه العرب،تنصرف إلی البحر المعهود ذی الماء الکثیف المالح،أما إن خصصت بقید،کقولنا:«بحر۳.

۱- تفسیر القرآن،للإمام أبی مظفر السمعانی،تحقیق،یاسر بن إبراهیم و غنیم بن عباس غنیم، الریاض،نشر دار الوطن،الطبعه الأولی ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷م،۲۶/۴.

۲- لسان العرب،لابن منظور،۳۶۴/۲.

۳- القاموس المحیط، للفیروزآبادی،۲۲۹/۱.

۴- مختار الصحاح،للرازی،۳/۱.

۵- لسان العرب،لابن منظور،۸/۳.

عذب»فينصرف المعنى إلى المخصص و إلى المقيد،فالبحر العذب أى النهر،و هذا ما رأيناه فى بعض التفاسير،و بوسعنا الآن بعد هذه الإشارات أن نحلل الآيات القرآنيه، ثم نثبت الحقائق العلميه على ضوء ذلك.

تتحدّث الآيه الأولى عن بحرين يلتقيان و يختلطان،إلا أن هذا الاختلاط كان سلميا،لا ظلم فيه و لا بغى و لا تعدّى على حقوق أحد،فلم يبغ أحدهما على الآخر بوجود البرزخ،الحاجز بينهما و المعنى نفسه تتحدث عنه الآيه الثانيه،فهى تشير إلى وجود حاجز بين البحرين،إن هذه الحقيقه العلميه اعتقد بها المسلمون قديما،كما رأينا من عرض أقوال المفسرين لكنهم لم يروها فى عالم الشهاده،فاعتقادهم بها كان نابعا من يقينهم الجازم الذى لا يخامره أدنى ريب،أن هذا الكلام هو كلام الخالق العظيم،و بالتالى فحقائقه كلها صادقه و واقعه،فالرجل كان ينظر فى البحر،أو يركبه فلا يرى حواجز و لا فواصل فيه،إلى أن جاء العلم الحديث و كشف عن هذه الحقيقه الكونيه و المعجزه القرآنيه،و أثبت أن هناك حواجز حقيقيه بين البحار.

الحقائق العلميه:

(نشرت بعثه(السير جون أمرى)مع بعثه الجامعه المصريه بخفر السواحل لدراسه أعماق البحر الأحمر و المحيط الهندى فى جنوب عدن،و بعض الملاحظات التى تسترعى النظر و مما جاء أن البعثه وجدت المياه فى خليج العقبه تختلف فى خواصها و تركيبها الطبيعيه و الكيميائيه عن المياه فى البحر الأحمر،و حققت البعثه بواسطه قياس الأعماق،وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرين يبلغ ارتفاعه أكثر من ألف متر و تبعد قمته نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر.

و تماثل هذه النتيجه ما وصلت إليه السفينه(مباحث)فى رحلتها الأولى فى المحيط الهندى و البحر الأحمر،إذ حققت وجود حاجز مغمور بين البحرين،و أثبتت المشاهد بالتحليل الكيميائى،أن مياه المحيط الهندى تختلف فى خواصها الطبيعيه و(الكيميائيه) عن مياه البحر الأحمر،و يعلل علماء البحار الاختلاف فى خواص الماء فى المحيط الهندى و البحر الأحمر،و فى خواصه فى خليج العقبه و البحر الأحمر بوجود الحاجز المغمور عند ملتقى كل بحرين) (١).

١- لفتات علميه من القرآن،يعقوب يوسف،الرياض،الدار السعوديه للنشر و التوزيع،الطبعه الثانيه،١٩٩٧،ص:٥٧.

هذا عن التقاء البحرين،لكن ما معنى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أَجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً .

هـذه الآـیه تتحـدث عن التقاء نهر و بحر هـذا عَـذْبٌ فُراتٌ وَ هـذا مِلْحٌ أُجاجٌ و هما مختلطان لكن فی نفس الوقت یوجـد بینهما فاصل،برزخ.

إن هذا المفهوم القرآنی،فسّره العلم الحدیث و أكد حقائقه الثابته...

فقـد أثبتت الـدراسات أن البحر الأبیض المتوسط فی لقائه مع المحیط الأطلسـی عند مضـیق جبل طارق بینهما برزخ،و من خلال التحلیـل الكیمیائی لمیاه كل منهما و جـدوا أن البحر الأبیض المتوسط بالمقارنه مع المحیط الأطلسـی حار و یختلف فی ملوحته، فالبحر المتوسط أكثر ملوحه من الأطلسی و أكثر حراره،و یختلف كل منهما فی الكائنات الحیه.

(أما بالنسـبه لالتقاء الأنهار مع البحار و اختلاطهما مع وجود البرزخ فقد أصبحت هذه الحقیقه من القضایا الثابته علمیا و یعبر عنها بالاصطلاح العلمی ب ظاهره التوتر السطحی (Surface Tension) ،و ملخصها ما یلی:أن كلا من الماء العذب و الملح،نظرا لاختلاـف كثافتهمـا لاـ یتحـد مع الآخر و لا یختلط به،و إنما تنزع جزئیات الماء فی كل منهما إلی الانكماش و التجاذب محـدثه توترا فی سـطح كـل منهما الأمر الـذی یكوّن أغلفه شـفافه فاصـله بین الكتلتین لا یمكن رؤیتها و بـذلك لا تبغی إحـداهما علی الأـخری بالاختلاـط...و فی الخلیـج العربی تنـدفع الأنهـار الجوفیه العـذبه قرب البحرین و قطر، فی میـاه الخلیـج المـالحه دون أن یختلـط أحـدهما بالآـخر،و عنـد ملتقی نهر(الكنـج و الجامونـا)و فی مـدینه(الله آبـاد)یتّحـد مـاء النهریـن مـع بقـاء غشـاء التمـدد السـطحی،فاصـلا بینهما طوال مسـیرتهما و عند لقاء نهر النیل بمیاه البحر المتوسط المالح،یندفع خط من الماء الحلو و یشق طریقه وسط میاه البحر المالحه دون أن یختلط بها،و فی باكسـتان الشـرقیه یسیر نهران من(تشاتغام)إلی مدینه(أركان)فی(بورما)و یمكن مشاهده النهرین فی نهر واحد،یفصل بینهما شریط من الماء الملحی یسیر كل من الماء العذب و الملح فی جانب دون اختلاط أو ذوبان،و عنـد حـدوث المـد البحری بفعل جاذبیه القمر لیلا، یرتفع مسـتوی الماء البحری عند الشواطئ و بالتالی عند أفواه الأنهار التی تصب فی

البحار،و تندفع مياه البحر المالحه متوغله فی عمق مصب النهر العذب لمسافات کبیره فوق ماء النهر،و یبقی الملح ملحا و العذب عذبا) (۱).

و فی کتاب«علم البحار»عقد فصل بعنوان(أنهار عظیمه فی البحر)و تحدث عن وجود العدید من الأنهار فی البحار و الخلجان و المحیطات،و مما جاء فیه:(توجد أعظم أنهار الدنیا فی البحر،و یبدو نهر(المیسیسیبی)،أو حتی نهر(النیل)،أو نهر (الأمازون)بجانبها و کأنه غدیر،و یبدو غریبا أن تستطیع تیارات من المیاه أن تتحرک لمثل هذا البعد خلال میاه أخری دون أن تختلط بها،و فی بعض الأحیان تتمیز ضفتاه بوضوح یشبه تقریبا وضوحها لو کان المجری علی الأرض،و قد توقفت مره باخره خفر السواحل الأمریکیه المسماه(تمبا)علی حافه أحد هذه الأنهار البحریه الغریبه،لقیاس درجه حراره الماء و کانت درجه الحراره عند مقدم الباخره ۵۶ درجه،و عند مؤخرتها ۳۴ درجه فقط،و قد یختلف أیضا تیار الماء المتحرک فی لونه عن ماء البحر المحیط به، و فی بعض الأحیان یکون سطحه هائجا،أو قد یغطیه الضباب،و أعظم الأنهار البحریه هذه هو تیار الخلیج،فهو ینساب خارجا من خلیج(المکسیک بین کوبا و فلوریدا)، و هناک یتحرک بسرعه خمسه کیلومترات فی الساعه،أو بسرعه مشی الإنسان العادیه، و عرضه ۱۴۵ کیلومترا ،و عمقه فی بعض الأماکن من ۸۰۰ متر،و یمر بلیون طن من الماء تقریبا علی طول ساحل(فلوریدا)کل دقیقه...و یحمل تیار الخلیج عند انسیابه من البحار الحاره ماء دافئا،و یحتفظ بجزء کبیر من دفئه و هو یعبر المحیط(الأطلسی)، و توجد أنهار عظیمه فی المحیط(الهادی)أیضا) (۲).

لکن فی نهایه الآیه نجد إشاره أخری هی قوله تعالی: وَ حِجْراً مَحْجُوراً و هذه الإشاره تعتبر زیاده عن الآیتین السابقتین،فما معنی وَ حِجْراً مَحْجُوراً ؟.

الحجر لغه:(المنع،و أصل الحجر فی اللغه،ما حجرت علیه أی منعته من أن یوصل إلیه،و کل ما منعته منه) (۳).۳.

۱- الماء و الحیاه بین العلم و القرآن،عبد العلیم عبد الرحمن خضر،ص:۱۶۷،و ما بعدها.

۲- علم البحار،هاشم أحمد محمد،نشر:هلا بوک شوب،د.ت،ص:۳۵.

۳- لسان العرب،لابن منظور،۵۷/۳.

فالحجر المحجور:هو المكان الذى يمنع الدخول إليه و الخروج منه،و هذا المعنى القرآنى أثبته العلم الحديث فى أبحاثه و دراساته البحريه.

(و ذلك يتم عند التقاء النهر العذب بالبحر المالح فتتشكل منطقه ثالثه ليست بحرا و لا نهرا تسمى(منطقه المصب)فيتضح للرائى النهر و يتميز عن البحر،لكن منطقه المصب تختلف عن البحر و النهر من ناحيه الكثافه و الملوحه و حتى فى الكائنات الحيه،و هنا تظهر ومضه الإعجاز القرآنى فى قوله سبحانه و تعالى: وَ حِجْراً مَحْجُوراً فمما ثبت أن الكائنات الحيه التى تعيش فى منطقه النهر لو دخلت فى منطقه المصب لماتت،و كذلك فإن الكائنات الحيه التى تعيش فى منطقه البحر لو دخلت منطقه المصب تموت، و الكائنات الحيه التى فى منطقه المصب لو دخلت منطقه النهر أو البحر تموت أ ليس حجرا محجورا،لا إله إلا اللّه و سبحان الخالق العظيم،ما أدرى محمدا بهذه المعلومات البحريه و هذه الخصائص العلميه،إنه الحق) (۱).

و فى كتاب«علم المحيطات»:(الفرق بين البحار و المصبات يرجع إلى مسأله الحجم،و يحدّد الدوران فى بحر ما،فيما إذا كان معدل التبخر يزيد على معدل الماء العذب الذى يدخل البحر،فإذا كان التبخر أكبر،فإن المياه السطحيه ستصبح أكثر ملوحه باستمرار و تغطس،و تجدد مياه القاع،أما إذا كان الماء العذب الداخل أكبر فإن مياه السطح تميل إلى أن تبقى على السطح،و تميل مياه القاع إلى أن تكون راكده و عديمه الحياه،و بصوره خاصه إذا كان البحر مفصولا عن المحيط بواسطه عتبه ضحله،و توجد المصبات عاده فى الأماكن التى يمتزج فيها الماء العذب مع الماء المالح،و هى المناطق التى تكون أكثر عرضه لتأثيرات التلوث) (۲).

الإعجاز:

من الذى أخبر محمدا صلى اللّه عليه و سلم بهذه القوانين البحريه و بهذه التفاصيل العلميه؟و هو النبى الأمى الذى لم يركب البحر قط،بل كان يعيش بين بحار من الرمال و الجبال الجرداء...إن الذى أنبأه بذلك هو العليم الخبير،الذى أذن لإنسان عصرنا أن يكشف

۱- لقطه من محاضره الداعيه الإسلامى الكويتى طارق سويدان عن البحار،شريط كاسيت.

۲- علم المحيطات،كيث ستو،ترجمه،تلفات عناد أحمد،البصره،نشر جامعه البصره،۱۹۸۶، ص:۴۸۳.

عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم ليتحقق قول اللّه تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .

صوره رقم:(۳۰)،تظهر مكان التقاء نهر الميسيسيبى بالبحر(دلتا المسيسبى)

ص: ۳۸۷

المبحث الثالث

اشاره

و البحر المسجور

قال تعالی: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (۱).

هـذا قسم اللّه سـبحانه و تعالی بالبحر،و قـد وصف هذا البحر بأنه مسـجور،و القسم کما هو معلوم یؤتی به للتوکید،و کلام اللّه لا یحتاج لتوکید،و من أصدق من اللّه قیلا، لکن لینبه الغافلین و یرشد الطائعین،و یقیم الحجه علی الکافرین.

و هـذا التوکیـد علی أن البحر مسـجور،سـیق فی معرض الحدیث عن دلائل قدره اللّه و عظمته و تهدید الکافرین المعرضـین عن دین اللّه و شرعه،فهو حدیث عن بحر مسجر فی الدنیا،غیر الحدیث المعهود عن قیام الساعه و نهایه الحیاه و دمار الکون و تسجیر البحار و ذلک فی قوله تعالی: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ (۲)فهذه الآیه تتحدث عن نهایه الکون و تسجیر البحار،و إذا،کما هو معروف ظرف لما یستقبل من الزمن،أی فی المستقبل إبان خراب الکون ستسجر البحار و تتحول کلها إلی کتل ناریه.

و مـا یهمنـا هنـا،هو قسم اللّه عز و جل بوجود بحر مسـجور فی الأرض التی تقلنا،و هـذا البحر بل و البحار بان تسـجیرها فی زمن العلم،لکن قبـل التعرض للحقـائق العلمیه فی ذلـک،سـنتعرف علی معنی المسـجور لغه من خلالـ تحلیل العلماء لهـذه الکلمه فی تفاسیرهم و کتب اللغه.

یقـول الإمـام الطبری:(اختلـف أهـل التأویـل فی معنی البحر المسـجور،فقـال بعضـهم:الموقـد،و تـأوّل ذلـک و البحر المـوقد المحمی،ذکر من قـال ذلـک عن سـعید بن المسـیب،قال:قال علیّ رضـی اللّه عنه لرجل من الیهود:أین جهنم؟فقال:البحر،فقال:ما أراه إلا صادقا،و البحر المسجور و إذا البحار سجرت مخففه...و عن مجاهد،

۱- سوره الطور،الآیه:۶.

۲- سوره التکویر،الآیه:۶.

وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ قال:الموقد) (۱).

و فی«إرشاد العقل السلیم»:(وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ أی المملوء و هو البحر المحیط أو الموقد) (۲).

و یقول الزمخشری: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (أی المملوء،و قیل الموقد) (۳).

و عند القرطبی:(وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ قال مجاهد:الموقد المحمی بمنزله التنور المسجور...و قال عبد اللّه بن عمرو:لا یتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم) (۴).

و فی«مفردات ألفاظ القرآن»:(السجر،تهییج النار،یقال:سجرت التنور،و منه وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) (۵).

و فی«لسان العرب»:(سجره ملأه،سجرت النهر ملأته،و قوله تعالی: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ لا وجه له إلا أن تکون ملئت نارا،و قوله تعالی: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ جاء فی التفسیر أن البحر یسجر فیکون نار جهنم،سجر یسجر و انسجر امتلأ،و کان علی بن أبی طالب علیه السّلام یقول:المسجور بالنار أی مملوء،قال المسجور فی کلام العرب المملوء و قد سکرت الإناء و سجرته إذا ملأته) (۶).

إذن یتضح لنا من هذا الکلام،أن المقصود بالمسجور هو الموقد أو المهیج بالنار، و قسم اللّه سبحانه و تعالی هذا فیه دلاله صریحه علی وجود بحار مسجره بالنیران،إذ أن المقصود بالبحر المسجور هنا هو من بحار الدنیا و لیس الآخره،و قد شاء اللّه سبحانه و تعالی أن تتجلّی هذه الحقیقه القرآنیه فی عصر العلم،و یصل علماء البحار إلی التأکد الجازم من وجود براکین ملتهبه بالنار فی القیعان.۴.

۱- جامع البیان،للطبری،۱۰/۲۷،و انظر:صفوه التفاسیر،للصابونی،بیروت،دار إحیاء التراث،الطبعه الأولی،۱۹۹۵،۱۸۶/۳.

۲- إرشاد العقل السلیم،لأبی السعود،۱۴۶/۸.

۳- الکشاف للزمخشری،۲۲/۴،و انظر:الدر المصون،محمد السمین،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی،۱۹۹۴،۱۹۵/۶.

۴- الجامع لأحکام القرآن،للقرطبی،۴۲/۹.

۵- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،ص:۲۲۷.

۶- لسان العرب،لابن منظور،۳۴۵/۴.

الحقائق العلميه:

يقول الـدكتور جمال الـدين الفنـدى فى كتابه«طبيعيات البحر و ظواهره»:(أثبتت الدراسات أن فى قشـره قاع المحيط يوجد بعض الثغرات أو الشـقوق العميقه،نتيجه التصـدع بتقلصات القشـره لإحـداث التوازن و اختلافات الحراره،و ما يتبع هذه الاختلافات من تمـدّد بالتسـخين و تقلص بالبروده،و على طول مثل هـذه الأماكن المتمـدده الضـعيفه،تندفع الحمم البركانيه المنصـهره من باطن الأـرض من خلاـل قشـره القـاع ثم تنبثق متـدفقه فى البحر،إلاـ أنها تلقى مقاومه بسـبب ثقل مياه البحار،و برغم ذلك فإن براكين البحر أيضا تقذف حممها إلى أعلى،كما تبنى فوهاتها المخروطيه صاعده نحو السطح بتوالى تراكم الحمم المنصهره،و قد تسبب الانفجـارات البركـانيه نسف الجزر أو اختفائهـا،و من أمثله ذلك ما حـدث فى عام ١٨٨٣ عنـد ما انفجرت جزيره(كاراكاتوا)من مجموعه جزر الهنـد الشـرقيه برمتهـا،و بعـد يومين من تعاقب الانفجارات البركانيه أصـبحت هـذه الجزيره التى كانت تعلو سـطح البحر بنحو ١۴٠٠ قدم،مجرد شعبه منخفضه عن سطح الماء بنحو ١٠٠٠ قدم،و لم يبق ظاهرا منها إلا جزء من حافه قمتها الأصليه) (١).

و عقد فصـلا جورج جامو فى كتابه«كوكب اسـمه الأرض»تحت عنوان:جهنم تحت أقدامنا،و تحدث فيه عن تسـجير قاع البحر،و النـار و البراكين النشـطه فيه،يقول فى مطلعه:(ازدياد الحراره مع العمق:إن سـحب الـدخان الأسود المتصاعـد من فوهات البراكين الثائره،و الحمم الملتهبه المتـدفقه على جوانبها،و عيون المياه الساخنه،كل هذا دعا الأقدمين إلى الاعتقاد بوجود نار متقده ليسـت بعيده تحت أقدامنا أعدت للخاطئين...) (٢).

و فى«موسوعه الظواهر الطبيعيه»:(و لانفجـار البراكين فى قيعان المحيطات و البحار أثر نشوء الأمواج العاليه و السـريعه،التى تحطم و تكتسح ما تصادفه فى طريقها...أما البراكين أو جبال النار فهى المنافذ التى تقذف منها المواد الأرضـيه الباطنيه المنصـهره، عند ما يشتد ضعفها) (٣).

١- طبيعيـات البحر و ظواهره،محمـد جمال الـدين الفنـدى،ص:٢١٠،و انظر:البحـار و مـا فيهـا، روبرت كاون،ترجمه عبـد الحافظ حلمى القاهره،مؤسسه سجل العرب،١٩٧۴،ص:١١٧.

٢- كوكب اسمه الأرض،جورج جامو،ص:٧۴.

٣- موسوعه الظواهر الطبيعيه،خليـل بـدوى،عمـان،دار عـالم الثقافه،الطبعه الأولى،٢٠٠٠، ص:٨٠،و انظر:كوكب الأرض،مؤسسـه الكويت للتقدم العلمى،ص:٣٠.

الإعجاز:

لقد قرر كتاب اللّه تعالى أن قاع البحار مسجره بالنار،و لم يكن يعلم قبل و مع نزول القرآن الكريم هذه الحقيقه العظمى،حتى بدايه القرن العشرين حيث تبين للعلماء أن قاع البحار مسجره و مضطرمه بالنيران،غير أن الحق قرّر هذه الحقيقه البحريه بقوله:

وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ،فمن الذى أخبر محمدا صلى اللّه عليه و سلم بأن البحر قاعه ملتهب و متفجر بالبراكين التى تقذف الحمم النارية،و رسول اللّه لم يركب البحر قط،و لم يكن فى عصره غواصات بحريه تصور تلك المشاهد العجيبه فى قاع البحر؟إنه الحق.

رسم يوضح البراكين تحت البحار

ص: ٣٩١

المبحث الرابع

اشاره

اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء

قال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (۱).

و قال سبحانه و تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (۲).

فى هاتين الآيتين حقائق علميه و عطاءات جيولوجيا مدهشه،فالقرآن يصف سطح الأرض بأنه هامد و خاشع،ثم إنه يعقب على ذلك بحيث إذا نزل ماء السماء،حدث فى الأرض اهتزاز مما يؤدى إلى زياده فى الأرض.

هذه الصوره القرآنيه هى صوره وصفيه لأدق الحقائق العلميه،التى وفّق إنسان عصرنا للكشف عنها و التعرف على مراحلها بدقه،و حرى بنا أن نقف عند ما قاله المفسرون و أصحاب اللغه فى هاتين الآيتين الكريمتين.

يقول الإمام الطبرى:(و ترى الأرض يا محمد يابسه دارسه الآثار من النبات و الزرع،و أصل الهمود الدروس و الدثور،و يقال منه:همدت الأرض تهمد همودا) (۳).

و عند الرازى:(وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً و همودها يبسها و خلوها من النبات و الخضره فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ و الاهتزاز الحركه على سرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت و كيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن و المنافع فقوله: اِهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أى تحركت بالنبات و انتفخت،أما قوله: وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ فهو

۱- سوره الحج،الآيه:۵.

۲- سوره فصلت،الآيه:۳۹.

۳- جامع البيان،للطبرى،۸۹/۱۷.

مجاز،لأن الأرض ينبت منها و اللّه تعالى هو المنبت لذلك،لكنه يضاف إليها توسعا، و معنى مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ من كل نوع من أنواع النبات من زرع و غرس،و البهجه حسن الشيء و نضارته،و البهيج بمعنى المبهج) (۱).

و قال الإمام القرطبى:(الاهتزاز:شدّه الحركه،يقال:هززت الشيء فاهتز،أى حركته فتحرك و هزّ الحادى الإبل هزيزا فاهتزت هى إذا تحركت فى سيرها بحدائه، و اهتز الكوكب فى انقضاضه و كوكب هازّ،فالأرض تهتز بالنبات لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزاله خفيه فسماه اهتزازا مجازا...و الاهتزاز فى النبات أظهر منه فى الأرض، وَ رَبَتْ أى ارتفعت و زادت و قيل:انتفخت و المعنى واحد،و أصله الزياده،ربا الشيء يربو ربوّا أى زاد،و منه الربا و الرّبوه) (۲).

و يقول سيد قطب رحمه اللّه فى تفسيره«الظلال»:(الهمود درجه بين الحياه و الموت، و هكذا تكون الأرض قبل الماء،و هو العنصر الأصيل فى الحياه و الأحياء،فإذا نزل عليها الماء اهتزت و ربت،و هى حركه عجيبه سجّلها القرآن قبل أن تسجّلها الملاحظه العلميه بمئات الأعوام،فالتربه الجافه حين ينزل عليها الماء تتحرك حركه اهتزاز،و هى تشرب الماء فتنتفخ و تربو ثم تفتح بالحياه عن النبات من كل زوج بهيج،و هل أبهج من الحياه و هى تتفتح بعد الكمون،و تنتفض بعد الهمود) (۳).

و أما الآيه الثانيه و التى ذكرت خاشِعَةً دون هامِدَةً فيقول الإمام الرازى:

(الخشوع التذلل و التصاغر،و استعير هذا اللفظ لحال الأرض حال خلوها عن المطر و النبات فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أى تحركت بالنبات،و ربت،انتفخت لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض و انتفخت،ثم تصدعت عن النبات،ثم قال: إِنَّ الَّذِى أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى يعنى أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها) (۴).۷.

۱- التفسير الكبير،للرازى،۲۰۷/۲۳،و انظر:محاسن التأويل،محمد القاسمى،بيروت،دار الفكر،الطبعه الأولى،۹/۱۲،۱۹۷۸.

۲- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبى،۵/۱۲.

۳- فى ظلال القرآن،سيد قطب،۲۴۱۱/۴.

۴- التفسير الكبير،للرازى،۵۷۰/۲۷.

و فی تفسیر«النکت و العیون»:(وَ مِنْ آیاتِهِ أَنَّکَ تَرَی الْأَرْضَ خاشِعَةً خاشعه،أی ذلیله بالجدب لأنها مهجوره) (۱).

و بالعوده إلی معاجم اللغه نتبین معنی کل من«خاشعه،و هامده،و اهتزت،و ربت»، أما معنی خاشعه،ففی لسان العرب:(الخاشعه المتغبره المتهشمه و أراد المتهشمه النبات،و بلده خاشعه أی مغبره لا منزل بها،و إذا یبست الأرض و لم تمطر قیل قد خشعت قال تعالی: وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ و العرب تقول:رأینا أرض بنی فلان خاشعه) (۲).

و أما هامده،ففی«مفردات ألفاظ القرآن»:(أرض هامده:لا نبات فیها،و نبات هامد:یابس،قال تعالی: وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً (۳).

و فی کتاب«العین»:(الهمود الموت کما همدت ثمود،و رماد هامد إذا تغیر و تلبد، و ثمره هامده إذا اسودت و عفنت،و أرض هامده مقشعره لا نبات فیها إلا ییبس متحطم، و الهامد من الشجر الیابس) (۴).

و معنی اهتزت أی(تحرکت،و اهتز النبات:إذا تحرک لنضارته قال تعالی: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ) (۵).

و معنی ربت(ربا:إذا زاد و علا،قال تعالی: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أی زادت زیاده المتربی) (۶).

هذا هو التحلیل اللغوی لمفردات الآیه الکریمه،و تلک هی معانیها فی کتب المفسرین،و لنا أن نستخلص بعض النتائج من معطیات هذه النصوص القرآنیه،بعد ما سلف من توضیح العلماء.۰

۱- تفسیر النکت و العیون،علی بن محمد الماوردی،بیروت،دار الکتب العلمیه،د.ت،۱۸۴/۵.

۲- لسان العرب،لابن منظور،۷۲/۸،و انظر:المعجم الجامع لغریب مفردات القرآن،عبد العزیز السیروان،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه الأولی،۱۹۸۶،ص:۴۲۸.

۳- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،ص:۸۴۵.

۴- العین،للفراهیدی،۳۱/۴،و انظر:تفسیر مفردات ألفاظ القرآن الکریم،سمیح عاطف الزین، بیروت،دار الکتاب العربی،الطبعه الثالثه،۱۴۱۴ ه،۱۹۹۴،ص:۸۹۹.

۵- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،ص:۸۴۰.

۶- المصدر نفسه،ص:۳۴۰.

أولا:عند ما تكون الأرض هامده لا حراك فيها،فإذا أنزل اللّه عليها الماء أحدثت أولا اهتزازا.

ثانيا:المرحله الثانيه بعد الاهتزاز تربو،أى تزداد.

ثالثا:المرحله الثالثه بعد الزياده تنتج الزروع و الثمار،و تكثر المحاصيل و يزداد الإنتاج.

و يشار إلى قضيه هامه و هى:أن هناك فرقا دقيقا بين الأرض الهامده و الأرض الخاشعه،فالأرض الهامده هى اليابسه القاحله التى لا حياه فيها،بسبب ما أصابها من جدب و قحط و انعدام الماء،و هذا بخلاف الأرض الخاشعه التى يوجد فيها النباتات و الزروع،إلا أن العطش و قله الماء و ندره الأمطار جعلتها مصفره الأوراق،ذابله الأغصان،بأمسّ الحاجه إلى قطرات الماء،و هذا المشهد هو مشهد الخشوع و الانكسار فى الأرض،و يستلهم هذا المعنى من معطيات ما مرّ من المعاجم.

الحقائق العلميه:

ما هو الاكتشاف العلمى الدقيق فى هذا الصدد،لمعرفه ذلك سنثبت هنا لقطه من محاضره الشيخ عبد المجيد الزندانى حول هذه الآيه،ناقلا لنا الاكتشافات العلميه الدقيقه لتفسير و توضيح معانى هذه الآيه الكريمه.

يقول:فى عام ١٨٢٧ اكتشف العلماء أن حبيبات الطين تهتز،و تركيب حبيبات الطين ما يلى:

الحبيبه:هى أصغر جزء من الطين بعد أن تفتته إلى أجزاء صغيره،فالطين مكون من هذه الحبيبات فهى صغيره جدا لا ترى بالعين،قطرها:ثلاثه من ألف من المليمتر،هذه الحبيبه الطينه تتركب من صحائف معدنيه بعضها فوق بعض،و إذا نزل المطر شحن الأرض بشحنات كهربائيه،هذه الشحنات الكهربائيه تختلف بسبب تركيب المعادن الموجوده فى الحبيبات،فيحدث نوع من التنافر بين هذه الحبيبات فتهتز الحبيبات،ما سبب الاهتزاز؟يقول:الشحنات الكهربائيه و دخول الماء من عده جهات يحدث اهتزازا،و هذا الاهتزاز بعده ينشأ دخول الماء بين الصحائف،أى يسمح هذا الاهتزاز بدخول الماء بين الصحائف و إذا دخل الماء بين الصحائف تنمو هذه الحبيبه و تربو، و الربا كما أشرنا هى الزياده،أى تربو بالماء الذى دخل بين الصحائف،و بعد أن تربو تحاط بغلاف من الماء،فتعتبر كل حبيبه من الحبيبات مخزنا للماء تمد النبات طوال

شهرین أو ثلاثه أشهر،و إلا من أین یجد النبات مددا لو لا تحول حبیبات التربه إلی مخازن ماء تمد النبات بالحیاه،و بالتالی یستمرّ النبات فی النمو،ثم بعد ذلک قال:

ثلاث خطوات نستنتجها من هذا:

۱-اهتزاز.

۲-زیاده،تربو الحبیبات.

۳-ثم إنبات للنبات.

و إلی هذا تشیر الآیه القرآنیه وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَهً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ .

من أخبر محمدا صلی اللّه علیه و سلم بهذا،إذن،الذین یکتبون تاریخ العلم علیهم أن یقولوا:

اهتزازات ذکرها اللّه فی قرآنه نزل بها الوحی علی قلب محمد صلی اللّه علیه و سلم) (۱).

و أما عن میکانیکیه انتفاخ التربه،فإن عملیه الانتفاخ تتم بسبب(وجود الشحنات السالبه فوق سطح المعدن الطینی،و التی هی السبب الرئیسی فی جذب الأیونات الموجبه القابله للتبدل الموجوده فی ماء التربه،و ذلک لمعادله الشحنه السالبه الموزعه علی سطوح حبیبات التربه.

إن وجود الطبقه المزدوجه من الأیونات الموجبه و السالبه،یؤثر علی بعض خواص التربه منها خاصیه الانتفاخیه،حیث إن(الأیونات)الحره إذا ما تعرضت للماء فإنها ستؤدی إلی نمو الطبقه(الأیونیه)المزدوجه بشکل کبیر،و هذا النمو سیدفعها إلی التحرک بعیدا عن سطح المعدن الطینی و بالتالی یؤدی إلی تباعد الجزیئات عن بعضها البعض،و بذلک یزداد حجم التربه و یحصل الانتفاخ و یتم إنبات النبات) (۲).۱.

۱- محاضره الشیخ عبد المجید الزندانی بعنوان:إنه الحق،شریط کاسیت.

۲- الأرض الهامده و الأرض الخاشعه،أحمد الدلیمی،الموصل،مطبعه الزهراء،۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰،ص:۲۱،و انظر:الجغرافیه الحیویه حسن أبو سمور،عمان،دار صفاء،الطبعه الأولی،۱۴۲۰ ه،۱۹۹۹،ص:۸۰،و انظر:مورفولوجیا النباتات الزهریه،مصطفی الحدیدی،الریاض،دار المریخ،۱۴۱۴ ه،۱۹۹۴،ص:۴۶۳،و انظر:فسیولوجیا النبات، علی الهلالی،الریاض،النشر العلمی و المطابع، ۱۴۲۰ ه،ص:۲۲۶،و انظر:فسیولوجیا النبات،روبرت دیفلین و فرانسیس ویزام ،ترجمه،محمد شرقاوی و آخرون،القاهره المجموعه العربیه للنشر،۱۹۸۵،ص:۸۰۱.

الإعجاز:

إن هذا السبق القرآنی فی تصنیف التربه الطینیه و نباتاتها،إلی أرض خاشعه و أرض هامده،ثم الوصف الدقیق لعملیه اهتزاز التربه و انتفاخها بسبب ماء السماء،لا یمکن أن یعرفه إنسان مضی عصره منذ أکثر من أربعه عشر قرنا،و لا بد لمن یکتشف هذه الحقائق الیوم،و یتعرّف علی أسرارها أن یعلن الإیمان بالله تعالی و التصدیق بنبوه محمد صلی اللّه علیه و سلم.

ص: ۳۹۷

الخاتمه

و أخيرا فهذا ما قد ألهمنيه ربى سبحانه و تعالى،من الدراسه فى قضايا الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم،و التى تربط صفحات الكون المفتوح بصفحات القرآن المقروء،و هذا الربط يسهم فى إبراز آيات العظمه الإلهيه و دلائل الوحدانيه، لينطق كل جزء من هذا العالم المدهش،بروعه الإبداع و تألّق الصنعه.

و القرآن دعانا إلى التدبر و التمعن و التفكير فى العالم حولنا،لنشاهد يد القدره التى خلقت الخلق فى نظام رتيب،و دقه بالغه،و ألا نكون من الغافلين عن هذه الآيات،قال تعالى: وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَهٍ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ (۱).

لقد رأينا كثيرا من الحقائق العلميه،التى تكشّفت للعلماء فى عصرنا،قد سبقهم القرآن لإثباتها و تقرير واقعها،لكن الذى قدمه العلماء هو الكشف عما هو موجود، و مع الأسف فإن الذى يكشف أسرار هذا الكون،و ينقّب عن غوامضه و خفاياه هم غير المسلمين،فبعد أن برع أسلافنا فى العلوم الكونيه و الطبيعيه،و خلّفوا لنا ثروه هائله من المخطوطات،قام الغرب بترجمتها و الاستفاده منها فأصبحت مناره لبدايه طريق النهضه و الثوره العلميه،فى حين نجد أن المسلمين أعرضوا عن تراثهم التجريبى هذا؟.

لقد قدّم علماؤنا جزاهم اللّه خيرا كمّا هائلا من الأحكام التشريعيه و العلميه، و استنبطوا الأحكام الفقهيه الكثيره من آيات الأحكام فى كتاب اللّه و سنه المصطفى صلى اللّه عليه و سلم فتركوا لنا آلاف المجلدات و عمروا المكتبه الإسلاميه و أثروها بخدمتهم للقرآن الكريم و للسنه المطهره.

لكن لنتساءل إذا كان الفقهاء قد استنبطوا من آيات الأحكام تشريعا ينظم حياه الفرد المسلم و الأمه المسلمه،فلما ذا لا يقوم غير الفقهاء من العلماء،و يتشرفوا بخدمه

۱- سوره يوسف،الآيه:۱۰۵.

القرآن الكريم باستنباط الإعجاز العلمی المستور وراء کل آیه علمیه أو کونیه فی القرآن الکریم،و کما هو معلوم أن الآیات الکونیه تفوق آیات الأحکام بکثیر.

إن کلمه الحج علی سبیل المثال،ورد ذکرها فی القرآن تسع مرات،فکان نتیجه ذلک أن سطّر حولها مئات المجلدات و الموسوعات الفقهیه،فکیف إذا درسنا البحر و الأرض و الشمس و النجوم و الإنسان و النبات...و التی ذکرها القرآن الکریم عشرات المرات فما ذا تکون النتیجه؟إن کثیرا من أبنائنا الذین برعوا فی العلوم الکونیه،تراهم منبهرین بما عند غیرنا من حضاره،و متی یعود أمثال هؤلاء إلی رشدهم،و یعکفوا علی کتاب ربهم لیخدموه بما قد نالوا من معارف کونیه فیسخر الفیزیائی قوانینه لدراسه الآیات الفیزیائیه فی القرآن،و یدرس الفلکی مواقع و أنواع النجوم و الکواکب بما یستلهمه من إشارات القرآن و معطیاته،و یقف الطبیب بعلمه علی الوصف القرآنی لخلق الإنسان و یشاهد عالم الزراعه و النبات العرض القرآنی لعالم النبات فی صفحاته...

و قد بدت و لله الحمد بوادر هذا الاتجاه فی عصرنا الحدیث،فرأینا بعض المجامع العلمیه تتجه إلی خدمه هذا الأمر،حیث وجدنا فی مصر و السعودیه و غیرهما من البلاد،من یبذل جهودا مشکوره لإظهار الإعجاز العلمی فی الکتاب و السنه،و لکن الأمر یحتاج إلی مزید من البحث و التنقیب فی هذا المجال الرائع الأخّاذ.

و لقد احتوت هذه الرساله عشره فصول،الثلاثه الأولی منها کانت دراسه تاریخیه للإعجاز فی القرآن الکریم،و السبعه الأخری للتطبیقات المعاصره،أما الفصل الأول فقد تحدثت فیه عن مفهوم المعجزه و حدّها کما وضعه العلماء،و عن الفارق بین معجزات الأنبیاء و معجزات نبینا محمد صلی اللّه علیه و سلم،کما تحدثت عن تحدی القرآن الکریم للعرب أن یأتوا مثله،و مراحل هذا التحدی،و إیضاح عجزهم عن ذلک و اعترافهم هم و العالم بعظمه القرآن العظیم،و فی الفصل الثانی تعرضت للحدیث عن منشأ إعجاز القرآن،و کیف أن القول بالصرفه کان الباعث الأول لظهور هذا المصطلح،و سقت ردود العلماء لمن قال بالصرفه،ثم استعرضت وجوه القرآن الکریم مبینا اختلاف العلماء فی تعدد هذه الوجوه،و فی الفصل الثالث رکزت علی الإعجاز العلمی فی القرآن،و عرضت أبرز من تناوله من العلماء القدامی و المعاصرین،و بینت أنهم سلکوا فی قضیه الإعجاز العلمی ثلاثه مسالک،مسلک یدعو للعمل علی إظهار الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم،إلا أنه وقع فی مطبات کثیره و شطط غیر محمود،عند ما أخضع الآیات القرآنیه للنظریات المعاصره مما صح منها و مما لم یثبت،و بذلک یکون

قد تجاوز الحد و تعسف و غالی فی منهجه هذا،و آخرون تبنوا قضیه الإعجاز و لکن بتحفظ و حذر،فلم یأخذوا من قضایا العلم إلا ما ارتقی إلی مستوی الحقیقه العلمیه القطعیه،دون الفرضیات أو النظریات،و هؤلاء قد أصابوا فی منهجهم و عملهم هذا، و فریق ثالث ضرب بقضیه الإعجاز العلمی عرض الحائط و اعتبرها نوعا من أنواع السذاجه و تضییع الأوقات،و هؤلاء قد جانبوا الصواب بمنهجهم هذا لأنهم أنکروا ما هو موجود بل ذاخر به کتاب اللّه تعالی،و ختم الفصل بالترجیح بین هذه المسالک.

و جاء الفصل الرابع بمدخل عرض فیه أهمیه الإعجاز العلمی و الدعوه إلیه فی عصرنا،و أن الإسلام هو دین توج رسالته بالعلم،کما تحدث هذا الفصل عن التطبیقات المعاصره لقضایا الإعجاز و بالشروط و الضوابط التی وضعها علماء التفسیر لذلک،فکان فیه الحدیث عن الجانب الفلکی فی کتاب اللّه تعالی من حیث مولد الکون و منشئه،و تمدد الکون و توسعه،و نهایه الکون و فناؤه،و کل ذلک بین القرآن و العلم، و أما الفصل الخامس فقد تعرض للحدیث عن الإعجاز القرآنی فی الشمس من حیث تحرکاتها و انتقالاتها،و توهجها و لهیبها،و إشاره القرآن إلی تعدد الشموس و الأقمار، ثم الحدیث عن موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم،و أما الفصل السادس فقد تحدث عن الإعجاز القرآنی فی الأرض،و ذلک من جهه کرویتها،و دورانها، و جاذبیها،و غلافها الجوی،و نقصانها و تآکلها ثم موتها،و فی الفصل السابع تعرضت للحدیث عن الإعجاز القرآنی فی القمر،و أظهرت سبق القرآن فی إثباته لإناره القمر و کیف یستمد نوره من الشمس،و لا نور ذاتی له،ثم تحدثت عن انشقاقه و منازله جمعه فی آخر عهده مع الشمس ثم موته.

و کان الحدیث فی الفصل الثامن عن إعجاز القرآن فی الریاح،و أشرت إلی أنواع الریاح بین القرآن و العلم،و إلی تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم،ثم تعرضت للحدیث عن لفتات إعجازیه فی البرد و البرق،و فی الفصل التاسع تحدثت عن الجبال و طرق تکوینها،و کیف أن الخالق جل جلاله جعلها سببا لتثبیت الأرض و قرارها،ثم أوضحت السر القرآنی فی ربطه بین الجبال الشامخات و الماء الفرات،و ختمت الفصل بالحدیث عن حرکه الجبال و تعدد صخوره،و جاء الفصل العاشر و الأخیر للحدیث عن البحار و ما أودع اللّه سبحانه فیها من عجائب و أسرار،کتلک الظلمات المتعاقبه و الأمواج المتنوعه سواء داخل البحر أو علی سطحه،و کیف سجل الحق جل جلاله حقیقه التقاء البحار دون امتزاج بسبب الحاجز المائی بینها،ثم تعرضت للحدیث عن البحر

المسجور و ما كشف عنه العلماء فى هذا الصدد،و ختم الفصل بالإشاره إلى حقيقه اهتزاز الأرض بماء السماء و سبب ذلك بين القرآن و العلم.

علما أن هذا العمل قد دعّم بصور علميه شارحه،فالآيات التى نتحدث عن إعجاز القرآن فيها نعرض لها من الصور العلميه ما ينسجم و يتوافق معها،كذلك من الجداول و الإحصائيات العلميه ما يوضح جانب الإعجاز العلمى فيها قدر الإمكان،بالإضافه إلى اللقاءات و المقابلات الشخصيه مع بعض العلماء البارزين فى هذا المجال.

و فى هذه الرساله جمعت تلك الفصول و عمدت فيها لإبراز ثلاثه وصايا أو جوانب:

الجانب الأول:أن فى القرآن أنباء و حقائق علميه ستبقى متجدده مساوره للركب الحضارى و العلم الإنسانى مدى الدهر،فإعجازاته مستمره مع كل جيل،فما رأينا نحن الآن من حقائق علميه كشف عنها العلماء و وجدنا أن القرآن ذكرها قد غابت عن أسلافنا،و إن هناك حقائق لم تظهر بعد تعتبر بالنسبه لنا فى تلافيف الغيب المستقبلى و التى ستكون مشاهده و مرئيه للأجيال القادمه من أبنائنا.

الجانب الثانى:بناء على هذا،فإن البحث فى هذا الموضوع مفتوح بل هو خصب، لذلك أهيب بذوى الاختصاص،و أولى الأمر من قاده المسلمين بتهيئه الجوّ المناسب، و تسخير أدوات البحث العلمى للبحّاث و الدارسين فى جوانب الإعجاز العلمى فى القرآن،و توفير الإمكانات البحثيه فى سبيل تحقيق ذلك الهدف.

الجانب الثالث:فإن ما قدمته فى رسالتى المتواضعه هذه،إن خدم المكتبه الإسلاميه فى شىء و انتفع بها الناس من المسلمين و غيرهم،فذلك رجائى و أملى فى دنياى و آخرتى،و إن تكن الأخرى فمعذرتى إلى خالقى و مولاى جل جلاله،فإنا قد كوّنا على الخطأ و الضعف و عزائى فى ذلك عفو من اللّه جل جلاله و رحمه و رضوان تشملنى يوم الدين.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين،و الصلاه و السلام على المبعوث بالمعجزات الباهرات رحمه للعالمين و آله و صحبه و التابعين.

الفهارس

اشاره

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس المصادر و المراجع.

فهرس الموضوعات.

ص: ۴۰۳

فهرس الآيات

الآيه السوره رقم الآيه رقم الصفحه

۱- وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّا نَزَّلْنا \البقره\۲۳،۲۴\۲۲،۲۴،۴۷

۲- هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ \البقره\۲۹\۱۲۱،۱۲۰

۳- إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ \البقره\۱۶۴\۲۷۵،۲۲۴

۴- وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ \البقره\۱۷۰\۱۰۴

۵- یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ \البقره\۱۸۹\۸۹

۶- إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ \آل عمران\۴۵،\۹،۴۸

۷- وَ رَسُولاً إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنِّی \آل عمران\۴۹\۵،۶

۸- کَمَثَلِ رِیحٍ فِیها صِرٌّ أَصابَتْ \آل عمران\۱۱۷\۲۲۵

۹- وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ \آل عمران\۱۹۱\۱۰۵،۷۳

۱۰- أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ \النساء\۸۲\۵۸،۱۶

۱۱- یا أَیُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَکُمْ \النساء\۱۷۴\-

۱۲- إِذْ قالَ اللّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ \المائده\۱۱۰\۱۰

۱۳- وَ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْراضُهُمْ \الأنعام\۳۵\۵

۱۴- ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ \الأنعام\۳۸\۸۷،۹۵

۱۵- وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ \الأنعام\۳۸\۷۴،۸۸

۱۶- وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی \الأنعام\۵۹\۷۸

۱۷- فَمَنْ یُرِدِ اللّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ \الأنعام\۱۲۵\۱۹۹

۱۸- إِنَّ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا \الأعراف\۴۰\۱۹۷

۱۹- إِنَّ رَبَّكَمُ اللّهُ الَّذِی خَلَقَ \الأعراف\۵۴\۱۰۰

ص: ۴۰۵

الآيه السوره رقم الآيه رقم الصفحه ۲۰- وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ \الأعراف\۵۷\۲۲۵،۲۲۹ ۲۳۳

۲۱- وَ إِلی عادٍ أَخاهُمْ هُوداً \الأعراف\۷\۶۵،۷۰

۲۲- فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمُ الطُّوفانَ \الأعراف\۶\۱۳۳

۲۳- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا \الأنفال\۹۸،۱۱۱\۲۴

۲۴- وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا قالُوا \الأنفال\۱۷\۳۱

۲۵- هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً \یونس\۵\۷۱،۱۵۴، ۱۵۸،۲۰۴، ۲۱۵

۲۶- قُلْ لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ \یونس\۱۷\۱۶

۲۷- وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ \یونس\۲۲۶\۲۲

۲۸- وَ ما کانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ \یونس\۱۶\۳۷

۲۹- أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ \یونس\۲۱،۲۲،۲۳\۳۸

۳۰- قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ \یونس\۹۳،۱۱۳\۱۰۱

۳۱- أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ \هود\۱۹،۲۳،۴۷\۱۳

۳۲- وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَهٍ فِی السَّماواتِ \یوسف\۲۹۶\۱۰۵

۳۳- وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ \الرعد\۱۸۰، ۲۵۲،۸۴،۱۷۵\۳

۳۴- هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ \الرعد\۲۴۵\۱۲،۱۳

۳۵- وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ \الرعد\۵\۳۸

۳۶- الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ \إبراهیم\۱۱۱، ۶۷،۹۸\۱

۳۷- مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ \إبراهیم\۲۲۵\۱۸

۳۸- وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ \إبراهیم\۱۴۸\۳۳

الآیه السوره رقم الآیه رقم الصفحه ۳۹- وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ \الحجر\۶\۲۵

۴۰- وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً \الحجر\۱۴،۱۵\۲۰۱،۱۹۶

۴۱- وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا \الحجر\۱۹\۱۸۰

۴۲- وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ \الحجر\۲۲\۸۲،۸۳، ۲۲۵،۲۲۶

۴۳- فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ \الحجر\۲۹\۷۱

۴۴- وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ \النحل\۱۵\۲۵۲

۴۵- وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً \النحل\۸۹\۷۴،۸۷، ۹۵،۹۸

۴۶- وَ إِذا بَدَّلْنا آیَهً مَکانَ آیَهٍ \النحل\۱۰۱،۱۰۲\۱۷

۴۷- قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ \النحل\۱۰۲\۱۸

۴۸- وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ \النحل\۱۰۳\۱۸

۴۹- إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی \الإسراء\۹\۹۸،۱۱۱

۵۰- وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ \الإسراء\۱۲\۲۰۴،۲۰۶

۵۱- وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ \الإسراء\۳۶\۱۰۴

۵۲- وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً \الإسراء\۳۷\۲۵۱

۵۳- قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ \الإسراء\۸۸\۱۹،۴۷، ۵۱،۵۲،۵۲

۵۴- وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ \الکهف\۲۵\۲۱۸

۵۵- وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیاهِ \الکهف\۴۵\۲۳۱

۵۶- وَ یَوْمَ نُسَیِّرُ الْجِبالَ \الکهف\۴۷\۱۴۲

۵۷- ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ \الکهف\۵۱\۱۱۳

۵۸- فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ \مریم\۲۷،۳۲\۱۰

۵۹- وَ ما تِلْکَ بِیَمِینِکَ یا مُوسی \طه\۱۷،۲۲\۸

ص: ۴۰۷

الآیه السوره رقم الآیه رقم الصفحه

۶۰- وَ أَلْقِ ما فِی یَمِینِکَ تَلْقَفْ \طه\۶۹\۲۵۳

۶۱- وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ \طه\۱۰۵\۱۴۲

۶۲- أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ \الأنبیاء\۳۰\۷۹،۱۱۴، ۱۲۵

۶۳- وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ \الأنبیاء\۳۰\۲۷۵

۶۴- وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ \الأنبیاء\۳۱\۲۵۹

۶۵- وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً \الأنبیاء\۳۲\۱۹۶،۲۰۱

۶۶- وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ \الأنبیاء\۳۳\۱۸۳

۶۷- یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ \الأنبیاء\۱۰۴\۱۴۰،۱۴۲

۶۸- وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً \الحج\۵\۲۹۲

۶۹- وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ \الحج\۲۷\۱۸۰

۷۰- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَکُمْ \الحج\۶۵\۱۹۳

۷۱- فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً \المؤمنون\۱۴\۱۰۰

۷۲- لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ \النور\۲۹\۵۷

۷۳- أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ \النور\۴۰\۹۹،۲۷۶، ۲۷۹

۷۴- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ یُزْجِی \النور\۴۳\۹۹،۲۳۷، ۲۴۵

۷۵- وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا \الفرقان\۵\۴،۵\۲۵

۷۶- وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ \الفرقان\۵\۱۸،۲۸

۷۷- أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ \الفرقان\۴۵،۴۶\۱۸۳،۱۸۶

۷۸- وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ \الفرقان\۵۳\۸۱،۲۸۲

۷۹- تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ \الفرقان\۶۱\۱۵۸،۱۵۴

۸۰- وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ \الشعراء\۸۰\۷۰

الآیه السوره رقم الآیه رقم الصفحه

۸۱- قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ \الشعراء\۱۵۳،۱۵۶\۸

۸۲- وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا \النمل\۱۰\۲۵۳

۸۳- وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ \النمل\۱۶،۱۹\۹

۸۴- أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ \النمل\۶۱\۱۹۱،۱۹۰، ۲۸۲

۸۵- وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها \النمل\۸۸\۱۴۲،۱۸۳، ۱۸۶،۲۶۹

۸۶- فَلَمّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ \القصص\۲۹،۳۲\۷

۸۷- أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ \العنكبوت\۱۹\۱۱۳

۸۸- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ \العنكبوت\۲۰\۱۱۳

۸۹- وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ \الروم\۲۵\۱۴۲

۹۰- وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ \الروم\۲۷\۱۴۰

۹۱- وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ \الروم\۴۶\۲۲۹،۲۲۵

۹۲- اَللّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ \الروم\۴۸\۸۳،۲۲۵، ۲۳۳،۲۳۶

۹۳- خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ \لقمان\۱۰\۱۹۲

۹۴- وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ \لقمان\۲۹\۱۴۸

۹۵- فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً \الأحزاب\۹\۲۲۵

۹۶- إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ \الأحزاب\۷۲\۲۵۱

۹۷- وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها \سبأ\۱۲\۹

۹۸- يُولِجُ اللَّيْلَ فِي \فاطر\۱۳\۱۷۶

۹۹- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ \فاطر\۲۷،۲۸\۲۶۹،۲۷۱

۱۰۰- أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما \فاطر\۳۷\۲۵

۱۰۱- وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ \یس\۳۸\۸۵،۱۴۸

الآیه السوره رقم الآیه رقم الصفحه

۱۰۲- وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ \یس\۳۹\۲۱۵

۱۰۳- وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ \یس\۴۰\۷۹،۱۷۹

۱۰۴- لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی \یس\۴۰\۱۵۲،۱۶۷، ۲۲۰

۱۰۵- خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ \الزمر\۵\۱۷۵،۱۸۳

۱۰۶- قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ \الزمر\۹\۱۰۴

۱۰۷- اَللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ \الزمر\۲۳\۴۸،۵۸

۱۰۸- قُلْ أَ فَغَیْرَ اللّهِ تَأْمُرُونِّی \الزمر\۶۱\۵۰

۱۰۹- اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ \غافر\۶۴\۱۹۰

۱۱۰- لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ \غافر\۷۵\۷۲

۱۱۱- حم تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ \فصلت\۵،۱\۲۷

۱۱۲- قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ \فصلت\۹،۱۱\۱۱۷،۱۱۹

۱۱۳- ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ \فصلت\۱۱\۷۹،۱۱۶

۱۱۴- وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا \فصلت\۲۶\۴۸

۱۱۵- وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ \فصلت\۳۷\۱۴۶،۱۵۹، ۱۶۰،۲۰۳

۱۱۶- وَ مِنْ آیاتِهِ أَنَّکَ تَرَی \فصلت\۳۹\۲۹۲

۱۱۷- سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی \فصلت\۵۳\ب،۹۵، ۱۶۷،۲۶۱

۱۱۸- وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ \الجاثیه\۵\۲۲۴

۱۱۹- وَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ \الجاثیه\۱۳\۹۳

۱۲۰- فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا \محمد\۱۹\۱۰۵

١٢١- أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ \ق\٦\٢٧،٩٥، ١٩٢

ص: ٤١٠

الآیه السوره رقم الآیه رقم الصفحه

۱۲۲- وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا \ق\۷\۲۵۲

۱۲۳- وَ الذّارِياتِ ذَرْواً \الذاريات\۴،۱\۲۳۰

۱۲۴- وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ \الذاريات\۷\۱۸۴،۱۹۷

۱۲۵- وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ \الذاريات\۲۰\۱۷۴

۱۲۶- وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ \الذاريات\۲۱\۷۲

۱۲۷- وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنّا \الذاريات\۴۷\۸۳،۱۲۷، ۱۲۸

۱۲۸- وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ \الطور\۶\۲۸۹

۱۲۹- اِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ \القمر\۱\۱۳،۷۹، ۲۰۹،۲۱۱

۱۳۰- فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ \القمر\۱۱\۱۹۷

۱۳۱- وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ \القمر\۱۷\۶۲

۱۳۲- إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً \القمر\۱۹\۲۲۵

۱۳۳- اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ \الرحمن\۵\۷۱

۱۳۴- وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ \الرحمن\۷\۱۵۲،۱۵۳

۱۳۵- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ \الرحمن\۲۰،۱۹\۸۱

۱۳۶- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ \الرحمن\۲۲،۱۹\۲۸۲

۱۳۷- كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ \الرحمن\۲۶\۱۶۸

۱۳۸- يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ \الرحمن\۳۳\۲۰۰،۲۰۱، ۲۱۳

۱۳۹- فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ \الرحمن\۳۷\۱۶۸،۱۴۴

۱۴۰- إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا \الواقعه\۴،۵\۱۴۱

۱۴۱- لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا \الحديد\۲۵\۱۰۶

۱۴۲- يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ \المجادله\۱۱\۱۰۴

ص: ۴۱۱

الآیه السوره رقم الآیه رقم الصفحه

۱۴۳- لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ \الحشر\۲۱\۲۵۱

۱۴۴- هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ \الجمعه\۲\۸۷

۱۴۵- اَللّهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ \الطلاق\۱۲\۷۹

۱۴۶- اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ \الملک\۳\۱۷۶

۱۴۷- وَ قالُوا لَوْ کُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ \الملک\۱۰\۱۰۵

۱۴۸- أَ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ \الملک\۱۴\۱۰۹

۱۴۸- وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ \الحاقه\۱۴\۱۴۱

۱۴۹- وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ \الحاقه\۵۶،۴۱\۱۸

۱۵۰- یَوْمَ تَکُونُ السَّماءُ کَالْمُهْلِ \المعارج\۸\۱۶۹

۱۵۱- وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً \نوح\۱۶\۱۵۴،۱۵۸، ۲۰۴

۱۵۲- لَنْ نُعْجِزَ اللّهَ فِی الْأَرْضِ \الجن\۱۲\۳

۱۵۳- إِنْ هذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ \المدثر\۲۵\۲۹

۱۵۴- بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ \القیامه\۴\۱۱۰

۱۵۵- وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ \القیامه\۹\۱۶۸،۲۲۰، ۲۲۲

۱۵۶- فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ \المرسلات\۸\۱۴۱

۱۵۷- أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً \المرسلات\۲۵،۲۷\۱۹۱،۱۹۰

۱۵۸- وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ \المرسلات\۲۷\۲۶۶،۲۶۴، ۲۶۸

۱۵۹- أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً \النبأ\۶،۷\۲۵۹

۱۶۰- وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً \النبأ\۱۳\۱۵۴

١٦١- أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ \النازعات\٣٠،٢٧\١١٩

١٦٢- وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها \النازعات\٣٠\١٧٨،١٧٥

الآیه السوره رقم الآیه رقم الصفحه

۱۶۳- وَ الْجِبالَ أَرْساها \النازعات\۳۲\۲۵۹

۱۶۴- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ \التكوير\۱\۱۴۱،۱۶۸، ۱۶۹،۱۷۲

۱۶۵- وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ \التكوير\۶\۷۷،۲۸۹، ۲۹۰

۱۶۶- فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ \التكوير\۱۵،۱۶\۱۸۳

۱۶۷- وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ \الانفطار\۳

۱۶۸- يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ \الانفطار\۶،۸\۷۱

۱۶۹- إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ \الانشقاق\۱\۷۷

۱۷۰- وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ \الانشقاق\۳،۴\۲۵۲،۲۵۳

۱۷۱- فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ \الانشقاق\۱۶،۲۱\۲۰۰

۱۷۲- وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ \الانشقاق\۱۸،۱۹\۲۰۹،۲۱۳

۱۷۳- وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \الغاشيه\۱۸\۱۹۲

۱۷۴- وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها \الشمس\۶\۱۷۹

۱۷۵- اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ \العلق\۱\۸۷،۱۰۴

۱۷۶- يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالْفَراشِ \القارعه\۴،۵\۱۴۱

۱۷۷- وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ \الفيل\۳\۷۹

۱۷۸- تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \الفيل\۴\۷۹

فهرس الأحاديث

الحديث رقم الصفحه

۱-اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا ۲۲۶

۲-اللهم إنی أعوذ بک من علم لا ينفع\۱۰۴

۳-أشعر کلمه قالتها العرب\۳۳

۴-أن النبی صلی اللّه عليه و سلم کان يقوم يوم الجمعه\۱۳

۵-انشق القمر و نحن مع النبی صلی اللّه عليه و سلم\۱۴،۲۱۰

۶-إنها ستکون فتنه فقلت:ما المخرج\۷۵،۹۵

۷-رأيت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم و حانت الصلاه\۱۰

۸-سمعت صوت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم ضعيفا\۱۲

۹-عطش الناس يوم الحديبيه\۱۱

۱۰-فانطلق أنيس حتی أتی مکه\۳۴

۱۱-قلت لأنس:کم کنتم قال:۱۱

۱۲-کان المسجد مسقوفا علی جذوع من نخل\۱۳

۱۳-کنا مع النبی صلی اللّه عليه و سلم ثلاثين و مائه\۱۱

قائمه المصادر و المراجع

أولا:القرآن الكريم ثانيا:الكتب الآتيه ۱-الآحاد و المثانی،أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيبانی،الرياض،دار الرايه، تحقيق،باسم فيصل الجوابره الطبعه الأولی،۱۴۱۱ ه.

۲-آفاق فلكيه،فوزيه محمد الرويح،الكويت،جامعه الكويت،الطبعه الأولی، ۱۹۹۷.

۳-أبجد العلوم فی بيان أحوال العلوم،صديق بن حسن القنوجی،بيروت،دار الكتب العلميه تحقيق،عبد الجبار زكار،۱۹۷۸.

۴-الإتقان فی علوم القرآن،جلال الدين السيوطی،بيروت،عالم الكتاب،د.ت.

۵-الأجرام السماويه،غيدو روجيری،ترجمه،عبد اللطيف أبو عرقوب، طرابلس،الدار الجماهيريه،الطبعه الأولی،۱۹۸۴.

۶-أجمل تاريخ للكون،جويل دورونی و آخرون،ترجمه،موسی خوری،بيروت، دار الكتاب العربی،۱۹۹۶.

۷-أحاديث حول اللامرئی،جان أودوز و آخرون،ترجمه،نور الدين عبيد،الطبعه الأولی،۲۰۰۰ دمشق،مكتبه الأهلی.

۸-احتمالات نهايه الكون،إعداد قسم التأليف و الترجمه فی دار الرشيد،دمشق- بيروت،دار الرشيد،۱۴۰۸ ه۱۹۸۸/.

۹-إحياء علوم الدين،الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی، بيروت،دار الفكر ۱۹۹۵.

۱۰-إرشاد العقل السليم تفسير القرآن الكريم،محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود،بيروت دار إحياء التراث العربی،د.ت.

۱۱-الأرصاد الجويه،محمد أحمد النطاح،ليبيا،الدار الجماهيريه،الطبعه الأولی، ۱۹۹۰.

۱۲-الأرصاد الجویه،محمد الهونی و إبراهیم سویدان،لیبیا،نشر القوات البحریه، ۱۹۷۹.

۱۳-الأرض،إبراهیم حلمی غوری،بیروت،دار الشرق العربی،د.ت.

۱۴-الأرض فی رحاب الکون،یمنی زهار،بیروت،دار الآفاق،الطبعه الأولی، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۸.

۱۵-الأرض و أسرارها،جورجیت بارتلمی،ترجمه،میشیل خوری،دمشق، منشورات وزاره الثقافه،۱۹۹۱.

۱۶-الأرض،مقدمه للجیولوجیا الطبیعیه،تاربون لوتجنز،ترجمه،عمر سلیمان حموده و آخرون مطبعه مالطا،مالطا،۱۹۸۴.

۱۷-الأرض الهامده و الأرض الخاشعه،أحمد الدلیمی،الموصل،مطبعه الزهراء، ۱۴۲۱ ه ۲۰۰۰/.

۱۸-الأساس فی التفسیر،سعید حوی،القاهره،دار السلام،الطبعه الثانیه،۱۹۸۹.

۱۹-أساسیات علم الأرض،الجیولجیا الفیزیائیه،محمد بن عبد الغنی عثمان مشرف.

۲۰-أساسیات علم الجیولوجیا،محمد حسن و آخرون،عمان،مرکز الکتب الأردنی،۱۹۹۰.

۲۱-الاستمطار،محمد فیاض و أحمد خلیل،الکویت،دار سعاده الصباح الطبعه الأولی،۱۹۹۹.

۲۲-أسرار الأرصاد الجویه الموسوعه العلمیه المبسطه،ترجمه،عیسی طنوس، بیروت،دار الحقائق الطبعه الأولی،۱۹۸۷.

۲۳-الإسلام و قوانین الوجود،محمد جمال الدین الفندی،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتب،۱۹۸۲.

۲۴-الإسلام یتحدی،وحید الدین خان،القاهره،دار البحوث العلمیه،ترجمه، ظفر الإسلام خان،الطبعه الثانیه،۱۳۹۳ ه ۱۹۷۳/.

۲۵-إشارات الإعجاز فی مظان الإیجاز،بدیع الزمان سعید النورسی،بیروت،دار المحراب للطباعه،تحقیق،إحسان قاسم الصالحی د.ت.

۲۶-أضواء البیان فی إیضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمین بن محمد المختار الشنقیطی،بیروت،عالم الکتاب،د.ت.

۲۷-الأطلس الفلکی،عصام المیدانی،دمشق،دار دمشق،۱۹۹۶.

۲۸-الإعجاز العلمی فی الإسلام،محمد کامل عبد الصمد،القاهره،الدار المصریه اللبنانیه،الطبعه الأولی،۱۴۱۵ ه/۱۹۹۴.

۲۹-الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم،سلیمان الطراونه،عمان،دار الفرقان، الطبعه الأولی ۱۴۲۱ ه/۲۰۰۰.

۳۰-الإعجاز فی دراسات السابقین،عبد الکریم الخطیب،بیروت،دار المعرفه، الطبعه الثانیه ۱۳۹۵ ه/۱۹۷۵.

۳۱-إعجاز القرآن،محمد بن الطیب الباقلانی،بیروت،دار إحیاء العلوم،تعلیق،محمد سکر،الطبعه الثالثه،۱۴۱۵ ه/۱۹۹۴ م.

۳۲-إعجاز القرآن و البلاغه النبویه،لمصطفی صادق الرافعی،بیروت،دار الکتاب العربی،د.ت.

۳۳-أعلام الحضاره،سمیر شیخانی،بیروت،مؤسسه عز الدین،۱۴۰۱ ه/۱۹۸۱.

۳۴-الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربین و المستشرقین،خیر الدین الزرکلی،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه السادسه،۱۹۸۴.

۳۵-أعماق الکون،سعد شعبان،القاهره،دار الکتاب العربی،د.ت.

۳۶-الله و الکون،محمد جمال الدین الفندی،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتب،الطبعه الثانیه ۱۹۸۷.

۳۷-الإنسان بین العلم و الدین،شوقی أبو خلیل،بیروت-دمشق،دار الفکر، الطبعه الرابعه ۱۴۲۰ ه/۱۹۹۹.

۳۸-الانفجار الکبیر،أمید شمشک،ترجمه،أورخان محمد علی،عمّان،دار البشیر،الطبعه الأولی ۱۴۱۹ ه/۱۹۹۸.

۳۹-أنوار التنزیل،عبد الله بن عمر البیضاوی،تحقیق،عبد القادر عرفات،بیروت، دار الفکر ۱۴۱۶ ه/۱۹۹۶.

۴۰-الأوائل،علی جمعه الخویلد،بیروت،الدار العربیه للعلوم،الطبعه الأولی، ۱۴۱۸ ه/۱۹۹۸.

۴۱-البحار و ما فیها،روبرت کاون،ترجمه عبد الحافظ حلمی القاهره،مؤسسه سجل العرب ۱۹۷۴.

۴۲-بحر العلوم،نصر بن محمد السمرقندی،تحقیق،محمود مطرجی،بیروت،دار الفکر العربی ۱۹۹۷.

۴۳-البحر المحیط،محمد بن علی ابن حیان الأندلسی،القاهره،دار الفکر العربی، الطبعه الثانیه ۱۹۸۳.

۴۴-بحوث منهجیه فی علوم القرآن،موسی إبراهیم،عمّان،دار عمار،الطبعه الثانیه،۱۴۱۶ ه ۱۹۹۶.

۴۵-بدائع التفسیر،ابن قیم الجوزیه،تحقیق،یسری السید أحمد،الریاض،دار ابن الجوزی،الطبعه الأولی،۱۴۱۴ ه۱۹۹۳/.

۴۶-بدایه الکون،جون فایفر،ترجمه،محمد الشحات،القاهره،مؤسسه سجل العرب،۱۹۷۵.

۴۷-البدایه و النهایه،إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشی أبو الفداء،بیروت،مکتبه المعارف،د.ت.

۴۸-البرهان فی علوم القرآن،محمد بن عبد الله الزرکشی،بیروت،دار المعرفه، تحقیق،محمد إبراهیم،۱۳۹۱ ه.

۴۹-البرهان الکاشف عن إعجاز القرآن،کمال الدین عبد الواحد الزملکانی،بغداد، مطبعه العانی،تحقیق،أحمد مطلوب و خدیجه الحدیثی،الطبعه الأولی، ۱۳۹۴ ه۱۹۷۴/.

۵۰-بلوغ سنن الرشد فی المجره،تمثی فرس،ترجمه،هنری مطر،عمّان،مرکز الکتب الأردنی ۱۹۹۰.

۵۱-بهجه المعرفه،موسوعه علمیه مصوره،الأرض،لیبیا،الشرکه العامه للنشر، ۱۹۸۳.

۵۲-البیان فی علوم القرآن،محمد علی الحسن،بیروت،دار الفکر العربی،الطبعه الأولی،۱۹۹۸.

۵۳-تاج العروس من جواهر القاموس،محب الدین السید محمد مرتضی الحسینی الزبیدی،بیروت دار الفکر،تحقیق،علی شیری ۱۴۱۴ ه.

۵۴-تأویل مختلف الحدیث،عبد الله بن مسلم بن قتیبه،بیروت،المکتب الإسلامی،تحقیق،محمد الأصفر،الطبعه الأولی،۱۹۸۹.

۵۵-تبصیر الرحمن و تیسیر المنان،علی بن أحمد المهائی،بیروت،عالم الکتب ۱۹۸۳.

۵۶-التحریر و التنویر،محمد الطاهر ابن عاشور،بیروت،مؤسسه التاریخ،الطبعه الأولی،۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰/ م.

۵۷-التسهیل لعلوم التنزیل،محمد بن أحمد الغرناطی،بیروت،دار الأرقم،د.ت.

۵۸-التصویر الفنی فی القرآن الکریم،لسید قطب،القاهره،دار الشروق،۱۹۹۷.

۵۹-تفسیر البشائر،علی الشربجی،دمشق،دار البشائر،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه.

۶۰-تفسیر بن بادیس،عبد الحمید بن بادیس،بیروت،دار الفکر،الطبعه الثالثه، ۱۳۹۹ ه ۱۹۷۹.م.

۶۱-تفسیر ابن عباس،إعداد،عبد العزیز بن عبد الله الحمیدی،مکه المکرمه،مرکز البحث العلمی،د.ت.

۶۲-التفسیر البیانی للقرآن،عائشه بنت الشاطئ،القاهره،دار المعارف،الطبعه الثانیه،۱۳۸۸ ه۱۹۶۸/.

۶۳-تفسیر جزء عمّ،محمد عبده،بیروت،دار الهلال،۱۹۸۵.

۶۴-تفسیر الجلالین،محمد بن أحمد بن محمد المحلی و جلال الدین السیوطی، القاهره،دار الحدیث،الطبعه الأولی،د.ت.

۶۵-تفسیر روح البیان،إسماعیل حقی البروسوی،بیروت،دار الفکر،د.ت.

۶۶-تفسیر السراج المنیر،للخطیب الشربینی،بیروت،دار المعرفه،الطبعه الثانیه، د.ت.

۶۷-التفسیر الشامل،أمیر عبد العزیز،القاهره،دار السلام،الطبعه الأولی، ۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰/.م.

۶۸-تفسیر الشعراوی،القاهره،أخبار الیوم،د.ت.

۶۹-التفسیر العلمی للقرآن،أحمد عمر أبو حجر،دمشق،دار قتیبه،الطبعه الأولی، ۱۴۱۱ ه ۱۹۹۱ م.

۷۰-تفسیر غرائب القرآن و رغائب الفرقان،نظام الدین الحسن بن محمد القمی النیسابوری تحقیق،زکریا عمیرات،بیروت،دار الکتب العلمیه،۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶.

۷۱-تفسیر غریب القرآن،عبد الله بن مسلم بن قتیبه،بیروت،دار الهلال،۱۹۹۱.

۷۲-تفسیر القرآن،لأبی مظفر السمعانی،تحقیق،یاسر بن إبراهیم و غنیم بن عباس غنیم الریاض دار الوطن،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ۱۹۹۷ه/ م.

۷۳-تفسیر القرآن،عز الدین بن عبد السلام الدمشقی،بیروت،دار ابن حزم،الطبعه الأولی ۱۴۱۶ ه۱۹۹۶/.

۷۴-تفسیر القرآن،منصور بن محمد السمعانی،تحقیق،یاسر إبراهیم و غنیم عباس الریاض،دار الوطن،۱۹۹۷.

۷۵-تفسیر القرآن العظیم،إسماعیل بن عمر بن کثیر،بیروت،دار الفکر،۱۴۰۱ ه.

۷۶-تفسیر القرآن الکریم،محمد علی الدره،دمشق،دار الحکمه،۱۹۸۲.

۷۷-تفسیر القرآن الکریم،محمود شلتوت،القاهره،دار الشروق،الطبعه السادسه، ۱۳۹۴ ه ۱۹۷۴ م.

۷۸-تفسیر القرآن الکریم إعرابه و بیانه،محمد طه الدره،دمشق،دار الحکمه، ۱۹۸۲.

۷۹-التفسیر الکاشف،محمد جواد مغنیه،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه الرابعه، ۱۹۹۰.

۸۰-التفسیر الکبیر،محمد فخر الدین الرازی،بیروت،دار الفکر،۱۹۹۳.

۸۱-تفسیر مجاهد،مجاهد بن جبر المخزومی،تحقیق،عبد الرحمن السورتی، بیروت،المنشورات العلمیه،د.ت.

۸۲-تفسیر المراغی،أحمد مصطفی مراغی،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه،۱۹۹۸.

۸۳-تفسیر مفردات ألفاظ القرآن الکریم،سمیح عاطف الزین،بیروت،دار الکتاب العربی،الطبعه الثالثه،۱۴۱۴ ه،۱۹۹۴.

۸۴-تفسیر المنار،محمد رشید رضا،بیروت،دار الفکر،الطبعه الثالثه،د.ت.

۸۵-التفسیر المنیر،وهبه الزحیلی،بیروت،دار الفکر المعاصر،الطبعه الأولی ۱۴۱۱ ه۱۹۹۱/.

۸۶-تفسیر النکت و العیون،علی بن محمد الماوردی،بیروت،دار الکتب العلمیه، د.ت.

۸۷-التفسیر الواضح المسیر،محمد علی الصابونی،بیروت،مؤسسه الریان،الطبعه الأولی،۱۴۲۲ ه۲۰۰۱/ م.

۸۸-التفسیر الواضح،محمد محمود حجازی،القاهره،مطبعه الاستقلال،الطبعه السادسه ۱۹۶۹.

۸۹-التفسیر الوسیط،وهبه الزحیلی،بیروت،دار الفکر المعاصر،۲۰۰۰

۹۰-التفسیر و المفسرون،محمد حسن الذهبی،القاهره،دار الکتب الحدیثه، الطبعه الأولی،۱۳۸۱ ه۱۹۶۱/.

۹۱-تنویر الأذهان من تفسیر روح البیان،اختصار محمد علی الصابونی،القاهره، دار الصابونی،الطبعه الأولی،۱۹۸۸.

۹۲-التوقیف علی مهمات التعاریف،محمد عبد الرءوف المناوی،دمشق- بیروت،دار الفکر المعاصر،تحقیق،محمد رضوان الدایه الطبعه الأولی، ۱۴۱۰ ه.

۹۳-الثقب الأسود،محمد رضوان المصری،دمشق،دار المعارف للطباعه، الطبعه الأولی،۱۹۸۶.

۹۴-الثقوب السوداء و الأکوان الطفله،سیتفن هوکنغ ،ترجمه،حاتم النجدی، دمشق،دار المعارف للطباعه،الطبعه الأولی،۱۹۹۸.

۹۵-الثقوب الکونیه السوداء،فائز فوق العاده،دمشق،دار المعرفه،الطبعه الأولی،۱۴۰۹ ه ۱۹۸۸ م.

۹۶-ثلاث رسائل فی الإعجاز،الرساله الشافیه،للجرجانی،تحقیق،محمد خلف الله و محمد سلام القاهره،دار المعارف،الطبعه الثانیه ۱۳۸۷ ه۱۹۶۸/ م.

۹۷-جامع البیان عن تأویل آی القرآن،محمد بن جریر بن یزید الطبری،بیروت، دار الفکر ۱۴۰۵ ه.

۹۸-الجامع لأحکام القرآن،محمد بن فرح القرطبی،تحقیق،أحمد عبد العلیم البردونی،القاهره،دار الشعب،الطبعه الثانیه،۱۳۷۲ ه.

۹۹-الجغرافیه الحیویه،حسن أبو سمور،عمان،دار صفاء،الطبعه الأولی، ۱۴۲۰ ه۱۹۹۹/ م.

۱۰۰-الجغرافیه الفلکیه،أمین طربوش،دمشق،دار الفکر،الطبعه الأولی، ۱۴۰۶ ه۱۹۸۶/ م.

۱۰۱-الجغرافیه المناخیه و النباتیه،عبد العزیز شرف،الإسکندریه،دار الجامعات المصریه،الطبعه الحادیه عشر،۱۹۸۵ م.

۱۰۲-الجواب الصحیح لمن بدل دین المسیح،أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیه، الریاض،دار العاصمه الطبعه الأولی،۱۴۱۴ ه،تحقیق علی حسن ناصر و آخرون.

۱۰۳-الجواهر الحسان،عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبی،بیروت، مؤسسه الأعلمی،د.ت.

۱۰۴-جواهر القرآن،الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی، بیروت،دار إحیاء علوم الدین،تحقیق،محمد رشید رضا القبانی،الطبعه الثانیه،۱۴۰۶ ه ۱۹۹۶/ م.

۱۰۵-الجواهر فی تفسیر القرآن الکریم،طنطاوی جوهری،بیروت،دار إحیاء التراث العربی،الطبعه الرابعه،۱۴۱۲ ه ۱۹۹۱/.

۱۰۶-الجو و تقلباته،علی حسن موسی،دمشق،دار الفکر،۱۹۸۸.

۱۰۷-الجیولوجیا للجمیع،عادل حاتم جوزی،بغداد،دار الرشید، ۱۹۸۰.

۱۰۸-الجیولوجیا و الکائنات الحیه،دولت عبد الرحیم إبراهیم،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتب،۱۹۹۵.

۱۰۹-حاشیه الشهاب علی البیضاوی،لشهاب الدین أحمد بن عمر الخفاجی، تحقیق،عبد الرزاق المهدی،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی، ۱۳۱۷ ه ۱۹۹۷/.

۱۱۰-حاشیه الصاوی،علی الجلالین،تحقیق،علی الصباغ،بیروت،دار الجیل، د.ت.

۱۱۱-حاشیه محی الدین شیخ زاده علی تفسیر الإمام البیضاوی،تحقیق،محمد شاهین،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی ۱۴۱۹ ه ۱۹۹۹/ م.

۱۱۲-الحراره و الدینامیکا الحراریه،مارک وزنماسکی و ریتشارد دیثمان،ترجمه، محسن سالم رضوان،القاهره،دار ماکجروصیل الطبعه الأولی،۱۹۸۲ م.

۱۱۳-الحیوان،عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ،بیروت،دار الهلال،تحقیق، یحیی الشامی،الطبعه الثالثه،۱۹۹۷.

۱۱۴-خلق الکون،محمد باسل الطائی،بیروت،دار النفائس،الطبعه الأولی، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۸/ م.

۱۱۵-دائره المعارف الثقافیه،الأرض،بیروت،المرکز الثقافی الحدیث،الطبعه الأولی، ۲۰۰۰.

۱۱۶-دائره معارف القرن الواحد و العشرین،القوی الفیزیائیه،بیروت،دار الکتاب اللبنانی،د.ت.

۱۱۷-دراسات فی علوم القرآن الکریم،فهد الرومی،الریاض،مکتبه التوبه،الطبعه السابعه،۱۴۱۹ ه ۱۹۹۸/ م.

۱۱۸-الدر المصون،محمد السمین،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی، ۱۹۹۴ م.

۱۱۹-الدر المنثور،عبد الرحمن بن جلال الدین السیوطی،بیروت،دار الفکر، ۱۹۹۳.

۱۲۰-الدرر الکامنه فی أعیان المائه الثامنه،أحمد بن علی ابن حجر العسقلانی، بیروت،دار الکتب العلمیه،تحقیق،عبد الوارث محمد علی،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷ م.

۱۲۱-الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون،ستیفن ونبرغ،ترجمه،وائل الأتاسی،دمشق منشورات وزاره الثقافه ۱۹۸۶.

۱۲۲-دلائل الإعجاز فی علم المعانی،للإمام البلاغی عبد القاهر الجرجانی، بیروت-صیدا،المکتبه العصریه،تحقیق،یاسین الأیوبی،الطبعه الأولی،۱۴۲۱ ه ۲۰۰۰/ م.

۱۲۳-دلیل فیلیب للنجوم و الکواکب،باتریک مور،ترجمه،عبد القوی عیاد الریاض،النشر العلمی و المطابع،الطبعه الأولی،۱۴۲۱ ه ۲۰۰۰/ م.

۱۲۴-الدینامیکا الحراریه،فرانسیس و ستون سیرس،ترجمه،رضا جاد جرجس و طاهر مجید الشریتی،البصره،طبع کلیه التربیه جامعه البصره،د.ت.

۱۲۵-الدینامیکا الحراریه،أبوت فان هیس،ترجمه،أحمد فؤاد باشا و سعید بسیونی الجزائری القاهره،الدار الدولیه للنشر،الطبعه الرابعه،۱۹۹۸.

۱۲۶-رحله فی الکون و الحیاه،أحمد محمد عوف،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۹۶ م.

۱۲۷-روح المعانی و السبع المثانی،محمد الألوسی أبو الفضل،بیروت،دار إحیاء التراث العربی،د.ت.

۱۲۸-زاد المسیر فی علم التفسیر،عبد الرحمن بن علی بن محمد الجوزی،بیروت، المکتب الإسلامی،الطبعه الثالثه،۱۴۰۴ ه.

۱۲۹-الزلزال الکونی الأعظم،عبد العلیم عبد الرحمن خضر،جده،الدار السعودیه،الطبعه الأولی ۱۴۱۳ ه۱۹۹۳/.

۱۳۰-السحب،علی حسن موسی،دمشق،دار الفکر،۱۹۸۸.

۱۳۱-سر الفصاحه،عبد الله بن سنان الخفاجی الحلبی،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی ۱۴۰۳ ه۱۹۸۲/ م.

۱۳۲-السماء فی اللیل،عبد القادر عابد و علی عبنده،عمان،دار الفرقان،الطبعه الأولی ۱۴۰۵ ه۱۹۸۵/.

۱۳۳-سنن البیهقی الکبری،أحمد بن الحسین بن علی بن موسی البیهقی،مکه المکرمه،دار الباز تحقیق،محمد عبد القادر عطا، ۱۴۱۴ ه۱۹۹۴/.

۱۳۴-سنن الترمذی،محمد بن عیس الترمذی السلمی،بیروت،دار إحیاء التراث العربی،تحقیق أحمد شاکر و آخرون،د.ت.

۱۳۵-سنن الدارمی،عبد الله بن عبد الرحمن الدارمی،بیروت،دار الکتاب العربی،الطبعه الأولی ۱۴۰۷ ه.

۱۳۶-سیر أعلام النبلاء،محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی،بیروت،مؤسسه الرساله،تحقیق،شعیب الأرناءوط و محمد نعیم.

۱۳۷-السیره الحلبیه،علی بن برهان الدین الحلبی،بیروت،دار المعرفه، ۱۴۰۰ ه.

۱۳۸-السیره النبویه،عبد الملک بن هشام الحمیری،بیروت،دار الجیل،تحقیق، طه سعد،الطبعه الأولی،۱۴۱۱ ه.

۱۳۹-شذرات الذهب فی أخبار من ذهب،عبد الحی ابن العماد الحنبلی الدمشقی، بیروت،دار الکتب العلمیه،د.ت.

۱۴۰-شرح المواقف،لعلی بن محمد الجرجانی،القاهره،منشورات الشریف الرضی،الطبعه الثانیه ۱۳۷۳ ه.

۱۴۱-الشفا بتعریف حقوق المصطفی،للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی،بیروت،دار الکتاب العربی،تحقیق،علی محمد البجاوی، د.ت.

۱۴۲-الشمس،إبراهیم غوری،بیروت،دار الشرق العربی،د.ت.

۱۴۳-الشموس المتفجره،إسحاق عظیموف،ترجمه السید عطا،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۹۴ م.

۱۴۴-صانعوا التاریخ،سمیر شیخانی،بیروت،مؤسسه عز الدین،۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶.

۱۴۵-صحیح البخاری،محمد بن إسماعیل البخاری،بیروت،دار الیمامه، تحقیق،مصطفی البغا الطبعه الثالثه،۱۹۸۷/۱۴۰۷.

۱۴۶-صحیح ابن حبان،محمد بن حبان بن أحمد التمیمی البستی،بیروت،مؤسسه الرساله،تحقیق شعیب الأرناءوط،الطبعه الثانیه، ۱۴۱۴ ه۱۹۹۳/.

۱۴۷-صحیح ابن خزیمه،محمد بن إسحاق بن خزیمه النیسابوری،بیروت، المکتب الإسلامی تحقیق،محمد مصطفی الأعظمی، ۱۳۹۰ ه.

۱۴۸-صحیح مسلم،مسلم بن الحجاج القشیری النیسابوری،بیروت،دار إحیاء التراث العربی،تحقیق،محمد فؤاد عبد الباقی،د.ت.

۱۴۹-صفوه التفاسیر،للصابونی،بیروت،دار إحیاء التراث،الطبعه الأولی، ۱۹۹۵.

۱۵۰-ضحی الإسلام،أحمد أمین،القاهره،النهضه المصریه،الطبعه السابعه، ۱۹۶۱.

۱۵۱-طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد،عبد الرحمن الکواکبی،بیروت،دار النفائس،الطبعه الأولی،۱۹۸۴.

۱۵۲-طبقات الشافعیه،لأبی بکر أحمد بن محمد بن عمر،بیروت،عالم الکتاب تحقیق،الحافظ عبد العلیم خان،الطبعه الأولی، ۱۴۰۷ ه.

۱۵۳-طبقات الفقهاء،إبراهیم بن علی بن یوسف الشیرازی،بیروت،دار القلم، تحقیق،خلیل المیس،د.ت.

۱۵۴-الطبیعه الجویه،محمد جمال الدین الفندی،الکویت،مکتبه الفلاح الطبعه الثانیه،۱۹۷۷.

۱۵۵-طبیعیات البحر و ظواهره،محمد جمال الدین الفندی.

۱۵۶-طرائف علم الفلک،فیکتور کوماروف،ترجمه عبد الله حبه،موسکو،دار میر،۱۹۸۵.

۱۵۷-الطقس و المناخ،محمد عیاد مقیلی،لیبیا،نشر الجامعه المفتوحه،۱۹۹۲.

۱۵۸-الطقس،فورس إیک،ترجمه،نبیله منسی،بیروت،معهد الإنماء العربی،۱۹۸۱.

۱۵۹-العالم الذی نقطنه،رینیه غویر،ترجمه،خلیل الفریجات،دمشق،منشورات وزاره الثقافه ۱۹۸۱.

۱۶۰-عالم المعرفه،الکون،کارل ساغان،ترجمه،نافع أیوب لبس،الکویت، المجلس الوطنی للثقافه،۱۴۱۴ ه۱۹۹۳/ م.

۱۶۱-عالم المعرفه،النهایه،فرانک کلوز،ترجمه،مصطفی إبراهیم فهمی، الکویت،المجلس الوطنی للثقافه و الفنون،۱۴۱۵ ه۱۹۹۴/ م.

۱۶۲-العبر فی خبر من غبر،محمد بن أحمد بن عثمان بن قایماز الذهبی،الکویت، مطبعه حکومه الکویت،تحقیق،صلاح الدین المنجمد،الطبعه الثانیه،۱۹۴۸.

۱۶۳-عقائد الثلاث و السبعین فرقه،لأبی محمد الیمنی،المدینه المنوره،مکتبه العلوم و الحکم،تحقیق محمد الغامدی،الطبعه الثانیه ۱۴۲۲ ه ۲۰۰۱/ م.

۱۶۴-علم البحار،هاشم أحمد محمد،نشر هلا بوک شوب،د.ت.

۱۶۵-علم البحار و المحیطات،میلاد سعید الرماح،لیبیا،نشر القوات البحریه، ۱۹۷۹.

۱۶۶-علم الفلک،عبد السلام غیث،عمان،جامعه الیرموک،۱۹۹۲.

۱۶۷-علم الفلک،هاشم أحمد،بیروت،هلابون،د.ت.

۱۶۸-علم الفلک العام،مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود،القاهره،دار الفکر العربی الطبعه الأولی،۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰/ م.

۱۶۹-علم الفلک و فلسفه النسق الکونی،فائز فوق العاده،الکویت،مؤسسه الکویت للتقدم العلمی الطبعه الأولی،۱۹۹۲.

۱۷۰-علم الفلک و الکون،عواد الزحلف،عمان،دار المناهج،الطبعه الأولی، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۸/ م.

۱۷۱-علم المحیطات،ریتشارد فیتر،ترجمه،میشیل تکلا،القاهره،مطبوعات کتابی،د.ت.

۱۷۲-علم المحیطات،کیث ستو،ترجمه،تلفات عناد أحمد،البصره،نشر جامعه البصره،۱۹۸۶.

۱۷۳-علوم الأرض و البیئه،فتحی أبو ناصر،عمان،دار الیازوری،الطبعه الأولی، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۹ م.

۱۷۴-العلوم الجویه و تطبیقاتها،محمد أحمد الشهاوی،القاهره،دار الفکر العربی، الطبعه الأولی ۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰/ م.

۱۷۵-العلوم فی القرآن،محمد جمیل الحبال و مقداد الجواری،بیروت،دار النفائس،الطبعه الأولی ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۸/ م.

۱۷۶-العواصف و الأعاصیر،علی حسن موسی،دمشق،دار الفکر،۱۹۸۹.

۱۷۷-غایه البیان فی تفسیر القرآن،حسن علوان و آخرون،الدوحه،مطابع قطر الوطنیه،د.ت.

۱۷۸-الغلاف و الطقس و المناخ،بیری شوری،ترجمه،عبد القادر علی،طبع الهیئه العامه لشئون المطابع الأمیریه،القاهره،۱۹۹۳.

۱۷۹-الفائق فی غریب الحدیث،محمود بن عمر الزمخشری،بیروت،دار المعرفه، تحقیق،علی البجاوی،و محمد إبراهیم،الطبعه الثانیه،د.ت.

۱۸۰-فتح الباری شرح صحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، القاهره،دار الریان تعلیق،محمد فؤاد عبد الباقی،الطبعه الثانیه،۱۹۸۸.

۱۸۱-فتح البیان فی مقاصد القرآن،صدیق بن حسن القنوجی،صیدا،المکتبه العصریه ۱۹۹۲.

۱۸۲-فتح الرحمن فی تفسیر القرآن،عبد المنعم تعلیب،القاهره،دار السلام، الطبعه الأولی ۱۴۱۶ ه۱۹۹۵/ م.

۱۸۳-فتح القدیر،محمد بن علی الشوکانی،بیروت،دار إحیاء التراث العربی،د.ت.

۱۸۴-الفتوحات الإلهیه،سلیمان بن عمر العجیلی،بیروت،دار الفکر،۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴.

۱۸۵-الفرق بین الفرق،عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادی،بیروت،دار المعرفه،تحقیق،محمد محی الدین عبد الحمید،د.ت.

۱۸۶-فسیولوجیا النبات،روبرت دیفلین و فرانسیس ویزام،ترجمه،محمد شرقاوی و آخرون،القاهره المجموعه العربیه للنشر،۱۹۸۵.

۱۸۷-فسیولوجیا النبات،علی الهلال،الریاض،النشر العلمی و المطابع، ۱۴۲۰ ه.

۱۸۸-الفصل فی الملل و الأهواء و النحل،علی بن أحمد بن حزم الظاهری،بیروت، دار المعرفه الطبعه الثانیه،۱۳۹۵ ه۱۹۷۵/ م.

۱۸۹-الفضاء و الشهب،محمد فتحی عوض الله،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتب،۱۹۷۳ م.

۱۹۰-فضل العلم و العلماء،لابن قیم الجوزیه،جمع و ترتیب صالح الشامی، بیروت،المکتب الإسلامی،الطبعه الأولی،۱۴۲۲ ه۲۰۰۱/ م.

۱۹۱-فکره إعجاز القرآن،نعیم الحمصی،بیروت،مؤسسه الرساله،الطبعه الثانیه، ۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰ م.

۱۹۲-الفهرست،محمد بن إسحاق أبو الفرج الندیم،بیروت،دار المعرفه،۱۳۹۸ ه ۱۹۷۸/ م.

۱۹۳-الفوائد المشوق إلی علوم القرآن،محمد بن أبی بکر بن أیوب الزرعی ابن القیم،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی، ۱۴۱۵ ه۱۹۹۴/ م.

۱۹۴-فی ظلال القرآن،سید قطب،القاهره،دار الشروق،الطبعه الخامسه و العشرون،۱۴۱۷ ه ۱۹۹۶.

۱۹۵-قالوا فی الإسلام و القرآن و الرسول،حسین سلیم،بیروت،دار رشاد برسن، ۲۰۰۲.

۱۹۶-القاموس المحیط،محمد بن یعقوب الفیروزآبادی،بیروت،دار الفکر، ۱۹۹۵.

۱۹۷-قبس من نور القرآن،محمد علی الصابونی،بیروت،مؤسسه الریان،الطبعه الرابعه،۱۴۱۹ ه۱۹۹۸/ م.

۱۹۸-القرآن الکریم أضواء علی الشرق و الغرب،محمد قبیسی،بیروت،مؤسسه الرحاب الحدیثه الطبعه الأولی،۱۹۹۶.

۱۹۹-قصه الکون عجب و بهاء،کلیفورد سیماک،ترجمه،عبد القوی عیاد،القاهره، الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۷۵.

۲۰۰-قصه نشوء الکون،مخلص الریس و علی موسی،دمشق،دار دمشق،الطبعه الأولی، ۱۹۹۰.

۲۰۱-القمر،إبراهیم،حلمی غوری،بیروت،دار الشرق العربی،د.ت.

۲۰۲-القمر،محمد علی المغربی،القاهره،دار المعارف،الطبعه الثانیه،۱۹۶۶.

۲۰۳-قواعد الجیومورفولوجیا العامه،جودت حسنین جودت الإسکندریه،دار المعرفه الجامعیه ۱۹۹۶.

۲۰۴-کتاب التوحید،عبد المجید الزندانی،دمشق،دار الخیر،الطبعه الأولی، ۱۴۱۱ ه۱۹۹۰/ م.

۲۰۵-کتاب العین،الخلیل بن أحمد الفراهیدی،تحقیق،مهدی المخزومی و إبراهیم السامرائی بیروت،دار الهلال،د.ت.

۲۰۶-الکشاف،محمود بن عمر الزمخشری،بیروت،دار إحیاء التراث العربی، الطبعه الأولی ۱۴۱۷ ه۱۹۹۷/ م.

۲۰۷-کوکب اسمه الأرض،جورج جامو،ترجمه،الدکتوره هذاره،القاهره، مؤسسه سجل العرب،۱۹۷۴.

۲۰۸-کوکب الأرض،حسن أبو العینین،الإسکندریه،مؤسسه الثقافه الجامعیه، الطبعه الحادیه عشر،۱۹۹۶.

۲۰۹-کوکب الأرض،إعداد و نشر،مؤسسه الکویت للتقدم العلمی،الکویت، الطبعه الثانیه ۱۹۸۷.

۲۱۰-الکون،هوبرت ریفرز،ترجمه درویش الحلوجی،القاهره،دار المستقبل العربی،الطبعه الأولی ۱۹۹۶ م.

۲۱۱-الکون البحث عن لحظه المیلاد،هوبرت ریفز،ترجمه،درویش الحلّوجی، القاهره،المستقبل العربی،الطبعه الأولی،۱۹۹۶.

۲۱۲-الکون ذلک المجهول،جلال عبد الفتاح،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۹۴.

۲۱۳-الکون و أحجار الفضاء،محمد فتحی عوض،دمشق،دار الوثبه،الطبعه الثانیه،۱۹۸۳.

۲۱۴-الکون و الإعجاز العلمی فی القرآن،منصور حسب النبی،القاهره،دار الفکر العربی،الطبعه الثانیه،۱۹۹۱.

۲۱۵-الکون و الطاقه،إعداد المکتب العالمی للبحوث،بیروت،المکتب العالمی ۱۴۱۰ ه۱۹۸۹/.

۲۱۶-کیف نتعامل مع القرآن العظیم،د.یوسف القرضاوی،القاهره،دار الشروق، الطبعه الأولی ۱۴۱۹ ه۱۹۹۹/ م.

۲۱۷-لباب التأویل فی معانی التنزیل،علاء الدین علی بن محمد الخازن،بغداد مکتبه المثنی،د.ت.

۲۱۸-لباب النقول فی أسباب النزول،عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد السیوطی، بیروت،دار إحیاء العلوم،د.ت.

۲۱۹-اللباب فی علوم الکتاب،عمر بن علی الدمشقی،تحقیق،علی معوض و آخرون،بیروت دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی، ۱۴۱۹ ه۱۹۹۸/.

۲۲۰-لسان العرب،محمد بن مکرم بن منظور،بیروت،دار صادر،الطبعه الأولی، د.ت.

۲۲۱-لفتات علمیه من القرآن،یعقوب یوسف،الریاض،الدار السعودیه للنشر و التوزیع،الطبعه الثانیه،۱۹۹۷.

۲۲۲-لوامع الأنوار البهیه،محمد السفارینی الحنبلی،بیروت،المکتب الإسلامی، الطبعه الثالثه ۱۴۱۱ ه۱۹۹۱/.

۲۲۳-ما هی الجیولوجیا، ولیم ماثیوز،ترجمه مختار رسمی ناشد،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتب،۱۹۹۵.

۲۲۴-الماء و الحیاه بین العلم و القرآن،عبد العلیم عبد الرحمن خضر،جده،الدار السعودیه،الطبعه الأولی،۱۹۸۵.

۲۲۵-مباحث فی إعجاز القرآن،مصطفی مسلم،جده،دار المناره،الطبعه الأولی، ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۸

۲۲۶-مباحث فی علوم القرآن،صبحی الصالح،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه العشرون ۱۹۹۷.

۲۲۷-مباحث فی علوم القرآن،مناع القطان،الریاض،مکتبه المعارف الطبعه الأولی،۱۴۱۳ ه ۱۹۹۲ م.

۲۲۸-مبادئ الطاقه الشمسیه و تطبیقاتها،سهیل فاضل و إلیاس الکبه،بیروت،دار الحداثه،الطبعه الثالثه،۱۹۸۷.

۲۲۹-مبادئ المناخ الطبیعی،إبراهیم العرود،عمان،دار الشروق،الطبعه الأولی، ۱۹۹۷.

۲۳۰-المجرات و الکوازرات،ولیام کاوفمان،ترجمه،عبد الکریم السامرائی، بغداد،دار الشئون الثقافیه العامه،الطبعه الأولی،۱۹۸۹.

۲۳۱-مجله العربی،الکویت،العدد ۳۱۳ دیسمبر،۱۹۸۴.

۲۳۲-مجمع البیان فی تفسیر القرآن،الفضل بن الحسن الطبرسی،تحقیق هاشم المحلاتی،طهران المکتبه العلمیه،د.ت.

۲۳۳-المجموعه الشمسیه و احتمالات الحیاه علیها،زین العابدین متولی،القاهره، مرکز جامعه القاهره،الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه/۱۹۹۷.

۲۳۴-المجموعه الشمسیه و مجال الجاذبیه الکونیه،الأمین محمد کعوره،القاهره، المکتب المصری الحدیث،د.ت.

۲۳۵-محاسن التأویل،محمد القاسمی،بیروت،دار الفکر،الطبعه الأولی، ۱۹۷۸.

۲۳۶-المحرر الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز،عبد الحق بن عطیه،تحقیق،عبد الله الأنصاری و عبد العال إبراهیم،الدوحه،مطابع قطر الطبعه الأولی، ۱۴۰۹ ه/۱۹۸۸.

۲۳۷-المحیرات الفلکیه،عبد الرحیم بدر،الکویت،مؤسسه الکویت للتقدم العلمی،الطبعه الأولی ۱۹۸۴.

۲۳۸-المحیط الکونی و أسراره،نجیب زبیب،بیروت،دار الأمیر،الطبعه الأولی، ۱۴۱۵ ه/۱۹۹۴.

۲۳۹-المحیط الکونی و أسراره،نجیب زبیب،ص ۶۷،و انظر:فی أعماق الفضاء، عبد الحمید سماحه بیروت،دار الشروق،الطبعه الثالثه ۱۴۰۱ ه/۱۹۸۰.

۲۴۰-مختار الصحاح،محمد بن أبی بکر الرازی،بیروت،مکتبه لبنان ناشرون، تحقیق،محمود خاطر،۱۴۱۵ ه/۱۹۹۵.

۲۴۱-مدارک التنزیل و حقائق التأویل،عبد الله بن أحمد بن محمود النسفی، بیروت،دار النفائس د.ت.

۲۴۲-مدخل إلی علم المناخ،ضاری العجمی و محمود صفر،الکویت،مکتبه الکویت،الطبعه الأولی،۱۴۰۸ ه/۱۹۸۷.

۲۴۳-مراح لبید لکشف معنی القرآن المجید،محمد بن عمر نووی الجاوی،تحقیق، محمد أمین الضناوی،بیروت،دار الکتب العلمیه،الطبعه الأولی،۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷.

۲۴۴-المستشرقون،نجیب العقیقی،القاهره،دار المعارف،الطبعه الرابعه د.ت، ۱۰۲/۲.

۲۴۵-مسند أبی یعلی،أحمد بن علی أبو یعلی الموصلی،تحقیق،حسن سلیم أسد، دمشق،دار المأمون للتراث،الطبعه الأولی،۱۴۰۴ ه/۱۹۸۴.

۲۴۶-مسند أحمد،أحمد بن حنبل الشیبانی،القاهره،مؤسسه قرطبه،د.ت.

۲۴۷-مسند الشافعی،محمد بن إدریس الشافعی،بیروت،دار الکتب العلمیه، د.ت.

۲۴۸-مسند عبد بن الحمید،عبد بن حمید بن نصر الکسی،القاهره،مکتبه السنه، تحقیق،صبحی السامرائی و محمود الصعیدی،الطبعه الأولی،۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸.

۲۴۹-مشاهیر القرن العشرین،محمد بوذینه،تونس،مطبعه تونس،الطبعه الأولی، ۱۹۹۴.

۲۵۰-مشهد الریاح و تصریفها،عبد الکریم العثمان،الریاض،الدار العالمیه للکتاب الإسلامی الطبعه الأولی،۱۴۱۸ ه/۱۹۹۷.

۲۵۱-المصباح المنیر،أحمد بن محمد بن علی المقری الفیومی،بیروت،المکتبه العلمیه،د.ت.

۲۵۲-المعارف الکونیه،إعداد،نخبه من العلماء،القاهره،دار الفکر العربی، ۱۴۱۸ ه/۱۹۹۸.

۲۵۳-معالم التنزیل،حسین بن مسعود البغوی،تحقیق،خالد العک،بیروت،دار المعرفه،الطبعه الثانیه،۱۴۰۷ ه/۱۹۸۷.

۲۵۴-معانی القرآن،لأبی إسحاق إبراهیم بن الری الزجاج،تحقیق،عبد الجلیل شلبی،بیروت عالم الکتب،الطبعه الأولی،۱۴۰۸ ه/۱۹۸۸.

۲۵۵-معانی القرآن،یحیی بن زیاد الفراء،بیروت،عالم الکتب،الطبعه الثالثه، ۱۴۰۳ ه.

۲۵۶-معانی القرآن الکریم،لأبی جعفر النحاس،تحقیق،محمد علی الصابونی، مکه المکرمه،نشر جامعه أم القری،الطبعه الأولی، ۱۴۰۹ ه.

۲۵۷-المعجزه الخالده،حسن ضیاء الدین عتر،بیروت،دار ابن حزم،الطبعه الثانیه،۱۴۰۹ ه ۱۹۸۹.

۲۵۸-المعجزه القرآنیه،محمد حسن هیتو،بیروت،مؤسسه الرساله،الطبعه الأولی،۱۴۰۹ ه ۱۹۸۹.

۲۵۹-المعجزه الکبری،محمد أبو زهره،القاهره،دار الفکر العربی،د.ت.

۲۶۰-معجم أعلام المورد،منیر بعلبکی،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه الأولی،۱۹۹۲.

۲۶۱-معجم الأدباء،یاقوت بن عبد الله الرومی البغدادی،بیروت،دار صادر، د.ت.

۲۶۲-المعجم الجامع لغریب مفردات القرآن،عبد العزیز السیروان،بیروت،دار العلم للملایین،الطبعه الأولی،۱۹۸۶.

۲۶۳-معجم الفرق الإسلامیه،شریف یحیی الأمین،بیروت،دار الأضواء،الطبعه الأولی،۱۴۰۶ ه۱۹۸۶/.

۲۶۴-المعجم الکبیر،سلیمان بن أحمد أبو القاسم الطبرانی،تحقیق،حمدی السلفی،الموصل،مکتبه العلوم و الحکم،الطبعه الثانیه، ۱۴۰۴ ه۱۹۸۳/.

۲۶۵-معجم مقاییس اللغه،لأبی الحسین أحمد بن فارس،بیروت،دار الجیل، تحقیق،عبد السلام هارون،د.ت.

۲۶۶-معرض الإبریز من الکلام الوجیز عن القرآن العزیز،عبد الکریم الأسعد، الریاض،دار المعراج،الطبعه الأولی،۱۴۱۹ ه۱۹۹۸/.

۲۶۷-المغرب فی ترتیب المعرب،ناصر الدین بن علی المطرز،تحقیق،محمد فاخوری و عبد المجید مختار،حلب،مکتبه أسامه بن زید،الطبعه الأولی، ۱۹۷۹.

۲۶۸-مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهانی،تحقیق،صفوان داودی، دمشق،دار القلم الطبعه الثانیه،۱۴۱۸ ه۱۹۹۷/.

۲۶۹-مفکرون من عصرنا،سامی خشبه،القاهره،المکتبه الأکادیمیه،الطبعه الأولی،۱۴۲۲ ه ۲۰۰۱.

۲۷۰-مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين،أبو الحسن الأشعری،صيدا- بيروت،المكتبه العصريه،تحقيق،محی الدين عبد الحميد،د.ت.

۲۷۱-المقدمه،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،بيروت-صيدا،المكتبه العصريه،تحقيق،درويش جويدی،۱۴۲۲ ه.

۲۷۲-مقدمه فی علم الفلك،توماس آرنی،ترجمه،د.أحمد الحصری،دمشق،دار طلاس،الطبعه الأولی،۱۹۹۸.

۲۷۳-المكان و الزمان فی العالم الكونی الحديث،ب.د.ديفيس،ترجمه،أدهم السمان،دمشق مؤسسه الرساله،الطبعه الأولی،۱۴۰۹ ه/۱۹۸۸.

۲۷۴-الملل و النحل،محمد بن عبد الكريم الشهرستانی،بيروت،دار المعرفه، تحقيق،محمد كيلانی ۱۴۰۴ ه.

۲۷۵-من الآيات العلميه،عبد الرزاق نوفل،القاهره،مكتبه الأنجلو المصريه، الطبعه الأولی،۱۹۶۶.

۲۷۶-من الذره إلی المجره،حماده العائدی،عمان،دار الفكر،الطبعه الأولی، ۱۴۱۵ ه/۱۹۹۴.

۲۷۷-من الذره إلی المجره،محمد صالح المحب،بيروت،دار الفكر اللبنانی، د.ت.

۲۷۸-من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن و السنه،موسی الخطيب،القاهره، مؤسسه الخليج العربی،الطبعه الأولی،۱۴۱۵ ه/۱۹۹۴.

۲۷۹-مناهل العرفان فی علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزرقانی،بيروت،دار الفكر،تحقيق،مكتب البحوث و الدراسات،الطبعه الأولی ۱۹۹۶.

۲۸۰-المنظومه الشمسيه،سمير عازار،بيروت،دار النهار،۱۹۹۱.

۲۸۱-المنظومه الشمسيه،عبد الأمير المرتضی المؤمن،دبی،الإمارات العربيه المتحده،الطبعه الأولی ۱۹۹۷.

۲۸۲-المنظومه الشمسيه،علی موسی و مخلص الريس،دمشق،دار دمشق،الطبعه الأولی،۱۴۰۳ ه/۱۹۸۳.

۲۸۳-من علم الفلك القرآنی،عدنان الشريف،بيروت،دار العلم للملايين،الطبعه الثالثه،۱۹۹۷.

۲۸۴-المنهج الإيمانی للدراسات الكونيه،عبد العليم عبد الرحمن خضر،جده، الدار السعوديه،الطبعه الثالثه،۱۴۰۷ ه/۱۹۸۷.

۲۸۵-الموافقات فی أصول الشریعه،إبراهیم بن موسی بن محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی،بیروت دار المعرفه،الطبعه الرابعه، ۱۴۲۰ه ۱۹۹۹/ م.

۲۸۶-موجز فی تاریخ الزمان،ستیفن هوکنغ،ترجمه،مصطفی فهمی،القاهره، مکتبه الأسره ۲۰۰۱.

۲۸۷-مورفولوجیا النباتات الزهریه،مصطفی الحدیدی،الریاض،دار المریخ، ۱۴۱۴ ه،۱۹۹۴ م.

۲۸۸-موسوعه الظواهر الطبیعیه،خلیل بدوی،عمان،دار عالم الثقافه،الطبعه الأولی،۲۰۰۰.

۲۸۹-موسوعه عالم المعرفه،بیروت،دار نوبلیس،الطبعه الأولی ۱۹۹۶.

۲۹۰-موسوعه غینیس فی علم الفلک،باتریک موور،ترجمه،مرکز التعریب و البرمجه،بیروت،الدار العربیه للعلوم،الطبعه الأولی، ۱۴۱۵ه ۱۹۹۴/ م.

۲۹۱-الموسوعه الفلکیه،خلیل بدوی،عمّان،عالم الثقافه،الطبعه الأولی، ۱۹۹۹.

۲۹۲-الموسوعه الکامله الکون،بیروت نوبیلس،الطبعه الأولی،۱۹۹۷.

۲۹۳-موسوعه الکون و الفضاء و الأرض،موریس شربل و رشید فرحات،بیروت، دار الفکر العربی،الطبعه الأولی،۱۹۹۹.

۲۹۴-موسوعه الکویت العلمیه للکیمیاء،الکویت،مؤسسه الکویت للتقدم العلمی، الطبعه الأولی ۱۹۸۶.

۲۹۵-موطأ مالک،مالک بن أنس الأصبحی،القاهره،دار إحیاء التراث العربی، تحقیق،محمد فؤاد عبد الباقی،د.ت.

۲۹۶-المیکروکمبیوتر و علم الفلک،محمد رشاد الدین مصطفی،بیروت،دار الراتب،د.ت.

۲۹۷-النبوات،أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیه،القاهره،المطبعه السلفیه،د.ت.

۲۹۸-النجم الغریب مولد الشمس و موتها،جون غریبین،ترجمه،فائز فوق العاده، دمشق،دار الشیخ،الطبعه الأولی،۱۹۸۸.

۲۹۹-نحن و الکون،عبد الوهاب سلیمان،الکویت،مؤسسه الکویت التقدم العلمی، الطبعه الأولی ۱۹۹۶.

۳۰۰-نشأه الکون،السموات السبع،محمد جمال الدین الفندی،القاهره،الهیئه المصریه العامه للکتاب،۱۹۷۳.

٣٠١-هذا خلق الله،الدكتور عبد الحليم كامل،القاهره،المكتبه الأكاديميه، الطبعه الأولى،١٩٩٤.

٣٠٢-هل من كائنات عاقله خارج الأرض،نزار دندش،بيروت،دار المؤلف، الطبعه الأولى ١٤٢٠ ه ٢٠٠٠/.

٣٠٣-هل نحن وحدنا فى هذا الكون،محمد عبده يمانى المنامه،بيت القرآن،الطبعه الأولى،١٤١٧ ه١٩٩٦/.

٣٠٤-الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز،على بن أحمد الواحدى،تحقيق،صفوان داودى،دمشق دار القلم،الطبعه الأولى،١٤١٥ ه.

٣٠٥-الوجيز فى الجيولوجيا،ليون موريه،ترجمه،يوسف خورى و عبد الرحمن حميده،دمشق،دار طلاس،الطبعه الأولى،١٩٨٧.

٣٠٦-الوسيط فى تفسير القرآن المجيد،على بن أحمد الواحدى النيسابورى، تحقيق،على معوض و آخرون،بيروت،دار الكتب العلميه،الطبعه الأولى، ١٤١٥ ه١٩٩٤/ م.

ثالثا:مواقع الإنترنت.

١-http://www.albayan.co.ae/albayan/٢٠٠٢/١١/٣٠/mnw/١١.htm .

٢-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠١٠٦٠٩ .

٣-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٩٩٠٤١٩.html .

٤-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠١٠٤٢٣.html .

٥-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠١٠٢٠٤.html .

٦-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠٠١١١٨.html .

٧-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٩٦٠٥٢٠.html .

٨-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠٣٠٣١٠.html .

٩-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٩٥٠٧٢٤.html .

١٠-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠١٠٥٠٨.html .

١١-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٩٥٠٦٢٨.html .

١٢-http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠١٠٥٠٨.html .

. http://www.doubledeckerpress.com/NEWPAGE۹.HTM-۱۳

. http://www.doubledeckerpress.com/Hawaii.htm-۱۴

. http://www.nineplanets.org/overview.html-۱۵

. http://planetscapes.com/solar/eng/homepage.htm-۱۶

. http://planetscapes.com/solar/cap/ds/milkyway.htm-۱۷

.http://www.peakwary.com/encyclopedia/peaks/photos/gasherbrum.htm-۱۸

http://www.schoolarabia.net/kemya/general-chemistry/glossary/chem-۱/chem.htm-۱۹

.

http://zizooo.ws/z.php?name Gallery-۲۰

do showpic

pid ۳۲۹

. orderby dateD

hHh://www.zizooo.ws/z.php?name Gallery and-۲۱

do showpic

. pid ۲۰۳۵ order by dateD

http://zizooo.ws/z.php?name Gallery-۲۲

do showpic

pid ۴۰۷۴

. orderby dateD

http://zizooo.ws/z.php?name Gallery -۲۳

do showpic

pid ۴۱۱۳

. orderby dateD

http://zizooo.ws/z.php?name Gallery -۲۴

do showpic

pid ۳۲۳

. orderby dateD

http://zizooo.ws/z.php?name Gallery-۲۵

do showpic

pid ۴۰۷۷

.orderby dateD

ص: ۴۳۵

الفهرس

الموضوع\الصفحه

الإهداء\٥

مقدمه\٧

مقدمه\١٠

مقدمه\١١

المقدمه\١٣

خطّه البحث\١٧

الفصل الأوّل:مفهوم المعجزه\٢١

تمهيد\٢٣

المبحث الأول:تعريف المعجزه\٢٥

المعجزه اصطلاحا\٢٦

المبحث الثانى:الفرق بين معجزه النبى و معجزات الأنبياء السابقين عليهم السّلام\٢٩

أولا:معجزات الأنبياء عليهم السّلام\٢٩

ثانيا:معجزات نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم\٣٤

المعجزات الحسيه\٣٤

١-نبع الماء\٣٥

٢-تكثير الطعام\٣٦

٣-حنين الجذع\٣٧

٤-انشقاق القمر\٣٨

المبحث الثالث:مراحل التحدى بالقرآن الكريم\۴۲

المرحله الأولى\۴۵

المرحله الثانيه\۴۶

ص: ۴۳۷

المرحله الثالثه\۴۸

القدر المعجز عند المعتزله\۵۱

المبحث الرابع:عجز المشركين و اعترافهم بعظمه القرآن\۵۳

۱-اعتراف بلغاء المشركين بإعجاز القرآن\۵۵

أولا-عتبه بن ربيعه\۵۵

ثانيا-الوليد بن المغيره\۵۷

ثالثا-النضر بن الحارث\۵۸

أذى النضر للرسول صلى اللّه عليه و سلم\۵۸

۲-اعتراف فصحاء العرب المؤمنين بإعجاز القرآن\۶۰

أولا-عمر الخطاب رضى اللّه عنه\۶۰

ثانيا-الطفيل بن عمرو الدوسى\۶۲

ثالثا-لبيد بن ربيعه\۶۳

رابعا-أنيس أخو أبى ذر الغفارى\۶۴

الفصل الثانى:نشأه مصطلح إعجاز القرآن\۶۹

تمهيد\۷۱

المبحث الأول:الصّرفه و القائلون بها\۷۳

الصّرفه لغه\۷۳

الصرفه اصطلاحا\۷۴

القائلون بالصرفه\۷۵

۱-النظام\۷۵

۲-الشریف المرتضی من الشیعه\۷۸

۳-ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری\۷۹

۴-ابن سنان الخفاجی\۸۰

المبحث الثانی:نقد مذهب الصرفه\۸۳

أولا:الرد علی النظّام و من حذی حذوه\۸۳

ثانیا:الرد علی المرتضی و من شایعه\۸۸

المبحث الثالث:أوجه إعجاز القرآن\٩٢

هل من جهه أسلوبه و دقه عبارته و كلامه؟\٩٢

أم أن الإعجاز جاء من جهه ألفاظه؟\٩٢

أم أن الإعجاز جاء من جهه المعانى التى تضمنها القرآن الكريم؟\٩٢

أولا-وجوه إعجاز القرآن كما حددها الإمام الباقلانى\٩٤

ثانيا-القاضى عياض و وجوه إعجاز القرآن\٩٩

الرأى المختار فى تحديد أوجه إعجاز القرآن\١٠٢

الفصل الثالث:الإعجاز العلمى بين المؤيدين و المعارضين\١٠٥

تمهيد\١٠٧

المبحث الأول:أبرز المؤيّدين من العلماء القدامى\١٠٩

أولا-الإمام أبو حامد الغزالى\١٠٩

ثانيا-فخر الدين الرازى\١١٢

ثالثا-الإمام الزركشى\١١٤

رابعا-الإمام السيوطى\١١٦

المبحث الثانى:أبرز المؤيدين من العلماء المعاصرين\١١٨

أولا-الإمام محمد عبده\١١٨

ثانيا-عبد الرحمن الكواكبى\١٢٠

القسم الثانى:المثبتون من العلماء المعاصرين باعتدال أولا-وحيد الدين خان\١٢٣

ثانيا-الدكتور محمد جمال الدين الفندى\١٢٥

ثالثا-الشيخ أحمد مصطفى المراغى\١٢٧

المبحث الثالث:أبرز المعارضين من العلماء القدامى و المعاصرين\١٣٠

أولا-المعارضون من العلماء القدامى\١٣٠

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى\١٣٠

ثانيا-المعارضون من العلماء المعاصرين\١٣٢

١-الشيخ محمود شلتوت\١٣٢

٢-سيد قطب\١٣٤

٣-محمد عبد العظيم الزرقانى\١٣٧

٤-محمد رشيد رضا\١٣٩

المبحث الرابع:أدله الفريقين\١٤١

أولا-من أدله المؤيدين للتفسير العلمى\١٤١

ثانيا-من أدله المعارضين للتفسير العلمى\١٤٢

الترجيح\١٤٣

الفصل الرابع:الإعجاز القرآنى فى علم الفلك\١٥١

تمهيد\١٥٣

المبحث الأول:بين الإسلام و العلم\١٥٥

أولا-الإسلام دين العلم\١٥٥

ثانيا-الإعجاز العلمى سبيل من سبل الدعوه\١٥٨

ثالثا-ضوابط التفسير العلمى للقرآن\١٦١

المبحث الثانى:مولد الكون و نشأته بين القرآن و العلم\١٦٦

مراحل الخلق أولا-مرحله الرتق و الفتق\١٦٧

ثانيا-مرحله خلق السموات و الأرض\١٧١

ثالثا-مرحله دحو الأرض\١٧٣

الحقائق العلميه\١٧٧

الإعجاز\١٨١

المبحث الثالث:تمدد الكون و توسعه\١٨٤

الحقائق العلميه\١٨٦

الإعجاز\۱۹۰

المبحث الرابع:نهایه الکون بین القرآن و العلم\۱۹۳

الإعجاز\۲۰۱

الفصل الخامس:الإعجاز القرآنی فی الشمس\۲۰۷

تمهید\۲۰۹

المبحث الأول:تحركات الشمس و انتقالاتها\۲۱۰

تحركات الشمس و انتقالاتها\۲۱۱

الحقائق العلميه\۲۱۴

حركات الشمس\۲۱۴

الإعجاز\۲۱۶

المبحث الثانى:الشمس متوهجه ملتهبه\۲۱۹

الحقائق العلميه\۲۲۱

الإعجاز\۲۲۵

المبحث الثالث:تعدد الشموس و الأقمار\۲۲۶

الحقائق العلميّه\۲۲۸

الإعجاز\۲۳۵

المبحث الرابع:موت الشمس و نهايتها بين القرآن و العلم\۲۳۷

الحقائق العلميه\۲۴۰

الإعجاز\۲۴۲

الفصل السادس:الإعجاز القرآنى فى الأرض\۲۴۳

تمهيد\۲۴۵

المبحث الأول:كرويه الأرض\۲۴۶

الحقائق العلميه\۲۵۳

الإعجاز\۲۵۴

المبحث الثانى:حركه الأرض و دورانها\۲۵۶

الحقائق العلميه\٢٦١

الإعجاز\٢٦٣

المبحث الثالث:جاذبيه الأرض\٢٦٤

الحقائق العلميه\٢٦٨

الإعجاز\٢٧٠

المبحث الرابع:الغلاف الجوى و منافذه للأرض\٢٧١

الحقائق العلميه\٢٧٤

الإعجاز\۲۷۸

الفصل السابع:الإعجاز القرآنی فی القمر\۲۸۱

تمهید\۲۸۳

المبحث الأول:القمر منیر\۲۸۴

الحقائق العلمیه\۲۸۸

الإعجاز\۲۸۹

المبحث الثانی:انشقاق القمر\۲۹۱

الحقائق العلمیه\۲۹۳

الإعجاز\۲۹۶

المبحث الثالث:منازل القمر\۲۹۸

الحقائق العلمیه\۲۹۹

الإعجاز\۳۰۳

المبحث الرابع:و جمع الشمس و القمر\۳۰۴

الحقائق العلمیه\۳۰۵

الإعجاز\۳۰۶

الفصل الثامن:الإعجاز القرآنی فی الریاح\۳۰۷

تمهید\۳۰۹

المبحث الأول:أنواع الریاح بین القرآن و العلم\۳۱۱

الحقائق العلمیه\۳۱۵

الإعجاز\۳۱۹

المبحث الثانى:تكوين السحب و أنواعها بين القرآن و العلم\٣٢٠

الحقائق العلميه\٣٢٢

أنواع السحب من حيث النشأه\٣٢٣

الحقائق العلميه\٣٢٨

أنواع الغيوم\٣٢٩

الإعجاز\٣٣١

المبحث الثالث:البرق و البرد بين القرآن و العلم\۳۳۳

الحقائق العلميه\۳۳۵

الإعجاز\۳۳۸

الفصل التاسع:الإعجاز القرآنى فى الجبال\۳۳۹

تمهيد\۳۴۱

المبحث الأول:تكوين الجبال\۳۴۳

الحقائق العلميه\۳۴۵

الإعجاز\۳۴۹

المبحث الثانى:الجبال تحافظ على توازن الأرض\۳۵۰

الحقائق العلميه\۳۵۲

الإعجاز\۳۵۳

المبحث الثالث:الرواسى الشامخات و الماء الفرات\۳۵۶

الحقائق العلميه\۳۵۸

الإعجاز\۳۶۰

المبحث الرابع:حركه الجبال و تعدّد صخورها\۳۶۲

الحقائق العلميه\۳۶۴

الإعجاز\۳۶۷

الفصل العاشر:الإعجاز القرآنى فى البحار\۳۶۹

تمهيد\۳۷۱

المبحث الأول:ظلمات البحار و تنوع الأمواج\۳۷۳

الحقائق العلميه\۳۷۶

الإعجاز\۳۷۹

المبحث الثانی:مرج البحرین یلتقیان\۳۸۰

الحقائق العلميه\۳۸۳

الإعجاز\۳۸۶

المبحث الثالث:و البحر المسجور\۳۸۸

الحقائق العلميه\۳۹۰

الإعجاز\۳۹۱

المبحث الرابع:اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء\۳۹۲

الحقائق العلميه\۳۹۵

الإعجاز\۳۹۷

الخاتمه\۳۹۸

الفهارس فهرس الآيات\۴۰۵

فهرس الأحاديث\۴۱۴

قائمه المصادر و المراجع\۴۱۵

الفهرس\۴۳۷

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹